

لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

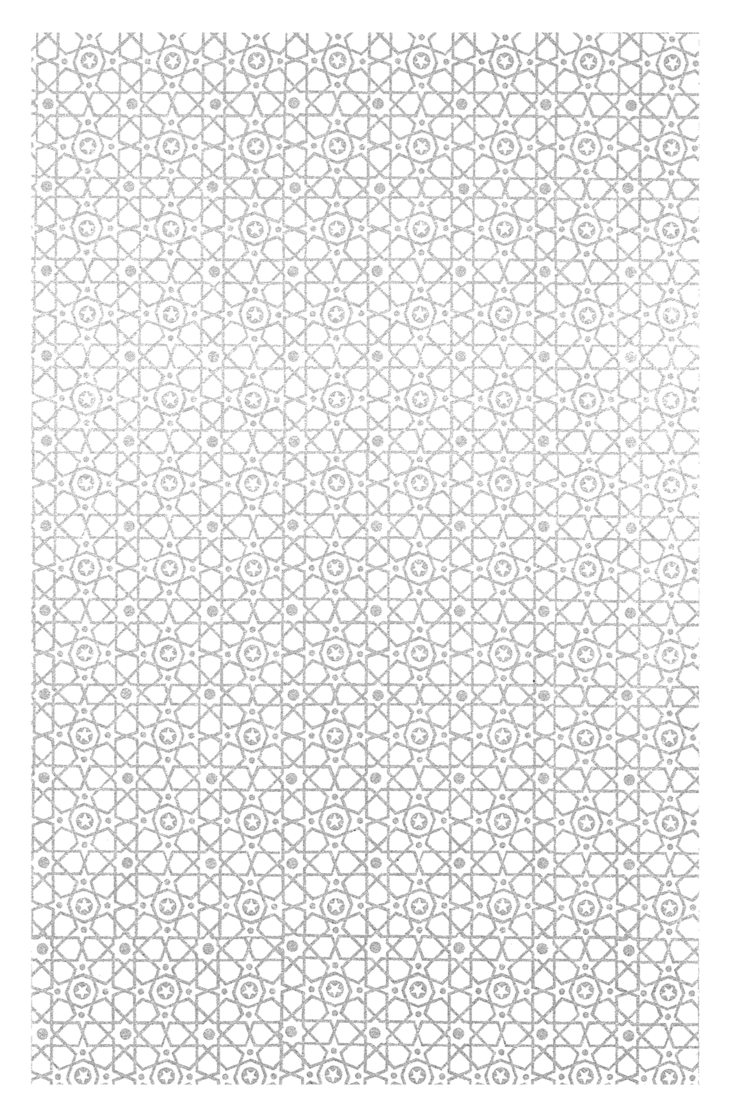
بتحقيق

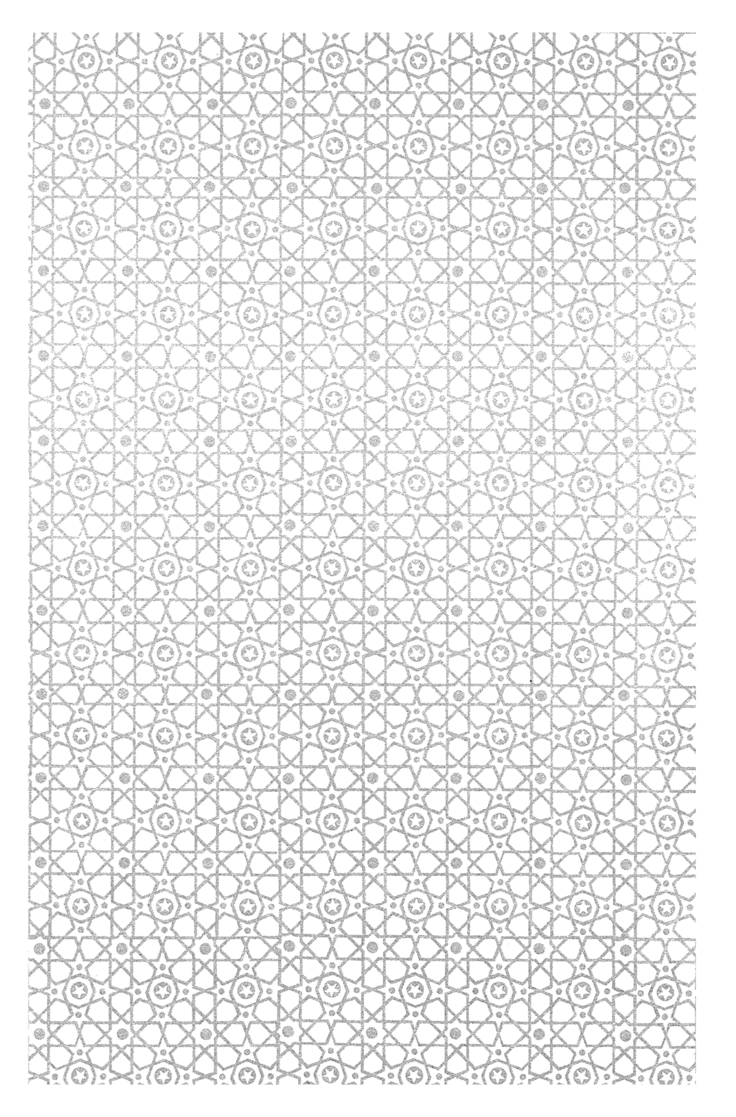
الأستاذ مصطفى السقا — الدكتور حامد عبد المجيد





١٩٩٦





شرح المشكل
من
شعر المتنبي

شرح المشكل

من

شعر المتنبي

تأليف

علي بن إسماعيل بن سيده
المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

تحقيق

الأستاذ مصطفى السقا　　الدكتور حامد عبد المجيد

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح المشكل من شعر المتنبى

تقديم طبعة الكتاب

هذا كتاب من أنفس الذخائر العربية وأعظمها أثراً فى الأدب واللغة.

هو أحد الكتب القيمة لإمام من أئمة الأندلس المبرزين، وحجة من حجج اللسان العربى، وهو أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده، صاحب أكبر معجمين كبيرين فى اللغة ، هما المحكم والمخصص.

أتجه المؤلف فى كتاب هذا إلى ما كان سبباً فى الخصومة ومثاراً للجدل بين الأدباء والنقاد فى المشرق العربى، حول ما أشكل من شعر المتنبى، وما استغلق من معانيه واستبهم من تراكيبه. فتناولها فى عمق العالم المتمكن، وشرحها شرحاً وافياً فى بسطة من البيان، وغزارة علمه باللغة والنحو والتصريف.

وقد قمت منذ أعوام على تحقيق هذا الكتاب مشاركة مع العالم المحقق الأستاذ مصطفى السقا ـ رحمه الله ـ حين طلب إلينا المجلس الأعلى للفنون والآداب أن نحققه ونعدّه للنشر، فصح العزم على تحقيقه، وأطلنا صحبة العمل فيه.

وبتوفيق الله سبحانه أكملنا تحقيقه على خير ما يرجى وقدمناه للمجلس فى سنة ١٩٦٥ ليتولى نشره.

وأمتدت الأعوام فكانت عشرة كاملة. والكتاب لا يبرح مكانه حيث وضع. وإذا هو يظهر فجاءة مطبوعاً طبعة ساء فيها وأساء.

كانت طبعة سقيمة مشوهة، يشيع فيها التحريف والتصحيف، وتتزاحم الأخطاء فى أكثر الصفحات. ونص الكتاب يعتريه الخلل ويعوزه التقويم الصحيح بسبب ضياع الهوامش والتعليقات.

فكان لابد من تهيئة الكتاب وإعادة طبعه من جديد على الصورة الصحيحة التى قدمناها للمجلس الأعلى.

وبفضل الله ومعونته، وإرادته ومشيئته، تم إعداد الكتاب لينشر فى صورته العلمية مكتملاً تحقيق النص وتقويمه.

والآن وقد أخذت دار الكتب المصرية ـ بعد أن أصبحت هيئة عامة ـ تعاود نشاطها فى إحياء التراث العربى بعد توقف، وتسرع الخَطو لنشره بعد إبطاء، احتفاء بما له من مكانة وأصالة.

واتفق أن رأى الأستاذ المحقق الدكتور محمود فهمى حجازى رئيس هيئة دار الكتب، هذا الكتاب بعد إعداده واكتماله، فأولاه عنايته واهتمامه. وكانت منه رغبة صادقة فى أن تتولى دار الكتب طبعه ونشره.

فإلى الأستاذ العلامة أوفى الشكر خالصاً، مع التقدير لحرصه الشديد، وجهده المتصل فى إحياء غراس العصور، ونشر التراث الفكرى لعلماء الأجيال.

وبعد.

فها هو ذا شرح ابن سيده لما أشكل من شعر المتنبى، قد أنجز طبعه فى صورة واضحة جلية وفق أصول النشر العلمى المنظم. وقد بذلنا فى تحقيقه ما وسع الجهد واقتضته أمانة الأداء.

نسأل الله العلىَّ الأعلى أن يعم النفع به. إنه المرجُوُّ والمؤمَّل، والحمد لله رب العالمين.

* * *

٢٨ يوليه ١٩٩٦ — حامد عبد المجيد

مقدمة المحققين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

ظهر المتنبى فملأ اسمه الآفاق العربية وشغل الناس. شغلهم فى البيئات العلمية والأدبية القريبة منه، وشغلهم فى البيئات البعيدة عنه. وكانت الأندلس ـ وهى أبعد البيئات الإسلامية عن الشرق العربى ـ من أهم البيئات اهتمامًا بشعر المتنبى، ومشاركة فى شرح ديوانه.

وكان أبو الطيب المتنبى أعظم معنى متفلسفا، وأكثر تركيبا مستبهما، وفيما أبهم واستشكل من شعره، تجاذب الناس القول، ودارت حول المتنبى حركة أدبية واسعة فى بغداد وما حولها، كان الأدباء فيها بين اثنين، مدافع عنه ومتحامل عليه.

وأتسع نطاق هذه الحركة الأدبية، وتجاوز تخوم البيئة الشرقية إلى الأندلس، وكانت الأندلس فى القرن الخامس الهجرى خاصة. قد استكملت شخصيتها العلمية والأدبية، وبلغت من العلو الثقافى ما جعلها تنافس بغداد وتحاول جاهدة أن تنتزع منها الصدارة.

فإذا شغل علماء المشرق العربى وأدباؤه بالمتنبى، فالأندلس جديرة أن تشغل به، وتشارك فى فهم شعره.

كان أظهر من شرح شعر المتنبى من أدباء الأندلس : أبو القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا النحوى المعروف بابن الإفليلى، المتوفى ٤٤١هـ. وكان أبو القاسم هذا من المعاصرين لابن سيده. وقد تصدر لإقراء علم الأدب بالأندلس، وكان ممن روى عن أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى كتاب النوادر لأبى على القالى.

وكان مع علمه بالنحو والفلسفة، يتكلم فى معانى الشعر وأقسام البلاغة والنقد. وقد ألف كتابا شرح فيه معانى شعر المتنبى.

وفى ختام القرن الخامس الهجرى، تولى ابن السيد البطليوسى، إمام أهل الأندلس فى عصره، شرح ديوان المتنبى، إلى جانب شرحة سقط الزند لأبى العلاء المعرى.

وقد ورد إلينا شرحه سقط الزند وقامت على تحقيقه ونشره لجنة إحياء آثار أبى العلاء[1]. أما شرحة لديوان المتنبى فقالوا عنه إنه لم يخرج من المغرب. (ابن خلكان).

وبين هذين العالمين الجليلين، كان ابن سيده اللغوى وقد قصر همه على شرح المشكل من أبيات المتنبى، وألف فيه كتابا له أثره ووزنه الأدبى وهو الذى حققناه ونقدمه اليوم إلى القراء.

وابن سيده من أظهر علماء الأندلس وأئمة اللغة العربيه. لم يكن فى زمانه كما قالوا : «أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها».

وقد أشتهر بين معاصريه ومن جاء بعدهم من اللغويين والأدباء والمؤرخين بكنيته «ابن سيده» وكأن هذه الشهرة، قد أنست الناس اسم أبيه فوقع الخلاف بينهم حين أرادوا تدوينه.

فالحميدى فى جذوة المقتبس يذكره بقوله : «على بن أحمد. أبو الحسن المعروف بابن سيده» (ترجمة ٧٠٩ ص ٢٩٣).

وابن بشكوال فى الصلة يقول :«على بن إسماعيل، يعرف بابن سيده من أهل مرسية يكنى أبا الحسن..».

وفى كتاب صاعد الجيانى : على بن محمد ، فى نسخة، وفى كتاب على ابن إسماعيل.

وهذا الخلاف الذى نراه فى كتب الأندلسيين حول اسم أبيه، يتردد كذلك فى روايات المشارقة نقلا عن الحميدى وابن بشكوال، كما هو واضح فى

(١) اعضاء هذه اللجنة : الأساتذة : عبد الرحيم محمود. مصطفى السقا. عبد السلام هارون. إبراهيم الابيارى. حامد عبد المجيد

معجم الأدباء لياقوت، ونكت الهميان للصفدى، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات النحاة لابن قاضى شبهة، ولسان الميزان لابن حجر حيث يذكر ابن سيده فى الجزء الرابع منه (ص ٢٠٢) مجرد ذكر باسم (على بن أحمد. يأتى فى على بن إسماعيل). ثم يترجم له فى ص ٢٠٥ باسم على بن إسماعيل.

* * *

ويبدو أن هذا التشابه بين كنية ابن سيده وبين ابن سيد (بتشديد الياء وكسرها» وهو جد أحمد بن سيد، أبو القاسم اللغوى ـ وكان صاحب الشرطة بقرطبة ممن روى عن القالى ـ قد أحدث شيئا من اللبس أو السهو عند الحميدى، فذكر ابن سيده على أنه على بن أحمد لا على بن إسماعيل.

وكذلك دفع هذا اللبس أو التشابه بين الاسم والكنية، إلى أن ينسب إلى ابن سيده، كتب ابن سيد خطأ.

فكتاب العالم فى اللغة، وكتاب العالم والمتعلم، وشرح كتاب الأخفش. هذه الكتب الثلاثة من تأليف أحمد بن أبان بن سيد وتنسب خطأ إلى أبى الحسن بن سيده. على أن بعض المؤلفين قد أشار إلى هذا ونبه عليه.

فابن قاضى شهبة فى أثناء ذكره مصنفات ابن سيده فى كتاب طبقات النحاة وإشارته إلى كتاب العالم يقول :«وكذلك كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب وليس هما من تصنيفه، وإنما هما من تأليف أحمد بن سيد (بتشديد الياء)» ثم يقول فى (جـ١ ص١٥٥) فى ترجمة ابن سيد ما نصه : (أحمد بن أبان بن سيد، مؤلف كتاب العالم فى اللغة فى نحو مائة مجلد بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة، وخلط من نسب هذا الكتاب إلى ابن سيده صاحب المحكم وإنما هو من تأليف ابن سيد هذا. وقد أخذ هذا الرجل عن القالى وغيره».

* * *

ومهما يكن من الأمر فإذا كان الباحثون يجمعون على اسمه وكنيته «على ابن سيده» ثم يختلفون فى اسم ابيه، فعندنا أن والد ابن سيده هو إسماعيل كما ذكر ابن بشكوال، لا أحمد كما أورده الحميدى، ونورد فى تحقيقنا لذلك أدلة ثلاثة :

أولها :

أن جميع كتبه التى وصلت إلينا : المحكم والمخصص ومشكل شعر المتنبى؛ تحمل اسم مؤلفها على بن إسماعيل بن سيده ولا يرد فى واحد منها ذكر لعلى بن أحمد، كما أن مقدمات هذه الكتب تذكر اسم مؤلفها على بن إسماعيل.

ففى مقدمة المخصص. «قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده».

وفى المشكل من شعر المتنبى (نسخة تونس) «قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده».

وفى نسخة القاهرة من هذا الكتاب (شرح مشكل أبيات المتنبى وضع أبى الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده).

ثانيها :

ما جاء فى خطبة لسان العرب، إذ يقول ابن منظور : «ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل بن سيده الأندلسى رحمهما الله وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق».

وبعيد جدًا ألا يتحقق ابن منظور أو يخفى عليه اسم والد ابن سيده صاحب أكبر موسوعة اعتمد عليها فى لسان العرب.

ثالثها :

ما نراه فى كشف الظنون من نسبة كتبه إلى على بن إسماعيل لا على بن أحمد. فعندما يذكر كتاب الحماسة لأبى تمام (الجزء الأول ص٦٩١) يقول حاجى خليفة : **«فممن شرحه... أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ وهو شرح كبير فى ستة مجلدات وسماه الأنبق».**

وعندما يعرض لديوان المتنبى وشرحه يقول : «وشرح مشكل أبيات المتنبى لأبى الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده».

وعند كلامه عن المحكم يقول : «المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن على ابن إسماعيل».

وعندما يورد كتابه الوافى يقول : كتاب الوافى فى علم القوافى لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوى (كشف الظنون ٢ : ٩٩٧).

وعندما يصل إلى المخصص يقول : والمخصص في اللغة لابن سيده أبى الحسن على بن إسماعيل اللغوى المتوفى سنة ٤٦٨هـ، ألفه قبل الحكم».

نشأة ابن سيده :

نشأ ابن سيده بمرسية، وهى مدينة كبيرة فى شرق الأندلس، كانت تموج بكثرة من العلماء والفقهاء والأدباء. ونبغ فيها عدد كبير من أهل العلم والأدب، يرقى بهذه المدينة إلى الدرجة العليا من الرقى الفكرى والمكانة العلمية.

فى هذه المدينة ولد ابن سيده وفيها نشأ، وأكبر الظن أنه قضى عهد صباه وشطرا من شبابه بين الدرس والتحصيل على علمائها ممن نشئوا فيها أو من الوافدين إليها.

فالرواة يذكرون أن ابن سيده تلقى العلم على أبيه إسماعيل بن سيده، وكان طبيعيا أن يسمع الفتى الناشئ من أبيه ويأخذ عنه، وكان أبوه قيما يعلم اللغة ومن النحاة الأجلاء، وقد روى عن أستاذه الزبيدى مختصر كتاب العين. وتوفى بمرسية بعد الأربعمائة بمدة، كما ذكر ابن بشكوال.

ويذكر الرواة أيضا أن ابن سيده قد أخذ عن صاعد البغدادى الوافد على الأندلس زمن المنصور بن عامر، وقد أخذ صاعد عن السيرافى وأبى على الفارسى وغيرهما. وكان من العارفين باللغة وفنون الأدب والأخبار. اتصل صاعد بالمنصور بن أبى عامر فأكرمه وأدناه منه، وألف له صاعد كتاب الفصوص، على نحو النوادر لأبى على القالى وتوفى بصقلية سنة ٤١٧هـ.

وكذلك يروون أن ابن سيده أخذ عن أبى عمر بن محمد الطَّلمنكى وكان إماما فى القراءات، ثقة فى الرواية مفسرًا محدثًا، ودرس بقرطبة ثم بالمرية فمرسية فسرقسطة، وكان مشهورا بالورع والشدة على البدع.

وهم يذكرون أن الطلمنكى حين دخل مرسية أراد أهلها أن يسمعوا منه الغريب المصنف لأبى عبيد، فقال لهم: انظروا من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابى، فأتوه برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأ عليه مداولة إلى آخر الكتاب من حفظه فعجب منه. وتوفى الطلمنكى فى سنة ٤٢٨هـ. عن تسعة وثمانين عاما. وهو أستاذ ابن حزم وابن عبد البر.

وإذا كنا لم نهتد إلى شيوخ له غير هؤلاء الثلاثة، فمبلغ اليقين أن ابن سيده أخذ بمرسية عن بعض الأئمة من علمائها من أمثال : أبى الوليد محمد بن عبد اللّه البكرى المرسى. وكان أبوالوليد هذا ـ كما ذكر ابن بشكوال ـ فى الصلة (ت ١٥٥ ص ٤٩٩ جـ٢) ـ من أحفظ الناس لمذهب مالك وأصحابه وأقواهم احتجاجا له مع علمه بالحديث، الصحيح منه والسقيم وأسماء رجال نقله، والتعديل والتجريح، والعلم باللغة والنحو والقراءات ومعانى الأشعار، وتوفى بمرسية سنة ٤٣٦هـ.

وكذلك من أبى غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيانى وهو من علماء مرسية وكان كما وصفوه «إماما فى اللغة وثقة حجة» وله كتاب مشهور فى اللغة. وله مع أبى الجيش مجاهد العامرى قصة تروى حول هذا الكتاب حين غلب على مرسية، وكان أبو غالب بها فبعث إليه ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمته : «مما ألفه تمام بن غالب إلى أبى الجيش مجاهد» فرد الدنانير، وأبى أن يصرف فخر تأليفه لمجاهد. وتوفى أبو غالب بمرسية فى سنة ٤٣٦هـ وهى السنة التى توفى فيها مجاهد.

ثقافته :

درس ابن سيده ماكان شائعا فى عصره، من علوم اللغة والدين، ونهل من مناهل العربية الصافية حتى وصفوه بأنه «كان حافظا لم يكن فى زمانه أعلم

منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب»، وقال هو عن نفسه : «إنى أجد علم اللغة أقل بضائعى، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم دقيق النحو وحوشى العروض وخفى القافية وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر فى سائر العلوم الجدلية».

وكذلك توفر على علوم الحكمة والمنطق خاصة، حتى وصفه صاعد بأنه من حذاق المنطق.

وقال فيه ابن قاضى شبهة فى كتابه طبقات النحاة : «ومن وقف على خطبة كتاب المحكم علم أنه من أرباب العلوم العقلية. وكتب خطبة كتاب فى اللغة، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا».

ويبين من الحكم ومشكل شعر المتنبى أن ابن سيده كان على جانب كبير من العلم بالقراءات. ويرجع هذا فيما نعتقد إلى ما أفاده من أستاذه أبى عمر الطلمنكى خاصة، وما أفاده بدانية أثناء إقامته بها فى بلاط مجاهد العامرى وقد اشتهرت دانية زمن مجاهد بما فيها من العلماء وأئمة القراءات.

عصره :

ولد ابن سيده فى سنة ٣٩٨هـ فاستقبل حياته فى مختتم القرن الرابع، وهى فترة خطيرة اضطربت فيها أحوال الأندلس عقب وفاة المنصور بن أبى عامر واشتعلت نار الفتن بين المتنازعين على السلطان والطامعين فى الملك. وقد استمرت القلاقل حينا طويلا تشد المتنازعين إليها وتلفهم بنار الفتنة وحَرِّ الموجدة، كما ظل الصراع شديدا يستعر أواره ويبلغ غايته، حتى يطيح بالدولة الأموية ويزول آخر خلفائهم فى سنة ٤٢٨هـ.

ثم تتفرق الأندلس أيدى سَبَا إلى عهد عرف بعهد ملوك الطوائف. وهو عصر ـ على الرغم مما صحبه من نهضة علمية وأدبية، وما امتاز به من ازدهار الثقافة وألوان المعرفة ـ كان أضعف العصور الأندلسية وأوهنها، حيث تقسمت الأندلس أقساما كثيرة. فكان لكل مدينة أو إمارة صاحبها متخذاً لقب الأمير أو

الملك، واشتعلت نار الفتن بينهم جميعا، فأخذوا يتحاربون ويتطاحنون. وبدت المدائن الأندلسية محترية مختصمة، متدابرة متنافرة. فكان كل أمير إذا أحس بالقوة أو آنس فى نفسه البأس صرف تلك القوة ووجه هذا البأس فى سبيل تحقيق مجده الشخصى، فلا يلبث أن ينقض على جاره، فيدرأ هذا الخطر عنه فيتحالف مع جار أقوى، أو يستنصر بجيرانه من الإسبان، ومضوا على ذلك طوال أيامهم، حتى وهنت قوتهم ولانت قناتهم فأغار عليهم عدوهم من المسيحيين فاضطروا إلى الاستنجاد بالمرابطين.

عاش ابن سيده فى هذا العصر، عصر الفتنة التى أطاحت بالدولة الأموية ثلاثين عاما كَمَلا. وعاش فى عصر الطوائف إلى أن توفى سنة ٤٥٨هـ ثلاثين عاما كذلك. وشاهد توزع السلطان فى أيدى هولاء الأمراء، وأبصر ما كان من اصطناعهم لمظاهر العظمة والأبهة وتنافسهم فى تقريب العلماء والأدباء. إذ كان أعظم مباهاتهم «قول العالم الفلانى عند الملك الفلانى. والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى».

فأخذ العلماء والأدباء يتوافدون على قصور هؤلاء الأمراء. وكان ابن سيده أحد العلماء الوافدين على دانية فى زمن مجاهد العامرى.

أتصل ابن سيده بمجاهد، وكان مجاهد من أصحاب الهمة وذوى الجرأة. فحين عصفت الفتنة بدولة ابن أبى عامر، قصد مجاهد إلى الجزائر التى بشرقى الأندلس مع من تبعه فغلب عليها وحماها، ثم غلب على دانية واتخذهاقصبة إمارته.

وكان مجاهد كما وصفوا من أشدالناس شغفا بالعلم وحبا للعلماء. فكانت دولته ـ كما ذكر صاحب البيان ـ أكثر الدول خاصة، وأسراها صحابة (البيان ص ١٥٦).

ومن أجل ذلك قصده العلماء والفقهاء من كل صقع وجنس. وألفوا له تواليف مفيدة فى سائر العلوم. فأجزل على ذلك صلاتهم بآلاف الدنانير. ومضى على هذا طوال عمره.

وكان ابن سيده منقطعا إلى أمير دانية، كما يقول الفتح بن خاقان، فى مطمح الأنفس، وإلى هذا الأمير ألّف أجل كتبه : المخصص، والمحكم.

حظه من المعارف :

وصفه أبو نصر الحميدى فى جذوره المقتبس بقوله : «إمام فى اللغة وفى العربية حافظ لهما .على أنه كان ضريرا . وقد جمع فى ذلك جموعا. وله مع ذلك فى الشعر حظ وتصرف».

ويقول السيوطى فى بغية الوعاة :«كان حافظا لم يكن فى زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار، وأيام العرب وما يتعلق بها، متوافرا على علوم الحكمة».

ويقول عنه ابن قاضى شهبه فى طبقات النحاة : «وكان ابن سيده ثقة فيما ينقله من اللغة وغيرها، قوله حجة، ولكنه عثر فى المحكم عثرات. وكان متوافرا علي علوم العربية متوافرا على علوم الحكمة. وألف فيها تواليف كثيرة. ومن وقف على خطبة كتاب المحكم، علم أنه من أرباب العلوم العقلية. وكتب خطبة كتاب فى اللغة، إنما تصلح أن تكون خطبة لشفاء ابن سينا».

ويقول ابن حجر فى لسان الميزان (جـ٤ ص ٢٠٥) : «كان من أعلم أهل عصره باللغة حافظا لها جمع فيها عدة تصانيف نافعة».

وبعد أن أشار ابن حجر إلى مآخذ السهيلى عليه فى نقض الصحيفة ورمى الجمار، عقب على ذلك بقوله: قلت : والغالط فى هذا يعذر لكونه لم يكن فقيها ولم يحج. ولا يلزم من ذلك أن يكون غلط فى اللغة التى هى فنه الذى تحقق به..».

مؤلفاته :

كان ابن سيده إماما حافظا، صافى الذهن، جيد الملكة، غزير المادة، واسع الاطلاع، وافر المحصول، جامعا لأشتات الفرائد.

وقد خلف للعربية من بدائع التأليف وروائع التصنيف عدة كتب نافعة، وصل إلينا بعضها، وفقد بعضها، أو هو لا يزال فى أحراز بعيدة، لم تصل إليها الأيدى، فلم يعرف عنه غير عنوانه، أو إشارات يسيره إلى حجمه وموضوعه.

والرواة يذكرون أن له كتابا فى شرح الحماسة لأبى تمام سماه «الأنيق» فى ستة مجلدات. كما أن له كتابا فى شرح إصلاح المنطق لابن السكيت، وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون باسم «العويص».

وله كتاب شاذ اللغة فى خمسة مجلدات، كما يروون أن له تأليفا مبسوطا فى المنطق. ولم يذكر عنوانه ولم يعثر عليه بعد.

على أن ابن سيده قد ذكر فى مقدمة المحكم ثلاثة كتب من تأليفه، وربما كانت أربعة، وهى :

كتاب «الوافى فى علم القوافى»[1] وسماه فى موضع آخر «الوافى فى أحكام القوافى[2]».

ومن حديثه عنه؛ أنه عالج فيه دقائق النحو والصرف، كما عرض فيه لنقد باب عيوب الشعر، وطرائف قوافيه فى كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم ابن سلام.

وكذلك كتاب نقد فيه الأمور الصرفية والمسائل النحوية من كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. وقد يكون ذلك الكتاب، هو الذى عرف باسم العويص. فيكون الكتاب شرحا ونقدا.

وكتاب آخر فى التذكير والتأنيث. قال عنه: «وأما ما أتركه من الأشعار بالتذكير والتأنيث، فإنما ذلك لأنى قد أفردت له كتابا لم يوضع فى معناه ما يوازيه فضلا عما يساويه. وكذلك الممدود والمقصور».

---

(١) المحكم ص ١٠.

(٢) المحكم ص ١٠.

وقد يكون فى هذه العبارة الأخيرة، ما يشعربأن له تأليفا فى الممدود والمقصور.

أما ماوصل إلينا من مؤلفات ابن سيده، فكتب ثلاثة : المخصص، والمحكم، والمشكل من شعر المتنبى.

والمحكم، أحد الأصول اللغوية الستة الى اعتمد عليها ابن منظور فى لسان العرب. أما الأصول الأخرى فالتهذيب للأزهرى، والصحاح للجوهرى والحواشى عليه لابن برِّى، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير، وجمهرة ابن دريد. ويكاد يكون الأساس الأول فى اللسان، هو مانقله ابن منظور عن ابن سيده فى المحكم.

وقد طبع المخصص فى سنة ١٣١٦هـ فى سبعة عشر جزءا، كما تم تحقيق المحكم وبدأت الجامعة العربية فى نشره(١).

أما المشكل من شعر المتنبى فهو الكتاب الذى قمنا بتحقيقه ونقدمه الآن بين أيدى الباحثين.

والسؤال الذى يعرض لنا الآن هو : أى هذه الكتب الثلاثة كان المؤلف أسبق إلى تأليفة؟ وما هو الترتيب بينها جميعا.

وجوابنا على ذلك أن المخصص كان أسبق الكتب الثلاثة تصنيفا. فقد الفه ابن سيده قبل المحكم، وقد أشار حاجى خليفة فى كشف الظنون إلى ذلك. على أن المحكم حافل بنصوص كثيرة يشير فيها ابن سيده إلى ماسبق أن شرحه فى المخصص.

فى الجزء الأول من المحكم ص ١١٥ مادة (جدع) يقول ابن سيده. «وجدع الغلام جدعا فهو جدع: سآء غذاؤه. قال أوس:

وذات هدم عار نواشرها   تصمت بالماء توليا جدعا

وقد ذكرت تصحيف بعض العلماء لهذه الكلمة فى هذا البيت فى الكتاب المخصص.

---

(١) شارك محققا هذا الكتاب فى تحقيق بعض أجزاء المحكم.

وفى الجزء الأخير من المحكم فى (باب النون والباء والواو) يقول ابن سيده : «نبا بصره عنه نبوا. وابناء فارس قوم من أولادهم، ارتهنوا باليمن. وللأب والبنت أشياء كثيره تضاف إليها قد جمعتها وتقصيتها فى الكتاب المخصص»

وفى موضع آخر من هذا الجزء يقول : «الأم القصد. وقالوا : ما أنت وأم الباطل. أى ما أنت والباطل. وللأم أشياء كثيرة تضاف إليها قد أبنتها فى الكتاب المخصص».

وفى (باب النون والباء والهمزة) فى هذا الجزء أيضا يقول :«النبأ الخبر، والجمع أنباء، وتنبأ الرجل : ادعى النبوة.

وقد أنعمت شرح هذه الكلمة وأبنت اشتقاقها فى الكتاب المخصص.

فهذه النصوص قاطعة بأن المخصص كان أسبق إلى تأليفه من المحكم غير أننا نجد ابن سيده قد ذكر اسم المخصص فى مقدمة المحكم كما ذكر المحكم فى مقدمة المخصص.

قال فى مقدمة المخصص : «ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأنى لما وضعت كتابى المرسوم بالمحكم مجنسا، لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة، أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا، حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوّه» فدل ذلك على أنه ألف المحكم قبل المخصص.

وقال فى مقدمة المحكم « ... فألفت كتابى الملخص الذى سميته المخصص وهو على التبويب فى نهاية التهذيب، ثم أمرنى بالتأليف على حروف المعجم فصنفت كتابى المرسوم بالمحكم» فدل ذلك على أنه ألف المخصص قبل المحكم.

فكيف نوفق بين ما جاء فى هاتين المقدميتن من ذكر اسم المحكم فى مقدمة المخصص واسم المخصص فى مقدمة المحكم، وقد أوردنا من النصوص ما يقطع بأن المخصص كان أسبق إلى التأليف من المحكم؟ والجواب على ذلك يسير.

فالمعروف أن المقدمة توضع عقب الفراغ من التأليف. فإذا كان ابن سيده قد استجاب لرغبة الأمير كما هو نص قوله السابق، فبدأ فى المحكم بعد المخصص دون إبطاء، فمعنى هذا أنه كتب مقدمة المخصص فى الوقت الذى شرع فيه فى عمل المحكم. أو على الأقل فى الوقت الذى انتهى فيه تصميم فكرة المحكم وترتيبه ونظام مواده. وهذه العبارة التى ورد فيها ذكر المحكم فى مقدمة المخصص، إنما قصد بها إلى التمييز بين طريقتيه فى هذين المعجمين الكبيرين، بين المخصص الذى أتمه وأكمله، وبين المحكم الذى شرع فيه. وفى الوقت نفسه قد عبر بها عن أمنيته فى إتمام معجم كبير كالمحكم.

أما كتابه المشكل من أبيات المتنبى، فكان تاليا فى التأليف للمخصص والمحكم. وفى الكتاب نفسه إشارات تبين ذلك.

ففى شرح ابن سيده لبيت ذى الرمة :

رخيمات الكلام مبتلات   جواعل فى القنا قضبا خذالا

يقول : مبتلات بالكسر، أى مقطعات للكلام يبهرن المنطق نغمة، فحذف المفعول. ومن رواه مبتلات، فقد كفاك. لأن المبتلة لفظ المفعول وهى من النساء التى كل شئ منها حسن على حدة، كأن الحسن بتل على كل جزء منها أى قطع. وقد أثبت هذا فى كتابى المرسوم بالمخصص فى اللغة».

وفى شرحه لقول المتنبى :

«وقيدت الأُيَّل فى الحبال»

يقول :«« وقد أثبت الأيِّل واشتقاقه ووزنه وتكسيره وما فيه من اللغات فى كتابى المرسوم بالمحكم».

شرح ديوان المتنبى :

أول من شرح ديوان المتنبى، أبو الفتح ابن جنى، وكان طبيعيا أن يعرض عالم نحوى لغوى جليل كابن جنى لديوان شاعر كبير كالمتنبى، ملأ الدنيا بشعره وشغل الناس.

فقد عرف ابن جنى أبا الطيب فى بلاط سيف الدولة الحمدانى بحلب، وكان قصر هذا الأمير كغيره من قصور الأمراء فى ذلك الحين، منتدى يؤمه أفذاذ العلماء ونوابغ الأدباء من شتى الأقطار والأمصار.

وعند سيف الدولة اجتمع أبو الفتح بأبى الطيب، ونشأت بين العالم الجليل والشاعر الكبير صلة وصحبة، وتآلفا. ودامت بينهما الصحبة والمودة، وتوثقت بينهما الصلة والملازمة. ثم قُدِّر لأبى الفتح أن يخدم فى بيت آل بويه بشيراز فى عهد عضد الدولة البويهى وبنيه :صمصام الدولة، وشرف الدولة وبهاء الدولة. ولبهاء الدولة ألف ابن جنى كتابه «الخصائص».

وذهب المتنبى إلى شيراز فالتقى بصديقه أبى الفتح عند عضد الدولة، واستمرت المحبة بينهما قوية متينة، عرف فيها كل واحد منهما صاحبه عن قرب وخبرة. فكان المتنبى يجل أبا الفتح ويحله من نفسه أرفع محل ويقول عنه : «إنه رجل لا يعرف قدره كثير من الناس» وكان إذا سئل عن شئ من دقائق النحو والتصريف يقول : «سلوا صاحبنا أبا الفتح». كان كما يقول العمرى فى مسالك الأبصار «إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب، حصل فيه إغراب، دل عليه وقال : عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى، فسلوه فإنه يقول : «ما أردت ومالم أرد[1]».

وكذلك عرف ابن جنى قدر أبى الطيب، صاحب المعانى الدقيقة والبصر النافذ والحكمة الخالدة والمثل السائر والإحاطة بالعربية، فأعجب به أيما إعجاب. وكان دائم الثناء عليه فى تأليفه والاستشهاد بشعره فى المعانى والأغراض المختلفة، ويعبر عنه بشاعرنا كما نرى ذلك فى الخصائص، إذ يقول : « وحدثنى المتنبى شاعرنا وما عرفته إلا صادقا[2]».

شرح أبو الفتح ديوان المتنبى شرحين : الشرح الكبير، والشرح الصغير، والأخير هو الموجود الآن.

وقد تعقب النقاد والمعاصرون شرح أبى الفتح. وعلى الرغم من أن ابن جنى كان من الكبار فى صنعة الإعراب والتصريف، لم يوفق فى شرح شعر

(١) مسالك الأبصار ٤ : ١٠١.

(٢) الخصائص جـ١ ص ٢٣٩.

أبى الطيب، وقالوا عنه : إنه إذا تكلم فى المعانى تبلَّد حِمَاره، واستهدف شرحه للمطاعن والمآخذ.

وكان من الناقدين لشرح ابن جنى، على بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ، وهو ممن شارك ابن جنى فى الأخذ عن أبى على الفارسى، فألف كتاب التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى.

وكذلك ابن فورجة أبو على محمد بن حمزة. فإنه ألف كتابين كبيرين على شرح معانى المتنبى؛ سمى أحدهما «التجنى على ابن جنى» والآخر «الفتح على أبى الفتح» ورد فيهما على ابن جنى فى شعر المتنبى.

ثم اختلف الناس بعد ذلك فى شعر المتنبى، فقوم يتعصبون له ويفضلونه فى الشعر على جميع أهل زمانه. وآخرون يتعصبون عليه فلا يعدونه من الشعراء ويزرون بشعره.

ويشغل الناس بالمتنبى، وتقوم حركة أدبية واسعة حول شعره وتتعاقب الشروح لديوانه.

وحسبنا أن نقف عند ماأحصاه حاجى خليفة فى كشف الظنون من هذه الشروح، لنتبين إلى أى مدى كانت عناية الأدباء واهتمامهم بشعر المتنبى.

فقد شرحه أبو المظفر الهروى كمال الدين محمد بن آدم المتوفى سنة ٤١٤هـ

وشرحه أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩هـ وسماه اللامع العزيزى أو معجز أحمد.

وشرحه أبو الحسن محمد بن عبد اللّه العجلى المتوفى بمصر سنة ٤٦٠ هـ وكان فاضلا نحويا من أصحاب أبى على الرُّمانى.

وشرحه الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨هـ وهو من الشروح الجليلة النفع، الكثيرة الفائدة.

وشرحه عبد اللّه بن أحمد الشامانى المتوفى سنة ٤٧٥هـ.

وكذلك أبو عبداللّه سليمان بن عبداللّه الحلوانى المتوفى سنة ٤٩٤هـ.

وشرحه أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦هـ وسماه التبيان فى شرح الديوان.

وعبد القاهر بن عبدالله الحلبى النحوى المعروف بالو أواء المتوفى سنة ٦١٣هـ، وأبو البركات مبارك بن أبى الفتوح أحمد المعروف بابن المستوفى الإربلى المتوفى سنة ٦٣٧هـ، وقد شرحه فى عشرة مجلدات وسماه «النظام» وبدار الكتب نسخه منه بعنوان :«شرح المشكل من ديوان حبيب أبى الطيب»، فى مجلدين كبيرين.

فإذا تركنا هؤلاء الشراح من أدباء المشارقة وذهبنا إلى الأندلس رأينا مشاركتها فى شرح ديوان المتنبى.

فقد شرحه أبو القاسم بن الإفليلى المتوفى سنة ٤٤١هـ كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وشرح المشكل من أبياته أبو الحسن على بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ.

ثم شرح الديوان كله أبو محمد عبدالله بن السِّيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١هـ.

* * *

والسؤال الذى يعرض لنا الآن هو :لماذا قصد ابن سيده إلى شرح المشكل من أبيات المتنبى ولم يشرح الديوان كله؟.

وجوابنا على ذلك أن ابن سيده كان معجبا بالمتنبى، إعجابه بابن جنى. وقد تناول الأدباء فى المشرق شرح ديوانه منذ ظهر، وصدر عليه شروح كثيرة كان أولها شرح ابن جنى.

وغير خفى أن كتب ابن جنى وأبى على الفارسى، تعتبر بناء جديدًا فى النحو بعد بناء سيبويه، وكان ابن سيده أشد حرصا على نقل كلام ابن جنى فى المحكم وذكر توجيهاته فى كل مناسبة.

وحين شرح ابن جنى ديوان المتنبى، أعجب به ابن سيده، لكن هذا الشرح قد تعقبه النقاد كالربعى وابن فورجةوغيرهما من الأدباء. ومن مجموع ما قام به ابن جنى وما اعترض عليه في شروحه، وجدت الفكرة عند ابن سيده فى شرح شعر المتنبى.

ولكن ابن سيده لا يلجأ إلى شرح الديوان كله، وإنما يتجه إلى ما كان سببا للخصومة، ومثارًا للجدل، مما أشكل من أبياته وما استغلق من معانيه وما استبهم من تراكيبه، فيتناولها فى عمق من حيث اللغة، ومن حيث الوزن ومصطلحات العروض، ومن حيث المعانى والدقائق النحوية والمسائل الصرفية. يتعمق فى التحليل، ويستقصى القواعد، ويجمع الصيغ، ويتلمس التعليلات والتخريجات، ويكثر من الاستشهادات النحوية والآراء اللغوية، والنقل عن سيبويه خاصة، وهكذا حتى يتضح البيت المشكل ويتم فهم معناه.

والأمر الثانى الذى حدا بابن سيده إلى شرح المشكل من شعر المتنبى، أن شعر المتنبى صادف هوى فى فؤاد هذا العالم الحكيم، وأشبع فيه رغبته الفلسفية، كما أن مشكلات المتنبى اللغوية كانت مادة خصبة لما فيها من دقائق النحو والتصريف.

فإذا كان ابن سيده يرى أن من أبرز ما تضمنه كتاب «المحكم» ، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركب المسمى عند النحاة بجمع الجمع، والفرق بين التخفيف البدلى والتخفيف القياسى، أو الفرق بين القلب والبدل، أو التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير، فإنه واجد هذه الدقائق عند المتنبى.

فكان عليه وهو من المعجبين به، أن يطيل الوقوف عندها وأن يجعل؛ كتابه فيها.

وحسبنا أن نجيل النظر فى شرح المشكل من أبيات المتنبى، لنرى شاذ النسب فى تصغير «أنيسيان» فى قول المتنبى : «له ياءئ حروف أُنيسيان» ونرى الفروق بين الجموع وأسماء الجموع فى مواضع كثيرة. ونرى الفرق بين التخفيف البدلى والتخفيف القياسى فى غير موضع.

وابن سيده فى كل هذا وأمثاله، يسهب فى الشرح ويمعن فى التوضيح ويربط كل ذلك بشواهد من الكتاب لسيبويه.

وقد يتكرر شرحه لمسألة من المسائل، ثم يبين سبب ذلك، كما فى قول المتنبى :

(ولو جعلت موضع الإلال   لآلئا طعنت باللآلى)

فيقول فى ختام شرحه :

«وقد بينت ذلك غير دفعة فى هذا الكتاب وفى غيره من كتبى. وإنما أعدته لطرافته ودقته، وأنه لا يفهمه إلا الذَّرب، فمن أنس به أحبه ووالاه، ومن ناقده قلنا له : من جهل شيئا عاداه».

نسخ الكتاب ومنهجنا فى تحقيقه

فى سبيل تحقيقنا لهذا الكتاب ، كان علينا أن نبحث عن نسخه فى مظانها وأماكن وجودها، فى فهارس مكتباتنا العربية من جهة، وفى فهارس المكتبات الأجنبية وخاصة كتاب بروكلمان من جهة أخرى.

ففى دار الكتب المصرية، عثرنا على نسختين من الكتاب إحداهما كتبت سنة ١١٦٨هـ، والأخرى صورت عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة تونس.

ثم بحثنا فى المكتبة التيمورية، ومكتبة طلعت، والمكتبة الزكية، ومكتبة الأزهر، والمكتبة الأحمدية بطنطا، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية، فلم نجد بين فهارسها إشارة إلى وجود هذا الكتاب بين ماتحويه هذه المكتبات.

ثم بحثنا فى فهارس مكتبة مدريد، وفهرس مكتبة الاسكوريال، فلم نجد ذكرا لهذا الكتاب فى فهارسهما أيضا.

وكذلك رجعنا إلى بروكلمان فلم نجده يذكر من نسخ هذا الكتاب سوى نسخة دار الكتاب (٢ أدب م) وذلك فى صفحة ١٤٢ من ملحق الجزء الأول.

فكان اعتمادنا بعد ذلك فى تحقيق هذا الكتاب على هاتين النسختين الموجودتين بدار الكتب، وهما نسختان نفيستان.

وصف النسختين :

أولا ـ نسخة دار الكتب رقم (٢ أدب م).

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل، كتبها حسين القرافى الشافعى، وفرغ من كتابتها فى ٢٣ صفر سنة ١١٦٨هـ، وعنوان الكتاب فيها:

«هذا شرح مشكل أبيات المتنبى» وضع أبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده».

وتشتمل النسخة على ١٨٩ لوحة، وبكل لوحة صفحتان، وفى كل صفحة تسعة عشر سطرا. وقد صورت عنها نسخة أخرى حفظت بدار الكتب برقم ١٣٨٤١ز.

ثانيا ـ مصورة دار الكتب المنقولة عن المخطوطة المحفوظة بمكتبة تونس، وقد كتبت بالخط المغربى، ولم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وعنوان الكتاب فيها :

«شرح ابن سيده على مشكلات المتنبى».

وبالنسخة سقط يسير فى بعض العبارات. وقد حفظت بدار الكتب برقم ١٩٨٧٧ز.

منهجنا فى تحقيق الكتاب :

منهجنا فى تحقيق هذا الكتاب، هو منهجنا وطريقنا فى تحقيق جميع ما نشرناه من قبل من كتب التراث العربى، وهذا المنهج يهدف دائما إلى تحقيق غرضين أساسين:

الأول : تقويم النص وإخراجه صحيحا سليما كما صدر عن مؤلفه.

الثانى : أن يكون الكتاب فى تحقيقه كاملا مستوفى، بحيث يستغنى به القارئ عن غيره، فلا يضطر إلى الرجوع إلى مصادر أخرى.

ولما كان ابن سيده قد عنى كثيرا بالدقائق النحوية والمسائل الصرفية والنقل عن سيبويه خاصة، فقد عارضنا الأصل على ما نقل من «الكتاب» لسيبويه، كما رجعنا إلى الأصول النحوية والمعاجم اللغوية فى كل ما يتصل باللغة والنحو.

وبعد، فها هو ذا «المشكل من أبيات المتنبى لابن سيده اللغوى» صورة للعالم المتمكن. ذى العقل الخصب، والتفكير الناضج. حققنا أصوله، وحررنا نصوصه، وجلونا غامضة.

ونقدمه اليوم إلى قراء العربية : شرحا وافيا من أجل الشروح لمشكلات شعر المتنبى وأجزلها فائدة. وذخيرة من أنفس ما خلفته السنون، واحتفظت به الحقب من تراث الأجيال. راجين أن يعم به النفع، واللّه المرجو والمؤمل. ومنه العون والتوفيق،

المحققان

مصطفى السقا   حامد عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله علَى سيدنَا مُحمَّد وَسَلَّم

قال أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى المعروف بابن سيده :

قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى رحمه الله تعالى:

-١-

(أَبْلى الهوَى أَسفًا يومَ النَّوى بَدَنِى

وَفرَّق الهجرُ بين الجَفْنِ والوَسَنِ)[١]

يذهب الناس إلى أن أسف البعد هو الذى أبلاه على عادة البِلَى، وإنما قصد المبالغة، أراد أن البِلى يعمل فى الأجسام حالاً فحالا على الأيام، وقد عمل فيه ليوم واحد، وهو يوم النَّوى، عمله لسنين.

-٢-

وقال

(ظَلْتُ بهَا تَنطوِى علَى كَبِدٍ نَضِيجةٍ فَوق خِلْبِها يَدُهَا)[٢]

ظلت[٣] : أقمت، والخِلبُ : غشاوة الكبد، والبيت مضمَّن[٤] بالأول وهو أبْعَدُ ما بان عنك خُرَّدُها.

(١) مطلع أبيات ثلاثة بديوانه ص ٧

(٢) من قصيدة له بديوانه ص ٨ فى مدح محمد بن عبدالله العلوى مطلعها

آهلا بدار سبَاك اغيدُها أبعُد ما بان عنك خُردها

(٣) أصلها ظلِلْت فحذف إحدى اللامين تخفيفا.

(٤) إنما يكون فى قول المتنبى ـ التضمين الذى هو عيب عند أصحاب العروض، إذا كانت(أَبْعَدُ) فى البيت الأول كلمتين: همزة الاستفهام والظرف،(بعد). أما إذا كانت أفعل تفضيل ـ وقد جزم الواحدى بأنه الصحيح، فلا يكون هناك تضمين. ويكون(أبْعَدُ) مرفوعا على أنه خبر(لخردها) أو منصوبا على الحال من فاعل(سبَاك)

فالعامل فى أَبْعَد، ظلت، كأنه قال : ظلت بها بَعْدَ ما بان خُرُدُها، والمعنى : بعدما بان خردها، ظلت منطويًا على كبد قد أنضجها التوجع وأذابها التفجع، و(عليها يدها) :

إنما توضع اليد على الكبد خشية من ضعفها.

يريد[1] بذلك، وكذلك يُفعَل بالفؤاد، كقول الآخر :

وضعتُ كفِّى عَلَى فؤادىَ مِن نار الهوى وانطَويت فَوق يَدِى

وأكثر الناس على أن (نَضيجة)، صفة للكبد فى اللفظ والمعنى، لاحظٌ لليد فى النُّضج، وإنما يريد أن اليد موضوعة على خِلب الكبد فقط، ويقُويه البيت الذى أنشدناه، وهو (وضعت كفى على فؤادى من .... نار الهوى....)

وقد يجوز أن يكون (نضيجة) صفة للكبد على اللفظ، ولليد فى المعنى، أى على كبد قد نضجت يدها على خلبها من حرارتها، وهذا أبلغ، لأنه إذا نضجت اليد وهى موضوعة على الخِلب من حر الكبد، فما الظن بالكبد؟ فإذا كان المعنى على هذا ، جاز فى (نضيجة) الجر والرفع. فالجر على الصفة للكبد فى اللفظ، والرفع على أن يكون خبر مبتدأ، وذلك المبتدأ هو اليد، كأنه قال : يدها نضيجة فوق خلبها. وهذا كما تقول : مررت بامرأة ظريفة أمَتها، فالظرف فى اللفظ للمرأة، وفى الحقيقة للأمَة. وأن شئت قلت : ظريفةٌ أمتها، أى أمتُها ظريفة.

وأما إذا كانت النضيجة صفة للكبد فى اللفظ والمعنى، فإنه لايكون فيها إلاّ الجرُّ، وكون (نضيجة) صفة اليد، أبلغ فى المعنى، لأنها حينئذ نضيجة بما ليس فى ذاتها. وإذا كانت نعتًا للكبد، فهى نضيجة بما فى ذاتها، واحتراق الشئ بما ليس فى ذاته، أبلغ من احتراقه بما فى ذاته وإنما يريد أنه إذا وضع يده على كبده متألمًا نضجت اليد بحر الكبد، كقوله :

هل الوجد إلا أن قلبى لودنا من الجمر قيدَ الرمح لاحترق الجمرُ

---

(١) فى الأصل : يؤيد بذلك، تحريف

وهذا عندى أبلغ من قول المتنبى، لأن اليد إذا كانت على خِلب الكبد، فهى أقرب إلى الحرِّ من الفؤاد من الجمر، إذا كان بينه وبين الجمر قيدُ رُمح، مع أنه جعل الجمر النَّارى محترقًا من حر فؤاده. فحر الفؤادإذن أشد من حر الجمر.

(شـابَ من الهـجـر فَرْقُ لِمَّـتِـهِ[١] فـصـار مـثــل الدِّمَـقسِ أَسْـودُها)

وفى هذا البيت تَرمَلَة[٢] صنعة، قال : (فَرق لِمته) فخص جزءًا من اللِّمة. ثم قال : أسـودُها، فعَمَّ، لكن قد يجوز أن يعود الضمير إلى الفرق، وإن كان الفرق مذكورًا، لأن المذكر إذا كان جزءًا من ذات المؤنث جاز تأنيثه.

أنشد سيبويه :

وَتَشـرقُ بالقـول الـذى قَـدْ أَذعْـتَـهُ كـمـا شَـرِقَت صـدرُ القناةِ من الدَّمِ[٣]

وقد يجوز أن يريد بياض اللِّمة كلها، وخص الفَرقَ، لأنه معظم الرأس، ثم أعاد الضمير إلى اللِّمة. وإنما وجهُ استواء الصنعة ـ لو اتَّزن له ـ وحَسُن فى القافية أن يقول :

شـابـت مـن الهَـجـر لِمَّـتُـهُ فـصـار مـثـل الـدمَـقـسِ أسـودُهـا

أو يقول : (أسـودهُ) بعد قوله (لِمَّته) وأسـودُها[٤] هنا : ليست مفاضلة، إذ لو كان ذلك، لكن أشد سوادًا.

وقد يجوز أن يكون أراد المفاضلة، فقد جاء ذلك شاذًا، فقوله أسودها يريد به مُسوَدّها كما يقول : هو أسود القوم أى الأسود فيهم.

(كـيـف يَحـيكُ[٥] المَـلامُ فـى هِمَمٍ أقــربُهـا منـك عَنْك أَبـعـدُهـا)

---

(١) اللمة من الشعر ما جاور شَحْمة الأذنين، وألم بالمنكبين. والفَرق: حيث يفرق الشعر من الرأس.

(٢) يقال: تَرْمَل عمله : لم يَتَنوَّق فيه(القاموس).

(٣) انظر الكتاب لسيبويه(١:٢٥) وهو فى المقتضب لأبى العباس المبرد تحقيق الأستاذ عضيمة ٤:١٩٧

(٤) أى ليس (أسودُها) أفعل تفضيل، وإنما هو صفة مشبهة عند البصريين.ويجوز أن يكون عند نحاة الكوفة أفعل تفضيل، لأنهم يجوزون اشتقاقه بما دل على لون وخاصة السَّواد والبياض. وانظر المسأله مفصلة فى(كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات ابن الأنبارى)

(٥) رواية الديوان وشرح الواحدى وشرح العكبرى (ليس يُحييك)

كيف يكون أقربُ شئ أبعدَ شئ! هذا خُلفٌ إذا حُمل على ظاهره، لكن لو قال : أقربها منك بعيد عنك ، كان حسنًا، ولكن الذى أراده : أقربها عندك مثل أبعدها. فالجملة فى موضع الصفة (لهمم). أى أقربها منك عندك أبعدُها منك على الحقيقة.

(أحييتُها والدُموعُ تُنجِدُنى شُئُونُها والظلامُ يُنجِدُهَا)

أحييتها : يعنى الليالى، تنجدنى : تعيننى. والشئون : مجارى الدمع، واحدها شأن. أى أحييت الليالى بالسهر والبكاء.

ومعنى البيت : إن شأن الدمع أن يخفف الحزن، كقول البحترى :

إن الدموع هى الصبابةُ فاطرح بعض الصبابة واسترح بهمومها

وهذا كثير فى أشعار العرب. وهو عندنا موجود بالمشاهدة، فكأن الدمع يعينه على طول الليل، وإعانة الدمع للمحزون على الحزن ليلاً، أجدى من إعانته عليه إياه نهارًا، لأن المحزون يتسلى نهارًا بما يتأمله، وينظر إليه، والظلام يقصر الطرف عما يتشاغل به المحزون نهارًا، فيفرغ الحزين عند ذلك إلى الدمع، لا يجد مُعينًا غيره. قال : (والظلام ينجدها) أى إن الظلام إذا قَصَّر الطرف عما يتشاغل به المحزون، زاد الليل بذلك طولاً. فكأن الظلام أنجد الليل عليه بقَصره طرفه عن النظر إلى ما يتشاغل به. لذلك قال الشاعر:

بلى إن للعينين فى الصبح راحةً لطرحيهما طَرفيهما كلَّ مَطرَحِ[1]

وقوله : (والدموع تنجدنى) جملة فى موضع الحال من التاء فى أحييت.

وقوله :(والظلام ينجدها) جملة فى موضع الحال من الهاء التى فى أحييتها، أى أحييت الليالى وأنا تنجدنى دموعى بالتسلية، وهى ينجدها الظلام بالتطويل لها.

---

(١) البيت للطرماح بديوانه من قصيدتة (ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح)

(لا نَاقَتى تَقبلُ الرَّديفَ[1] ولا بالسَّوط يَومَ الرِّهانِ أُجهِدُها)

حاجَى بهذا البيت، وإنما عنى نَعلَه، فكنَّى عنها بهذا النوع من الحيوان لأن الماشى يعلو نعله كما يعلو الراكب ناقته، ونفى عنها ما لا يكون لا حقًّا لغير الحيوان المركوب، يخرجها من نوعه. ثم بيَّن هذه الأُحجية فقال :

(شِراكُها كُورُها ومِشفَرها زِمَامُها والشُسُوعُ مِقوَدُها)

أى كل واحد من طوائف هذه النَّعل يحل محل الأدوات من الناقه، فجعل شراكها[2] كالكور، وهو مايقع على القدم من النُّعل، لأنه على وسطها، كما أن الكور على وسط الناقة، والزمام أمامها، كما أن مِشفر الناقة أمهامها، والشُسوع مِقودها، وذلك أنه يَفضل[3] عن ذات النعل، كما أن المِقوَد يفضل عن[4] المقود.

وكان ينبغى أن يقول : وشسعها مقودها فيفرد، كما قال : شراكها وزمامها، لكنه جمع عَلى أن كل طائفة من الشِّسع شِسْعٌ، وكذلك كان ينبغى أن يقول لو اتزن له : (وزمامُها : مِشفرها) ، كما قال : (شراكها : كورُها، وشسوعها : مقودها)، فبدأ بطوائف النعل قبل أداة الإبل، لكن حَسَّن عندى ابتداؤه بالمِشفر أن المشفر ذاتى، والكور والمقود من الأداة، لا من الذات.

(يَا ليتَ بى ضَربةً أُتيحَ لها كما أُتِيحت له مُحمَّدُها)

معنى إتاحة الضربة[5] له : حُلُوها به، ومعنى إتاحة محمد لها : نبوُّها عنه، واحتماله لها، وتأثيره فيها برغمه، وكذلك كل حال، وذى حال كل واحد منهما مُتَاح لصاحبه، وأراد أتيح لها محمدها كما أتيحت هى له. وأُتيح : قُدِّر.

(١) الرَّديف : الراكب خَلف الراكب.
(٢) شراك النعل سَيرُه، وهو بمنزلة الكُور للناقة.
والكُور: الرَّحْل بأداته يوضع على الناقة. والشسوع : السُّيور التى تكون بين خلال الآصابع.
(٣) يفضل : أى يزيد.
(٤) (عن) : ساقطة من الأصلين. وتقدم مثلها فى أول العبارة. هذا والفعل (فضل) بمعنى : زاد يتعدى بعن.
(٥) قال الواحدى: كان هذا العلوى قد أصابته ضربة على الوجه فى بعض الحروب، فقال: ليت الضربة التى قُدِّر لها محمدُها، يعنى الممدوح كما قُدرت الضربة له كانت بى. أى يا ليتنى فديته من تلك الضربة فوقعت بى دونه.

ويجوز أن يكون أراد أن الضربة ندمت حين وقعت به، لأنها لم تكن بحق، فكان ذلك الندم[1] تأثيرًا فيها، وكذلك السيف ضربَ غيرَ مُستَحق . فذلك الندم تأثير فيه. وكل ذلك مجاز واتساع. أى قدَّرمحمد للضربة كما قُدرت له، فكان هو المؤثر فيها ، ألا ترى بعده :

(أَثَّر فيها وفى الحديدِ وَمَا أَثَّر فى وجهه مُهندُها)

أثر فى الشئ: غادر فيه أثرًا، ولا يكون التأثير إلا فى الجواهر[2]، كقولك : أثر المطر فى الحائط والخُف فى الأرض، وأثر المرض فى الجسم. ولا يكون ذلك فى العَرَض.

وقد اقتسم قوله : (أثر فيها وفى الحديد) جوهرًا وعرضًا، أما الجوهر فالحديد والتأثير فيه شائع، وأما الهاء فى قوله : (فيها) فَعَرَضٌ، لأنها كناية الضربة التى فى قوله :

* يا ليت بى ضربة أتيح لها *

وإنما لم يصح التأثير فى العَرَض لأن التأثير إبقاء الأثَرُ، والأثر عَينٌ، والعين لا يكون إلا فى عين[3] مثله. أعنى بالعين: الجوهر، إذ لا يحمل الجوهرَ إلا جوهر. وأما العَرَض فليس بعين، فيكون حاملا لعين آخر، فإذن قولهُ: (أثَّر فيها) استعارة ومجاز غريب. كأنك توهم الضربة عَيناً، بل هو عندى أبلغ، لأنه إذا أمكنه التأثير فى العَرَض كان له فى الجوهر أمكن، لكنه مع ذلك قول شعرى. أعنى أنه ليس بحقيقة. وقوله :

* وما أثر فى وجهه مهندُها *

المهند : السيف . وهو عندى من قولهم : (هَنَّدتهُ النساء) : أى تيَّمنه. والمتَيَّم نحيلٌ فكذلك السيف.

---

(١) فى م : الذم ، تحريف

(٢) يريد بالجواهر الأجسام المادية، وهى تُقابل الأعْراض جمع عَرَض . (بالتحريك) كاللون والطول والقصَر مما توصف به الأجسام.

(٣)(عين) بمعنى الجوهر وهو الشئ المادى

ولم ينف تأثير المهند فى وجهه نفيًا كليًا. وكيف ذلك وقد أثبت الضربة، وهى التأثير. وإنما أراد أن المهنَّد لم يؤثر فى وجهه أثرًا قبيحًا، لأن وقوع الضربة فى الوجه تَزين ولا تَشين، لدلالتها عَلَى الشجاعة والإقدام، كما أن التأثير فى الظهر دليل عَلَى الجبن والفرار، كقوله:

فلسنا على الأعقاب تَدمى كُلُومنا ولكن عَلَى أعقابنا تقطُر الدِّما[1]

ويرُوى (يقطر الدِّما). جعل (الدِّما) اسمًا مقصورًا كفتى أنشد الفارسى:

كمهَاة فقدت بَرْغَزَهَا أعقبتها الغُبسُ منه ندما[2]

غفلت ثم أَتت تطلبه فإذا هى بعظام ودَمَا

فهذا شئ عَرَض، ثم نعاود الغرض.

فكأن المهند لما وقع على وجهه، فكان ذلك إشعاراً بالإقدام، لم يؤَثر فيه البتة، فلذلك نفى التأثير فى اللفظ نفيًا عامًا. ونحوه ما حكاه سيبويه من قوله : (تكلم ولم يتكلم)[3] أى أنك لما لم تُجِد ولا أَصبتَ، كنت بمنزلة من لم يتكلم وإن كنت قد تكلمت.

(تنقدحُ النارُ مِن مَضَاربِها وصَبُّ مَاء الرِّقَاب يُخمِدُها)

قدحه فاندح : أوقده فاتقد، أى أن السيوف تقطع ما تحتها وتهوى فى التراب، فلا يردها إِلا حَجَر يقدح النار بملاقاته جِرم السيف، كقوله :

---

(١) البيت للحُصين بن الحمام المرّى وقبله
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدَّما

(٢) البيتان في اللسان (أطم، بُرغُز) وفيه (كأطوم) فى موضع (مهاة) و(عدما) فى موضع (ندما).
والأطُوم :البقرة الوحشية . والبَرغز : ولد البقرة الوحشية
والأصل فى الأطوم أنها سمكة غليظة الجلد تكون فى البحر. شبّه البقرة بها. والغُبس : الذئاب، الواحد : أغبس.

(٣) انظر سيبوية فى الكتاب (١ : ٤٨٣) ط المعارف ٣ : ١٧١ فى باب (أم) إذ كان الكلام فيها بمنزلة (أيهما) و(أيهّم). ونص عبارته فى أخر الباب : (وتقول ما أدرى أقام أو قعد إذا أردت أنه لم يكن بين قيامه وقعوده شئ، كأنه قال: لاأدرى أنه كان منه فى تلك الحال قيام ولا قعود. أى لم أعد قيامه قياماً، ولم يستين لى قعوده بعد قيامه، وهو كقول الرجل تكلم ولم يتكلم. اهـ

تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتُوقِد بالصُّفاحِ نارَ الحُباحِبِ[1]

(وصبُّ ماء الرقاب يُخمدُها) أى أن الدم الذى يطفئ تلك النار يجرى على السيف والحجر، وسَمَّى الدمَ ماء استعارة ومجازًا، وإنما ذلك لأن ماهَتَه[2] سيلانُه، وعلى هذا قالوا ماء العناقد[3]. وسَمُّوا الدمع ماء، كل ذلك اتساع وتجوز، لا حقيقة.

(إذا أضل الهُمامُ[4] مُهجتَهُ ... يَومًا فأطرافُهنَّ تَنشُدها)

نشَدتُ الضالة : طلبتُها، وأنشدتها : عرَّفتها[5]، ونَشَدتها فى التعريف لغة أيضًا. وقوله:

ويصيخ أحيانًا كما استمع المُضِلُّ لصوت ناشد[6]

قيل : يعنى بالناشد هنا المعرِّف وهو الصحيح، لأن المضلَّ يصغى إلى كلام المعرِّف ليدلَّه عَلَى ضالتَّه. هذا قول الأصمعيّ.

وقيل : الناشد هنا : الطالب، لأن المُضل يُحب أن يجد مُضِلاً مثله ليتعزى به. وهذا القول الآخر مستقل عن تغالى الأول. ويصحح القول الأول:

تُصيخ للنَّبأةِ أَسماعُهُ ... إصاخةَ المُنشِدِ للناشِدِ[7]

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة مطلعها

(كلينى لهم يا أميمة ناصب)

(٢) فى الآصل: (مياهه) ولعلها محرفة عن « ماهَته» وهى مصدر بمعنى ظهور الماء وكثرته فى الرَّكيَة. ويتضمن ذلك معنى سيلانه عند امتلائها. وقد جاء فى اللسان (موه) ماهت الركية تَماه وتَمُوه مَوْها ومَيْها وماهَةً وميْهة : ظهر ماؤها وكثر .

وقال الشيخ حمزة فتح الله فى قصيدته فى المواهب الفتحية :(١ : ٢٠٣)

علَّ الأمانى قد ماهَتْ ركيَّتها ... بفتح ما كان دون الحاج من باب

(٣) فى (م) ،(ت) : ماء القَاقد، ولعلها محرفة عن العناقد أو العناقيد . يريد أنهم سموا الخمر ماء العناقيد، وهو شائع على ألسنة الشعراء .

(٤) الهُمام : اسم من أسماء الملك لعظم هيبته (اللسان ـ همم).

(٥) أى وصفت سماتها لمن يبحث لى عنها، كما يفعل من ينشد الأولاد الضالين.

(٦) البيت لأبى دؤادَ الإيادى كما في اللسان(نشد) وسمط اللآلئ (١ :١٤٥).

(٧) البيت فى شرح المفصل لابن يعيش(٢ : ٩٤) وهو مما أنشده الأصمعى عن أبى عمرو، ونسبه فى سمط اللآلئ للمثقِّب العبدي (١ : ١١٤).

والإصاخة : الاستماع . والنَّاشد : الطالب . والمُنشد : المعرِّف.

أى إصاخة الطالب للمعرِّف. أى أن الهُمام إذا فقد مهجته فإنه يسأل عنها أطراف هذه السيوف، لأنها عارفة بمسالك الأرواح، بها تُقبض وعليها تَرِد، لا مظنَّةٌ لها إلا هى، فأطرافهن على هذا مفعول ثان أى تنشُدُها أطرافَهن.

(أَقَرُّ جلدِى بهـا علـىَّ فـلاَ أَقـدِرُ حتى الممَات أَجحدُهـا)

أى نضرة العيش بادية على بَشَرتى، كقول العرب : (أراك) بَشَرٌ ماأحار مشفر[1]، فإذا جحدت نعمتك، شهد بها جلدى فلم يمكنه إنكارها، إذ أثرها عليه بادٍ. فإن جحدتُّها وأقرُّ جلدى بها افتضحت. ونظيره قول تعالى :

(تَعرِفُ فى وُجُوهِهم نَضْرَةَ النعيم)[2]

قوله : (فلا أقدِر حتى الممات أجحدُها) أراد : على أن أجحدَها، فحذف على وأن، ورفع الفعل لعدم العامل الذى كان ينصبه وهو (أن). ونظيره قوله تعالى : (قُلْ أفغيرَ اللّه تأمُرُونِّى أعْبُدُ)[3] أى تأمرونى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل. ولو كانت القطعة مفتوحة الرُّوى لقال : (أجحدها) فأعمل أنَ مضمرة إعمالها مُظهرة. وقد رُوى هذا البيت بالوجهين جميعًا.

«ألا أيهذا الزاجرى أحضرَ الوغَى»[4]

(١) المشفر للبعير كالشفة للإنسان . وهذا المثل في اللسان (شفر) وقال : أى أغناك الظاهر عن سؤال الباطن.
(٢) الآية ٢٤ من سورة المطففين.
(٣) الآية ٦٤ من سورة الزمر.
(٤) صدر بيت من معلقة طرفه، وتمامه
(وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى)

-٣-

وقال المتنبى :

(أَحيا وأَيسرُ ما قاَسيتُ ماقَتَلاَ   والبين جَارَ عَلَى ضَعفى وما عَدَلا)[1]

يجوز أن يكون أَراد : أَحياً وأيسرُ ما قاسيته ما قتلنى، أو ما من شأنه أن يقتل، وإذا كان أيسر ما قاسيته قاتلاً، فما ظنك بأكثره وأشدّه. وهذا على وجهين : إما أن يكون تعجب من ذلك فقال : أنا فى حال حياة ، وأقل مالاقيته قاتلٌ، وإما أن يكون طمع بالحياة فأنكر ذلك، فقال : كيف أحيا من هذه الحال؟ فهذان وجها إرادة الاستفهام وقد يكون أحيا خبرًا، أى أنا أحيا. وهذه حالى، أى تجلدى، يتعجب من صبره. وقد يكون (أحيا) اسمًا يدل على المفاضلة ، أى أثبتُ ما قاسيته لحياتى ما قتل، وهذا غُلوٌّ وإفراط، لأنه إذا كان ما قتله أثبت شئ لحياته، لم يبق له ما يوجب الموت.

(وَضاَقَتِ الأَرضُ حتى كان هارِبهُم

إِذا رأى غيــرَ شئ ظَــنَّه رجُــلا)

أما الرؤية فلا تقع على غير شئ، لأن غير شئ ليس بمحسوس إِحساس الجوهر، ولا إِحساس العَرَض، لأن غير شئ خارج عن الجوهر والعَرَض، لأن كل واحد من الجوهر والعرض شئ. وإنما أراد هذا الشاعر : إذا رأى غير شئ يُحفَل به، فهو فى قوة قولك : إذا رأى شيئًا لايُحفل به ظنه رجلا،كقول العرب : إنك ولا شئ سواءٌ، ومحال أن يسوَّى بين الموجود والمعدوم، لأنهما فى طريق التضاد، ولكنهم يريدون إنك ولا شئ يُعبأُ به سواءُ. ولكنهم قالوا : إنك ولا شئ، واكتفوا به ، من قولهم : وشئ لا يعبأُ به، لأن مالا يعبأُ به كالمعدومِ، ولذلك الزَمَنَا

(١) البيت مطلع قصيدة للمتنبى بديوان ص ١٧

سيبويه النصبَ فى قوله(١) : إنما سرت حتى أدخلها، إذا كنتُ مُحتقرًا للسيْر، قال الفارسىّ: إنما ذلك لأنه لا شئ أقرب إلى طبيعة النفى من الاحتقار، والنفى عدم ، فجعل الاحتقار كالعدم.

(فَبَعْدَهُ وإلى ذاَ اليوم لَو رَكضت

بالخَيلِ فى لَهَوت(٢) الطِّفل ما سَعَلاَ)

أى إن هذه القبيلة قَلّت وذَلّت، حتى لو ركضوا الخيل، على قوة الركض فى لَهَوات الطفل على ضعفه، ما شَعَر بهم فيسعُل، بالغ بذلك كقوله :

ولَو قَلَم أُلقـــيتُ فى شِقِّ رأسِـــه ... من السُّقم ما غـيـرتُ من خطِّ كـاتب(٣)

فأما قول رؤبة فى صفة الصَّائد:

فـبَـاتَ والنفسُ من الـحِـرص الفَـشَق ... فـى الغـاب لو يمـضـغ شـريًا مـا بَصَق(٤)

(١) نص عبارة سيبويه فى الكتاب (١:٤١٥) فى باب حتى). وتقول: إنما سرتُ حتى أدخُلها (برفع اللام) وحتى أدخلَها (بنصب اللام). إن جعلت الدخول غاية
وفى هامش الكتاب، قال أبو سعيد السيرافى : أجاز سيبويه الرفع فى موضع ولم يجزه فى موضع . وذلك أن (إنما) تكون على وجهين : أحدهما تحقير الشىء والآخر الاقتصار عليه. فأما الاقتصار عليه فقولك فيمن ادُّعى له الشجاعةَ والكرم واليسار، فاعترفت بواحد منها فقلت : إنما هو موسر فعلى هذا الوجة يُرفع الفعل بعد حتى[يريد بالاقتصار عليه القصر الإصـى]. وأما تحقير الشىء فقولك لمن تُحقِّر صنيعا له :(إنما تكلمت فسكت، وإنما سرْت فقعدت) لم يعتد بكلامه ولا بسيره.
فعلى هذا الوجه إنما نصب سيبويه(إنما سرت حتى أدخلها) لأنه لم يعتد بسيره سيرا . فصار بمنزلة المنفى، ويقبح الرفع، لأنك لم تجعل السير مؤدبا إلى الدخول فيكون منقطعا بالدخول)
(٢) لَهوات : جمع لَهاَة، وهى لحمة فى الحلق عند أصل السان
(٣) البيت من قصيدة للمتنبى مطلعها
«أعيُدو اصباحى فهو عند الكواكب»
(٤) البيتان من أرجوزة رؤبة بن العجاج المطوله . ذكرها وشرحها العينى فى المقاصد النحوية فى شرح شواهد الألفية علي هامش الجزء الأول من خزانة الأدب الكبرى للبغدادى(ص ٣٨ ـ ٨٠) كما ذكرها وشرحها توفيق البكرى فى (أراجيز العرب ص ٢٢ ـ ٣٩).
والفشق (بالتحريك): الشديد، وقيل النشاط، وقيل: انتشار النفس من الحرص. و(الغاب) كذا فى الأصل، ويروى(في الزرب) بالزاى وهو قُتْرة الصائد أي البئر التى يحفرها ويكمن فيها للصيد أو الخص الذى يستتر فيه للصيد . ويقال انْزرب الصائد فى قُترته: دخل فيها . والشرى : الحنظل . يقول: قد صمت الصائد مخافة أن يسمع صوته وحركنه حتى أنه لو مضع حنظلا ما بصق، مخافة آن يعلم به الوحش.

فإنما أراد أن هذه القانص من النَّهم عَلَى صيد الوحش، وخشية أن يسمع له حِسًّا فينفر، لو مَضَغَ الحنظل، لم يبصقْ خشية أن يُنفرها بَصقةُ، وقال الأصمعيّ: إن نَهمَه عَلَى التَّصيدُ قد شغله حتي لو مضغ الحنظل لم يشعر بمرارته فيبصُق.

وخص المتنبى لهواتِ الطفل لأنها مَظنة السُّعاَل.

وقوله : (ركضت بالخيل)، إنما وجهه : لو رَكضت الخيل، يقال : ركضت الدابةَ، ولا يقال ركضتُ بها. هذا هو المعروف فى اللغة، لكن قد يجوز أن يكون ركض بالدابة لغة، فيكون من باب طَوَّحته وطوَّحتُ به. وقد يجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله :

(سُودُ المحَاجرِ لا يقرأن بالسُّورِ)[1].

(كَم مَـهمَـهٍ قَـذَفٍ قلبُ الدليلِ بـه   قَلبُ المـحبِّ قَضـانِى بعَد مـا مَطَلا)

قال (المحِب) فجاء به عَلَى لفظ الفاعل، ولم يقل الحبيب وهو يريده، لأنه عَنَى شدة إشفاقه فى المَهْمَه، وذلك أن المعشوق إذا أحب عاشقه، فإنما يهجرهُ لخوف واشٍ أو رقيب، فإذا رآه خَفَق قلبُه لإشفاقه. ولو كان المحب غير محب لم يتجشم الزيارة على شدتها. وهذا كقول على بن جَبَلة :[2]

---

(١) ورد فى خزانة الأدب للبغدادي(٣ : ٦٦٧) شاهدا على زيادة (باء الجر) وقيل: لا زيادة. لأن الفعل (يقرأن) مضمَّن معنى(يَتبرَّكْن) أو (لا يتقرَّبن) بقراءة السور.
والبيت للراعى النميري أو للقتال الكلابي، وقد جاء فى قصيدة لكل منهما.
والبيت بتمامه   (هُن الحرائر لاربات أحمرة)   سُودُ المحاجر لا يقْرأن بالسُّور
والأحْمرة : جمع حمار : الدابة التى تركب
ومن رواه (أخمرة)(بالخاء) فقد صحَّف. يصف نساء بأنهن حرائر لا يركَبْن الحُمر ، لأنها لاتناسب كرائم النساء، وإنما يركبها الإماء . وكنى بسواد محاجر الإماء عن سواد جلودهَن . وهولاء الإماء لم يؤدبْن ولا يعْرفن قراءة السور.

(٢) هو أبو الحسن علي بن جَبلَة بن مسلم المعروف بالعَكَوَّك، شاعر مشهور وأحد فحول الشعراء المبرزين. قال الجاحظ : كان أحسن خلق الله إنشادا. ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا ... ولد أعمى . والعكوَّك : السمين القصير مع صلابة . ولد سنه ١٦٠ وقتل سنة ٢١٣ هـ
وهذا البيت أول مقطوعة له أنشدها ابن خلكان فى (وفيات الأعيان)

بأَبى مــن زارنى مُكتتِماً   حَذِرًا من كل حِسٍّ فَزِعَا

فقضانى بعد مامطلا على هذا القول، جملة فى موضع الحال. ويجوز وضع الفعل الماضى موضع الحال، لأنه قد يوضع موضع المستقبل فى قوله: إن فَعَل فَعَلت. فيما حكاه سيبويه من قولهم : واللّه لا فعلتُ ، يريدون لا أفعل.

وقد ذهب بعضهم فى قوله تعالى : ﴿أو جَاءُوْكم حِصِرَتْ صُدُورُهُم﴾[1] إلى أن (حَصِرت) فى موضع الحال[2]، وقد فيه منويَّه، ويشهد عندى أن حصرت فى موضع الحال قراءة من قرأ : ﴿أو جاءوكم حَصِرةً صُدُورُهم﴾.

وأما قوله : (قلب الدليل به قلب المحب) الذى هذه صفته فمعناه : أن فؤاد الدليل وَجِل كقلب المحب الزائر المتوقع للفضيحة.

وقد يجوز أن يكون (قضانى بعد مامطلا) خبرًا عن المَهْمه، أى : كم من مَهمه قد قضانى بعد مامطلا، قلب الدليل به قلبُ المحب.

وأما (قضانى بعد ما ماطلا) وهو يعنى المهمه، فمعناه : أن المهمه طال عليه، فمطله بالنجاة منه، ثم قضاه بعد حين، وكلاهما مستعار.

وأما قوله: (قلبُ الدليل به قلبُ المُحِب) فمعناه : أن قلب المحب يرجو ويخاف. وكذلك قلب الدليل يرجو الهداية ويخشى الضلالة.

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء

(٢) أى علي تقدير: قد حَصِرتْ. والكوفيون يجيزون وقوع الفعل الماضى حالا، سواء أكان معه (قد) أم لم تكن

وا نظر ذلك منصلا في مبحث الحال فى شرح المفصل لابن يعيش (٢ : ٦٧)

وقال أيضًا :

(مُحِبِّى قيــامى مَا لِذَلِكُم النَّصــلِ سليمًا من الجرحى بريئًا من القتلِ)[١]

أى : يا محبى ثورتى وقيامى بَدولتى[٢]، وتركى للأسفار، كيف أفعل ذلك ولم أكسِرْ سيفى، ولا ثَلَّمته بضربى أعدائى به، فكنّى عن الكسر بالقتل، وعن الثُّلم بالجُرح، إذ الجرح والقتل إنما يلحقان الحيوان، والسيف جماد لا حياة به، وأراد سليمًا من الجرح، فوضع الجَرحىَ موضع الجُرح. وإن شئت قلت: كأنه عَلَى حذف المضاف، أى سليمًا من ألم الجَرحى، أو من هيئة جُرح الجرحى. وبريئًا وسليمًا منصوبان عَلَى الحال من قوله :(مالذلكُم) : أى أستفهم عنه وهو فى هاتين الحالين، كقوله تعالى : ﴿فَمالهم عن التّذكرة مُعرِضين﴾[٣].

(أَمِطْ[٤]عنكَ تَشـبِـيـهى بمـا وكـأنَّه فـمـا أحـدٌ فـوقى ولاَ أحـدٌ مِـثلـى)

أما (كأن) فلفظة تشبيه، فالكلام بها هنا عَلَى وجهه، كأنه يقول: لا تقل فىَّ : كأنه الأسدُ، ولا كأنه السيف، ولا كأنه الموتُ أو السيلُ، فكل ذلك إنما هو دونى ، ولا ينبغى أن تشبه الشئ بدونه، إنما المعتادُ عكس ذلك.

وأما (ما) فليست بلفظة تشبيه بمنزلة كأنّ، إنما استجازها فى التشبيه، لأنه وضع الأمر عَلَى أنّ قائلاً قال: ما يُشبه ؟ فقال له المسئول : كأنه الأسدُ، كأنه السيف. فكأن هذه التى للمسئول، إنما سببها (ما)[٥] التى للسائل. فجاء هو بالسبب والمسبب جميعًا؛ وذلك لاصطحابهما، ومثل هذا كثير.

(١) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه صفحة ٤ . ويروى عجز البيت فى الديوان (بريئاً من الجرحى سليما من القتل)
(٢) الكلمة غير واضحة الرسم فى الخطيتين. وأقرب لفظ يتبادر عنها ماأثبتناه.
(٣) الآية ٤٩ من سورة المدثّر .
(٤) يقال : أماط الشئ يمُيطة إماطة : نحاه وأزاله.
(٥) [ما] زيادة يتم بها الكلام . وهذا الوجه من تفسير البيت أخذه المؤلف من تفسير ابن جنىٍّ كما فى الواحدى والتبيان.

وقد يجوز أن تكون (ما) هنا بمعنى الجحَد[1]، فجعلها اسما، وأدخل الحرف عليها[2]، كأنه سمع قائلاً يقول : ما هو (إلا)[3] الأسد. وفى هذا معنى التشبيه أى مثل الأسد، فأبى هو ذلك. ثم رجع إلى النوع الأشرف فقال :

(فما أحدٌ فوقى ولا أحدٌ مثلى) مفضلاً نفسه عليهم.

-٥-

وله أيضا :

(هَديَّةٌ ما رأيتُ مُهدِيَهَا ... إلاَّ رأَيتُ العِبادَ فى رَجُلِ)[4]

أى هذه هدية، ويجوز هدية على البدل من قوله : (بما بعثت به). وقوله : (مارأيتُ مهديَها إلا رأيت الأنام فى رجل) : أى إن فضائل الأنام مجموعة فى شخص واحد منه، فلا مُعتَبر بالعدد، إذا حاز معانيهم أجمعين وحده، كقوله أيضًا :

غدا الناس مِثليهم له لا عَدِمتُهُ ... وأصبح دهرى فى ذراهُ دُهورا[5]

ونحو قول بعض الحكماء وقد رَضِيَ تليمذًا له من بعض تلاميذه ، يقال إن ذلك التلميذ (رسطَا ليس) فقال : واحد كألف، وليس ألف كواحد وقال أبو نواس:

ليس عَلَى اللّه بمستنكرٍ ... أن يجمع العالَم فى واحد[6]

(١) أى هى حرف النفى ، ولما قصد المتنبى لفظها صارت اسما كما فى قول أبي زبيد:

ليت شعرى وأين منى لَيتٌ ... إن لَيتاً وإن لواً عناء

فقد ضعَّف الواو فى (لَو) لما جعلها اسما، حيث أخبرَ عنها.

وانظر فى ذلك ابن يعيش(٦ : ٣٠)

(٢) أى وأدخل (إلاَّ) وهى حرف الإثبات بعد (ما) النافية لتحقيق التشبيه وتقويته.

(٣) (إلاَّ) ساقطة من الخطيتين وهى ضرورية هنا لأنها لتحقيق التشبيه الذى أراده المؤلف بعد(ما) التى للجحد.

(٤) البيت من قصيدة للمتنبى فى ديوانه صفحة ١٩ وهى من شعر صباه.

(٥) هذا البيت من قصيدة للمتنبى فى مدح أبى محمد الحسن بن عبد الله بن طُغج (ديوانه صـ١٥، وشرح البرقوقى ٢ :٢٩٨).

يقول: إنه لعظم شأنه يعادل بالناس كلهم. فالناس به ضعف ماهم عليه. ودهره عظيم القدر به، فصار الدهر دهورا.

(٦) البيت من مقطوعة ستة أبيات لأبى نواس فى مدح الفضل ابن الربيع ورواية الشطر الأول «وليس لله بمستنكر»

وله :

(ولا وَقَـفـتُ بجسمٍ مُسْـىَ ثالثـةٍ   ذِى أرسمُ دُرُسٍ فى الأَرسم الدُّرُس)[1]

المُسى، والمِسَا، والمَسَاءُ : واحد، كالصُّبح، والصِّبح، والصَّباح، أى لولا هذه الظبية الإنسية، لم أقف على رسوم هذه الدار ثلاثا بين يوم وليلة أسألها. ولم يُرد أنه وقف عليها بعد ثلاث من إقفارها، لأن الدار لا تدرس بعد ثلاث.

وإنما عنى أنه وقف عليها ثلاثا، وصفته الجسم بأنه ذو أرسم دُرُس، ذهب فيها إلى نحوله وامِّحائه. واستعار له أرسمًا حين شبهه بهذا الربع الدارس والأرسم، كقوله فى صفة الدار:

ما زَالَ كلُّ هــزيم الوَدقِ ينُـحِلها   والشوقُ ينحلنى حتى حكت جَسَدى[2]

وهذا البيت أبلغ فى نحول جسمه، لأنه جعل الدار تحكى جسمه فى النحول، فإذا جسمه أنحل منها،

وفى هذا البيت أعنى (ولا وقفت بجسم..) لم يجعل لجسمه فضلا على الدار فى النحول.

ودُرُس : يجوز أن يكون جمع دَريس وأن يكون جمع دَرُوس. كصبور وصُبُر، وأن يكون جمع دارس كَنازل ونُزُل.

(مـا ضَـاقَ قـبلك خلخـالٌ عَلَى رَشَـاٍ   ولا سَـمـعتُ بِديبـاجٍ عَلَى كُنسِ)

يقول أنت كالرشأ فى الحسن، وساقُ الرشأ دقيقة، فكيف خالفت أنت الرشأ، بأن ضاق خلخالك عن ساقك، ولو ألبست ساق الرشأ خلخالاً، جال عليها ولم يثبت.

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص٢٤) وأولها:
«أظبيه الوحش لو لا ظبيه الأنس   لما عددت يجد فى الهوى تعس».

(٢) البيت قصيدة مطلعها «ما الشوق مقتنعا منى بذا الكمد»
وهى فى مدح أبى عبادة بن يحيى البحترى.

(ولا سمعتُ بديباج على كُنس) : أى على هودَجك سُتُور ديباج. ولم نسمع قبلُ بديباج على كِناس. إنما الكناس غُصون أو أسؤق شجر أو محافر أرض. وأنت قد خرقت المعتاد، بكون الديباج على كناسك. ومن رواه على كُنس، أراد على ذى كناس. وهذا علَى النسب، إذ لا فعل له. ونظيره ما حكاه سيبويه[1] : حَرِحٌ، وَسَتِهٌ، وطَعِمٌ وَنَهِرٌ، وأنشد :

«لستُ بليلىٍّ ولكنى نَهِرْ»[2] أى : ذو نهار.

فأما قراءة من قرأ (فى أيام نَحِسَاتٍ)[3] فذهب الفارسى إلى أنه من باب فَرِقٍ ونَزِق، توهموه على الفعل وإن لم يكن له فعل، لم يقولوا نَحِس النهار.

وهذا الذى قاله الفارسى غيرُ قوى عندى. أحسن منه أن يُحمل على النسب، لأن نظيره كثير، كما قد حكينا عن سيبويه، وتوهم الفعل فى مثل نَحِس قليل فى كلامهم.

(١) وردت هذه الكلمات فى الكتاب لسيبوية (٣٨٥:٣) على صيغة (فَعِل) بكسر العين التي للنسب بدلا من النَّسب إلي اللفظ بزيادة اليا ء المشددة فى آخره ومعناه ذو حَرَح ، وذو ستَه ، وذو طعام، وذو نَهار يعمل فيه. كأنك قلت: فيها رجل حِرَحِىٌّ وطَعَامىٌّ ، ونهارىٌّ بياء النسبه فى آخر كل لفظة.

وجاء فى اللسان (حرح): حِرَحِىٌّ فتفتح عين الفعل كما فتحوها فى النسبه إلى يد وغَد قالوا: غَدوِىٌّ ويَدَوىٌّ وإن شئت قلت: حَرِح كمَا قالوا: رجل سَته ورجل حَرِح يحب الأحراح قال سيبويه هو على النسب.

(٢) الرجز فى الكتاب لسيبويه (١٨١:٣) والشاهد فى قوله (نَهِر) أى ذو نهار فبناه على (فعل) بكسر العين وهو يريد النسب، فكأنه قال: (ولكنىٌ نَهارىٌ) كما قال: (لست بليلىٌ).

(٣) الآية ١٦ من سورة فصلت.

-٧-

وله أيضا :

(فَجَـعلتُ مـا تُهـدى إلىَّ هديةً مِنىِّ إليك وظَرفَـهـا التـامـيـلا)(١)

يحتمل وجهين . أحدهما : أنه أراد: لما جل قدرك عما تناله يدى ولم تبلغه إلا هبـة يدك التى هى كفاؤه، جـعلتُ مـا تهديه إلىّ، هدية منى إليك، فـمـا يـعدِل جلالة قدرك إلاَّ جلالة جودك، وجعلت ظرفها تأميلى أن تقبلها منى.

والآخر : أن يكون استحقه فقال : ما علمت أن (ما) تتحفنى به أو تزَوِّدنيه لرحلتى، سبيلُك أن تمسكه عنى ولا تُطلِقه، وأن تَعُدَّه هدية منى إليك، بإمسـاكك عن إهدائكه إلى.

-٨-

وله أيضا :

(امْطر علىَّ سَـحَـابَ جُـودِكَ ثَرَّةً وانظر إلىَّ بِرحـمـةَ لا أغْـرَقُ)(٢)

أى إن عطاءك جاوز المقدار، فكاد يقتل المُعطَى فرحًا ، فتَلافَ عُفاَتك منه، لئلا يبلغ بهم الحسد المهلك، فيكون كالماء المُغرق، كقول أبى تمام :

لُهىً تَسـتـثـيرُ القلبَ لولا اتصـالُهـا بحـسـنِ دِفـاع اللّه وسـوسَ سـائلةُ(٣)

وقد يجوز أن يكون قوله : (انظر إلى بِرَحمة) أى لا تكلفنى من الشكر قدر الواجب فـيهلكنى ذلك، فكنى عن ضعفه عن الواجب عليـه من الشكر بالغَـرَق. وقال ثَرَّة وهو السحاب لأن السحاب جمع سحابة، وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، فلك تأنيثه وتذكيره، وجمعه وإفراده.

---

(١) البيت من أبيات أربعة بديوانه ص٢٧ أولها (أحببت برك إن أردت رحيلا). وأنظر التبيان (٣: ١٧٩)

(٢) البيت من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص٢٩) وهى فى مدح شجاع بن محمد بن أوس ومطلعها
(أرَقٌ على أرق ومثلى يأرقُ)

(٣) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه يمدح بها الخليفة المعتصم بالله ومطلعها
أجل أيها الربع الذى خفَّ آهله لقد أدركت فيك النوى ماتحاوله
واللُّهىَ: جمع لُهيه ولُهوة وهى العطية. وأصلها مايضعه الطاحن بيده من الحبَّ فى فم الرحى.

-٩-

وله أيضا:

(وقَلبُك فى الدُّنيَا وَلَو دَخلت بِنَا   وبالجنِ فيه مادَرت كَيف تَرجعُ)(١)

يتعجب من ذلك. أى قلبك فى الدنيا، وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا فيه بنا وبالجن، أعجزنا الرجوع، وتُهْنا فى سعته، فكيف وسِعَتِ الدنيا قلبك ؟ وهلاَّ ضاقت عن حمله، لصِغرها عن عِظمه. يبينهُ ما قبله، وهو قوله :

أَليس عَجيبًا أَنَّ وَصفك مُعجزِى(٢)   وَأَنَّ ظُنُّونى فى معـــاليك تظْلَعُ

وَأنَّك فى ثـــوبٍ وصدُرك فيكُما   عَلَى أَنه من ساحة الأَرض أَوسَعُ

-١٠-

وله أيضا :

(طَويلُ النِّجــادِ طويلُ العــمـــادِ   طويلُ القنَــاةِ طويلُ السِّنَانِ)(٣)

النجاد : حِمالةُ السيف، فطوله كناية عن طول القامة، وذلك مِما يُمدح به كقوله هو :

قُلوبهم فى مضــاءِ مــا امـتـشـقـوا   أبـــدانُهم فى تمـام مـا اعـتَـقَلُوا(٤)

وكقوله :

وَغَالَ فضُولُ الدرع من جَنَبـاتهـا   عَلَى بَـــدَنٍ قَـدُّ القنـــاةِ لهَ قَـدُّ(٥)

(١) من قصيدة للمتنبى فى مدح على بن أحمد الطائي مطلعها
«حشاشة نفس ودَّعت يوم ودَّعوا»

(٢) رواية الديوان «معجز» بالتنوين

(٣) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص٣٣. أولها (قضاعة تعلم أنى الفتى)

(٤) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص١٣٥ وأولها.
«أبعد نأى المليحة النجل»

(٥) من قصيدته التى أولها:
«لقد حازنى وجد بمن حازه بُعْد»

وانظر ديوانه ص٢٠٦.

وطولُ العماد : كنايةٌ عن السُّؤدُد، وأَصل العماد : ما عُمد به البيت، أى أُقيم. يقال : عَمَدت البيت وعَمَّدته. وعِماد سيِّد الحِلة[1] مَرمُوقٌ يقصدُ، فكأنَّ عماده ، وإن ساوى عُمُدَ أهل الحِلة، أطول بكثرة الشائمين[2] له، والقاصدين نحوه.

وطول القناة والسِّنان : كناية عن الحِذق بالطِّعان. ولهذا وصفت العرب أرماحها بالطول، يريدون جودة العمل بها، والقوة على تصريفها، لا أنَّها طوال فى ذاتها، لأن طولها مُبعدٌ عن القِرن، ولا يَحمدُ ذلك إلا الجبان، ولو كان طول القناة فى ذاتها محمودًا، لكان السيف ـ لكونه أقصر منها ـ مذمومًا. وإنما صفة القناة بالطول، كصفة السيف بالطول. لا يريدون فى كل ذلك إلا الحِذقَ بالضِّراب والطِّعان.

ومما يدلُّك على أن طول القناة غير محمود، أنَّ طول القناة قد يُورثها الخَطل. قال الأصمعىّ : طول القناة أربع عشرة، وأقصرُها سبع والممدوح بينهما، وهو ما كان طوله إحدى عشرة كقوله الشاعر:

وأَسمَرَ خَطيا كأَن كُعُوبَه   نوى القَسْب قد أَربَى ذِراعا عَلَى العشر[3]

وكذلك قال البحترى :

كالرمحِ أَذرعُه عَشْرٌ وواحدة   فما استبدٌ به طولٌ ولا قِصَرُ[4]

(يَرَى حدُّهُ غامضاتِ القُلُوبِ   إذا كنتُ فى هَبوةٍ لا أَرانى)

أى أنه ماضٍ يقطع كل عضو يلقاه، حتى ينتهى إلى القلب، فكأنه إنما قطع مادون القلب من الأعضاء حين رأى القلب، فَهتَكَ إليه الحُجُب التى دونه، إذ لم

---

(١) الحلّة: جماعة البيوت المتقاربة للقبيلة أوبعضها.
(٢) الشائمين: المتطلعين إليه، من شَام البرق: إذا نظر إليه.
(٣) البيت فى اللسان (قسب) وينسب إلى حاتم الطائى.
قال ابن برى: ولم أجده فى شعره. والقسب: التمر اليابس، ونواه أصلب النّوى والأسمر الرمح (من الخط وهى جزيرة يجلب منها الرماح)
(٤) البيت من قصيدة للبحترى بديوانه (٢:٤٤ ط هندية بالقاهرة) وهى فى مدح على بن مرّ الطائى، أولها.
«فى الشيب زَجر له لو كان ينزجر»

يمكنه الوصول إليه إلا باختراقها الهَبوة، وأَرانى هنا : من رُؤية العين، لأنها غير متعدية[1]، فكَان يجب أن يقول: لا أرى نفسى، لأن فعلَ الفاعل إذا كان حِسِّيًّا، لم يتعدَّ إلى ذاته بكناية المتكلم. لا يجوز ضربتُنِى، وإنما يتعدى فعل الفاعل إذا كان حسيًا إلى ذاته بلفظ النفس. يقولون : ضربت نفسى وفى التنزيل ﴿رَبنا ظلمنَا أنْفُسنا﴾[2] إلا أنه قد جاء عنهم: فَقَدتُنى وعَدمتُنى، وهذا نادر غير معمول به.

لكن لما كانت أرى التى هى للعين مطابقة اللفظ لأرى التى هى للقلب، تتعدى على هذه الصورة، لأنها غير حِسية، كقولهم:أَرانى ذاهبًا. استجاز أن يُجْرِى (أرى) التى هى للعين مجراها.

وعلى هذا أُوَجِّه أنا ما حكاه سيبويه[3] من قول العرب: أما تَرىَ أىَّ برق ها هنا ؟ فُعَلِّقت فيه (أرى). ورؤية العين لا تُعلَّق وإنما تعلق رؤية القلب، ورؤية البرق بَصريةٌ لا نفسانية. لكنها لما طابقت فى اللفظ (ترى) التى هى للقلب، وكانت هذه تعلق ،استجازوا تعليق التى للعين. على أنَّ الفارسىّ قد ذهب فى هذا الذى حكاه سيبويه إلى أنها رؤية قَلب.

---

(١) يريد أن يقول: إن (رأى) البصرية غير متعدية إلى مفعولين، وإنما تلك (رأى) العلمية كما أوضحه بعد.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الأعراف.

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (١:٢٣٥) باب مالا يعمل فيه ماقبله من الفعل الذى يتعدى إلى المفعول ولاغيره هو.

والشاهد فى (أىٌّ برق) بالرفع على الابتداء، و(هاهنا): خبره ولم يتأثر لفظ أى بالفعل ترى، وهو من الرؤية البصرية بسبب الاستفهام (بأى) الذى منع الفعل (ترى) من نصب (أى) على مفعول به فرفع بالابتداء.

وله أيضا :

(رَمَانى خِسَاسُ النَّاس من صَائب استِهِ

وآخــرَ قُطــنٌ من يديه الجَنادلُ)[١]

يذهب إلى أن عدوّه ضدٌ له. هُو جَمُّ الفضائل. وعدوه جَمُّ النقائص والرذائل، ولذلك وقع بينهما التنافر، لأن الضِّد مُحارب لضده، والشَّكل مُسالمٌ لِشَكله، فهو يقول: لا يعاديني إلا ناقصٌ لجرى العادة بمعاداة ذى النقص لذى الفضل. فإذا عَابَنى - والإجماعُ قد وقع على فَضلى - فهو لا محالةَ ناقص. وقد صرح عن ذلك بقوله فى الأخرى:

وإذا أَتتكَ مَذمَّتى من ناقص　　　فهى الشهادةُ لى بأنى كَاملُ[٢]

أى أنه لو كان فاضلاً مِثلى، ما ذمنِّى لِتشَا كُلنا فى الفضل، ولأنه لو كان فاضلاً لنَقص وفضلت، فأوجب ذلك تَضادًا وتعاديًا كقول أبى تمام[٣]:

لقد آسفَ الأَعداءَ مجدُ ابن يوسُفٍ　　　وذُو النقص فى الدنيا بذى الفضل مُولَعُ

وقوله : (مِن صائب استِهِ، وآخرَ قُطن) : أراد من بين صائب استه يرميه، وآخر هذه صفته. أى أنه ضعيف يُعدى ضعفُه الجندل فيضعف، حتى لا يُؤثر كما لا يؤثر القطن إذا رُمىَ به.

وصائبُ استه :أى مُصيبها. يقال : صابَ الشئَ وأصابه.

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص٣٤. أولها.

قفاتريا ودقى فهاتا المخايُل　　　ولا تخشيا خلفا لما أنا قائل

(٢) من قصيدته التى مطلعها

«لك يامنازل فى القلوب منازلُ»

(٣) انظر قصيدته التى أولها: «أما إنَّه لولا الخليط المودّعُ»

فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى (ديوانه١٦٨)

وخص ذكر استه من بين سائر الأعضاء لوجهين:

أحدهما : قصدُ الاستخفاف به فى ذكر ذلك منه، والآخر أن هذا الناقص المتنقِّص لى مغلوبٌ مهزوم. والمهزوم لا يقع سلاحه إلاَّ على ما يلى ظهره، فخص هذا العضو للأمرين جميعًا.

والأجودُ عِندى أنه إنما قصد الاستخفاف، والشتم. والسَّبُّ بذلك كثير. ولذلك سميت الاست السُّبَّة[1] والسَّبَ.

وأصل الناس : الأناس، حذفوا الهمزة لكثرة استعمالهم إياه، وذلك مع اللام. وقد جاء محذوفًا ولا لام فيها، كما جاءت الهمزه فيه مع اللام فيما أنشده أبو عثمان[2] من قول الشاعر:

إنَّ المنَايا يَطَّلِعْـــنَ على الأُنـــاس الآمنينا[3]

ولما ذكر سيبويه اسم اللّه تعالى، وكون الألف واللام فيه خَلَفًا من الهمزة قال : ومثل ذلك. أُناس : فإذا أدخلت الألف واللام قلت الناس. إلا أن الناس قد تفارقهُ الألف واللام ويكون نكرة. واللّه تعالى لا يكون فيه ذلك، وهو فصل معروف فى باب ما ينتصب على المدح والتعظيم والشتم فى باب النداء[4].

وقوله : (وآخَرَ قُطن) الجيِّد فى قُطن الرفعُ، لأنه جوهرٌ والجوهر لا يوصف به . إلاَّ أن الجرَّ فى مثل هذا قد يَسُوغ، وذلك على توهُّم الصفة، يُقدر الجوهر صفة بقدر ما يحتمله وضعه، نحو ما حاكاه سيبويه عن العرب من قولهم :

---

(١) فى اللسان (سبب) السَّبة: الإست والسَّب: الشتم، والسُّبَّةُ: العار.

(٢) هو أبو عثمان بن محمد بن بقيه صاحب كتاب (التصريف) وقد شرحه ابن جنى فى ثلاثة مجلدات، وطبعته مطبعة الحلبى بتحقيق الأستاذ عبد الله أمين سنة ١٩٦٠ ولم نجد فيه البيت الذى أشار إليه المؤلف. ولعله قد ذكره فى بعض كتبه الأخرى.

(٣) ذكر البغدادى هذا البيت فى الخزانة (١:٣٥١) شاهداً على أن اجتماع (أل والهمزة في أناس) لايكون إلا فى الشعر. والقياس (الناس) فإن أصله أناس فخذفت الهمزة وعوض عنها (أل) إلاَّ أنها ليست لازمة إذ يقال فى السعة(ناس).

وقد أطال البغدادى فى التعليق علي هذه اللفظة (أناس) وذكر آراء النحاة وخاصة الفارسى فيها، فراجعه إن شئت كما ذكره صاحب اللسان في (أنس) وقال: والأناس لغة فى الناس. قال سيبويه: والأصل فى الناس الأناس مخففاً فجعلوا الألف واللام عوضا عن الهمزة.

(٤) راجع مبحث النداء فى الكتاب لسيبويه (٢:٣٠٩) وفى شرح المفصل لابن يعيش (٢:٩).

مَررتُ بسرجٍ خَزٌّ صُفَّتُه[1] لأن الخز وإن كان جوهرًا فهو فى معنى لَيِّن، وليِّن صِفَة. فكأنك قلت : مررت بسرج ليِّن صُفَّته. قال ومن العرب[2] من يقول : ٠مررت بقاع عرفجٍ كلُّه)، فيجعلونه كأنه وصف. قال الفارسيّ : كأنهم يقولون : مررت بقاع خشنٍ كله. وإنما قَدَّره بخشن، لأن العَرفج شاك، والشوكُ خَشِن المس، فإذا جَرَّ فقال : (وآخر قُطنٍ من يديه الجنادل) فكأنه قال : وآخر لين أو ضعيف من يديه الجنادل.

(ومن جَاهل بِى وَهوَ يجهل جَهلـه وَيَجهل عِلمى أَنَّهُ بِـى جَاهِـــلُ)

(وَيَجهَل أنى مـالكَ الأَرض مُعسرٌ وَأَنِّى على ظهر السِّماكين رَاجلُ)

ومن جاهل : معطوف على (صائب استه). أى أنه قد اشتمل بالجهل وَلاَ يَعلمُ أنه جاهل، بالغ فى استجهاله، فلم يُبق له أثرًا من العلم. إذ لو علم أنَّه جاهلٌ لَكَان له جزءٌ من العلم.

وكذلك أيضًا بالغ في استجهاله بقوله :

* ويَجهل علمى أنهُ بِيَ جاهلُ *

---

(١) ورد هذا المثال فى الكتاب (السيبويه ٢:٢٢٨) تحت عنوان (هذا باب الرفع فيه وجه الكلام وهو قول العامة) وذلك قولك: مررت بسرج خَزٌّ صُفَّتُهُ (برفع خَزٌّ وصُفَّة) ومررت بصحيفة طينٌ خاتَمُها (برفع الاسمين) ومررت برجل فضَّةٌ حليةُ سَيْفه (برفع فضة وحلية) قال: وإنما كان الرفع فى هذا أحسن من قبَل أنه ليس بصفَة لو قلت لهَ خاتمٌ حَديْد أو هذا خاتمٌ طينٌ كان قبيحا. إنما الكلام أن تقول هذا خاتمُ حديدٍ (باضافة خاتمٍ إلى حديد) وصُفَّةُ خزٌ وخاتمٌ من حديد وصُفَّة من خَزٌ فكذلك هذا وما أشبهه ثم قال: وقد يكون فى الشعر هذا خاتمٌ طينٌ (برفع طين) وصُفَّةٌ خزٌ مستكرها. اهـ ،،، كلام سيبويه.

* * *

ويقول المحققان: بناء على كلام سيبويه أولا وآخرا يكون ماذهب إليه المؤلف (ابن سيده) من تأويل قول المتنبى (وآخر قُطنٍ) بجر (قُطنٍ) على أنه نعت لآخر لتأويله إياه بليّن، جائزٌ على قول سيبويه وإن كان مستكرها.

وقد أجازه كذلك أبو على الفارسى فى السَّعة ومنه قولهم (مررت بقاع عرفج كلهُ) بجعل عُرفُج وهو اسم عين نعتاً مجرورا لقاع، لتأويله بخش وهو مشتق، والصفة التى جاءت فى المثال (مررت بسرج خز صفَّته) فسرُها ابن الأثير فى النهاية بقوله: صُفَّة السرج بمنزلة المِيْثَرة. ومنه الحديث نهى عن صُفَة النمور اهـ عن تاج العروس.

وفى اللسان (صَفف) وفى الحديث: نهى عن صُفَف النمور هى جمع صفة. وهى للسرج بمنزلة الميثرة من الرحْل.

(٢) القائل هو سيبويه فى الكتاب (١:٢٠٣).

يقول : لا علم له البتَّه، وكذلك يجهل قدرى عند[1] نفسى، فلا يعلم أنى إذا ملكت الأرض، كنتُ مُعدِمًا عند نفسى، لقصور ذلك عن قدرى[1]، وأنِّى إذا علوتُ السماكين، كنت عند نفسى راجلاً، لأنّ ذاتى أعظم قدرًا وأكرم خطرًا.

و (مالكَ الأرض) : حال، والنية فيه الانفصال[2] ، أى مالكًا للأرض. والظرف فى قوله : (على ظهر السِّماكين) متعلق بمحذوف أي مستقرًا على ظهر السماكين، وهو حال، فالمجرور فى موضع الحال، وأراد على(ظهور السماكين)[3]، أو (ظَهرَى السِّماكين) فوضع الواحد موضع ذلك. ومثله كثير، وحسَّن ذلك أن السِّماكين يُذكران كثيرًا معًا، فصارا كالواحد[4].

(فما وَرِدَت رُوحَ امرىءٍ رُوحُه لهُ   ولا صَدَرتْ عن بَاخِلٍ وَهُوَ باخِلُ)

أى لم تَرِد سُيوفُنا روحَ امرئ إلا صار لغيره، إما بكونه إلى العنصر، وإما لغيره على المذهب الذى ليس بحميد[5]. ولا وردت باخلاً بماله وذاته، فَقَدر أن يبخل عليها بهما، أو بواحدة منهما.

(يُخَيَّلُ لى أَنَّ البِلاد مَسَامِعِى   وَأَنِّىَ فيها ما تقُول العَواذل)

خُيِّل له الشئ وخيل إِليه: أى شُبِّه حتى حسبه كائنًا.

---

(١) -(١) العبارة (بين الرقمين) ساقطة من ت.

(٢) أى أن الإضافة فيه على نية الفصل بين المضاف والمضاف إليه لأنها إضافة غير محضة والحال قد تكون معرفة إذا كانت مضافة إضافة لفظية غير محضة، لأنها فى تقدير النكرة كما مثله.

(٣) قوله: (على ظهور السِّماكين) جعل كل ناحية من ظهر السماكين كأنه ظهر فلذلك ساغ جمعه وقوله (ظَهرَىْ السماكين) جعل لكل من السِّماكين ظهرا واحدا وهما إذن ظهران وهو الذى بقتضيه التعبير الدقيق.

(٤) (كالواحد): هذا اعتدار عن قوله: (ظهر السماكين) بالإفراد، لأنهما لما كانا يذكران معا، كانا كالشئ الواحد الذى له ظهر واحد. والأجود فى التعبير أن يقول: (ظَهرَى السِّماكين) أو (ظُهُور السماكين) على التأويل الذى قدمناه.

(٥) أى أنه يستحيل من لحم ودم إلى عنصره الأول وهو التراب. وهذا هو المذهب الحميد. أما المذهب غير الحميد فهو القول بتناسخ الأرواح.

يقول : قولُ العواذل لاَ يثْبتُ فى سَمعى، كما لا أثبُت أنا فى بَلد. أراد: وأَنَّى فيها ما يقول لى العواذل، من النهى لى عن التَّغرب وضُروب التَّصرُّف، كقوله:

أَوانًا فى بيـــوتِ البـــدوِ رَحلى وأوانة عَلَى قَـــتـــد البـــعـــيـــر[1]

ومثلُ هذا كثير فى شعره.

-١٢-

وله أيضا :

(ابْعَد بَعِدتَ بياضًا لا بياضَ لَهُ لأَنت أَسودُ فى عَينى من الظُّلم)[2]

(ابعَدْ : أى اهلك. بَعِدَ الشئ بَعَدًا: هلَكَ، وبعُدَ بُعدًا : ضد قَرُب. ودعاؤه عليه بالبَعَد: أبلغ من دعائه عليه بالبُعد لأنه إذا هَلَك فقد صار إلى العَدَم، وإذا (بَعُد) كان فى الوجود وإن لم يُقرب. والبعَد أمحى له من البُعد، وقوله (بَياضًا لا بياضَ لَه) : أى لا بياض له فى الحقيقة، ولا يحدث عنه بِشْرٌ ولا فَرَح.

والعربُ تَصِفُ الحُزن بالسَّواد، والسرورَ بالبياض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يومَ تبيَّضُ وُجُوهٌ وَتسْودُّ وُجُوهٌ﴾[3]. وقال : ﴿وإذا بُشِّر أحدُهم بالأُنثى ظَلَّ وجهُهُ مُسوَداً﴾[4]

وأراد : (ابْعَد بَعدت ذَا بيـاضٍ)، لأنـه إنما يخاطب الشعر الأبيض، لا العَرَض الذى هو البَياض. (لأنت أسود فى عينى من الظُّلم) أيها الشيب.

فأما قوله :(أسْوَدُ فى عينى من الظُّلم)، فخطَّأَه فيه قوم، قالوا : إن (فِعل)

(١) هذا البيت من قصيدته التى مطلعها (عذيرى من عَذَارى من أمور) وانظر ديوانه ص ١٣٩.

(٢) هذا البيت والأبيات بعده من قصيدته التي مطلعها:

ضيفٌ ألمَّ برأسى غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللّمم

(٣) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٥٨ من سورة النحل.

(افْعَل) هذا على أكثر من ثلاثه أحرف، وهو (أسود)[1] فلا تقع المفاضلة فيه إلا بأشَدّ وَأبْيَنَ وغيرهما من الأفعال الثلاثية، التى تصاغ لُيوَصَلَ بها إلى التعجب من الأفعال التى على أكثر من ثلاثة.

وهذا منهم غلط. ليست (أفعل) هنا للمفاضلة، ولا (مِن) متعلق بأَسود، على حد تعلق (مِن) بأفضل فى قولك : زيد أفضل من عمرو. وإنما هو كقولك لأنت أسود، معدود من الظُّلم فى عينى. (فَمِن) غير متعلقة بأَسود ، كتعلق (مِن) بأفعل التى للمفاضلة، وإنما هى فى موضع رفع، حالَّةً محل الظرف، بمنزلتها فى قول الأعشى:

فلست بالأكثر منهم حَصى وإنما العزةُ للكاثِرِ[2]

فلا يجوزُ أن تكون (من) متعلقةً بالأكثر، لأن اللام ُتعاقبُ[3] مِن، وإنما هى هنا بمنزلة الظرف. ولذلك جعل الفارسى (من) هنا بمنزلة ساعة فى قول أَوس بن حجر.

فإنا رأينا العرض أَحوجَ ساعة

إلى الصَّونِ من رَيط يمانٍ مُسَّهمِ[4]

---

(١) نقل صاحب اللسان فى (سود) فعلا ثلاثيا على وزن (فَرِح) قال: السواد نقيض البياض، سَوِدَ وسَاد، واسودَّ اسْودِاداً، واسْوادَّ اسْوِيدَاداً، وهو أسود والجمع سُود وسُودان.

ونحاة البصرة يمنعون اشتقاقاً (أفعل) للتفضيل والتعجب من الفعل الدالّ على اللون لئلا يشتبه اسم التفضيل بالصفة المشبهة.

أما نحاة الكوفة فيجوزون بناء (أفعل) من الأفعال الدالة على اللون وخاصة السواد والبياض (راجع المسألة الخاصة بهذا البحث فى كتاب (الإنصاف لابن الأنبارى).

(٢) هذا البيت فى ديوان الأعشى (ط. القاهرة ص ١٤٣) وقد أورده البغدادى فى خزانة الأدب (٣:٤٨٩) شاهدا على أن (من) فيه ليست تفضيليه، بل للتبعيض أو للبيان، أو بمعنى (فى) أى لست من بينهم بالأكثر حصًى، أو لست فيهم أكثر حصًى.

والحصى العدد. والمراد هنا عدد الأعوان والأنصار، والعزة : القوة والغلبة. والكاثر: الغالب بالكثرة. يقال: كاثروهم فكثروهم: غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم.

(٣) أنظر ذلك مفصلاً فى مبحث أفعل التفضيل فى شرح ابن يعيش (٦: ١٠٣ ـ ١٠٥) وأنظر اللسان ـ كثر ـ) وما نقله عن ابن سيده فى هذا

(٤) البيت فى اللسان (سهم) منسوبا إلى أوس بن حجر وقد أورده البغدادى فى الخزانة (٣:٤٨٩).

(بحُب قَاتلتى والشيبُ تَغْذِيتَى   هَوَاى طِفلاً وشَيبى بَالغَ الحُلُم)

أى غَذَّيتُ نفسى بحب هذه التى قتلنى حبها بالشيب، فأما تغذيتى نفسى بالحب ففى حال طفولتى، وأما فى الشيب، ففى حال بلوغى الحُلُم، أى هَوِيت وأنا طفل، وشِبت من ذلك الحب وأنا مُحتلِمٌ. فجَعل الحُبَّ والشيب لنفسه غذاءين وهما مُهلكان لا مُتمنَّيان. والياء فى تغذيتى تكون موضع الفاعل، فيكون المفعول حينئذ محذوفًا. أى تغذيتى نفسى، كما تقول: عجبت من ضرب زيدٍ عمرًا.

ويجوز أن تكون فى موضع المفعول الذى لم يُسَمَّ فاعلُه، أى غُذِّيت.

و(هَواى) : يجوز أن يكون مبتدأ وخبره الحال الذى هو طفلٌ كقولك : أكثر شُربى السَّويقَ ملتُوتًا[1] . والقول فى (شيبى) (وبالغَ الحلم)، كالقول فى (هَوَاى طِفلا). وكأنَّه قال : بالغًا الحُلُم.

ويجوز أن يكون هَوَاى فى موضع جر على البَدَل من حُبٍّ، وشيبى حينئذ فى موضع جرٍّ معطوفٍ على هَوَاى. والأول أقوى.

(شَيخٌ يرى الصلواتِ الخَمْسَ نافِلةً   وَيستَحِل دَمَ الحُجَّاج فى الحَرَمِ)

يعنى بالشيخ[2] هنا : المجَرَّب إذ لا تكون التجربةُ لغير ذوى السِّن والحُنكة، كقول الرِّياحىّ[3] :

أخو خمسين مُجتَمعٌ أَشُدِّى   ونَجَّدَنِى مُداوَرَةُ الشئُونِ

(١) أى أن الحال فى المثال أغنت عن الخبر لأنها فى معنى الخبر، أو على أن الخبر محذوف تقديره: إذ يكون ملتوتا. و(ملتوتا) حال من الضمير فى تكون وهو عائد إلى السويق.
وفى المصباح (لتَّ السويق لتًا من باب قتل: بلَّه بشئ من الماء وهو أخف من البَسِّ.

(٢) فسر ابن القطاع (الشيخ) هنا بالسيف، لأن الشيخ من أسمائه. ويسمى الشيخ سيفا لقدمه. وهم يمدحون السيوف بالقدم. وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيها بالشَّيب (انظر شرح البرقوقى ٢:٣١٦).

(٣) هو سحيم بن وثيل الرياحى. وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت لسحيم فى (نجذ) وقال: وعضٌ على ناجذه: تَحنَّك. ورجل مُنَجَّذ: مجرَّب. وفى التهذيب: رجل منَجَّذُ ومنَجِّذُ: (بصيغة الفاعل والمفعول) للذى جرَّبَ الأمور وعرفها وأحكمها. ومداورة الشئون: يعنى مداولة الأمور ومعالجتها.

وفى كلامهم: ابن خمسين : ليث عِفِرِّين[1]، وقد قال هو فى موضع آخر :

(سـأطلب حَقِىَّ بالقنَـا وَمشَـايـخٍ كأنهمُ من طول مـا التثَّموا مُردُ)[2]

مشايخ : جمع مشيخة ومشيوخاء على حذف الزائد. (يرى الصلوات الخمس نافلة) : أى أنه لا يعنى بمفْروضات الدِّين، ولا تمنعُه مما يشاء إذا أمكنه ما طلبه. ويستحل دم الحُجَّاج فى الحَرم: أى أنه مبالغ فى المضَاء والنفاذ، حتى لا يردّه التحرُّج الذى يوجبه الدين فضلاً عما سواه. ويرى ها هنا : من رؤية القلب، لأن الصلاة فعل عَرضى ليس بجوهر محسوس، فتكون حاسة البصر واقعة عليه. وفى الَحرَم تتميم بديع.

(وَرَبُّ مــالٍ فقيرًا من مُروَّته لم يُثْرِ منها كما أَثرى من العدمِ)

أى أن اللئيم الغنىّ يمنع نفسه حظها، والفقير السمح إذا وجد أعطاها حظَّها، فالفقر مع السماحة أجدى على صاحبه من الغنى مع اللؤم، كقول حسان بن حنظله[3]:

إنا لَعَمر أبيك يَحمد ضيفُنا وَيَسودُ مُغتربًا[4] عَلَى الإقلال

وتقدير البيت : لم يُثْرِ هذا اللئيمُ الغنىُّ من غناه، كما أثرى هذا الفقير السَّمح من العدم.

---

(١) فى اللسان (عفر) وليثُ عفرِّين: الرجل الكامل ابن الخمسين. ويقال إنه لأشجع من ليث عفرِّين (بكسر العين) والراء مشددة مكسورة. ويقال: رجلُ عِفرٌ وعفرِّية وعُفَارية وعفريت. بيِّن العَفَارة: خبيث منكر داه. أما عفرِّين (بتشديد الراء) فكأنهم جمعوه على حد جمع المذكر بالياء والنون. لكن لم يسمع فيه إلا الجر بالياء فى قولهم: ليث عفرين. ويجوز أن يقال فيه الرفع هذا عفرُّون.

(٢) من قصيدة بديوانه ص١٩٨ مطلعها «أقل فعالى بله أكثره مجدُ».

(٣) البيت لحسان بن حنظلة الطائى فى الحماسة (شرح المرزوقى ٤:١٤٨٥) من سته أبيات آخرها

أحلامُنا تزن الجبال رزانةً ويزيد جاهلنا على الجهال

(٤) يريد أن الضيف إذا نزل فى قبيلة صار من العشرة والكرامة والسؤددْ، مثل الذى لهم وإن كان غريبا عنهم.

وقد يجوز أن يَعْنِيَ أن ثروة هذا اللئيم الغنى من الفقر، أكثر من ثروته من الغنى، أى أن حالة المُعدِم أظهر عليه من حالة الغَنِيِّ.

فأما قوله :

(يَجنَى الغِنَى للِئَامِ لـو عَقَلوا مـا ليس يَجنى عليـهمُ العَدَمُ)(١)

فمعناه المبالغة. أى أنهم يمنعون أنفسهم حظًّا فى حال الغنى، فلا يُقَدَّرُون بل يُذمُّون بظهور حال الفقر عليهم، وإن كانوا أغنياء، وأما إذا ظهرت عليهم حال العُدْم وهم مُعدِمُون، فلا ذَمَّ عليهم، بل عذرهم فى ذلك بَيِّن.

- ١٣ -

وله أيضا :

(حَاشَى الرَّقيبَ فخانته ضمائرُهُ

وغَيَّضَ الدَّمعَ فانهلَّت بَوادرُه)(٢)

يُريد : استثنى الرقيبَ، وأخرجه مما كان يعرف سِرَّه، لأنه كان فى أول أمره يبوح بسرِّه إلى بعض إخوانه، ويُخفى ذلك عن الرقيب. فلما تمادَى ذلك به أفرط عليه، إلى أن بخل وبكى، وذَلّ وشكا، فعلم الرقيب ذلك منه.

(غَاب الأميرُ فغاب الخيرُ عن بَلَدٍ

كادَت لفقدِ اسمهِ تبكى مَنَابرُهُ)

كان هذا الأميرُ المجهول مخطوبًا له بحمص أيام ولا يته إياها، فأزيل عنها فانقطع الاختطاب باسمه على منابر هذه المدينة، فحنت المنابر وبكت لذلك.

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص٧٧ يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٤١. قالها فى صباه.

وانظر شرح العكبرى والواحدى والبرقوقى.

(قـد اشتَكت وَحشَـةَ الأَحيـاء أربُعُهُ

وخَبَّـرت عن أسـىَ المَوتـى مَقابـرُهُ)

الهاء فى مقابره: للبلد ذاك، كما كانت فى المنابر له.أى توحش إليه الأحياء، وهذا ممكن، والأموات، وهذا غير ممكن، لكنه بالغ بالموتى، وأفرط بقوله : إن المقابر مُخبرة عن أَسى الموتى، فالنصف الثانى أغلى[1] من الأول، لأن الأحياء قد يتوحشون، وإن كان فيه غُلُوٌّ أيضا لإسناده الشكوى إلى الأربُع فيه، وكأن الأربُع إنما اشتكت رِقَّةً لما تراه من توحُّش أهلها، وبُعدًا بذلك.

وإن شئت قلت : خُلِّيت الأربع بعد الأمير من سكانها، فتشكت توحُّشها إلي الأحياء [وهذا][2] أولى، لتطابق إسناد الأسى إلى الموتى.

(تَحمَى[3] السُّيوفُ عَلَى أَعدَائِه مَعَهُ كَـأنَّهنَّ بَنُـــوه أو عَشـائِـــرُهُ)

أى إن السيوف تَحَمَى على أعدائه معه، تعصبًا له وحبًا، حتى كأنَ السيوف من مظاهرتها ونصرها له، وتبليغها إياه ما شاء من عدوه، بَنُون له أو عشائر. قال أبو الفتح : وهذا أبلغ من قول أبى تمام :

كأنما هى فى الأَوداج والغةٌ وَفى الكُلى تجدُ الغيظ الذى تجدُ[4]

لأنَّ أبا الطيب قد جعل السيوف بنين له وعشائر. وإذا كانت المناسبة استحكمت العصبية، وازدادت الأنفس حمية، وأبو تمام لو ينُط[5] بيته بشئ من معنى المناسبة.

---

(١) أغلى : أشد غُلُواً فى المبالغة.

(٢) [وهذا] زيادة ليست فى الأصل وبها تستقيم العبارة.

(٣) يقال: حَمِى الشئ (كتعب) يحمى: اشتد حرُّه والشمس والنار حَمْيا وحُمُوّاً : اشتد حرُّها وحِمى على الأعداء: اشتد غضبه عليهم.

(٤) البيت فى ديوان أبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى أحد قواد الدولة العباسية.

(٥) يقال : ناطه نَوْطاً من باب قال: علَّقه وناط الشئ بالشئ: علَّقه به.

(إذا انتَضَاهَا لِحربٍ لم تَدع جَسَدًا إلا وباطِنُه للعين ظاهِرُهُ)

انتضاها : جرَّدها . أى إن الدم الذى هو باطن الجسد يفَيض فيصير ظاهرًا . وقيل تَقْطع الأشلاء وتَقُدُّ الجلد، فيظهر من الجسم ما كان باطنا .

-١٤-

وله أيضا :

(وَمِن جَسَدى لم يترك السُّقمُ شَعرةً

فَما فَوقها إلاَّ وفيها له فِعلُ[١])

أى إن السُّقم نال كل طائفة من طوائف جَسدَى : اللَّحم والعَصب والعَظم، فأنحله وبراه حتى الشّعر الذى هو أرقُّ طوائف جسمى ، فإنه أثر فيه الشيب. والشيبُ سُقْمٌ، لأنه مُشعِرٌ بفناء، كما أن السُّقم كذلك، ولذلك قال بعض الشعراء فى صفة الشيب :

هو السُّقم إلاَّ أنه غير مؤلم ولَم أرَ مثل الشيب سُقما بلا أَلَم

وقد يجوز أن يَعنِى أنَّه قَذَف فى أصغر طوائف جسمى، وهو الشَّعرُ، بهذه النَّازلة العظيمة الشنيعة، وهو الشَّيب. فَقِسْ على سائر الجسم بمثل هذا القياس، كما يُستدلُّ بالأصغر على الأعظم، وبالأقل على الأكثر، أى إذا كان فعله فى الشّعر هذا، فما ظنك باللحم، وما يحمله من العَصَب والعظم؟

(هُمامٌ إذا ما فارق الغمْدَ سَيفُه وعايَنْتَهُ لم تَدْرِ أَيهما النَّصلُ)

أى إن مضاءه كمضاء السيف، وبشره وبشاشته كفرنده وصقالته. فأنت تشكُّ فيهما حتى لا تميز أحدهما من صاحبه. وهذا كقول أبى تمام:

* مُنْصلِتًا كالسيف عند سَلِّهِ[٢] *

---

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص٤٤ فى مدح شجاع بن محمد الطائى المَنبجى، ومطلعها

عزيز اسىً من داؤه الحدَقُ النجلُ عياءٌ به مات المحبُّون من قبلُ

(٢) من رجز لأبى تمام بديوانه قاله فى صالح بن عبد الله القرشى

أوله «وعاذل عذلته فى فعله» وفيه يقول:

ممتّعاً مضطلعا بحمله منصلتا كالسيف عند سَلّه

وقال رؤبة : *كأننى سيف بها إِصْليتُ[1] *

ونحوه عندى قوله هو أيضًا:

* كَفِرِندِى فرندُ سيفى الجُرَازِ [2]*

أى كبشرى عند القتال وبشاشتى وفرحى بتأثيرى فى أقرانى، فرنْدُ سيفى هذا الجُرَازُ القَاطِع. وذهب قوم إلى أنه عنَى بفرنده نفسَه : وتغيُّره من السفر والجدِّ والتعب. فكنى عن ذلك السُّهام بالفرند، لدلالته على شرف الهمة ورفعة النفس، وإنما الصحيح الأول كقوله فى موضع آخر :

أَرى من فِرِندِى قطعة من فِرِنــدِه وَجودَةُ ضَرَبِ الهامِ فى جودةِ الصَّقلِ

إذا قيل حِلمًا قال للحلم مَوضعٌ وَحلم الفَتى فى غير مَوضعه جَهلُ

أى طلبُ الرفق فى موضع النَّزال خديعة لا يخلد إليها أريب، كقوله :

يناشـدنى حـامـيمَ والرمح شـاجـرٌ فـهـلاً تلا حـاميم قـبل التـقـدم[3]

وإنما يروم بذلك قِرنُه منه التماس نَهزَةٍ أو جذبًا إلى كشف شدة عن نفسه.

(ولولا تَـولِّى نَفسِه حَملَ حِلمـه عَنَ الأرض لا نهدَّت وَناءَ بها الحملُ)

الحَمْلُ : المصدر ، والحِملُ : الاسم. وناء بها : أثقلها، وفى التـنـزيل ﴿ ما إنَّ مَفَاتحهُ لَتَنوءُ بالعُصبة﴾[4] . ولا يقال (نَاء) إلا فى حد الإتباع لِسَاء، يقال : (له عندى ما سَاء وناء)، وقد يكون مع الإتباع صيغ لا توجد فى حد

(١) ديوان رؤبه ص٢٥ ويقال: سيف إصليت: ماضٍ فى الضريبة (أساس البلاغة) .

(٢) شطربيت من قصيدة له بديوانه ص٢٠٢ فى مدح أبى بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب.

(٣) البيت لشريح بن أوفى العَبْسى كما فى اللسان (حمم) وفيه (يذكرنى) فى موضع (يناشدنى) وقال: وأنشده غيره للأشتر النخعى والضمير فى يذكرنى هو لمحمد بن طلحة، وقتله الأشقر أو شريح.

(٤) الآية ٧٦ من سورة القصص.

الإفراد، كقولهم هَنَأهُ ومَرأه، فإذا أفردوه قالوا أمرأه[1] . وقالوا : إني لآتيه بالغدايا والعَشَايا، والغداة لا تجمع على غَدايا. لأن (فَعْلة) لا تُكسَّر عَلَى فعايل، لكنهم تجوزوه لما قرنوه بالعشايا، ولا عليك أتبع[2] الثانى الأول، أم صيغ الأول على حكم الثانى، لأن مذهب العرب فى ذلك، أن تصوغ الكلام من وجه واحد طلبًا للمشاكلة.

ومعنى البيت : أَن حلمه رَزِين فلو لم يتولَّ حَمله نفسه بنفسه، ووكل الأرض[3] بَحمله، أثقلها فانهدت.، وإنما يوصف الحلم بالرزانة لما يتبعه من الوقار، كقول الآخر :

أحلامنا تزن الجـــبـــال رزانة   وتزيد جاهلنا على الجهال[4]

وقد قال هو أيضا :

وبقيات حلمه عافــت النــــا   سَ فصارت ركانةً فى الجبال[5]

(وَحــاَلَت عَطايَا كــفِّــه دون وَعــدِهِ   فليس له إنجــازٌ وعــدٍ ولا مَطلُ)

أى إن عطاياه بلا عِدَة، والإنجازُ والمطل عرضان أو خاصّتان للوعد فى وجودهما بوجوده، فإذا ارتفع الوعد ارتفعت خاصّتاه اللتان هما الإنجاز والمطل ، وكذلك كل خاص ومخصوص، إذا انتفى المخصوص انتفت الخاصّة، كالضحك وقبول العلم والأدب اللذين هما خاصتا نوع الإنسان. فإذا انتفى الإنسان انتفت هاتان الخاصتان.

---

(١) فى اللسان (مرأ) يقال: هَنَئَنى الطعام ومرِئَنى، وهَنَأنى ومَرَأنى، على الإتباع، إذا أتْبعوها هنأنى قالوا: مرَأنى. فإذا أفردوه عن هنأنىَ قالوا: أمْرَأنى. ولايقال أهنأنى.
وفى مادة (نوأ) قال: قالت العرب (أكلت طعاما فَهنَأنى ومَرأنى معناه إذا أفرد (أمْرَأنى) فحذف منه الألف لماَ أتبع ماليس فيه الألف.
..... وكذلك إنى لآتيه بالغدايا والعشايا. والغداة لايجمع على غدايا. اهـ.
(٢) أى وليس عليك بأس فى أن أُتبع الثانى الأول....الخ أى أنهما سواء.
(٣) من هنا سقط فى نسخه تونس - وينتهى فى ص٦٣
(٤) البيت لحسان بن حنظلة الطائى من أبيات فى الحماسة (المرزوقى ٤:١٦٢).
(٥) من قصيدة للمتنبى يمدح بها عبد الرحمن الإنطاكى (ش البرقوقى ٣: ٣٩٣).

وإنما مَثلتُ الوعد بالإنسان، وإن كان الوعد عَرضًا، والإنسان جَوهرًا تقريبًا وتثبيتًا، فلا تظن بنا غير ذلك، ولو وثقنا بفهم بنى الزمان، لغنينا عن إطالة البيان.

(كفى ثُعَلاً فخرًا بأنك مِنهُم ودَهرٌ لأَن أَمسيتَ من أهله أَهلُ)

أى ودهرٌ بكونك من أهله. أى دهر مستحق لذلك، ورَفَعَه بفعل مُضمر أى وليفخر دَهرٌ، وحَسُن هذا الإضمار، لأن قوله : (كفى ثعلاً فخرًا بأنك منهمُ) فى قوة قوله :لتفخر ثُعَلٌ، فحمل الثانى على المعنى، فكأنه قال : لتفخر ثُعلٌ وليفخر دَهرٌ، والحمل على المعنى كثير، فـ (أهل) : صفة لدهر، وأراد كَفَى الفخرُ ثُعلاً فخرًا بكونك منهم.

-١٥-

وله أيضا :

(أَبْرَحْتَ يامَرضَ الجُفُون بِمُمَرضٍ مَرِضَ الطبيبُ له وعِيدَ العُوَّدُ)(١)

أَبْرَحتَ : بالغت فى تعذيبه وتجاوزت النهاية، ومنه قولهم : أَبرَحتَ فارسا: أى بلغت الغاية، وتجاوزت النهاية. ومرَض الجفون : فتورها. والمُمرَض : يعنى نفسه، لأن مرض الجفن أمرضه، فيقول: بالغت يامرض الجفن بإمراض مريض، مَرِض الطبيبُ له، إِما رحمةً، وإما عجزا عن شفائه. وَمَرِض العُوَّد لشدة ما رأوا به فَعِيدوا.

ولا بن جِنِّى فى هذا البيت كلام أُجلُّه عن أن أَعزُوَه إِليه.

وقَوله : (مرض الطبيب له)، فله : فى موضع الصفة للمُمرَض، ومعنى له : أى [من](٢) أجله. وقد يكون فى موضع المفعول كقولك: أنا عليم بك ووكيل عليك.

(١) من قصيدة له بديوانه ص٤٨ فى مدح شجاع بن محمد الطائى مطلعها:
اليوم عهدكمُ فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكمُ غدُ
(٢) [من] زيادة يتم بها المعنى.

(فَلَه بَنُو عبد العزيز بن الرِّضا ولكلِّ رَكبٍ عِيسهُم والفَدْفَدُ)

يريد أنه قصد بنى عبد العزيز ليشفُوه مما به، ولم يأخذ سيرة الذين يأخذون بقول أمرئ القيس : (وإنك لم تقطع لُبانَةَ عاشق)[1]، البيت، لأنهم يَرون البعُد من المحبوب مما يُريح. فترك هو هذا، ونَحا إلى بنى عبد العزيز. يذهب إلى أن شُغل بنى عبد العزيز هؤلاء أن يرُيحوا من هذا المرض، وشُغل كل ركب أن يركبوا العيس[2]، ويَمشُوا فى القِفار.

وبعض الناس يقول : إن العيس لبنى عبد العزيز، والأحسن ما بَدأناه به.

(نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزّمان يصبُّها نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ التى لا تُجحَدُ)

أى نِعمَه البوادِى العوُّد : تدفع نِقَم الزمان، فتُغْنِى من فقر، وتفُك من أسرٍ، والأسر من نِقَم الزمان، فهو يَصبُّ هذه النِّعم فينتقم بها من نِقَم الزمان، لأن جُودَه وغياثه إذا أزالا الفقر والأسر ونحوهما من النقم، فقد انتقما منها، فهن إذن نقمٌ على النقم الزمانية، ونِعَمٌ على الأسير والفقير ونحوهما ممّن أصابه الدهر بِنقَمه.

(مَن فى الأَنام مِنَ الكرام ولا تَـقُل مَن فيك شأْمُ سوَى شُجاعٍ يُقصدُ)

الشأم، مذكر، وتقدير البيت : من فى الأنام من الكرام سوى شجاع يُقصد يادُنيا ، ولا تقل (من فيك ياشَأمُ)، فخص بذلك الشأم وحده، فإنه أوحدُ الدنيا جميعًا. لا أوحد الشأم وحده.

(أرضٌ لها شَرَفٌ سِوَاها مِثْلها لَو كَانَ غُيرك[3] فى سِوَاها يُوجدُ)

أى مَنْبِجْ[4] هذه أرضٌ شريفةٌ، وغيرها مثلها، لولا كونك بها، فإنما شرفَتْ على البلاد بك لا بذاتها.

---

(١) صدر بيت لامرئَ القيس عجزه «بمثل غدو أو رواح مؤوب»

(٢) العيس: الإبل البيض التى يخالط لونها شئ من الصفرة. الواحدأعيس والأنثى عيْساء.

(٣) فى الديوان «مثلك»

(٤) منبج: بلدبالشام وفيها ولد البحترى الشاعر، وقد ورد ذكرها قبل هذا البيت بأبيات.

(بَقِيت جُموعُهُم كأنَّكَ كُلُّها   وبَقِيْت بَيْنهمُ كأنك مُفرَدُ)[1]

أى أغنيت غَنَاءَ الكُلِّ، فكأنك كلُّهم كقوله : (إلاَّ رأيتُ العبادَ فى رَجُل)[2].

وبقيت بينهم كأنك مُفرد، أى لم يكن فيهم من يجوز أن يُعد ثانيًا لك، وإن كان حَولك منهم جماعة.

(ما شَارَكَته مَنيَّةٌ فى مُهجَة   إلا لِشَفرَته[3] عَلَى يَدها يَدُ)

العرب تقول : لك على فُلان اليدُ البيضاء؛ أى المزية[4] الظاهرة.

فمعنى البيت : أن لشفرته الأَثر الأظهر، فإما أن يكون لأن تأثير السيف أظهر من تأثير المنية، لأن تأثير السيف جُسمانى عليه يقع الحِسّ، وتأثير المنيه نفسانى، لا يقع عليه حس.

وقد يجوز أن تكون للشفرة اليدُ على المنية، من جهة أن المنية معلولة للسيف، والسيف علّة لها. والعلة أشرف من المعلول، فوجبت المزية للسيف بذلك.

وقد يتوجه البيت على أن كلَّ شريكين، فمن المعتاد الأغلب أن يكون أحدهما أقوم بالأمور، فتعلو يدُه يدَ صاحبه، فإذا شاركت المنية سيفه فحكمه أمضى، والأول عندى أقوى.

(قَطَّعتَهُم حَسَدًا أراهُم مَا بِهم   فَتَقَطَّعوا حَسدًا لمن لا يَحْسُدُ)[5]

أَراهم ما بهم : أى كَشفَ لهم عن تقصيرهم عنك، ولو اتَّزن له (أراهم ما

---

(١) هذا البيت مترتب على ماقبله وهو قوله «نظر العلوج فلم يروا من حولهم»
(٢) صدره كما فى ديوان المتنبى : «هدية مارأيت مهديا» وانظر المقطوعه ٥.
(٣) رواية الديوان : «إلا وشفرته».
(٤) فى الخطية م«المزيدة» تحريف. وقد صرح المؤلف بكلمة المزية بعد هذا فى قوله «فوجبت المزية للسيف بذلك».
(٥) هذا البيت متقدم فى الديوان على قوله «بقيت جموعهم.......»

هم به) كان أَدخل فى الصناعة المنطقية، (فتقطعوا حسدًا : أى هم يحسدونك لنقصهم عنك، وأنت لا تحسد أحدًا، لأنَّ الفضائل كلها متجمعةٌ لك، فلم يبق لك ما تحسُد عليه غيرك.

وقوله :أراهم مابهم، جملةٌ فى موضع الصفة.

(أنَّى يكونُ أَبا البَرِية آدمٌ   وأَبُوكَ والثَّقَلانِ أَنتَ مُحمَّدُ)

هذا محلٌ[1] من القول وسَفَهٌ، أَى أنك أنت الإنس والجن، وأبوك محمد هذا، يعنى أبا الممدوح، فما لهذه البريةٌ وادعائها آدم أباها،وهذا من قبيح الضعف، وطريق السُّخف، وقد دخل به العقابُ فى أنه لم يحُسن تأليف البيت ولم يُوفق لإقامة إعرابه. ألاَ تراه فصل بين المبتدأ والخبر بجمله أجنبية فى قوله : (وأبوك والثقلان أنت محمد). وموضع الكلام : أبوك محمد، والثقلان أنت. وهذا لا يكاد يسيُغه لنفسه الذى يقول :

ضَحِكَ الناس وقالوا   شِعر وَضاح اليمَان[2]

إنما شعرى قَنْدٌ   قد عُقدْ بجلجلان

(١) (هذا محل من القول وسَفه) : فى اللسان (حول) المحال من الكلام ماعُدِلَ به عن وجهه... ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة: إذا أفسدته اهـ.
وفى مادة (محل) يقول ابن سيده: أرض مَحْله ومَحْل ومَحْول: لامرعى بها ولا كلأ. اهـ والمحْل: الجدب. ورجل مَحْل: لاينتفع به.
فعبارة ابن سيده (مَحْل من القول): يصف مافى البيت من التعقيد اللفظى بأنه إفساد لصورة التركيب الصحيح.
(٢) البيتان فى اللسان (جلل) ونسبهما لوضاح وفيه: (ملح) مكان (قَنْد) والجلجلان: ثمرة الكزبرة، وقيل: حب السمسم. والقند : عسل قصب السكر.

وقال أيضا :

(طَلبتَ جَسِيمَ مَا طَلِبى وَإنَّا   نُخاطِرُ فيه بالمُهجِ العِظامِ)[١]

أراد جَسيم طلبى، و (ما) : زائدة . والعظام ها هنا : كناية عن العز والشرف.

أى يقول : أنت إنما تُخاطر فى طلب الملك بالمهج العزيزة التى لا خَلَفَ منها إذا فقدت.

(ولَو بَرَزَ الزَّمانُ إلىَّ شَخصًا   لأَدمى رَأس مفرقة حُسَامى)

أى لو شَخص الدهرُ لأثرت فيه بسيفى، والدهر ليس بشخص لأنَّ وجُود النور وعدمه، لاختلاف حركة الفلك ، فتمناه هو شخصا ليوقع به، غُلُوا منه وعُلُوًا، وعليه دائرة السَّوء.

(إذا امتلأت عُيونُ الخيلِ مِنىِّ   فَويلٌ للتَّيقظِ وَالمنَام)

أى أرُوعُهم ببأسى متيقظين، ويحلُمون بى، وذلك بما بقى فى نفوسهم من الرَّوع، كقوله هو:

يَرَى فى النومِ رُمحُك فى كُلاهُ   وَيخشَى أَن يَراهُ فى السُّهادِ[٢]

ومادة كل ذلك قول الشاعر[٣] :

وَعَلَى عَدوِّك يا ابن عَمِّ محمد   رَصَدان ضوءُ الشمس والإظلامُ

فإذا تنبه رُعته وإذا غفا[٤]   سَلَّت عليه سُيوفَك الأحلامُ

وأراد المتنبى : إذا امتلأت عيونُ فُرسان الخيل، فحذف المضاف، وأراد

---

(١) من قصيدة له أولها (أيا عبد الإله معاذ إنى ... مقامى) ورواية التبيان «ذكرت جسم»

(٢) البيت من قصيدته فى مدح على بن ابراهيم التنوخى مطلعها:

أحاد أم سداس فى أحاد   لبيلتنا المنوطة بالتنادى

(٣) هو أشجع بن عمر السلمى والبيتان يمدح بهما الخليفة الرشيد.

(٤) غفا الرجل غفوة: إذا نام نومه خفيفه، وفى الحديث: فغفوت غفوة، أى نمت نومه خفيفه. (اللسان- غفا).

فويلٌ لها في التيقظ والمنام، فأسند الويلَ إليهما مجازًا لا حقيقة، لأن التيقظ والمنام عَرَضان لا يلحقهما ويل.

وقد يجوز أن يضع المصدر موضع الاسم، كأنه قال : فويلٌ للمُتيَقِّظ والنائم، كقولهم : ماء غَورٌ : أى غائر؛ ومثله كثير.

-١٧-

وله أيضا :

(أذا الغُصنُ أم ذَا الدِّعصُ أم أنتِ فتنةٌ

وذَيَّا الذى قَبَّلتُه البرقُ أم ثغرُ)(١)

أى : أقدُّك غُصنٌ؟ أم ردْفُك دِعصٌ؟و (ذيًّا)،تصغير (ذَا). وإنما صغرّه، لأنه أشار إلى الثغر، والثغر يوصف بالصِّغر، ألا ترى إلى قول النُّظام(٢) يصف عجبه من أمرأة طرحت خاتَمها فى فيها فقال:

* مِنْ رَميها الخاتَم فى الخَاتَم *

شبَّه فاها بالخاتَم لِصغَره و (أم أنت فتنةٌ): تكون فيه (أم) العَديلة لألف الاستفهام ، وتكون منقطعة كَهَلْ، وقد اعترض السؤالُ عن الجملة، أعنى قوله : (أم أنت فتنة) بين أثناء الكلام عن الأجزاء، لأن القَدُّ، والرِّدف، والثغر، كلها طوائف، وأنت جملة. وإنما كان ينبغى، لو استقام له، أن يقرع بالسؤال عن الطوائف، ثم يُجمل. أو يُجمل مبتدئا فيقول: أنت فتنة، ثم يأتى بالطوائف.

وأما هذا الفصل عندى بين النظائر بالغريب(٣)، فقلِقٌ غير متمكن، وهذا إنما [يحكيه](٤) أهل المنطقية. وكذلك قوله : (وذَيَّا الذى قبلته البرقُ أم ثغرٌ) كان أصنع أن يقول : (بَرقٌ)، لمكان (ثَغر)، لأنهما نكرتان.

(١) هذا البيت والبيت الذى بعده من قصيدة له بديوانه ص ٦٢ يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحترى. أولها : «أريقك أم ماء الغمامة أم خمر»

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام، من علماء الكلام، على مذهب المعتزلة. وله شعر كثير (الأمالى ١-١٨٧).

(٣) يريد بالغريب هنا الأجنبى.

(٤) [يحكيه] تكملة لسقط بالخطيتين وبها يستقيم المعنى.

(فَتًى كلَّ يومٍ يحتوى نفس ماله   رِماحُ المعالى لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمرُ)

تغير على ماله رماحُ المعالى، يعنى المدائح. أى أن رماح المدائح التى تُبْنى بها المعالى، تُغير على ماله، كقول أبى تمام:

* وآمله غادٍ عليه فسالُبه[1] *

وقال: رماحُ المعالى، ولم يقل سيوف المعالى، توطئةً للرُّدينية السُّمر وقوله: (نَفْس ماله)، ليس للمال نَفْس فى الحقيقة، إنما تَجوَّز بذلك، كما تجوز[2] بأن جعل للمعالى رماحا، وليس هناك رمح ولا نَفْس، وعلى هذا أُوَجِّه أنا قوله:

ألستُ من القوم الألَى مِن رمَاحهم   نَداهُم وَمِن قتلاهُمُ مُهجةُ البُخلِ[3]

لما استعار للبخل مهجة مقتولة، جعل للندى رُمحًا قتلوا به مهجة البُخل. لا على ما ذَهَب إليه أكثرُ مفسرى هذا الشعر، من أنه عَنى بقوله : (من رماحهم نداهم) : أنهم يجودون، وإنما يجودون بما تُفىء عليهم رماحهم من النَّهب، وما أدرى ما أعماهم عن هذا على وضوحه.

-١٨-

وله أيضا :

(ولا الدِّيارُ التى كان الحبيبُ بها

تَشكُو إلىَّ ولا أَشكُو إلى أَحَدِ[4])

شكوى الديار إنما هى باعتبار النُّظار ومِن سوء آثار الزمان عليها. كقول علّى رضى اللّه عنه مخاطبًا القبور : فإن لم تُجبك جهارًا، أجابتْك اعتبارا. ويقول الشاعر[5] :

(١) عجز بيت لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر وصدره:
«إلى سالب الجبار بيضَةَ مُلكه»

(٢) هنا ينتهى الخرم فى النسخة التونسية (وكان ابتداؤه فى ص٥٦) كما أسلفنا.

(٣) انظر البيت فى ديوانه ص٢٣٣.

(٤) البيت من قصيدة له بديوانه ص ٦٤ وهى فى مدح أبى عبادة البحترى. مطلعها
ما الشوق مقتنعا منى بذى الكمد   تشكو إلىَّ وما أشكو إلى أحد.

(٥) هو أبو العتاهية (ديوانه ٧٨).

وَعَظتكَ أجداثٌ صُمُت ... ونَعَتك ألسنةٌ خُفُت

وَتكلمت عن أوجُهٍ ... تَبلى وَعن صُوَرٍ سُبُتْ

فيقول : إن دمعى حال دون تأمُّلى آثار البِلى[1] فى الديار، فيقوم مَقام شكواها إلىّ، أى : لولا مَنعُ الدمع إياى من التأمل، لرأيت سُوء صُنع الدهر بها، لكن الدمع كَفَانى وحمَانى النَّظَر، كقول الأخر :

فعيناى طورًا تغرقان من البُكا ... فأعشَى وطورًا تَحسران[2] فأبصرُ

ولهذه العلة يقول الشاعر منهم لرفيقه : تبصّر وانظرُ، كقول الشاعر امرئ القيس :

تَبصَّر خَليلى هل ترى من ظَعائنٍ ... سَوَالِك نَقبًا بين حَزْمَى شَعَبعبِ[3]

وقال آخر :

* بل تَبصَّر، فأنتَ أبصرُ مِنِّى *

أى أن الدمع قد حال بينى أنا، وبين التأمل، بإغراقه ناظرى؛ وقد بكيت حتى أَكَلَ الدمعُ بصرى . (ولا أشكوإلى أحد)، أى أنها قفر لا أحد فيها فأشكو إليه، أى ليس بها أحد يُشكى إليه، فأنا أدع الشكوى لذلك، ونفيه العام هنا كقول النابغة :

(عَيَّت جَوابا وما بالربع مِن أَحد)[4]

وقد يتوجه البيت على أنه لم يبق فى الدار فضل للشكوى بما هدمها وأبادها من البِلىَ، ولا فىَّ أنا فضل للشكوى. أى قد ضعفت عن ذلك، والأول أوجه.

---

(١) نسخة م «البلاد ، وفى ت «البلاء» وكلاهما تحريف

(٢) تحسران: أى يحسر الدمع عنهما.

(٣) البيت من قصيدة امرئ القيس التى مطلعها «خليلى مرأبى على أم جندب» والنقب: الطريق فى الجبل. والحزم: ماغلظ من الأرض. وشَعَبْعَب: اسم ماء، أو موضع.

(٤) صدره كما فى ديوانه: «وقفت فيها أصيلانا أسائلها» والأصيل: وقت مابعد العصر إلى الغروب.

(أىُّ الأَكُف تُبارِى الغيث ما اتفقا حتَّى إِذا افترقا عادت ولم يَعُدِ)

الأكف : جمع كف ، قال سيبويه[1] : ولا يكسر على غير ذلك. أَىْ، أَىُّ أكفٍّ سوى كف هذا الممدوح تعارض الغيث أو تباريه ؟ حتى إذا أقلع الغيث عادت الكف للندى. وهى تلك الكف بعينها، ولم يَعد الغيث، لأن ذلك الغيث بعينه لا يعود أبدا، وفى قوله (عادت)، إشعار بأنها أقلَعَت وإنما قاله توطئة لقوله : (ولم يَعُد)،

ومثل هذا كثير فى كلامهم، كقوله تعالى : (فَمنِ اعتدى عليكم فاعتَدُوا عليه)[2]، وانتصار المؤمنين من الكفار، ليس باعتداء ولا ظلم، لكنه ذكر الاعتداء هنا لتقدم (فمن اعتدى). ومثله قول الشاعر :

أَلا لا يَجهلن أَحدٌ علينا فنجهل فوقَ جَهلِ الجَاهلينَا[3]

وقوله :

تُبارى الغيثَ ما اتفَّقا حتى إذا افترقا عادت ولم يُعد

يسمى ترجيحا[4]، فقد وقعت المساواة بين الكًف والغيث بلا فضل لأحدهما على صاحبه. فإذا أقلع الغيثُ ودامت الكف تجود، فقد فَضَلت الغيثَ الكفُّ ورجَحَت عليه.

(١) جاء فى لسان العرب بعد أن ذكر كلمة الكف فى كثرة من الأبيات: «والجمع أكف قال سيبويه: لم يجاوزوا هذا المثال. وحكى غيره كفوف».
وقد بحثنا عن كلمة سيبويه التى نقلها المؤلف (ابن سيده) ثم التى نقلها صاحب اللسان فى باب الجمع من كتاب سيبويه (حـ٣: ٥٧٠ - ٥٧١) فلم نجد إلا قوله فى صفحة ١٧٦ (وربما جاء الأفعال من (جموع القلة) يستغنى به أن يكسَّر الاسم على البناء الذى هو لأكثر العدد، فيعنى به ماعنى بذلك البناء من العدد، وذلك نحو قَتَب وأقْتاب ورسن وأرسان. ونظير ذلك من باب الفَعْل (بفتح فسكون) الأكفُّ.....اهـ).
ولم يزد سيبويه علي ذلك فى هذا الموضع شيئا مما قاله ابن سيده وصاحب اللسان نعم. يفهم من كلام سيبويه أن(الأكف) يُستعمل جمعا للقلّة والكثرة، أن اللفظة ليس لها جمع كثرة، ولكنه لم يصرح بذلك.
وقد نقل اللغويون بعد ابن سيده لفظة جمع الكثرة (كُفُوف) فى المعاجم، وأتَوالها بشواهد كما فى اللسان « وذابل يلذُّ بالكُفوف» وماذكرهُ المصباح المنير«وأما قولهم كفٌّ مخضَّب فعلى معنى ساعد مخضَّب وجمعها كُفُوف وأكففّ، مثل فلس وفلوس وأفلس».
(٢) الآية ٩٣ من سورة البقرة.
(٣) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى (جمهرة أشعار العرب٢: ٣٧٠).
(٤) لعل هذه التسمية فى البديع، ولم نجده فى البديعات المشهورة.

وله أيضا :

(وفشت سَرَائرنا إليك وَشَفّنا تعَريضُنا فبدَا لَكَ التَّصريحُ[١])

أى لما جَهَدَنا التعريض، استروحنا إلى التصريح، فانتهك السِّتر. وإن شئت : لما عَرَّضنَا؛ ظهرت دلائل الحُبِّ علينا كفيض الدمع، وتغيُّر اللون، فعاد التَّعريض تصريحًا، بهذه الأدلة التى أعربت عن الحب، وصرحت به، وإن كنا نحن لم نُرِد التصريح، فتقديره. فبدا لك التصريحُ من تَّعرِيضنا. ومعنى شفّنا على هذا القول - نقص تصبُّرنا وغير تجلدنا. وقد يكون وشفُّنا: أى شَفَّ قَوَّتنا على التكتم فبكينا، فحصل التعريضُ تَصريحا.

(شِمنَا وَمَا حَجب السَّماءُ بوروقَهُ وَحَرَى يجُود وَما مَرَتهُ الرِّيحُ)

شِمْنا : أى نظرنا. وهو يستعمل فى البرق والنار. قال :

نَشيم بروق المُزن أين مَصَابُهُ

وَلا شئَ يشفى منكِ يا ابنة عفزرا[٢]

وقال ابن مقبل فى النار :

ولو تُشتَرى منه لباع ثيأَبَه بنبحة كلب أو بنار يَشيِمُها[٣]

أى شمنا البروق، ولم تُحجب السماء. أَى لا غيم هنالك، فيُحجب أديم السماءِ، وإنما عنى مخايل يديه. وإن شئت قلت : إن الجو يبسم بالبرق بعد تعبُّسه بالغيم، وهو يبقى أبدًا، فبرقه فى صحو، ولا يلحقه عبوس، فيكون ذلك

(١) البيت من قصيدته التى مطلعها «جللا كما بى فليك التبريح» (ديوانه ص٦٦).
(٢) البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها «سما بك شوق بعدما كان أقصرا» والشيم: النظر. يقال: شمت السحاب: نظرت أين يقصد وأين يمطر. والمَصَابُ: حيث يقع المطر. وابنه عفزرا: محبوبته.
(٣) البيت لتميم بن مقبل فى ديوانه. ورواه اللسان (شيم) وقال قبله: وقد يكون الشيم النظر إلى النار.

العبوس كالغيم. فجُوده هَنِئ، وليس الغيث كذلك، لأنه وإن حلّى الأفق بالبرق، فإنه يحجب حسن السماء ، وجمال شمسها ، ويحجبها بالغيم وهذا قريب من قوله هو:

فَترى الفضيلةَ لا تَرُدُّ فضيلةً　　　الشمسَ تُشرق والسحاب كنهورا

عنى بالسحاب الكنهور : نداه، وبالشمس: بشره، وحسن وجهه الوضئ، وسنشبع شرح ذلك فى القصيدة التى هو فيها إن شاء اللّه تعالى.

(وحَرًى يجودُ وما مرته الريح). أى حَرىّ أن يجود من غير أن تمريَه الريح.

يذهب إلى تخليص جُود هذا الممدوح من الكدر، وتفضيله على المطر، لأن ماء المطر وإن كان طهورًا نافعًا، فإن هناك ما يُكدره، وهو الغيم الذى يطمس نور الشمس. فَيولد الكُربة فى النفس والريح التى يتوقع منها الآفات وأنواع الجوائح.

وإن شئت قلت : إن الريح هنا مستعارة، وإنما كنى بها عن السؤال، لأن السؤال يستخرج النوال، كما أن الريحَ تَمرِى الماء. فيقول : جُوده متبرِّع يُغنى عن السؤال، كقوله هو :

وإذا غنُوا بعطائه عن هَزِّه　　　وَالَى فأغنى أن يقولوا وَآلِهِ[1]

ولذلك قال هو أيضًا[2]:

والجِراحاتُ عندَه نَغَماتٌ　　　سَبَقَت قَبلَ نَيلِهِ[3] بِسؤَال

وسيأتى شرحه فى موضعه :

ونظيره قوله :

*** وَحَرىَ يجود وَما مَرَته الريحُ ***

(١) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة مطلعها:

لا الحلم جاد به ولا بمثاله　　　لولا ادكار وداعه وزياله

(٢) من قصيدته فى مدح عبد الرحمن بن المبارك (ديوانه ص١٢٢).

(٣) رواية الديوان «سيبه».

وعلى هذا القول الأخير قول البحترى[1] :

مواهبًا ما تَجَشَّمنا السؤال لها إنَّ الغمام قَليبٌ ليس يُحتَفرُ

ويجوز (وحَرًى يجود) بإضمار (أن)، أى وحَرًى أن يجود. (ومامرته الريح) جملة فى موضع الحال.

-٢٠-

وله أيضا :

(لَم يَلق قَبلك مَن إذا اشتجر القَنَا جَعَل الطِّعان مِن الطِّعَان مَلاَذا)[2]

إن شِئت قُلت معناه :أنك تُلقى نفسك للطِّعان مُحتقرًا لها، لتهابك الأقران. وإن شئت قلت معناه :إنك تلوذ من الطعن بطَعنك لعدوك، علمًا أنك إن تهيَّبته ولم تطعنه طَعَنَك، فإنما تدفعه بالإقدام، لا بالإحجام، (لأنه)[3] تمكين للعدو.

ولهذا قالت العرب : إن الحديد بالحديد يُفلَح[4].

أى إن الشَّر إنما يدفع بمثله كقوله قطرى[5]

تأخرت أَستبقى الحياةَ فلم أَجِد لِنفسى حياة مثل أن أَتَقَدَّما

وقال المتنبى فى نحوه أيضًا :

فإن تكنُ الدولاتُ قِسمًا فإنها لِمن وَرَدَ الموت الزؤامَ[6] تدُولُ

(١) البيت فى ديوانه (ط. هندية ٢:٤٤) فى مدح على بن مر الطائى.

(٢) من قصيدة له بديوانه يمدح بها مساور بن محمد الرومى مطلعها.

أمساور أم قرن شمس هذا أم ليث غاب يقدم الأستاذا

(وانظر البرقوقى ٢:٢٢٣)

(٣) أى الإحجام تمكين للعدو.

(٤) أنشده اللسان (فلح) وصدره فيه «قد علمت خيلك أنى الصحصح» ثم قال: وأورد الأزهرى هذا الشعر شاهدا على (فلحت الحديد إذا قطعته) وانظر أساس البلاغة (فلح).

(٥) البيت للحصين بن الحمام المرى وليس لقطرى بن الفجاءة (شرح الحماسة للمرزوقى ١:١٩٧).

(٦) البيتان فى ديوان المتنبى من قصيدته التى أولها «ليالى بعد الظاعنين شكول»

لمن هَوَّن الدُّنيا على النفسِ ساعة　　وللبيض فى هامِ الكماة صَليل

(لما رَأَوك رَأَوا أَبَاكَ مُحمدًا　　فى جَوشَن وَأخا أَبِيكَ مُعَاذَا)

أى [رأوا][1] برؤيتهم إياك عمّك وأباك. يذهب إلى قوة شبهه بهما كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة، أى مثله، وقد قال المتنبى فى هذا المعنى:

(لو تَنكَّرْتَ فى المكَرِّ بِقَومٍ　　حَلَفُوا ـ أَنَّك ابنُهُ ـ بالطَّلاقِ)[2].

ـ ٢١ ـ

وله أيضاً:

(وكأنما عِيسَى بنُ مريمَ ذِكْرُه　　وكأَنَّ عازرَ شخصهُ المقبورُ)[3]

عازرُ هذا: أحياه عيسى، وأقامه من قبره، فكذلك ذكر هذا الميت يحييه، كما أحيا المسيحُ عازر. وترك صرف عازر لأنه أعجمى.

ـ ٢٢ ـ

وله أيضاً:

(تُشَقَّقُ منهُنَّ الجُيوب إِذا بَدَتْ　　وتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى والمفارِقُ)[4]

(تشقق منهن الجيوب). أى إن البعولة والبنين يقتلون بها، إذا جُرِّدت من أغمادها، فتشقق الثَّكالَى جيوبهن. (وتُخْضَب منهن اللِّحى والمفارق) أى يُخضبن بالدم، حتى يُشكِل الشابُ والكهل والشيخ، فلا تعرف الثُّكْلَى بعلهَا من ابنها.

(يُحاجَى به: مَا نَاطِقٌ وهو سَاكِتٌ؟　　يُرى ساكِتاً والسيفُ عَنْ فِيهِ نَاطقُ)

---

(١) تكملة لسقط وبها يتم المعنى.

(٢) انظر ديوانه ص ٢٠١.

(٣) البيت من قصيدة له بديوانه ص٧٢ فى رثاء محمد بن إسحاق التنوخى مطلعها «إنى لأعلم واللبيب خبير».

(٤) من قصيدته التى مطلعها «هو البين حتى ماتأتى الحزائق»

الصمت والنطق: ضدان، والضدان لايجتمعان فى محل واحد، فى وقت واحد، لكن هذا الملك ينطِق السيفُ عنه وفمه ساكت، فالأحْجِية[1] من البيت فى الشطر الأول وتحليلها فى الثانى. ونُطق السيف عنه؛ عمله فى عُصاته وعُداته، إذ السيف جَمادُ، والجَماد لانطق له. وإنما هو كقوله:

* وقالت الأنساعُ للبطنِ الْحَقِ[2] *

ولو تقصيت هذا لطال الكلام، لأن فى مثله يطولُ المقال.

- ٢٣ -

وله ايضاً:

(وتُنكِرُ مَـوْتَهُمْ وانـا سُـهَـيلٌ طَلَـعـتُ بمـوت أولادِ الـزِّنَاءِ)[3]

أكثرُ الموت الواقع فى البهائم، إنما هو عند الرِّعاء[4] بِطلُوع سُهَيل، فَعدَّ أضدادَه ـ من جهلهم ـ بَهائمَ يُميتهم سُهيل. قال:

(وكـان أضـرَّ فـيـهـمْ من سُـهـيلٍ إذَا أَوْفَى وأشـأم من قُـدارِ)[5]

وقال المنجمون: طُلوع سُهيل طلوع ضُرٍّ وَوَيْل. فيقول هو: طلوعى ضَررٌ عَلَى أَولادِ الزِّنا. ولم يعن بذلك أنهم لزِنْية[6] فى أنسابهم، إنما أراد أنهم يَعْتَزُون إلى الفضل وليسوا منه، كما ينتسب بنُو الزنا إلى غير آبائهم.

وسُهَيْل: اسم جاء على بناء التصغير.

(١) الأحجية: اللغز، وهى قوله فى الشطر الأول (ما ناطق وهو ساكت) وقد فسرها فى الشطر الثانى.
(٢) الرجز لأبى النجم العجلى فى الخصائص (١:٢٣) والأنساع: السيور أو الحبال تُشَدُّ بها الرحال واحدها نسع
(٣) من قصيدة له فى الحسين بن إسحاق التنوخى (ديوانه ص٧٩).
(٤) يقال فى جمع الراعى رُعاة ورعَاء.
(٥) قدار: رجل من ثمود قوم صالح، عقر الناقة فهلكت ثمود كلها بشؤمه وانظر (اللسان- قدر).
(٦) يقال: هو لزنية: إذا ولدته أمه من سفاح. ويقال: هو لرِشْدَةَ اذا ولدته من زواج صحيح.

وله أيضاً:

(مَلامُ النُّوى فى ظُلْمِها غايةُ الظُّلْم   لَعلَّ بها مِثْلَ الذى بِى مِنْ سُقْمِ)[١]

أى إن ملاَمِى للنُّوى فى ظلمها لى، واستئثارها بمحبوبتى غاية الظلم، لأن فى الإمكان، وطبيعة تأثير الزمان أن تكون النُّوى عاشقةً لهذا المحبوب كعشقى، فيورِّثها ذلك سُقْماً كَسُقمى، فالحكم ألاَّ ألومه، لأن من لم يُؤْثِر عليك إلاَّ نفسه فليس بمؤْثِر عليك أحداً.

وبالغ بقوله: غاية الظلم، مُقدراً أن بالنوى من الوجد مثل مابه. وذكَر السُّقْم ولم يذكر العشق استغناء بذكر المسُبَّب عن السبب. وأراد ملامى للنُّوى، فأضاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى: (لايَسْأَمُ الإنْسانُ من دُعاءِ الخَيْر)[٢]

(طِوَالُ الرُّدَيْنيَّات يَقْصِفُها دَمِى   وبِيْضُ السُّرِيْجِيَّات يَقطعُها لحْمِى)

إِن شئت قلت: إن دمه يقصف الرمح بحدته وقوته، أى أنه أقوى من الرمح. (وبيض السُّريجيات يقطعها لحمى): أى أنه أحدُّ من السيف، فهو يؤثِّر فى السيوف تأثير السيوف فى غيره.

وقد يكون أن الرماح والسيوف تنبو عنه، ولاتؤثر فيه الْبته. فكأن دَمَه كَسَرَ الرمح، وكأن لحمه قَطَعَ السيف. وقد يجوز أن يَعْنِى أنه من نفسه وعشيرته فى مَنَعة. فإذا أصابه طعْن أو ضربٌ، أكثَر الطعن فى طلب ثأْره، حتى تَتَقَصَّف الرماح، وتتقطع السيوف.

(مُذِلُّ الأعِزَّاءِ الْمُعِزُّ وإن يَئِنْ   به يُتْمُهم فالْمُوتِمُ الجابرُ الْيتِمِ)

---

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٨٠. ورواية الديوان «من السقم»

(٢) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

أى مُذِلٌّ مخالفيه المعادينَ له، ومُعِزٌّ محالفيه المعاضِدين له. وإن يَئِن: أى يقرب به يُتْمهُم، أى يُتم أبنائهم بقتله أباءَهم، فإنه يجبر يتمهم بَعَوْدِهِ عليهم؛ واكتفاله[1] إياهم بعد الآباء.

وقد يجوز أن يُوْتِم قوماً ويَجبُر يُتْمَ آخرين، لم يكن هو الذى أَيْتَمَهَم.

(إِذَا بَيَّتَ الأعداءَ كان استماعُهم　　　صَرِيرَ الْعوالى قَبْلَ قَعْقعةِ اللّجْمِ)[2]

أى يطوى سرَّه؛ ويخفى حسَّه، حتى يكاد يُخرس اللِّجام فلايخرس. وهذه مبالغة فى طىِّ الخبر.

وقد يجوز أنه اعتقل الرمح أوّلاً، فإن أمكنه إلجام الفرس؛ وإلا ركبه غير ملجم.

(مع الحزم حتى لو تعمَّد تركه　　　لألحقَهُ تَضْنييعُه الحزمَ بالحزْمِ)

أى أن حزمه طبيعى؛ فلو تعمد تركه لانعكس تضييعه الحزم حزماً، إذ ليس فى قوته غير ذلك.

(وَفى الحربِ حتى لو أَرادَ تأخُّراً　　　لأخّرهُ الطبعُ الكريمُ إلى القُدْمِ)

أى إن طبعه إتيان الفضائل، وَتنكُّب الرذائل، فلو رام التأخر مُمتَحِناً لطبيعته تلك، لتأبىَّ عليه الطبع، فردَّه إلى التقدُّم.

وقد اطَّردَ هذا المعنى فى غير هذا الموضع من هذا الشعر، كقوله:

(لَهُ رحمةٌ تُحيى العظامَ وَغضْبَةٌ　　　بها فضلَةٌ لِلْجُرمِ عن صَاحِبِ الْجُرمِ)

تُحْيى العظام: مبالغةٌ فى قوتها على الإحياء. وغضبةٌ: أى إذا أغضبه المجرم الجانى تجاوز له غضبه قدر جُرمه، فإما تجاوز به قدر جرمه فأهلكه، وإما تهاون به فتركه.

---

(١) يريد كفله إياهم. ولم نجد اكتفل بهذا المعنى فى اللسان. ويقال: اكتفل البعيرإذا أدار كساءً أو ثوبا حول سنامه ثم ركبه. وفى المصباح : كفَلتُ بالمال وبالنفس كفْلاً من باب قتل.... وكَفَلْتُ الرجل والصغير من باب قتل أيضاً عُلته وقمت به.

(٢) هذا البيت مقدم فى التبيان على سابقه فى ترتيب المؤلف هنا.

(دُعيتُ بِتَقْريظيكَ فى كلِّ مجلسٍ   وظنَّ الذى يَدعُو ثَنَائى عليكَ اسْمِى)

أى أنى لَزمتُ مدحك، وخَصصت حمدك، حتى عُرفت بذلك، وغلب على اسمى العَلَم وكُنْيَتى ونَسَبى، (وظن الذى يدعو ثنائى عليك اسمى) أى قيل لى: يا مادح ابن إسحاق، ذهاباً إلى أن ذلك اسمِى لا اسم لى غيره، وأراد يدعونى، فحذف المفعول. وثَنائى واسمى: مفعولا ظن. وإنما أراد الصفة المشتقَّه من ثنائى عليك، كقوله: ياحامد، ويامادح. ولم يرد المدح ولا الحمد، لأنهما عَرَضان، والمسمى جوهر، فلايُدْعى الجوهر بالعَرَضِ.

(وَثِقْنَا بأَن تُعطى فَلو لم تَجُدْ لَنَا   لَخِلْنَاكَ قد أعطيتَ من قوَّةِ الوهمِ)

يذهب إلى أنه لو عَدِم فضيلةً فى وقت، لظُن فيه أنها موجودة أو تُيقنت وذلك لما يُعتادُ من وجود الفضائل فيه، وهذا كالصادق يَكْذِب فيتُوَهَّم كِذْبه صدقاً، لما جرت به العادة من صدقه.

وقد عَظُم إعياء أبى الطيب فى هذه القصيدة جداً.

فمن ذلك أنه عكس الأمر بين الفاعل والمنفعل فى بيته الذى هو (طِوال الرُّدَينيات...).

ومنه: أنه جَعَل الضِّد ينقلبُ إلى ضده كقوله: (لألحقَه تضييعه الحزم بالحزم). وليس من شأن تضييع الحزم أن ينتج الحزم.

وكذلك قوله:

(وفى الحرب حتى لو أراد تأخراً   لأَخَّره الْطبعُ الكريم إلى الْقُدْمِ)

فجعل التأخر ينعكس إلى التقدم.

ومنه: أَنه جعل العَدَم يُظنُّ به الوجود، كقوله:

(... فلو لم تجد لنا   لخلْناكَ قد أعْطَيتَ...)

(فكم قائلٍ لو كان ذَا الشخصُ نَفسَهُ   لَكَانَ قرَاهُ[1] مَكْمَنَ العَسكَرِ الدَّهْمِ)

---

(١) القرى (بفتح القاف): الظَّهر.

النفس روحانية: فإنما تعظم عظماً روحانياً كعِظَم العالم العلوىّ. والجسم جوهرٌ متكاثف، فلو تجسَّمت هذه النفوس لعظم جِرمه، وكانت ذات طوائف جسمانية عظيمة. فكأن ظهر هذا الجِسْم يسترُ وراءه عسكراً عظيماً فيحجبه.

وإن شئت قلت: لو كان شخصهُ على قدر نفسه فى العِظَم، لكان ظهرهُ مَكْمَن عَسكر كبير. وخَصَّ الظَّهرْ، لأنه لاغُضون فيه، فالكمون فيه أصعب.

(عَظُمتَ فلَمَّا لم تُكَلَّمْ مَهابةً
تواضعت[1] وهو العُظْم عُظْماً عن العُظْمِ)

أى عَظُمت عِظَماً طبيعياً، فملأتِ الصدورَ هيبتُك، حتى لم تكلَّم فأرَحْت ما بالناس من تهيُّبهم لك بأن تواضعت عُظماً عن التعظُّم، وهو العُظْم فى الحقيقة، لأن العَظمة والكبرياء إنما يليقان بالأعظم وهو البارئ سبحانه.

و(عَنْ) فى قوله: (عن العُظْم)، متعلق بقوله عُظماً: بمعنى تعاظُم وهو نَصْب على الحال أو المصدر. وتقدير البيت: تواضعت عُظماً عن العُظْم وهو العُظْم أى ذلك التواضع هو العُظْمُ الحقيقى.

- ٢٥ -

وله أيضاً:

(أُحادٌ أم سداسٌ فى أحَادِ لُيَيْلَتُنا المُنوطَةُ بالتَّنَادِى)[2]

أى أواحدة لُيَيلتنا هذه أم ستٌّ فى واحدة. لُيَيْلَتُنا: صغرها تصغير التعظيم، كقول أوس[3]:

فُوَيق جُبَيلٍ شاهِق الرأسِ لم يكن ليبلُغَهُ حتى يَكَلَّ ويعملا

فقال جُبَيلْ. والجبلُ الذى هذه حاله ليس بجبيل، إنما هو جَبَل[4].

(١) فى م «تعظمت».
(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص٨٥ يمدح بها على بن إبراهيم التنوخى.
(٣) هو أوس بن حجر التميمى، كبير الشعراء فى تميم آخر عصر الجاهلية، والبيت فى ديوانه وفيه: «شامخ الرأس» فى موضع «شاهق».
(٤) أى أن تصغيره مع وصفه بهذه الصفات ، ليس لتحقير جسمه، بل لتعظيمه.

وإنما وجه تصغير التعظيم، أن الشيءَ قد يعظُم، في نفوسهم، حتى ينتهي إلى الغاية، فإذا انتهى إليها، عُكس إلى ضدِّه، لعدم الزيادة في تلك الغاية، وهذا مشهور من رأي القدماء الفلاسفة الحكماء: أن الشيء إذا انتهى انعكس إلى ضده، ولذلك جعل سيبويه الفعل الذي يتعدَّى إلى ثلاثة مَفْعُولين، وهي نهاية التعدِّي بمنزلة الفعل الذي لايتعدى إلى مفعول. قال: لأنه لما انتهى فلم يتعدّ صار بمنزلة ما لايتعدَّى[1]. وهذا منه ظريف[2] جداً.

والتنادي: القيامة، لما جعل الليلة سِتًّا استطالها بعد ذلك، فجعلها هو أكثر مدة، فقال: إنهًا منوطة بالبَعث.

وأحاد: خبر مبتدأ مقدم، ولايكون مبتدأ لأنه نكرة، ولُيَيْلَتُنا معرفة، فهو أولى بالابتداء، وصغَّرَ الليلة على القياس[3].

(مَتَى لَحَظَتْ بيَاضَ الشيْبِ عينْي فقد لَحَظَتْه[4] مِنْها في السَّوادِ)

أي حزني على بياض شيبي كحزني عليه لو رأته عيني في سواد ناظرها. كقول أبي دلف[5]:

في كل يوم أرى بيضَاء قد طلعَت كأنَّما طَلعت في ناظر البصر

(مَتَى ما ازْدَدتُ من بَعْدِ التَّنَاهي فَقَد وَقَع انْتِقَاصِي في ازْدِيَادِي)

أي إذا ازددتُ عُمراً بعد تناهي الأشُد، فتلك الزيادة في سِنِّي نقصان مِنِّي، لأنه قد بلغ غاية النمَّاء ببلوغ الأشُدِّ، فهو آخذ بعد ذلك في التحلُّل إلى بسيط العنصر، كقوله هو وقد مدح بعض الأمراء بشعر عدد أبياته أربعون:

(١) عبارة سيبويه في الكتاب (١: ٤١): «لأنها لما انتهت صارت بمنزلة مالا يتعدى».
(٢) كان ابن سيده ممن أخذ نفسه بالعلوم الفلسفية في شبابه. ولذلك نراه يكثرمن ذكر المنطق والمعاني الفلسفية في هذا الشرح.
(٣) تصغير ليلة سماعا عند العرب على (لُيَيْلة) وكأنه تصغير (ليْلاة) انظرشرح شافية ابن الحاجب للرضي (١: ٢٧٧)
(٤) في التبيان «وجدته» في موضع «لحظته»
(٥) البيت لأبي دلف في الأغاني (٨: ٢٤٧)

فبعثنا بأربعين مهاراً كلُّ مُهْرٍ ميدانه إنشادُهْ[1]

عَدَدٌ عِشْتَه يَرى الجسمُ فيه أرباً لا يَراه فيما يُزادُه

أىْ عددٌ عشْتَه أيها الممدوح، لأن سِنَّ الممدوح حينئذ، كانت أربعين. فسوَّى عدة الأبيات بعدة سنيه، قال: (يرى فيه أرباً لايراه فيما يُزاده)

يعنى بالأرَب: النَّماء، ولايكون إلا إلى الأربعين. فإذا زيد عليها عمراً لم يرَ الجسم فى ذاتِه نماءً، إنما هو راجعٌ عن التركُّبِ إلى التحلُّل.

(وأبعَدُ بُعْدِنا بعد التَّدانى وأقربُ[2] قُرْبِنا قُرب البِعادِ)

يقول: كنت منه بعيداً، فكان البُعد منى حينئذ قريباً، والقربُ بعيداً.

فلما جئتُه وقربت منه، انعكست الحال، فعَاد البعد بعيداً وكان قريباً، وعاد القرب قريباً وكان بعيداً.

ونَسب الإبعاد والتقريب إلى هذا الممدوح، لأن انعكاس الحال، إنما كان بسببه. فلولا هو لم يَبْعُد البُعد الذى كان قريباً، ولاقرب القرب الذى كان بعيداً. وإخراجه مصدر أبعْد وقرَّب على بُعْد وقُرب، وإنما مصدراهما إبْعاد وتَقْريب. على قوله تعالى: «واللّهُ أنْبتكُمْ مِن الأرْضِ نَباتاً»[3] أى: نَبتُّم نباتاً. وكذلك أبعد وقَرَّب، مطاوعهما بَعُد وقَرُب، فأخرج المصدر عليهما، ومثله كثير.

(وأنَّكَ لاتَجودُ عَلَى جَوادٍ هِبَاتُك أن يُلَقَّب بالجَوادِ)

أى لم تترك هباتُك أحداً غيركَ يستحق أن يُلَقَّب بالجواد إذا قيس بك وتلخيص ذلك: أى لاتجود هِباتُك عَلَى أحدٍ بهذا الاسم، وإن كانت لاتمنع غيره من ضروب العطايا، (فأَنْ) عَلَى هذا القول نَصْب بإسقاط الحرف أى بأَنْ يُلَقَّب، وهباتُك فاعل بتجود. ولاتكون التاء فى تجود للمخاطبة وتكون (هِباتك) بدلاً من الضمير الذى فى تجود، ولايجوز ذلك البتة، لأن المخاطب لايُبدل منه البته. ومن

(١) البيتان فى ديوانه فى مدح أبى الفضل بن العميد.
(٢) رواية الديوان «وقُرْب»
(٣) الآية ١٧ من سورة نوح.

هنا منع سيبويه البدل فى قولك: بكَ المسكين مررت[1] . إنما تنصبه علَى الترّحم، أو على نية إِسقاط الألف واللام فى قول يونس، فيكون منصوباً على الحال. وقد كَرِه هو أيضاً قول يونس وقال: ولو جاز هذا لقلت: مررت بعبدالله الظريفَ تريد ظريفاً.

ـ ٢٦ ـ

وله أيضاً[2]:

(إذَا مَاسَتْ رَأَيتَ لهـا ارْتجـاجـاً ... لَـهُ لَولا سَواعـدُها نَزُوعـا)[3]

أى إِنَّها مُنَعمَّةٌ تهتز فى مشيتها: فلولا سواعدها لبزها اهتزازها ثوبها.

(تُرَفِّعُ ثَوبَها الأردافُ عَنْـهـا ... فَيـبقَى من وشَاحَـيهْا شَسُوعا)

أى يرفع ردفُها ثوبَها عن جسمها. والوشاح عن الخصر، فيُبْعِد بينهما وبين الثوب، كقوله:

(أبت الروادفُ والثديُّ لِقُمْصِها ... مَسَّ البطون وأن تمس ظهوراً)[4]

(ذِرَاعَاهَـا عَـدُوَّا دُمْلُجَيْـها ... يَخَال ضَجِيعُها الزَّندَ الضَّجِيعاً)

---

(١) عبارة سيبويه فى الكتاب (٢٥٦:٢) «فإذا قلت : بِيَ المسكينِ كان الأمر أو بك المسكين مررت. فلا يحسن فيه البدلُ. لأنك إذا عنبت المخاطب أو نفسك، فلا يجوز أن يكون لايدرى من تعنى ....»
فى اللسان (سكن) «قال سيبويه: المسكين من الألفاظ المترحُم بها تقول: مررت به المسكين، تنصبه على أعنى وقد يجوز الجر على البدل، والرفع على إضمار هو وفيه معنى الترحم مع ذلك. كما أن رحمة الله عليه وإن كان لفظه الخبر فمعناه معنى الدعاء
قال: وكان يونس يقول: مررت به المسكين على الحال ويتوهم سقوط الألف واللأم وهذا خطأ لأنه لايجوز أن يكون حالاً وفيه الألف واللام. ولو قلت هذا لقلت مررت بعبد الله الظريفَ تريد ظريفا ولكن إن شئت حملته على الفعل كأنه قال: لقيت المسكينَ.

(٢) من قصيدة له فى مدح على بن ابراهيم التنوخى مطلعها
ملث القطر أعطشها ربوعا ... والإفاسقها السُّم النقبعا

(٣) ترتيب هذا البيت فى الواحدى والتبيان قبل البيت السابق.

(٤) انظر شرح الحماسة للمرزوقى (١٢٨٤:٣) وبعده:
وإذا الرياح مع العشى تناوحت ... نبَّهْن حاسدة وهجن غيورا

إن شئت قلت: إنَّ الدُّمْلُجُين يلزمان الذراعين لأنهما عَبْلتان كقوله:

(تجــول خــلاخــيلُ النســاءِ ولاأرى لرَمـلة خَلخــالاً يجــول ولاقُلْبــا)[1]

وإن شئت قلت: إن الذراعين عَدُوًّا دُمْلُجَيهما، لأنهما يُقْصيان الدملجين، ويُشيحانهما[2]، حتى يكادا يكسرانهما. وهو عندى كقول جرير:

(لها قَصَبٌ رَيّــانُ قد شَجِيَــتْ به خلاخيلُ سلمى المصمتاتُ وسُورُها)[3]

سُوْر: جمع سِوار. وكقول القُطامىّ فى صفة امرأة:

* إذا تميلُ على خَلْخالها انفصَمَا[4] *

ويروى: (انقصما). ويقويه: (ذراعاها عَدُوًّا دُمْلُجَيْها)

ولو أراد الأول لقال: سِواراها عَدُوًّا ساعديها.

على أنى لاأُحَجِّر[5] ذلك، لأن العدوّ من باب المضاف فى غالب الأمر أعنى أنك إذا كنت عدواً لشىء كان لك عدواً. فقوله: ذراعاها عدواً دُمْلُجيها كقوله: دمْلُجاها عدوا ذِرَاعَيها.

(يخال ضجيعُها الزندَ الضجيعا): أى زندها عَبْل يظنه الضجيع من عَبالته جسماً.

(أُحــبُك أو يَقُــولوا جَــرُ نَمْلٌ ثَبِــيــراً وابنُ إبْراهيمَ رِيعْــا)

---

(١) من أبيات قالها خالدين يزيد بن معاوية فى زوجه (رملة) بنت الزبير بن العوام كما فى الكامل للمبرد (١:٣٤٨)

(٢) ويشيحانها: أى يدفعانهما ويخرجانهما من مكانهما.

(٣) ديوان جرير (ط. الصادى ص٢٥٣) وهو من قصيدته.

«ألا بكرت سلمى فجد بكورها»

وقال ناشره: المصمت: الذى لايجول. وشجيت به: غصت

(٤) صدره كما فى ديوانه: «خودٌ منعمة تضخ العبير بها».

(٥) فى الخطيتين م،ت «لا أجيز» وهذه لاتوافق قصد المؤلف.

معنى هذا البيت الأبدية؛ أى إنى أحبك حتى يجر النمل ثبيراً. وهذا لايكون عند أحد أبداً. وحتى يقال: ريع ابن إبراهيم، وابن إبراهيم ـ على هذا المنْزَع ـ لايُراع عنده[1].

وقد أحسن فى هذا الاستطراد وإن كان قَرَنَه إمكانياً، أعنى بقوله:

(وابنُ إبراهيم ريع) فتناهى[2] وهو قوله: (أو يقولوا جَرَّ نملٌ ثبيراً)، لكن الثانى عنده فى الامتناع كالأول، وإن كان فى تحصيل الحقيقة ليس مثله، وكذلك حبُّه إياها إلى أن يجر النمل ثبيراً شعرٌ كَذِب.

(ولَيس مُؤَدِّبــاً إلاَّ بِنَصْــلٍ   كَفَى الصَّمْصَامةُ التَّعَبَ القَطيعا)

أى أرهب سيفهُ الناس، حتى ليس تفعل فى أيامه ما تستحق عليه السوط فضلاً عن غير ذلك، فقد كفى سيفُه السوطَ التَّعب. وإن شئت قلت: إنه لايُنزل عقوبة بجبان إلا القتل، لايضربه بسَوْط، فقد استغنى بالسيف عن السوط. وكفى السوطَ التعبَ لذلك.

(فلا عَـزَلٌ وأنـت بـلا سـلاحٍ   لحـاظُـكَ مـا تكُـون بـه مَنِيـعـا)

العَزَلُ[3]: عَدمُ السلاح عامَّة. واللحاظ: جمع لحظة، وقد يكون مصدر (لاحظ)، أى ملكَتْ هيبتُك القلوب، فنظرتك تُغنى عن السلاح، فإنَّ هيبتك إذا نظرت قاتلة لإقدامك، وإن كنت بلا سلاح.

فقوله: (بِلا سلاحٍ) جملة فى موضع الحال، أى فلا عَزَلَ بك، وإن كنت غير متسلح. وقوله: (لحاظك ما تكون به منيعاً) يجوز أن تكون فيه (ما) بمعنى الذى، فيكون على هذا وما بعدها صلة لها. ويجوز أن تكون نكرة بمنزلة شىء، فما

---

(١) أى عند المتنبى لفرط شجاعة ابن إبراهيم.

(٢) يريد أن المتنبى تناهى فى المبالغة بقوله (أحبك أو يقولوا جرّنمل .: ثبيرا) لأنه علّق زوال حبه بما يستحيل عادة، ولكنه قرَنه بأمر غير مستحيل الوقوع. وهو أن يقال: رِيْع ابن إبراهيم. فجائز أن يُراع ابن إبراهيم. ولكن هذا الأمر الممكن في ذاته كان فى نفس المتنبى مستحيلا وقوعه، لاعتقاده كمال الشجاعة فى الممدوح، لذلك كونه الأمر الأول المستحيل وقوعه عادة، ولاتخلو عبارة ابن سيده فى شرح البيت من ضعف وركاكة.

(٣) العَزَل (بالتحريك): قال الواحدى وصاحب التبيان: مصدر الأعزل وهو الذى لاسلاح معه اهـ وانظر اللسان(عزل).

بعدها فى موضع الصفة، لأنها إذا كانت نكرة لزمتها الصفة، كما أنها إذا كانت معرفة لزمتها الصلة. ونظيره فى الوجهين قوله تعالى: (هذا ما لَدىّ عَتِيد)[1].

ويجوز أن تكون (ما) زائدة كأنه قال: لحاظُك تكون به مَنيعاً. ومنيع: يجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، أى ممنوعاً مَحْمياً، وأن يكون فاعلاً ككريم. يقال: مَنُع مناعة فهو مَنِيع كرفُع رَفاعةً فهو رفيع.

(وَجَاوَدَنِي بأن يُعطِي وأَحوِى فَأغْرَق نَيْلُه أخْذى سَرِيعاً)

أى نازعنى الجود: بأن يُعْطى هو، وآخُذ أنا، ولم يكن للمتنبى هنالك جُود، لكن الآخِذ لما كان: يجودُ هذا الجود، صار كأنه جُود[2]. وهو أحسن عندى ممن قال: إن جود المتنبى إنما كان بالأخذ.

ونظير هذا القول الذى ذهبت أنا إليه قوله تعالى: (فَمن اعتَدَى عَليكُمْ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتَدَى عليكم)[3] وليس قتل هؤلاء المأمورين للمعتدين عليهم اعتداء. ولكنها مكافأة اعتداء[4]، فسُمِّى باسم السبب الذى هو الاعتداء. وكقول عمرو بن كلثوم:

ألا لايَجْهَلَنْ أحدٌ علينَا فَنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا[5]

(فأغرق نيلُه أخذى سريعاً): أى مَلِلْتُ الأخذ ولم يَمَلَّ هو العطاء.

(١) الآية ٢٣ من سورة (ق).
(٢) مجاودة على معنى أن أخذى منه كالجود منى عليه.
(٣) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.
(٤) أى مقابلة بمثله وإنما المعتدى هو البادئ بالعدوان.
(٥) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم. قالها بعد قتله عمرو بن هند ملك الحيرة.

-٢٧-

وله أيضاً:

(أحَقُّ عافٍ بِدَمْعِكَ الهِمَمُ   أحدثُ شيءٍ عهداً بها القِدَمُ)[١]

العافى: الدارس. والهِمَم: جمع هِمّة وقد قيل هَمة بالفتح. ولايمتنع أن يكون هِمم جمعاً لهَمّه أيضاً، فقد جاءت فَعْله مكسرة على (فِعَل) كبَدْرة وبِدَر وهضْبة وهِضَب. ومن المعتل، ضَيْعَة وضيَع، وخَيْمة وخيَم.

ومعنى البيت؛ أنه يسفِّهُ الناس فى بكائهم الديار والأطلال إذا عفت، ويقول لهم: أولى عافٍ بدموعكم هممُ الرؤساء فى هذا الزمان، فقد عَفَت حتى صار أحْدَثُ عهدٍ بها قديماً، فما تفضُل هِممُهم عن ملاذِّ بطونهم وفروجهم، فإياها فابكوا لا الديار، فهن أولى بالبكاء عليها منها، لأن الهمة المعدومة أعزّ فقداً من الدار. وإذا كان أحدث عهد بها قديماً، فما ظنك بغير الأحدث.

(مِلْتُ إلى من يَكادُ بينكما   إنْ كُنتما السَّائلَين يَنْقَسِمُ)

يخاطب صاحبه؛ أى آثرت بقصدى وتأميلى من لو سألتماه ولا شيء لديه إلا شخصه لانقسم بينكما شِقَّيْن، اعتيادا للنوال وألا يَرُدَّ ذوى السؤال.

(يُريكَ من خَلْقِه غرائبَهُ   فى مَجْدِه كيف يُخْلَقُ النَّسَمُ)[٢].

إن شئت قلت: إن اللّه لطف خَلقه للنسم كما شاء، حتى دقَّ على الوهم تصوُّرُ كيفيته، ولهذا الممدوح غرائبُ من خلقْه تُوصِّله إلى اقتناء المكارم، تغرُب وتلطُف؛ فمن تأملها، فكأنه قد تأمل خلْق اللّه للنَّسم. وذلك تعظيم لقدر ما يأتيه، لشبهه بخلْق اللّه. تعالى اللّه عن ذلك!

وإن شئت قلت: إنه بحسن أفعاله ويُمنها تحيا النفوسُ، فكأنه بذلك يُحييها وينشئها وليس الخلق عنده فى قوله (يريك فى خلقه غرائبه) الخلق الذى هو

(١) مطلع قصيدة له بديوانه فى مدح علي بن إبراهيم التنوخى (البرقوقى ٤: ٢٢٩).
(٢) هذا البيت مقدم فى شرحى الواحدى والتبيان على سابقه

إيجاد المعدوم، وإخراجه إلى التكُّون، لأن ذلك لايستطيع عليه إلا بارئنا جلَّ وعزَّ، وإنما الخلْق هاهنا: كناية عن الصنْع، وكَنَى عنه بلفظ الخلق، ذهاباً إلى ابتداع هذه الغرائب، وهذا من شديد المبالغة.

وربما كَنَى بالخلق عن الصنع. وبين الخالق والصانع فرقٌ، لايليق إيضاحه بهذا الكتاب والنُّسم: جمع نَسَمَة، اشتقت من النَّسيم، كما اشتق الروح من الريح، والنفْس من النَّفَس.

(تُشْرِقُ أعراضُهم وأوجُهُهُمْ   كأنها فى نُفوسهم شِيَمُ)

لاشىء أصفى ولا أبسط من النور، فلذلك توصف الجواهر الصافية به. وأولى شىء بذلك الأمور النفسانية، لأنها أذهب فى البقاء وعدم السَّرَب[1] من الجسمانية. والشِّيْمة نفسانية، والوجه جسْمانى. والعِرْض: يجوز أن يكون بالجسم، فلم يخلُص إلى النفسانية كخلوص الشيمة، فشبّه أبو الطيب الأعراض والأوجه بالشِّيَم فى الشروق والصفاء، وتناهى البقاء. وإن شئت قلت: وضع هذا الكلام على أنه قد عَلِمَ أنه شِيمَة مُشرِقة علْماً عاماً، وقدّم ذلك لمزيّة الشِّيمة، وهى الطبيعة، على الوجه والعِرْض، فحمل الوجه والعرض بعد ذلك عليها، تشبيهاً لهما بها. والأوْجَه ما قدمناه من أن الشيمة نفسانية، فهى أملك بالصفاء، والوجه والعِرْض جسمانيان، فحملهما عليها.

(كأنها فى نهارِها قَمَرٌ   حَفَّ بها من جِنانِها ظُلَمُ)

شبه البحيرة فى استدارتها بالقمر كقول ابن الرومى يصف رغيفاً:

ما بينَ رؤيتها فى كفِّهِ كُرَةً   وبين رؤيتها قَوْرَاءَ كالقَمَرِ[2]

---

(١) يقال: سَرِب (بكسرالراء) سَرَباً (بالتحريك) أى ذهب ذهابا.

(٢) البيت ثانى أبيات ثلاثة وصف بها ابن الرومى خبازا مرَّبه يَدْحُو رُقاقه وهى:

ماأنس لا أنس خبازا مررت به   يدحُو الرقاقة وشْك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قَوراء كالقمر
إلا بمقدار ماتَنْداحُ دائرة   فى صفحة الماء يُرمى فيه بالحجر

وشبه الجِنان على حافاتها، بالظُّلم من شدة خُضرتها، وذلك لأن النبات إذا اشتدت خضرته ادْهَامّ، كقوله سبحانه وتعالى فى وصف الجنتين (مُدْهامَّتان)(١) وقال الراجز يصف سائمة عَدَت على كلأ ناجم مُخْضر:

فصبَّحَتْ أرْعَلَ(٢) كالنِّقال   ومظلما ليس على دَمال

وقال: (فى نهارها) ليستغرب وجود الظُّلم نهاراً، واختار ذلك لمكان القمر، إذ القمر فى غالب أمره، لايكون إلا مع الليل، وهذه البحيرة بالشام وليست البحيرة تصغير بَحْر، لأن البحر مذكر، فلا تثبت الهاء فى تصغيره، إنما هى تصغير (بَحْرة)! وهو القاع العظيم يُنبت السِّدْرَ، كقول النَّمِر بن تَولَب فى صفة روضة:

وكأنها دَقَرَى تَخَيَّل نبتُها   أُنفُ يغم الضالَ نبتُ بحارِها(٣)

(ناعمةُ الجسمِ لا عظامَ   لها بَنَاتٌ ومالها رَحِمُ)

وصفَ جسمَها بالنَّعمة لأنه ماء، والنعْمة إنما تكون فى النامى، وهما الحيوان والنبات، وأما الماء؛ فلا يَقْبل نماء. وإنما كثرته بعد القلّة كمِّيّة لاكيفية. لكن لما كان الناعمُ صافى البشرة، وكان الماء صافياً، استعار له النعمة، كما يقال فى البرود ذوات الدُّرر والفرائد: ناعمة. وإنما هو على الاستعارة.

(لها بنات وما لها رَحِمُ): أغرب بذلك؛ لأن البنات مولودة، ولاتلد إلا الرحم، فهذه ذات بنات بغير رحم ولدتهن. وعنى بالبنات: سَمَكَهَا؛ كأنه لما ربِّين فيها واغتذَين، صرن لها بنات.

---

(١) الآية ٦٤ من سورة الرحمن.

(٢) هذه رواية اللسان (دمل) وفى مادة (رعل) فى اللسان: قال: ويروى أيضا (تربعت أرعن كالنِّقال) ويقال نبت أرعل طويل مسترخ
والدَّمال (كما فى اللسان): السِّرجين ونحوه. يقال: دَمَل الأرض وأدملها: أصلحها بالدَّمال. وفى المعجم الوجيز: السُّرجين: الزِّبل. وسرجن الأرض: سمَّدها بالزِّبل.

(٣) البيت فى اللسان (دقر) وقبله بيت آخر للنمر بن تولب ثم قال صاحب اللسان: (تَخيَّلُ أى تَتَلوَّن بالنَّور فتريك رؤيا تُخيِّلُ إليك أنها لون، ثم تراها لونا آخر. ثم قطع الكلام الأول وابتدأ فقال: نبتها أُنف مبتدأ وخبر والأُنُف: التى لم تُرع . ويَغُم : يعلو ويستر يقول: نبتها يغُم ضالَها والضَّال: السِّدر البرى والبحار: جمع بَحْرة، وهى الأرض المستوية التى ليس بقربها جبل. والدقر: الروضة الحسناء وهى الدقرى."

وإن شئت قلت: إن الماء للسمك كاللبن للمولود. فلما غذّتها هذه البحيرة بما فيها، صارت كالوالدة المرضعة. وقد ألَمَّ المتنبى فى هذا بقول ابن الرومى يستهدى سمكاً:

(وبناتُ دِجْلة فى قبائِكُمْ ... مأسورةٌ فى كل مُعْتَرَكِ)

إلاّ أن المتنبى زاد عليه بقوله: (وما لها رَحِمٌ)، فأغرب.

(يُبْقَرُ عَنْهنَّ بطنُها أبَداً ... وما تَشكَّى وما يسيلُ دمُ)

يُحاجى بذلك، لأن شق البطون الحيوانية يُشْكِى ويُدْمِى. وهذه البحيرة يُشق بطنها عن سمكها، فلا تشتكى ولاتَدْمى بعدمها الحيوانية.

(وقد توالى العِهَادُ منه لكُمْ ... وجَادَتِ المَطْرةُ التى تَسِمُ)

الوسمى: أول المطر، لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. والعَهْدة: المَطْرة تأتى بعد الوَسْمِىّ، تعهد الأرض بالنبات.

واعتيادُ الشعراء الاعتداد على الملوك بتكرر مدحهم فيهم، وتمهيدهم بذلك الحقوق لأنفسهم عندهم، كقول أبى تمام:

(لها أخوات غيرُها قد سمعتَها ... وإن لم تَزِغْ بى مُدّة فستسمع)[1]

فيقول: هذه القصيدة الثانية من جملة العهاد التى تتعهد الأرض، وأما القصيدة الأولى التى كانت كالوسمىّ فقد جادَتْ.

---

(١) من قصيدة أبى تمام فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى (ديوانه٩٧).

وله أيضاً:

دارُ المُلِمِّ لها طَيْفٌ يُـهـــــدِّدُنِى ليلاً فما صدقت عينى ولا كَذَبَا[١]

أى يهددنى الطيفُ بالهجر؛ كما كانت رؤيته تفعل فى اليقظة، والحُلْم جارٍ على عاداته فى اليقظة، فما كذَب الطيفُ فيما تَهَدَّدَنِى به، لأن الهجرَ واقع. وما صَدُقت عينى فى رؤية الخيال، لأنه زور لاحقيقة. والألف واللام فى (الملم)[٢] للمرأة، والفعل للطيف ولها. واللام فيها للاستحقاق لا للملك لأن الطيف غير مملوك، وإنما هى مستِحقُّه له من حيث كان إياها فى المعنى.

(عُـمْـرُ العَـدُوِّ إذا لاَقَـاه فى رَهَجٍ أقلُّ من عُـمْـرِ مـا يَـحـوى إذا وَهَبَـا)

ليس الموهوب بمحوىٍّ فيصح قوله: أقلّ من عمر ما يَحْوِى إذا وهبا، لأن ما فارقه بالهبة، فليس فى ملكه، وإنما عَنى: إذا أراد أن يهب. فاكتفى بالمعلول الذى هو الهِبةُ عن العلَّة التى هى الإرادة.

(وَتغبِطُ الأرضُ منها حَيث حَلَّ به وتَحسُدُ الخيلُ منها أَيُّها رَكِبَـا)

غـبطتَ الرجلَ: إذا تمنيتَ مـثلَ مـالَه من النعـمـة، ولم تُرد زوالهـا عنه. وحسدتَه: إذا تمنيت مالَه بزواله عنه. فجعل الأرض تَغبطُ، لأنها جِرْم واحد متصل. والذات الواحدة لايريد بعضها ببعض كراهة، وجعل الخيل تحسُد لأنها جمع غير متصل الأجزاء، ولامُتداخلها وإنما هى أشخاص مفترقة، إنْ ضمها نوع فهى متغايرةٌ بالشُخْص، ومشتركةٌ بالنوع، والأشخاص متشاكلة ومتعادية. فمن المألوف أن يُحِبُّ بعضها بعضاً.

و(أيُّهَا)[٣]: منصوب بركب، ولايكون بتحسد، لأن الاستفهام لايعمل فيه ماقبله إلا أن يكون حرف جَرٍّ.

---

(١) من قصيدة له بديوانه (بيروت٩٧. والبرقوقى١: ٨٠) والواحدى١٥٤.

(٢) (أل) إذا دخلت على الأسماء المشتقة فهى اسم موصول وصلته الاسم المشتق الذى بعده، كأنه قال: دار الزائرة التى ألَمّ بى طيفها.

(٣) يريد أن (أىّ) اسم استفهام لايعمل فيه ماقبله، وإنما يؤخر عنه عامله. لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة فى جملتها.

(بكُلِّ أَشْعَثَ يَلقَى الموتَ مُبتسماً حتى كــأن له فى قــتله أرَبَـا)

أى أنه يستبشر بالنية إذا كانت فى سبيل المُعَالاة[1]، لأن ذلك يُعقبه[2] ذكراً رفيعاً، ومثله كثير، كقول الشاعر:

(إذا قــتلوا أقــرانَـهم لَـم يَدُوهُــم[3] وإن قُــتِلُوا لم يقـشـعِـرُّوا من القـتلِ)

إلا أن أبا الطيب أغْربَ بقوله: (مبتسماً)، فهو أبلغ فى قلة المبالاة بالمنية من قوله: (لم يقشعروا). وقال أبو تمام:

يَسْـتَـعـذِبُـون مناياهـم كـأنهـمُ لايَيْـأَسـون مـن الدنيـا إذا قُـتِلُـوا[4]

إلا أن الابتسام أبلغ من الاستعذاب، لأن الابتسام مُشعِرٌ بلذة نفسانية.

-٢٩-

وله ايضاً:

(بأَبى الشُّموسُ الجانحاتُ غَواربًا اللاَّبِسَاتُ من الحرير جَلاَبِبَا)[5]

الشموسُ هنا: النساء. والجانحات: الموائلُ للغروب. فإن شئت قلت: إنه شَبَّهن بالشموس فى هذه الحال، لأنه لقيَهُنَّ، فأظهرن الخَفَر، أو خَفَرْن فَستَرْن بعضَ محاسنهن، وأبقين بعضا: إما للمُباهاة، وإما لأنهن لم يمكنهن إلا ذلك، فجعلهن كالشموس التى أخذت فى الغُروب، فخفى بعضها، وبقى بعضها، كقول قيس بن الخطيم:

تَراءَتْ لنا كالشَّمس تحت غمامة بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ[6]

---

(١) المعالاة: المنافسة فى العلوّ.

(٢) أى يورثه.

(٣) فى الخطيتين: «يروهم».

(٤) البيت فى ديوان أبى تمام (ص٢٠٣ ط بيروت) وهو من قصيدة له فى مدح المعتصم

(٥) مطلع قصيدة له بديوانه فى مدح على بن منصور الحاجب (ديوانه ص١٠٩).

(٦) ديوان قيس بن الخطيم وفيه «تبدّت» مكان «تراءت» ويروى كذلك فى أشعار العرب ص١٣٣. وفى كتاب الزهرة للأصفهانى (١: ٧٦)

وإن شئت قلت: إن هؤلاء النساء غِبْن فى الخدُور والهوادج، فكأنهن شموسٌ غوارب. هذا قول أبى الفتح، وليس عندى بقوىّ، لأنهن إذا غِبْن فى الخُدور والهوادج، فهنَّ غير محسوسات، والشمس إذا جنحت للغروب فبعضها محسوس، وبعضها غير محسوس. ولم يقل الشاعر: بأبى الشموسُ غوارباً فيُتَأول عليه أنه عنى النساء اللواتى أخفتهن الخدور، وإنما قال: الجانحاتُ، والجنوح لايقتضى كُلِّيَّة الغروب.

فإن قلت: فقد قال: (غوارباً)، فأشعر ذلك بغروب كُلىّ، قلنا: قد أثبت الجنوحَ قبل ذلك. وإنما قال: غوارباً، وهو يذهب إلى أنها آخذة فى الغروب ولَمَّا تَغربْ بعدُ. كقولهم فى العليل إذا يُئِسَ منه: هو ميِّتٌ؛ وإن لم يُمتْ بعدُ. وقد يجوز أن يُوقع غوارباً على الكُلِّ حين غَرب الجزء تجوزاً لاحقيقة.

-٣٠-

وله أيضاً:

(سَلامٌ فلولا الخوفُ والبخلُ عِنْده

لقلتُ أبو حفص علينا المُسَلِّم)[1]

أى إنى ارتحت بسلام هذا الطيف علىَّ، كارتياحى بسلام هذا الممدوح، فكأن سلامه علىّ تسليم أبى حفص علىّ. لكن الفرق بين الخيال وتسليم أبى حفص أن تسليم[2] الخيال يتخلله البخلُ بتمام الوصل وتحقيقه، والخوف من فراقه، وألَم معاتبته علىّ بطعم الغُمْض[3] بعده. فتسليمه كَدِرٌ بهذه الآفات، وتسليم أبى حفص لايلحقه بخلٌ ولاخوفٌ، بل هو الشرف السابغ الهنىء.

(وأغْربُ مِن عَنقاءَ فى الطيرِ شَكْلهُ وأعْوزُ من مُستَرْفِدٍ منه يُحرَمُ)

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (بيروت ص١١٤) وهى فى مدح عمر بن سليمان الشرابى وكان يتولى يومئذ الفداء بين العرب والروم ومطلعها:

نرى عظما بالصد والبين أعظم ونتّهم الواشين والدمع منهم

(٢) فى (ت): «سلام»

(٣) الكلمة سقطت من (م).

ليس الشكل هنا: الصورة لأن صورته موجودة، وعنقاء مُغْرِب معدوم البتَّةَ. فلا يقال فى موجود إنه أغربُ من معدوم. والشكْل هنا: المِثْل، أى إن شكْلَه[1] اسمٌ واقع على غير مُسَمًّى، إذ لاشكل له، كما أن العنقاء[1] اسم لغير مسمى. وإنما يوجد الشكل ملفوظاً به فى نفى الشكل عنه، أعنى فى قولك: ماله شكلٌ، فتفهَّمْه، فإنه معنى منطقىّ.

(وأعوزُ من مُستَرْفدٍ منه يُحرم): أى أن نظيره عُدم، كما أن مسترفداً منه محروماً عُدِم.

وقال: (أعْوز) وإنما هو أشد إعوازاً، لأنه جاء به على حذف الزائد. هذا قول أبى الفتح. وليس على حذف الزائد كما قال، لأنه يقال: عَازَه الأمر وأَعْوَزَه. فأعوز فى بيت المتنبى على (عَازَ)، لا على (أَعْوزَ).

وإنما يتوهم حذف الزائد إذا لم يوجد عنه مندوحة، كقولهم: ما أعطاه للدرهم وآتاهُ للجميل وأولاهُ للمعروف، فإن هذه كلَّها على حذف الزائد. والمسترفِدُ: طالب الرِّفد، لأن باب استفعل فى غالب الأمر، إنما هو للطَّلب والمحاولة، كاستخرج واستَسْمن واستَجاد.

قال سيبويه: وقالوا مرٌّ مستعجلاً، أى مرٌّ طالباً ذلك من نفسه، متكلفاً إياه.

- ٣١ -

وله أيضاً:

(أركائِبَ الأحبْابِ إنَّ الأدْمُعَا تَطِسُ الخُدودَ كما تَطِسْنَ اليَرْمُعَا)[2]

أى أن الدمع يؤثر فى الخدود تأثيركُنَّ فى اليَرْمع[3]، وهو الكَذَّان.

وتَطِس: تَكْسِر، وليس هناك كَسْر، إنما بالغ فى التأثير، فكَنَى عنه بالكسر، للتكثير.

(١) - (١) مابين الرقمين وهو قدر سطر ساقط عن (ت)
(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (بيروت ١١٧. البرقوقى ١:٤٢٥. العكبرى ٢:٢٥٩)
(٣) واليرمع: حجارة بيض صغار رخوة. والكذان : الحجارة التى ليست بصلبة (اللسان . كذن)

(نُظِمَت مـواهبـهُ علَيـه تَمَـائِـمـاً فـاعـتـادَهـا فـإذا سَـقَطْنَ تَفَـزَّعَـا)

أى اعتقاده فى مواهبه أنها تقيه الذأم[1] كاعتقاده فى التمائم أنها تقيه السوءَ، فإذا خلا منهن تفزَّع، كفَزَع ذى التمائم إذا سقطت عنه. وإنما ضرب ذلك مثلاً. ولو قال: فلو سَقَطْن تَفزَّعاً: لكان أشبه بالمعنى، لأن قوله: (فإذا) يُشْعِر بسقوطهن فى بعض الأوقات، لكن سقوطها إنما يكون لعدم مالٍ أو انقطاع سؤالٍ، فهذا توجيه: (فإذا سقطن)، و(تمَائماً). منصوبة على الحال، وإن كانت اسماً، لأن فيها معنى حَوَارس، وقد يكون الاسم الجامد حالاً، على توهم الصفة، كقوله تعالى: (هَذِهِ نَاقَةُ اللّه لَكُمْ آيةً)[2]. قال سيبويه: (وسمعنا من العرب من يقول: العجبُ من بُرٍّ مَرَرْنَا به قبلُ، قفيزاً بدرهم قفيزاً بدرهم[3] فقفيزاً بدرهم حال، وهذا واسع كثير.

(يَهـتـزُّ للجَـدْوى اهـتـزازَ مُـهنَّدٍ يَوم الرَّجـاءِ هَزَزتَه يَومَ الوغَىَ)

أى اهتزازُه للعطايا والجَدْوَى، اهتزازُ السيف عند الوَعَى، والوعى: صوت الحَرْب. والغين[4] أعلى فى الحرب. وإنما الوَعَى والوغَى: الصوت، فسميت الحرب بهما لمكان الصوت.

-٣٢-

وله أيضاً:

(وربيـعـاً يُضـاحكُ الغَـيثُ فـيـه زَهَرَ الشُّكْرِ من رِياضِ المـعَـالِى)[5]

أى أنه مَظنَّة للنعم، وأهل لوافر القسم، كما أن الربيع مظنة للخِصب وزمن للإمراع، مع مافيه من الاعتدال، وتساوى الأحوال. فلذلك سمى هذا الممدوح ربيعاً. أى أنه مشتمل على النعم المَرْبُوبَة بالشكر كاشتمال زمن الربيع على

(١) الذأم والذأن: العيب.
(٢) الآية ٦٤ من سورة هود.
(٣) انظر الكتاب لسيبويه(١:١٩٨).
(٤) فى اللسان (وعى): الوعَى والوغَى (بالتحريك) الجلبه والأصوات. وقيل: الأصوات الشديدة. والوعَى كلها: الصوت، اهـ. ولكن الأشهر فى أصوات المحاربين (الوغَى) بالغين.
(٥) من قصيدة للمتنبى بديوانه (بيروت١٢٢. والبرقوقى ٢:١٣٧) والتبيان (٣ : ١٩٥) ومطلعها:
صلة الهجر لى وهجر الهلال نكسانى فى السقم نكس الهلال

ضروب النَّواوير، وأنواع الأزاهير. وقوله: (يضاحك الغيث فيه): عنى بالغيث النَّعمة. وجعل الشكر زَهرا، لأن النعمة هى التى أنبتت الشكر، كما ينبت الغيثُ الزَّهر، فهذا الممدوح كلما أُنْعِمَ عليه شكَر. وإذا كان غيث وزهر، فلابد من روضة، وهى الأرض. التى تنبت الزهر، وكل ذلك مستعار.

(والجِرَاحَاتُ عِنْدَه نَغَماتٌ سَبَقَتْ قبل نَيْلِه[1] بسؤال)

من طبيعة الكريم، أن يبادر بالنوال من غير أن يُحوِجَ إلى السؤال، لأن فى ذلة السؤال مالا يفى به فضلُ المسئول. فإذا كان نَدًى من غير مسألة فهى اليد البيضاءُ التى لم يَشِنْها تكدير، ولاخالطها تَنْغِيص. فإذا سبقت المسألةُ نَوالَ المسئول الكريم، سُرَّ بذلك سروراً مشوباً بالكراهية، إذ طبيعته إيثارُ الجودَ قبل السؤال، فَنَغمات السائل عنده، كالجراحات التى تُصيب الشجاع فَتَسرُّه من جهة الثبات، سروراً يخالطه الكراهية، لما يلحقه من الألم. وإن شئت: لم تمثِّل ذلك بجراحات الشجاع، وقلت: إن نغمات سائله جراحات عنده تؤلمه، إذ لم يكن نيله له من غير سؤال.

(وَبقَايا وَقَاره عافَتِ النَّا سَ فصارتْ رَكَانةً فى الجِبالِ)

كأنه استبدَّ بالوقار أجمع، إلا أنَّه بقيت منه بقية، فتلك البقية عافت نوعَ الإنسان، لِمَا رأته به من قلة الاحتمال لها، والعجز عن الاستقلال بها، لضعف مُنَّته، وَوَهْيِ قوته. فعدلت إلى أجسم الجواهر الأرضية، وهى الجبال، إذ لم تجد جوهراً يستقل بها إلا إياها.

وإن شئت قلت: إن لوقاره (هَيُولَى)[2] خُلِق منها فما فَضَل من تلك الهيولَى يكون رَكانةً فى الجبال. وهو قريب من القول الأول.

(واستعارَ الحديدَ لوناً وأَلْقَى لَونَه فى ذَوائبِ الأَطفالِ)

---

(١) فى الديوان (سيبه) مكان (نيله)

(٢) الهَيُولى: لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة التى تتكون منها أجسام الأشياء، وهى من اصطلاحات الفلاسفة وأصحاب المنطق (انظر تعريفات الشريف الجرجانى ١:١٩٨).

الحديد هنا: كناية عن السيوف والأسنة والنِّصال، ولونهن الغريزى: البياض، لكن استعارت لوناً غيره، وهو إحمرارُها بالدم، ولذلك جعله مستعاراً، لأنه لون غريب. إنما هو لمكان الدّم الذى صَبَغها به، فيقول: لما صَبَغ سيوفه ورماحه بالدم، أشَاب بأهوالها الأطفال. فكأنهنّ لما استعارتْ غير لونها، أعارت لونها ذوائبَ الأطفال. وكان لونها قبل ذلك السواد. كما كان لون السيوف البياض قبل ذلك.

- ٣٣ -

وله أيضاً:

(أَسَفِى على أَسَفِى الذّى دَلَّهْتِنِى　　عَن عِلْمِه فبه علىَّ خَفَاءُ)[١]

ليس يأسف فى الحقيقة على الأسف، إنما يأسف على تمييزه الذى كان يَعْقِل به أسفَه. فحقيقة الكلام، أسَفِى على عَقْلى الذى كنت أُحصِّل به أسفى.

(فبه علىّ خفاء): أى إنكِ قد دلَّهتنى حتى ما أشعر بأسَفِى.

وقد كان ينبغى له أيضاً أن يذهب عليه، لو كان مُدَلَّها، أسفهُ على هذا الأسف، إلى ما لانهاية له، لكن هذا مَقْطع شِعرى[٢] فلا تَتَقَصَّيَنَّ بالمنطِق، فيفسد. وما أحسن هذا المثل العامىّ، الذى هو قولهم: الاستقصاء فُرْقَةٌ[٣]، ولاتستخِفَّنَّ بذكر هذا المثل؛ فقد ذكره أبو نصر الفارابى[٤] فى باب من البُرْهان[٥].

(وشَكِيَّتى فَقْدُ السَّقَامِ لأنَّه　　قَد كانَ لمَّا كانَ لى أعضاءُ)

---

(١) من قصيدة له بديوانه (بيروت١٢٥) وهى فى مدح أبى على هارون بن عبد العزيز الكاتب مطلعها:

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء　　إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(٢) فى ت «تقطيع شعرى» يريد أن تعبير الشعراء لايحتمل تطبيق حدود المنطق الدقيقة.

(٣) يريد أن الاستقصاء والمبالغة فى تعداد المآثر والعيوب، يؤدى إلى تباين وجهات النظر وافتراق المتجادلين فيها، فلا يحترم بعضهم لبعض رأيا. وانظر الميدانى (مجمع الأمثال ١:٣٥٧).

(٤) هو أكبر فلاسفة المسلمين له تآليف فى المنطق والعلوم الفلسفية والموسيقى توفى سنة ٣٣٩هـ (عن ابن خلكان).

(٥) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات (انظر تعريف السيد الشريف الجرجانى).

وهذا البيت أيضاً يشبه الأول: لما لم يَشْكُ فقدَ السقام لأنه مكروه، والمكروه لايستوحِش أحدٌ من فقده، ولكن شكا فقد أعضائه، لأن السَّقام عَرَض والعَرَض لايكون إلاَّ فى الجواهر؛ فإذا عَدِم أعضاءَه فقد عَدِم السَّقَام. وإنما شكا فى كُلٍّ الأكبر، واستسهل الأصغر[1].

(فتَبيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً فى نِيِّهَا[2]   إسْآدَهَا فى المَهْمَهِ الإنْضَاءُ)

الإسْآد: سرعة السير، وقيل: سير الليل. والنِّىّ: الشحم. وتقدير البيت: فتبيت تُسْئِد مُسْئِد الإنضاء فى نيِّها إسْآدَها فى المَهَمه. والإنضاء: الهزال. أى أن الإنضاءَ الحادث عليها من التَّعب، يُسئِد فى نيِّها أى يَسرِى فيه مُسرعا، فيأخذ منه، كما تُسئِد هى فى هذا المهمه الذى تقطعه. يقول: يأخذ السيرُ من جسمها كأخذها هى من المهمه، فقد أفناها السَّيرُ كما أفنت هى المهمه، فلم يبق من جسمها شىء، كما لم يبق من المهمه. فمسئداً فى اللفظ حال من الضمير الذى فى تسئد، وهو فى الحقيقة للإنضاء والإنضاء: فاعل بقوله: مُسْئداً.

وتحقيق الحال فى ذلك، أن يقول: فتبيتُ تُسئد، والإنضاء مُسئدٌ فى نيِّها، والعائدُ إلى الضمير الذى فى تُسئِدُ من هذه الحال اللفظية، ما فى نِيِّها وإسآدها من الضمير.

وتقدير لفظ البيت، على ما صوَّرته لك يُؤَدِّيك إلى حقيقة إعرابه، لكنِّى ذهبتُ إلى التبيين.

(وَكَذَا الكريمُ إذا أَقَامَ بِبَلْدةٍ   سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ المَاءُ)

(١) أى فى كل من البيتين الآخرين عبرّ المتنبى بلفظ لم يقصد معناه الظاهر وإنما جعله كناية عن معنى آخر. فأظهر فى البيت السابق أسفه على فقده الأسف. وهو يقصد أسفه على فقده العقل والتمييز الذى كان يدرك به معنى الأسف. وفى هذا البيت يشكو فقد السقام، وهو يقصد فقد الأعضاء التى كان يحل بها السقام. وقد وصف ابن سيده المعنى الظاهر فى البيتين بالأصغر والمعنى المقصود بالأكبر.
ولايخفى مافى عبارته الأخيرة هنا من إيجازٍ مرهق.

(٢) فى اللسان (نوى) النِّى (بالكسر): الشّحم والنَّى (بالفتح): المصدر.

أى أنه يَبُثُّ الذهب ويصرفه فى كل وجه، فكأنه بكثرته يَسيل ويُمَاعُ، حتى يخجل الماء من كثرته، فيقف حائراً. يقال: قام الماء: إذا جَمَد فلم يسل. ومنه قوله تعالى: (إلاَّ ما دُمْتَ عَليه قَائِماً)[1] أى ثابتاً غير منصرف، ألا ترى قوله بعد هذا: (جَمَد القِطَارُ...)[2] وإن شئتَ قلت: يَخْجل القطر من سيلان الذهب،، فيعود سيلانه ـ بإضافته إلى سَيَلان الذهب ـ جُموداً، إلا أنه يجمد عن السَّيَلان.

(مَنْ يَهتَدِى فى الفِعل مالا يَهْتَدى فى القَول حتى يَفْعَلَ الشُّعَراءُ)

أى هو من يَهتدى فى الفعل إلى مالا يهتدى إليه الشعراء فى القول حتى يفعل. يقول: ذهنهُ فى الفعل أنْفذ[3] من أذهان الشعراء فى القول، فإذا أغربوا فى مدحه لم يك ذلك الإغراب من غوص أذهانهم على المعانى. إنما نظروا إلى فعله الذى غاص عليه هو بذهنه. فاهتدوا إلى القول بما رأوه من فعله.

ولولا ذلك لم يهتدوا، فإذا فعَل[4] تعلموا وصفه من فعله.

(مَنْ نَفْعهُ فى أن يُهاجَ وضُرُّهُ فى تَركِه لَو تَفْطن الأَعداءُ)

إنما جعل نفعه فى أن يُهاج، لأنه إذا هيج أوقع بالأعداء، فأغار وغَنِمَ، وأثرى، واتسعت كفُّه للجود. وتلك بغيته من الثروة. وضرُّه فى تركه أى إذا سُولم سَالَم، وهو فى ذلك يجود بما عنده حتى ينفَد، فلا يجد ما يجود به. فهذا وجه ضُرِّه فى تركه.

وإن شئت قلت: البأس وحبُّ الحرب فى طبيعته، فإذا هيج مُكِّن بما فى طبعه، والإنسان ينفعه تحريكه[5] إلى مافى سَجيَّته، لأن فى ذلك كل بلوغ أمنيته،

---

(١) الآية ٧٥ من سورة آل عمران.

(٢) البيت بتمامه:

جمد القطار ولو رأته كما ترى بهتت فلم تتبجس الأنواء

(٣) فى ت «ينفد».

(٤) مكان كلمة (فعل) مطموسة فى الخطيتين ولعلها ماأثبتناه.

(٥) فى نسخة ت (التحريك).

وضرُّه فى تركه: أى أنه مُشْتَه للقتال بطبيعته، فإذا سُولم اشْتَاق إلى مشاهدة مافى طبعه، فضرُّه شوقه إلى ذلك إذا لم يمكنه مشاهدته، كقوله هو:

(فـلا تُبلِغَـاهُ مـا أقُـول فـإنه   شُـجـاعٌ مـتى يُذكـر له الطعنُ يَشْـتقِ)[1]

والقول الأول عندى أحسن، لقوله بعد هذا:

(فـالسِّلْمُ يكسِـرُ من جَنَاحَىْ مَـالِه   بِنَوالِه مـا تَجْـبـرُ الهَـيْـجـاءُ)

أى إنه يجود بماله فَيُثْلَم، ثم يُغير فَتَجبرُ الهيجاءُ ما انثلم، ثم يسالم فيعود إلى طبعه الأول من الجود، فكلما هاضت السِّلم ماله جَبَرتها الحربُ، وبالعكس، أى كلما جَبَرتْه الحربُ هاضته السِّلم.

(يا أيُّـها المُـحْـيَـا[2] عَليـه رُوحُـه   إذ لَيْس يَأْتيـه لَهَـا اسْـتِـجـداءُ)

(أحيا عليه روحه): بأنه لم يستوهبه ولو استوهبه لأعطاه فعُدم، فإن لم يستجده روحه كان ذلك أحْيَالَه. وعَدَّى (المُحْيَا) بعلَى، لأنه فى معنى المحبوس عليه روحه.

(احْـمَـدْ عُـفَـاتَكَ لافُـجِـعْتَ بفـقْدِهم   فَلَتَـــرْكُ مـالم يَـأْخُـذوا إعْطَاءُ)

يقول: احمدهم على أن لم يستجدُوك رُوحَك، إذ لو استجدوك إياه، لحثَّك طبع الكرم والسخاء على هبته لهم، فقد استوجبوا أن تَحمدهم على ترك هذه الروح لك، لأنه عَطاءٌ منهم لك، كما ينبغى لهم أن يحمدوك عَلَى ما أعطيتهم من مالك، فهم يقتضونك الشُّكْرَ على عطائهم، كما تقتضيهم أنت إياه على عطائك، لأن المعطَى بطبيعته يجب أن يشكر. فأعطِ من نفسك أيها الممدوح، كما تطلب من غيرك. بل أنت أولى بشكرهم، لأن الذى تركوا لك، وهو الروح، أنْفسُ من الذى أعطيتَهم، وهو المال.

---

(١) البيت من قصيدته «لعينك مايلقى الفؤاد ومالقى» وفى التبيان (٢:٣٠٤) «متى يذكر» بالبناء للمجهول وهى أولي.

(٢) رواية التبيان (المُجَدى) بصيغة اسم المفعول، أى الموهوب له روحه.

وقوله: لافُجِعْتَ بفقدهم: إنما حد الصنيعة أن تُشكر[1] لأنها إذا شُكرت حَيِيت وإذا كُفِرَتْ ماتت، لأن كُفْرها له سترٌ.

فيقول: لاماتت صنائعك عند عُفاتك بكُفْرها وقِلَّة شكرها . دعا بذلك له. وإن شئتَ قلت: لافُجعت بحمدهم: أى لافارقتك المروءة، فيفضِى بك فراقها إلى ضد حَمْدِ عُفاتك لك.

(لا تَكْثُــرُ الأَمْــواتُ كَــثْــرةَ قِلَّةٍ إلاَّ إذا شَــقِــيَتْ بكَ الأحْــيَــاءُ)

أى أن الأموات أقلاَّء، حتى تعود فيهم، فيكثرون حينئذ.

وقوله: (إلاَّ إذا شَقِيتَ بك الأحياء): جَمْجَمةٌ[2] عن قوله: إلاَّ إذا مِتَّ، أى فإذا مِتَّ وشقيت الأحياء بفقدك، قَلَّت الأحياء، وكثرت الأموات. وقال: كثرة قِلَّةٍ: لأنَّ الأموات وإن كثرت أعْدادُهم، فهم قليل لَعَدمِهم للغنَاء، وأخذهم فى الفَنَاء.

وإن شئتَ قُلت: كثرَة[3] قلَّةٍ: أى كثروا بك وأنت واحد، والواحد قليل، فتكثُّرهم بك تكثُّر قلَّة[3].

وقد يتجه هذا البيت على معنى آخر، وهو أن الأحياء إنما ينالون الحياة بِنَدَاه، فإذا عُدِمَ بالموت، مات الأَحْيَاء الذين كانوا يتعيَّشون بذلك، فكثرت الأموات بموت هؤلاء الأحياء بعده.

وقد يجوز أن يعنى بالأحياء هاهنا أعداءَه. يقول: لاتكثر الأموات إلا إذا ضاربتك أعداؤك، فَغَلَبْتَهم وقتلتهم، فحينئذ تكثر الموتى بهم. وشَقَاءُ الأعداء به قَتْلُهُ إياهم، وقال: كثرة قلة: لأن ما يدخل تحت الفَنَاء قِلةٌ فى الحقيقة. ودل ذلك على أن أعداءه كثير. والقولان الأولان عندى أوجه.

أخبرنى بعض أهل بغداد، أن الممدوح بهذه القصيدة أدركته الوفاة بعد إنشاد المتنبى إياه هذا الشعر بأيام قليلة، فكان يتقلب على فراشه ويردد هذا البيت الذى فسرناه.

---

(١) الكلمة ساقطة من م.

(٢) فى الأصلين (حمحمة) بحاءين. ولايناسب المقام. والجمجمة (بالجيم) .: ألاَّ يبين كلامه من غير عيٍّ.

(٣) - (٣) مابين الرقمين وهو قدر سطر سقط من ت.

(أَبدأْتَ شَـيـئـاً مِنكَ يُعـرف بَدؤُهُ   وأَعَـدْتَ حـتَّى أُنـكرَ الإبْـداءُ)

أى أعَدْتَ أعظم مما بدأت به، حتى نسى المبدأُ به بالإضافة إلى المُعاد.

وإن شئت قلت: أعادَ المعروف كثيراً، حتى صار كأنه لابَدْءَ له.

(لَم تُسْمَ يا هَارونُ إلا بعدما اقْـ   ـتَرعَتْ ونَازَعتِ اسْمَكَ الأسماءُ)

أى تَنافَسَتْ فيك الأسماءُ، رغبة فى الشرف بذاتك، وتَغَالَبَتْ فَلجَأَتْ إلى الاقتراع ففاز هذا الاسم وهو ـ هارون ـ بك. وتقديره لم تسْم هارون يا هارون فاكتفى من ذكر المفعول الثانى بقوله: يا هارون، لأن نداءه إياه به دليل على أنه اسمه. وهذا من أحسن الحَذْفِ وأوجزه.

(فَغَـدَوتَ واسمُـكَ فيـكَ غيرُ مشاركٍ

والنـاسُ فِيمَـا فـى يـدْيـكَ سَـوَاءُ)

أى لم تُسْمَ بغير هذا الاسم من الأسماء التى نازعته فيك، والناس فيما فى يديك سَواء: أَى أنه وإن لم تشترك فيك الأسماء فالناس مشتركون فى مالك شِرْكَ تساو(١).

(وَلَجُدتَ حَتَّـى كِدْتَ تَبْخَـل حَائِـلاً

للمُنْـتـهى ومِـن السـرور بُـكـاءُ)

إن شئت قلت: بلغ جُودُك الغاية. ومعروف أن الشىء إذا انتهى انعكس ضدًا فكذلك جودُك، لما انتهى فلم يك مزيداً، كاد أن يستحيل بخلاً. وقوله: ومن السرور بكاءُ: [أى](٢) أعلمت أن الشىء إذا انتهى عاد إلى ضده كالسرور إذا أفرط كان بكاء. وقال: (كدت تبخل)، ولم يقل: حتى بَخِلْت، استقباحاً منه أن يُوجب عليه البخل.

---

(١) (شرك تساو): الشرك والشركة بمعنى (القاموس). وكلمة (تساوٍ) ساقطه من ت.
(٢) [أى] زيادة ليست فى الأصلين. وبها يستقيم المعنى.

وإن شئت قلت: تَنَاهَيْتَ فى الجود، فبخلت أن يُشاركك أحدٌ فى اسمه، فحال الجودُ بخلا، كما يحول السرورُ بكاء.

والقول الأول عندى أوجه، إذ لو كان على القول الأخير، لم يكن لـ (كِدْت) معنى لأنَّه نُقصانٌ من مدحه، إذ بُخْلُه بأن يُشَارَك فى اسمه الجود غيرُ مذموم. وأما فى القول الأول فالبخل[1] المطلق مذموم. فتفهَّمْه، فإنه جيد لطيف.

وقوله: للمنتهى: أى من أَجل الانتهاء.

(لَمْ تَحْكِ نائلك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فَصَبِيبُها الرُّحَضَاءُ)

الرُّحَضاء: عَرَق الحُمَّى يُرْحَضُ: أى يغسل. أى لم يُحاكِكَ السحاب بمطره، ولا ناوأَكَ، لأنه معترف أنك أَنْدَى منه. وإنما تأمل بذلك وأيقن بالعجز عنه، فحسدك فحُمَّ حمى حُسَّاده، فمطرُها إنما هو عَرَقُ حُمَّاها.

(لَو لَمْ تكُن مِنْ ذَا الوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوْ
عَقِمَتْ بمولدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ)

جَعَل الورى جُزْءاً منه، بعد أن جعله جُزءاً من الورى. فالأولُ حقيقة، والثانى مجاز، لايكون الكلُّ جزءاً للجزء. هذا خُلْفٌ، لكن جَعَلَهم منه، إشعاراً أنه جمال هذا النوع، به عُرِف، وإليه نسب، فكأَنه إنما يكون منه، كقوله:

(أنىَّ يكونُ أبــا البرايا آدمُ وأبوك والثقلان أنت مُحَمَّدُ)[2]

وهذا قبيح داخل فى الشُّنَع[3].

وقوله: عَقِمَتْ بمولد نَسْلِها حواءِ: أى لو لم تكن من ولَدِها كان نَسْلُها كلا نَسْل، حتى كأنها عقيم، لم تلد قَطُّ.

وقوله: بمولد نسلها: أى عُدَّتْ عَقيماً على أنها قد ولدت.

(١) العبارة فى ت (فلا بخل بمكلف مذموم) ولامعنى لها.
(٢) من قصيدة له بديوانه مطلعها «اليوم عهدكم فأين الموعد».
(٣) الشُّنَع: مصدر شنَع الأمر أو الشئ شناعة وشَنَعا (بالتحريك) وشُنْعا (بضم الشين وسكون العين): قبُح فهو شنيع.

وله أيضاً:

(يَحولُ بيَن الكلْبِ والتَّأمُّلِ)[١]

إن شئتَ قُلت إن الظبّى يُجهد الكلب فَيَشْغَله عن التأمل. وإن شئت قلت: إنه يمنع الكلبَ أن يتأمَّلَهُ بسرعته، كقول البحترىّ يصف فرساً:

(جَارَى الجيادَ فَطارَ عن أوْهَامِها   سَبْقاً وكادَ يَطيرُ عن أوهامه)[٢]

وهذا أبلغ من قول أبى الطيب، لأن سَبْق الوَهم أدلُّ على السرعة من سبق الطَّرف مع لفظ الطيران، والطيران أبلغ فى السرعة، ولذلك شَبّهت العرب خيلَها بالطير كقول لَبيد:

وَكأنىَ مُلْجِمٌ سُوذَا نِقا[٣]

وكقول الآخر:

كأنَّ غُلامى إذ علا حالَ مَتْنِهِ   على ظهر بازٍ فى السماءِ مُحَلِّقِ[٤]

(لَهُ إِذَا أدبَرَ لَحْظُ المُقْبِلِ)

أى أَنه من تَيُّقِظه يُراعى جهاتِه، فكأَنهُ يَرى ما وراءه كرؤيته ما أمامه.

(شَبِيهُ وَسْمِيِّ الحِضَار بالوَلِيْ)

الوسمىُّ والولىُّ هنا: مستعار، وأصلهما فى المطر، الوسَمْىُّ الأول. والولىُّ

---

(١) من أرجوزه للمتنبى بديوانه ص(١٣٠) وهى فى وصف كلب صيد مطلعها.
«ومنزل ليس لنا بمنزل»
وانظر التبيان (٣:٢٠١).

(٢) انظر قصيدة البحترى فى ديوانه (٢:٢٥٠-٢٥٢) ومطلعها: «طفقت تلوم ولات حين ملامه».

(٣) شطر بيت للبيد ورواه اللسان -(سوذق) وتمامه:
وكأنى مُلجمٌ، سُوذَانقاً   أجْدليا كرُه غيرُ وكلْ
والسوذانق: الصقر أو الشاهين. واللفظ فارسى معرب.

(٤) البيت فى اللسان (حول) ولم ينسبه إلى قائله. والحال: موضع اللبد من ظهر الفرس.

الثانى. يقول: ثانى[1] جريه مثل أوله كقولهم: فرس ذو عَقْب[2]. أى جريه الثانى كجريه الأول، وذلك لشدته وصلابته، حتى إن إعياءَه كجمامه.

وهذا كقوله فى موضع آخر يصف فرسا:

وأَقْــتُلُ أَىَّ الوحشِ قَــفَّــيــتُــه بِه وأَنـزِلُ عنه مِــثلَه حــينَ أركَبُ[3]

أى أنه من المنَعَةِ والنَّشـاط فى آخر عَدْوه، مثله فى أوله، وحسنُ استعاراته الوسمىُّ والولىُّ لأول الجرى وآخره، لأنهم يستعملون لفظ الغَيث فى هذا النحو كقولهم: فَرَسٌ سَكْب، وفَيْض وغَمْر، وبَحْر. كل ذلك جواد، وهُنَّ من صفات الغيث والماء. وقالوا: شآبيبُ الجرى، كقولهم شآبيبُ المطر، وهى الدُّفَع منه.

(وَعُقْلَةُ الظبى وَحَتْفُ التُّتْفلِ)

أى إذا رأى الكلبُ الظَّبىَ والتُّتْفُلَ وهو ولد الثعلب، كان عُقْلة للظبى يأخذه ويمنعه من الهرب، ويهلك التتفل. وهذا كقول امرئ القيس:

بِمُنجردٍ قَيدِ الأَوابدِ هَيكلِ[4]

أى أن هذا الفرس قيدٌ للوحش، فكذلك هذا الكلب، عُقْلَةٌ للظبى، وحَتْفٌ للتتفل. وقد قال المتنبى أيضاً مثله فى هذا الموضع:

يَتَــقَــبَّلُون ظِلاَلَ كُلِّ مُطهَّمٍ أجَلِ الظليمِ وَرِبْقَــةِ السِّــرحَــانِ[5]

فقول له: ربقة السرحان كقول امرئ القيس: قَيْد الأوابد، وزاد عليه أجل الظليم. فبيته هذا الأخير مكافئ لبيته الأول، لأن الْحَتْف كالأجل والرِّبقة كالعُقْلة. وصح له الشرف على امرئ القيس.

---

(١) فى م (يأتى)، تحريف .

(٢) العَقْب (بفتح فسكون) الجرى يجئ بعد الجرى الأول، يقول لهذا الفرس عقب لحقنى. وفرس ذو عَقْب (بسكون القاف وكسرها) أى له جرى بعد جرى (اللسان عقب).

(٣) البيت له من قصيدة مطلعها «أغالب فيك الشوق والشوق أغلب» ويروى أيضا «وأصرع» فى موضع «وأقتل»

(٤) عجز بيت من معلقة امرئ القيس وصدره (وقد أغتدى والطير فى وُكُناتها).

(٥) البيت من قصيدته: «الرأى قبل شجاعة الشجعان».

(لو كَانَ يُبلِى السَّوطَ تحريكٌ بَلِى)

أى أن هذا الكلب مَجْدول مضمَّر كالسَّوط، فكما أن السوط لايُبليه التحريك، كذلك هذا الكلب لايبليه شدة عَدْوه ولاينقصه، ولو كان السَّوط ـ الذى هو شبيه له فى الجَدْل والضُّمْر والاستعمال له ـ يُبلى لَبِلى الكلب.

(فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ للتَجَدُّلِ)

أى صُرِع فصارت قوائمه التى كانت للقفز إلى التجدل. أى اللُّزوق بالجدَالَة وهى الأرض.

(وَصَارَ ما فى مَسْكِهِ[1] فى المِرْجَلِ)

المرجل: قدر النحاس خاصة، مذكَّر من بين أسماء القدر، يقول: سُلِخ عنه جلده، وأُدخل فى القدر، فعاد ما كان من لحمه فى الجلد رهين المِرْجل، وأراد: ما كان فى مَسْكِه، (ففى مسكه) من صلة الذى[2] ولايكون خبراً لكان هذه المرادة، لأن تلك لاتضمرُ، وتَعمل، لأنها فعل كونىّ غير مؤثر. ولذلك منع سيبويه إضمارَها وإعمالَها، فقال: (واعلم أنه، لايجوز لك أن تقول: عبدَاللّه المقتولَ[3]، وأنت تريد: كُنْ عبدَاللّه المقتول). ولذلك حمل الفارسىّ قوله تعالى: (فوجَدَ فيها رجُلَين يَقْتَتِلاَن هذَا من شِيْعتِه وهذا من عَدُوِّه)[4] على الحكاية[5]، لا على إضمار (كان) استدلالاً بما قدمت من كلام سيبويه.

---

(١) رواية الديوان والتبيان: «جلده».

(٢) أى صلة (ما) فى البيت وهو بمعنى الذى.

(٣) الكتاب لسيبويه (١٣٣:١) أى لايجوز أن تنصب عبد الله فى المثال الذى ذكره سيبويه (بكن) مضمرة. وقد بين السيرافى فى شرحه للكتاب (مجلد-١ ورقه٦٢ يمين مصورة جامعة القاهرة) بقوله: لأنه ليس قبله ولا فى الحال دلالة عليه (كن) وإنما يضمرون ماعليه الدلالة من الكلام أوشاهد من الحال. ا هـ.

(٤) الآية ١٥ من سورة القصص.

(٥) نص عبارة الفارسى فى الحجة (حـ٦ ص١٧ - المصورة) وكما أن قوله (وكلْبُهم باسطٌ ذراعيه) فى أنه حكاية حال قد مضت وكذلك قوله تعالى (هذا من شيعته وهذا من عدده)اهـ.

* * *

قال المحققان: مراد المؤلف أن أبا على الفارسى خرَّج قراءة الآية على حكاية الجملة، وإن كان لم يُخرِّجها على إضمار (كان) للعلَّة التي أفصح عنها السيرافى فى الحاشية السابقة على هذه بقوله (لأنه ليس قبله ولا فى الحال دلالة عليه (كان)).

والعرب قد تنطق بالخبر وظاهره الوجوب فى وقت الإخبار، وهى تريدبه مامضى ومايستقبل على وجه الحكاية، كما فى هذه الآية.

وقال النيسابورى: قال الزجاج: قوله تعالى (هذا من شيعته وهذا من عدوه)وهما غائبان على جهة الحكاية. أى وجد فيها رجلين يقتتلان إذا نظر الناظر إليهما قال: هذا من شيعته وهذا من عدوه. (انظر تفسير النيسابورى على هامش الطبرى (حـ٢ ص٣١).

وله أيضاً:

(رَأيـــنا بِبَــدْرٍ وأبائِــــــه لِبَــدْرٍ وَلُوداً وبَدراً وَلِيــدَا)[١]

معنى هذا البيت: التعجبُ من خَرْق العادة، وهو من ظريف المحاجاة. فَبدرٌ الأول: اسم الممدوح. والآخران: عنى بهما البدر المعروف.

يقول: ليس من طبيعة البدر الفلكى أن يَلِدَ ولا أن يولد. فلما رأينا بدراً هذا الممدوح وأباه، وجدنا بوجودنا إياه بدراً مولوداً، ووجدنا بوجود آبائه وَلُودَ البدر. فقد خَرق علينا المعتاد، فوجب التعجب.

وحاصل البيت: وجدنا ببدر هذا الممدوح بدراً وليداً. ولا كبير فائدة فى وجود الآباء، لأن المولود والوالد من باب المضاف والمضاف إليه. فإذا وَجَد بدراً مولوداً، فلا مَحالة أن له والِدَين. فإذن ذكرهُ الآباء هنا حَشْوٌ، إلا أن يُفيدنا بذلك أن أباءَه بُدُور. وليس بكبير فائدة أيضاً، لأن النوع لايلدُ غير نوعه، فتفهمْه.

(طَلَبْنَا رِضَـــــاهُ بِتَـركِ الذى رَضِـينَا له فَـتَـرَكْنَا السُّـجُـودا)

أى رضينا أن نسجد له إذا رأيناه إكباراً له وإيثاراً، إلاَّ أنه لايريد ذلك منا، لأن هذا إنما ينبغى للّه عز وجل، فطلبنا نحن حينئذ رضاه، بترك السجود الذى رَضينا له. فقد مدح بدراً هنا بشيئين:

أحدهما: جلالة القدر، حتى رُئِى أهلاً للسجود له. والآخر: تَورُّع بدر عن هذا الذى رضيه المتنبى له، قبْحاً لكلامه، ونَهْراً فى هذا الموضع وأشباهه لنظامه.

وقوله: فتركنا: معطوفٌ على طلبنا، ولايكون معطوفاً على رضينا، لفساد المعنى، وأن (الذى)[٢] لايعود عليه من المعطوف على صلته شىء.

(١) من قصيدة فى مدح بدر بن عمار مطلعها

أحلما نرى أم زمانا جديدا ام الخلق فى شخص حيٍّ أعيدا

وانظر ديوانه (بيروت١٣٣).

(٢) (الذى): ساقطة من م.

(بَهَجْــرِ سُيوفِك أَغْمــادَهَــا   تَمَنَّى الطُّــلَى أن تكونَ الغُمــوداً)

أي أن سيوفَك مَسلُولة أبداً، فأغمادها خِلْوة، والسيوف فى الطُّلى، فتمنى الطُّلى أن تكون الأغمادَ، لتخلو منها كما خَلَت الغُمود.

(فــأنــتَ وحيـــــدُ بَـنِـى آدمٍ   وَلسَــت لِفَقْدِ نَظيرٍ وَحِيـــداً)

أى: واحدهم فى الفضائل، وكرم الشمائل، ولم يحترم الزمان نُظَرَاءَك. بل لك نظراء فى حب المجد، والسعى إلى ابتناء الحمد، ولكنهم لم يُؤتوا من ذلك ما أوتيتَه ولاحُبُوا بما حُبِيتَه، وليس أَوانُك خِلْواً من السادة، فتكون أنت إنما سُدت لخُلُوِّ الوقت من ذوى السيادة، لأن تلك سيادة لاتتبين لها مَزِية. وإنما الفخر أَنَّك ذو نظراء، وأنك مُوفٍ عليهم، بخلاف قول الشاعر:

خَــلــتِ الديارُ فَسُدْتَ غيرَ مُسَــوَّدٍ   ومِــن الشَّقــاء تَفَــرُّدِى بالسُّــؤْدَدِ[1]

-٣٦-

وله أيضاً:

(حَــدَقٌ يُذِمُّ مِن القــواتل غيــرَهــا   بَدرُ بنُ عمَّــار بْنِ إسْماعيـــلا)[2]

أى أنه يُذِمُّ كل مظلوم فَيُقِيدُه من وَاتِرِه، وينصفه إلاَّ من قتلته هذه الحَدَق، فإن هذا الأمر على جلالته، لايُقوِّى مظلومَها ولايُقِيدُ قتيلَها. وهذا نحو قوله فى سيف الدولة:

وُقِــىَ الأميرُ هــوَى العيــونِ فإنــه   مَـــــالاً يزولُ ببأســه وسَخَـــائِهِ[3]

(وكأنــما[4] غَــرتْه عَيْــنٌ فَادَنى   لايُبْــصِرُ الخطبَ الجليل جَليــلاً)

(١) البيت لحارثه بن بدر فى الأغانى (٢٣:٤٧٨) وعيون الأخبار (١:١٦٨).

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص١٤٤ فى مدح بدر بن عمار مطلعها:

«فى الخد أن عزم الخليط رحيلا».

(٣) من قصيدته التى مطلعها «القلب أعلم ياعذول بدائه».

(٤) فى الديوان والبرقوقى (وكأنه).

تعجب من الأسد كيف لَقِيَه. ولقاؤه من أجلّ الخطوب. لكن عَيْن الأسد غرَّته، فلم تره إياه على صفته التى هو عليها من المهابة والجلالة، فأقدم لذلك، ولو أرته عينُه إياه على ماهو به، لأحجم ولم يُقْدِم، وهذا كقوله فى موضع آخر:

ذَمَّ الدُّمُسْتُق عَيْنَيه وقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمام فظنُّوا أنها قَزَعُ[1]

أى أن عَينى الدُّمستق احتقرتا المسلمين، فأرتاه جموعَهم قليلة، فأقدم فوقع عليه البلاء، فذمَّ عينيه، لكذبهما حين ألفَى الأمر على خلاف ما أوهمتاه. ونحوه قوله تعالى: (وإذ يُرِ يكُمُوهُمْ إذ الْتَقَيْتُمْ فى أَعينكم قَليلاً وَيُقلِلكُمْ فى أَعْيُنِهِم)[2]. إلا أن رؤية الدُّمُستق والأسد لما أَلْفياهُ دون ماهو به، خلاف هذا الذى فى التَّنزيل من جهة وموافق من جهة، وذلك أن تقليل الكفار فى أعين المؤمنين إنما كان تثبيتاً لقلوب المؤمنين، فذلك خير أريد بهم، كما أريد بالأسد والدُّمُستق الشرّ فالخير للمؤمنين والشر لهما. وأما قوله تعالى: (ويُقَلِّلكُم فى أعْيُنِهِم) فهذا مطابق لحال الأسد والدمستق، لأن اللّه تعالى إنما قلَّل المؤمنين فى عيون الكافرين ليحقروهم فَيَثْبُتوا. ولذلك قال تعالى (لِيَقْضِيَ اللّهُ أمراً كان مَفْعُولا)[3] أى إنما قلَّل الكفار فى أعين المؤمنين ليكون أجراً للمُؤمنين عليهم، وقلَّل أُولئك فى أعين الكافرين ليقدموا عليهم، فتدور عليهم دائرةُ السَّوْء.

-٣٧-

وله أيضاً:

(أَبْعَدُ نَأْىِ المَلِيحةِ البَخَلُ فى البُعد مَالاَ تَكَلَّفُ الإبلُ)[4]

جعل النأى أنواعاً، أبعدها البُخْلُ، إذ سائرُ أنواع النأى يُرجى دُنوهُّ، إمَّا بإياب المحبوب وإما بتجشمُّ السير إليه. فأما البخلُ فلا احتيال فيه، لأنه من قِبَل المحبوب نفسه[5]، لا من قبل نَأيٍ أَوْجَبَه. ولذلك قال: (فى البُعد مالا تَكَلَّفُ

(١) من قصيدته التى مطلعها «غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع». وانظر التبيان للعكبرى (٢:٢٢).
(٢) الآية ٤٤ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٤٤ من سورة الأنفال.
(٤) مطلع قصيدة له بديوانه (بيروت ١٣٥- والبرقوقى، ٢:١٤٨) وهى فى مدح بدر بن عمار.
(٥) كلمة (نفسه) ساقطه من ت.

الإبلُ): أى أن بُخْل هذه المليحة مسافةٌ نفسانية ليس للإبل فيها عمل، فلا تَكَلَّفُها ولا تَعْتَمل[1] فيها. إنما تكلف الإبلُ قطع الأرض.

وهذا كقوله هو:

لو عَدَا عنك غيرَ هجرك بُعْدٌ   لأرَارَ الرَّسيمُ مُخَّ المَنَاقِى[2]

أى لو كان بعدُك من جهة المسافة الأرضية لأعْملنا إليك الإبل حتى نُهْزِلَها ولكنَّ بُعدك نَفْسَانى. إنما هو من جهة هجرك. فالهجرُ هنا كالبخل فى بيته الأول إلا أن البيت الأول أوجزُ، لأنه انتظم قضيَّتين كل واحدة منهما مُسْتَغْنيةٌ بذاتها مع قصر عروضه.

(مَلُولَةٌ ما يَدُومُ ليس لها   مِنْ مَلَلٍ دَائمٍ بها مَلَلُ)

أى أنها تملُّ كل دائم، إلا ملَلَها فإنَّه دائمٌ، وهى مع دوامه لاتَملُّه. (فمَا) على هذا مفعول بملُولة، لأن مفعولاً عند صاحب الكتاب مما يتعدى.

ومن رواه تدوم: جعل (ما) جَحْداً، أى ما تَثْبُت. دَامَ الشىء: ثبت. حكى سيبويه[3] عن العرب: (ما تدُوم لى أدُومُ لك) أى أَدُومُ لك ما تدُوم لى. وأراد ماتدوم صلتها أو ماتدوم لمليل.

(بِصَارِمى مُرْتدٍ بِمخْبرَتى   مُجْتزِئ بالظّلام مُشْتَمِلُ)

أى لاصاحب لى فى سَفَرِى إلا سيفى مُرْتَدِياً بِه، ولا دليل لى إلاّ خِبْرتى بالفَلاة، ولا مانع لى من الأعداء سوى الذى يسترنى عنهم.

---

(١) فى ت: «تعمل».

(٢) من قصيدة للمتنبى مطلعها «أتراها لكثرة العشاق»

ويسمى المخ راراً إذا كان رقيقا. والرسيم: سير الإبل. والمناقى جمع منقية وهى العظم الكثير المخ.

(٣) الكتاب لسيبويه (١٥٣:١) قال: «وسألته (الخليل) عن قوله (ماتدوم لى أدوم لك) فقال: ليس هذا جزاء من قبل أن الفعل صلة لما، فصار بمنزلة (الذى) وهو بصلته كالمصدر، ويقع على الحين- كأنه قال: أدوم لك دوامك لى) فما، ودمت، بمنزلة الدوام.،،

وقوله: (بَمخْبرتى مَجْتزىءُ): كقوله :

ذَرَانـــى والفَـلاةَ بـلا دَليــــــلٍ وَوَجْـهِى والـهـجـيـرَ بلاَ[1] لِثَـامِ

ورفع ذلك كله بإضمار مبتدأ، أى أنا مُرتدٍ بَمخْبرَتى، مجتزئٌ، مشتمل...

(أصْبَح مـالأ كـمـالِه لذوى الحـا جَــــةِ[2] لايُبــتَـدى ولايُسَـلُ)

أى نُصَرِّفه على احتكامنا واقتراحنا، كما يُصِّرف ماله، فلا هو يبتدئنا بالعطاء، ولانحن نسأله. أى فكما أنا لانستأذن مَالَه، بل نأخذُه مُحْتكمين، كذلك لانستأذِن بدراً[3] فى أخذ ماله. فقد استوى هو ومالُه فى أنهما لايُستأذَنَان، ولذلك قـالت العـربُ: مـاهو إلاَّ هَشِيـمـةُ كَرْمٍ[4]؛ أى يأخـذه الـواردُ كـيف شَـاءَ، لايعسرُ عليه منه شىء، كمـا أن الهشـمـية، وهـى العودُ اليابس لاتتعـذر على مُحْتَطِبِها ولاتحوجه إلى تعب فى تناولها.

(إنْ أدْبَرتْ قُلتُ: لا تَليلَ لـهـــا أوْ أقْــبَلَت قلتُ: مَــالَهَـــا كَــفَلُ)

التَّلِيلُ: العُنق وما يليها من الصدْر، أى صدرها المقبل يَحْجُزُ عن كفلها، وكفلها المُدبر يَحجز عن صدرها، فـأنت من حيث تأمَّلْتَـهـا رأيتَـها مُشْرفـة، والمستَحب من الفَرَس أن تهتَز مقبلة وتَنْصَبَّ مدبرة، فباهتزازها مقبلة يَخفَى الكفلُ، لإشراف التَّليل، وبانصبابها يَخفى التليل لإشراف الكَفَل.

(أنت نَقِيضُ اسْمِه إذا اختلفتْ قَواضِــــبُ الهِنــــدِ والقَـنَا الذُّبُلُ)

جعل اسمَه وهو بدر، دالاً على صورته وطبيعته. وذلك أَن البدر إنما يسمى به القمر إذا قابل الشمس فامتلأ نوراً، وهو مع ذلك سعدٌ لانَحْس.

يقول: فـأنت خِلافُ هذا الاسم، أى خلاف طبيعة المسمَّى بهذا الاسم فى الحرب، لأنك فى السَّلم طَلْقٌ نَيِّر، وحظك السعادة، وتلك طبيعة البَدْر وفى الحرب

(١) من قصيدته التى قالها فى مصر وقد أصابته الحمى (ديوانه ٤١٢ والتبيان ٤:١٤٣).

(٢) هذه رواية الديوان والتبيان. ورواية ابن سيده «الحاجات».

(٣) هو بدر بن عمار الممدوح بهذه القصيدة.

(٤) يقال هذا للرجل السمح الجواد.

عَبُوس مُهْلِك، وتلك طبيعة زُحَل. فأنت في الحرب على غير ما أنت به في السلم طبيعةً. فقد وجب لاسمك في الحرب أن يكون غير اسمك في السلم. وقال: (أنت نقيض اسمه) ولم يقل: ضدٍّ اسمه، لأن النقيض أشدُّ مباينة لنقيضه، من الضدِّ لضدّه.

(أَنْتَ لَعَمْرِى البَدرُ المنيرُ ولكنَّـ ـكَ في حَوْمـةِ الوغَـى زُحَلُ)

أى أنك سَعْد فى السلم، وشيمتك فى الحرب ضدّ ذلك، وليس بالبدر ولابزُحَل فى الحقيقة، وإنما عَنى بالبدر أنه مُسْعِد، وبزُحَل أنه مُنْحِس، والمنير هنا: مفيد لأن البدر قد يتلبَّسُه الغيم فلا يُنِير.

(مَـدَدْتَ فى راحـة الطبـيب يداً ومـادَرَى كـيف يُقْـطع الأملُ)

أى كفُّك مجتمع الآمال قد اتّصلَتْ بها، كأن عُروقَها قد صارت آمالاً، والطبيب لامعرفة له ببِضْع الآمال، ولابمعاناتها، إنما يعانى الأبدان، فلا تلحقنَّه ملاماً، لأنك كلَّفته مالا يُحْسِن، والإنسان إنما يلام على تقصيره فيما يُعْزَى إليه عِلْمه، فإن قصر فيما لَيس من علمه فغير مَلُوم.

وقوله: (كيف يقطع الأمل) لم يُرد القطع المُفْسِد، وإنما أَراد كيف يقطع الأمل للإصلاح.

-٣٨-

وله أيضاً:

(فَـمَـا حـاولتُ فى أَرضٍ مُـقَـامـاً ولا أَزْمَـعـتُ عـن أرضٍ زَوَالاَ)[١]

أَى أَنى ملازم لظهر بَعيرى، فكأنى مقيم، وأنا مع ذلك سائر. فإمكانى يتقسم مابين الحالين. لأنى لاظاعنٌ ولاقاطِن.

(إلى بدر[٢] بنِ عمـار الَّذى لَم يَكُن فى غُـرَّةِ الشَّـهـرِ الهِـلاَلاَ)

البدرُ يبدو هلالا ثم يزيد، ولايسمَّى بدراً حتى يكمل، وبدر بن عمار لم يك قطُّ هلالاً، بل لم يزل كاملاً. وهذا مَقْطَع شعرىّ، لأنه لم يك قَطُّ هلالاً ولا بدراً.

(١) من قصيده له بديوانه (بيروت ١٤٠) ومطلعها

«بقائى شاء ليس هم ارتحالا»

وانظر التبيان (٣:٢٢١).

(٢) فى الديوانه والتبيان «إلى البدر»

وكأنه لم يزل بدراً، لأن ذلك لم يزل اسمه[1]. وهذا البيت وإن كان المقصود به المدح ظاهراً فقد يجوز أَن يقصد به الذم باطناً. لأنه لابدر على الحقيقة إلا وقد كان فى غرة الشهر هلالاً. وهذا لم يكُ هلالاً، فليس إذن بدراً.

فالحاصل له من ذلك، أنه بَدْرٌ بالتسمية، لا بالطبيعة، فيكون ذلك مقتضياً للهُزُؤ، فخرج مُشْبِها لقوله:

وفـارقتُ شَـرَّ الأرض أهلاً وتُربة بهـا عَلَوِىٌّ جَـدُّه غـيـرُ هاشمِ[2]

(جَوابُ مُسَائِـلى أَلَهُ نَظِـيـرٌ وَلاَ لَـكَ فى سُـؤَالِكَ لا، أَلاَ، لاَ)

تقديرُ البيت: جواب مُسَائلى: (أله نظيرٌ): ألا، لا، أى ليس له نظير، فـ (لا) جَحْدٌ، وألا: استفتاح (ولا لك فى سؤالك) نَظِير، لا، أيها السائل، فلا الثانية توكيد، وإنما حاجة الكلام: ولا لك أيُّها السائل نظير، إذا شككت فى أنه لانظير له، حتى أَحْوَجك ذلك إلى السؤال. فقوله: (ألا، لا): خبر المبتدأ الذى هو قوله: (جوابُ مُسائلى). وقوله: (ولا لك) معطوف على قوله: (أَلاَ، لاَ) فَعكَس، بأن قدم المعطوف على المعطوف عليه.

(وَقَـالَوا: هَلْ يُبَلِّغُـكَ الـثُّـريـا فـقلتُ نَعَم إذا شِـئْتُ اسـتِـفـالاَ)[3]

أى أنا معه فوق الثُّريَّا، فإذا أردت أن يبلِّغنى إياها، فإنما أبلغُها بأن يَحُطَّنى إليها، فأنا لا أريد منه بلوغ الثريّا، إلاّ أن أشاءَ التَّسَفُّل لأن العالىَ لايبلغ ما هو أخفض منه إلا بأن يُحَط إليه.

وهذا كقوله:

فَـوقَ السـمـاءِ وفـوقَ مـا طَلَبُـوا فـإذا أرادوا غـايــةً نَـزَلُوا[4]

(١) فى م «لأن ذلك اسمه»
(٢) انظر التبيان للعكبرى (١: ١١٠-١١٧).
(٣) هذا البيت متقدم فى الديوان بأربعة أبيات على البيت السابق.
(٤) انظر الديوان (بيروت ٤٦٦) والبرقوقى ٢: ٢١٣ والتبيان (٣: ٣١٠).

أى أن عُلُوَّهم الآن فوق كل غاية، فإذا أرادوا غاية محدودة، نزلوا إليها، إلا أن هذا البيت الآخر أفخم معنى. وأصل ذلك قول البحترىّ لمحمد بن علىّ:

لمــحــمــدِ بنِ عَلىٍّ الشَّــرفُ الذى لايَلْــــحَظ الجَــــوْزاءَ إلاَّ مِنْ عَلِ[1]

أى أنه فوق الجوزاء، فإذا لحظها فإنما يلحظها من فوقها.

(فَـقَـد وَجِلَتْ قُلوبُ مِنكَ حَـتَّى غَـدَتْ أَوجَـالُهـا فـيـهـا وِجَـالاَ)

أى وَجِلَتْ قلوبهم، حـتى عَدَتْ أوجـالَهُمْ؛ فَـوجِلَتْ الأوجـال، وهذه مـبـالغـة كقولهم: جُنَّ جُنُونه. وقالوا: شِعْرٌ شاعرٌ[2]. ومثله كثير حكاه سيبويه وسائر أهل اللغة. قال سيبويه: سألت الخليل عن ذلك، فقال: أرادوا المبالغة والإشادة. ووِجال: جمع وَجِل كوجاع ووجع ولو قال: وَجَالىَ؛ يريد جمع وَجِل، لكان كحَبِجٍ وحَبَاجَى وحَبِطٍ وحَباطَى.

(يُفَـارِقُ سَـهْـمُكَ الرَّجلَ المُـلاقى فِـرَاق القَـوسِ مـا لاَقى الرِّجَـالاَ)

أى إن سَـهْـمَك كلمـا لاقى رجـلاً خَـرَقـه ونَفَـذَ منه على مـا هو به من قـوته الأولى عند فـراق القوس، وذلك دَأبُه ما لَقِىَ الرجال وإن كثروا. يصـفـه بجودة الرَّمى وقُوَّة النَّزْع. فمـا: منصـوبة علـى الظرف، والقوس: فى موضـع نصـب. أى فراقَه القوسَ. فـأضـاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى (لايَسْئَمُ الإِنْسانُ مِنْ دُعَاءِ الخَيْر)[3].

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها «أهلا بذلكم الخيال المقبل» (ديوانه٢:١١٨)

(٢) فى اللسان (شعر): "وشعرٌ شاعر":جيد. قال سيبويه: أرادوابه المبالغة والإشادة. وقيل: هو بمعنى مشعوربه، والصحيح قول سيبويه، وقد قالوا: كلمة شاعرة أى قصيدة،،

(٣) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

وله أيضاً:

(أَفْدِى المُودِّعَةَ التى أَتْبَعتُها   نَظَراً فُرادَى بين زَفْرَاتٍ ثُنَا)[1]

أى حَضَر الرقيبُ فَحِذِرَه، فقلَّت نظراته، وغَلَبت الحسرةُ، فكثرت زَفَراتُه. حتى كانت الزَّفَرات ضِعْفَ النظرات. فلذلك جعل النظراتِ فرادَى، والزَّفَرات ثُناءَ. واحتاج إلى قَصْر (ثُناء) وثُنَاء معدُولٌ عن (اثنتين) المقتضية (ثِنتين ثِنتين)[2]، ولاتكون معدولة عن (اثنين اثنين) لأن المعدول بعدَد المعدول عنه. وقال. زَفْرات فأسكن الفاء للضرورة، كقول ذى الرُّمَّة:

أَبتْ ذِكَراً عَوَّدْنَ أَحشاءَ قلبِه

خُفوقاً وَرَقْصَات الهوى فى المفاصلِ[3]

وَتَوقَّدَتْ أَنْفاسُنا حَتَّى لَقَدْ   أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ العَواذِل بَيْنَنَا)[4]

أشْفَق من احتراق العَذُول مع شَنَآنه له، خشية أن ينم احتراقه بما هما عليه من توقُّد النفس. فقال: إن العواذل إنما احترقْن بتوقُّد أنفاسهما عند التقائهما، وأراد (أن تحترق العواذل) أى (من أن) فحذفها، وأبطل عملها بحذفها. وإن شئت نصبت الفعل على مكان (أَنْ)[5] فكانت بمنزلة مُؤَثِّر غَابَ وبقى تأثيره دالاً عليه.

(مَن لَيْسَ مِنْ قَتْلاَهُ من طُلَقَائِه[6]   مَنْ لَيس مِمَّنْ دان مِمّن حُيِّنَا)[7]

---

(١) من قصيدة للمتنبى فى مدح بدر بن عمار مطلعها

الحب مامنع الكلام الألسنَا   وألذُّ شكوى عاشق ماأعلنا

ديوانه (ص. ١٥٠) والبرقوقى ٢: ٤٣٨.

(٢) أى لأن ثنتين ثنتين تطابق زَفْرتين تأنيثاً.

(٣) ديوان ذى الزمه (٥٧٨). ورقصات: أصلها رقَصات (بفتح القاف، وسكنها لضرورة الوزن) كما فعل المتنبى فى زفرات. وأورده الفارسى فى الحجة (١: ٩٥)

(٤) هذا البيت متقدم فى الديوان على البيت الذى قبله.

(٥) نصب الفعل على مكان (أن) كما قال طرفه فى معلقته:

ألا أيهذا الزَّاجرى أحضرَ الوغَى   وهل أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدى

فقد نصب (أحضرَ) بأن مقدرة فى غير المواضع التى يجب فيها إضمار(أن) عند البصريين. أما الكوفيون فيروون (أحضرُ) بالرفع على القياس بعد حذف (أنْ) كما جاء فى القرآن الكريم (ومن آياته يُريكمُ البرق خوفاً وطمعاً).

(٦) الطلقاء: جمع طليق وهو الأسير خُلِّى سبيله.

يقول: عِدَاه قَتْلاَه وأسْراه، ومن أَفلت منهم فإنما هو طليقهُ، بصفحه عنه.

(من ليس ممن دان ممن حُيِّنا) دَان الرجلُ: أطاع. أى من لم يكن من دائنيه فهو من مُحيِّنيه. وأراد: دَانَ له، فحذَف للعلم بها. (ومَنْ) هنا بمعنى الذى، كأنه قال: الذى ليس من قتلاه معدود فى طلقائه، والذى ليس من دائنيه مُحَيَّن. فقوله: (من طُلَقَائِه) فى موضع خبر المبتدأ، الذى هو (مَنْ) الأولى. وقوله: ممن حُيِّنا خبر مبتدأ، الذى هو (مَنْ) الثانية.

(وَقَطعْتُ فى الدُّنْيا الفَلاَ وَرَكائبِى فِيهـا وَوَقْتىَّ الضُّحَى والمَوْهِنَا)

أى أفنيت الأمكنة والأزمنة والركائب. وكان يجب أن يقول: ووقتى الضُّحَى والمَوْهِنَ لأن المْوهِنَ نحوٌ من الزمن اللَّيْلى، نصف الليل. والضحى: أولُ الزَّمن النهارىّ. فقابل هو المَوْهِنَ الذى هو نصف الزمن. اللَّيْلىّ، بالضحى، الذى هو أول الزمن النهارىّ . ولو قال قائلٌ: عَنَى بالضحى اليوم كلّه، وبالموهن اللّيل كله، وأقام الجزءَ مقام الكُلّ، كما أُقيم الكُلُّ مُقام الجزء فى قوله تعالى: (وإِنكُمْ لَتَمرُّون عَليهِمْ مُصْبِحين * وَبِاللّيلِ)[1] لكان جائزاً، فَتَفَهَّمْه فإنه لطيف.

(أَمْضَى إِرَادتَه فَسَوفَ لَهُ[2] قَدْ واسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا)[3]

إن شئت قلت: متى قال غيره: سوف أفعل، قال هو: قَدْ فعلت، فَسَبق. ومتى قال غيره: ثَمَّ النجم أو السماء مستبعِداً، قال هو ـ (هُنا) مستقرباً.

وإن شئت قلت: إذا نَوى أمراً سابق نيَّته بفعله، فصار المستقبل ماضياً، ومتى لحظ أمراً بعيداً أعملَ عزمه، فقُرب عليه متناوله.

(نِيطَتْ حَمَائِلُه بِعَاتِق مِحْرَبٍ[4] مَاكَرَّ قَطُّ وهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى)

إنَّما يكون الكرُّ بعد الانثناءِ فالانثناءُ عِلَّةٌ له، فإذا لم يكن انثناء لم يكن كَرٌّ، لأنه إذا ارتفعت العِلَّةُ ارتفع المعلول، فيقول: هذا المِحْرب ماكرَّ لأنه لم ينثن، فَيُعقِب الانثناء بالكَرِّ.

---

(١) الآية ١٣٧ من سورة الصافات.
(٢) استعمل (قد) هنا استعمال الأسماء، ولذلك أعرب (قد) ونونها.
(٣) ثمَّ: إشارة للمكان البعيد و(هنا) إشارة للمكان القريب.
(٤) المِحْربُ (بكسر الميم): الشجاع صاحب الحرب الممارس لها.

(تَتَقَاصَرُ الأفْهَامُ عن إدراكِه مِثْلَ الَّذِى الأفلاكُ فيه والدُّنَا)

غاية ما أدركت الأفهام، الفَلَك وما فيه، فأما ماهو فيه، فلم يُدرْكه وَهْمٌ ولافَهْمٌ: فيقول: إدراكُه مُعْوز كإدراك مافيه الدنيا والفلك. والدُّنَا: جمع الدنيا، كالعُلاَ جمع العُلْيا، وهذا مُطَّرد[1].

(لاَ يَسْتَكِنُّ الرُّعبُ بَيْنَ ضُلُوعه يَوماً ولا الإحسانُ ألاَّ يُحسِنَا)

أى لايَتَصورُ الخوف بين ضلوعه ، ولا يتصور أيضاً بينها العلم بألا يحسن. بل هو مُحسنٌ لأنْ يُحْسِن وغيرُه مُحسنٌ ألاَّ يُحْسِن. أى الإحسانُ غَلَبه. والإحسان هنا يجوز أن يكون المعرفة، كقولك فلان مُحسنٌ لعلم كذا، ويجوز أن يكون الإحسان الذى هو ضد الإساءة، فكأنه قال فى كل ذلك: ولايُحسن تركَ الإحسان؛ إنما يُحسن الإحسانَ. وهذا كقول الآخر أنْشَدَناه أبو الفتح[2]:

تُحْسِن أَن تُحْسِن حتى إذا رُمْتَ سِوَى الإحسانِ لم تُحْسِنِ

إلا أَن هذا البيت بعيد، لأنه نسب إلى الممدوح مرام غير الإحسان.

(سَلَكَتْ تَماثيلَ القِبابِ الجنُّ مِنْ شَوقٍ بها فأَدَرْن فيكَ الأَعْيُنَا)

أَى سَلَكت الجنّ صُور القِبَاب، لتنظر إليك شوقاً، وإنما قال:

(تماثيل القِبَاب) ولم يقل (القِبَاب)، لأنهم يزعمون أَن الجن تألف التصاوير الموضوعة على أَشكال الحيوان. وقد قيل: إنما كُرِه اتخاذها فى الثياب والستور والبُسُط لهذا.

(وَعَجَبْتُ حَتَّى ما عجبتُ من الظُّبا ورأيتُ حَتَّى ما رأيتُ من السَّنا)

الظُّبا: السيوف. والسَّنا: الضوء. أَى عجبت من السيوف حتى أَنِسْتُ بالعجب، وأَخْلَدتُ إليه، فلم أَعْجب بعد، وَرأَيت لمعانَهن حتى عُشِّى بصرى فلم أَر. فصدر البيت كقول أَبى تَمَّام:

(١) يطرد هذا فيما كان وصفا على (فُعلى) مؤنث أفعل الذى للتفصيل، أن يجمع على (فُعَل) بضم (الفاء) صحيحا كان أو معتلا مثل: صُغَر وكُبر ودُنا وعُلا.

(٢) هو أبو الفتح ابن جنى اللغوى النحوى تلميذ أبى علىّ الفارسى، وكان صديق المتنبى وقد شرح ديوانه كما أشرنا إلى ذلك فى مقدمة الكتاب: وقوله: أنشدناه أى فى كتبه ،والبيت فى التبيان(٤: ٢٠١).

عَلَى أنها الأيـــــام قد صِرْن كُلها   عجـائبَ حـتى[1] ليس فـيـهـا عـجـائب

(فَطِنَ الـفـؤادُ لِمَـا أتيَتُ علـى النُّوى   ولِمـا تَركْتُ مَـخـافـةً أنْ يَفْطَـــــنا)

أى لم تقتصرْ على العلم بما صنعتُ، حتى علمتَ ما تركتهُ مخافة أن يَفْطن به. وقـيل مـعناه: قـد علمتَ مـا كـان من شكرى وثنائى عليك، وهو الذى فَطنَ فؤادك له. وكذلك فَطنَ أيضـاً لما تركتُه؛ خوفاً أن يَفْطن له، مِنْ تَنَقُّصِك أيضـاً، فلو لم يكن تركى لذلك إلاَّ مخافَة أن يَفْطن فؤادك له، فكيف وطبيعتى فيك خلافُ ذلك. والبيت يقتضى أنه قد كان هنالك شىء من الإخلال بقدر بَدْر بن عَمَّار[2]. ويقوِّيه قوله:

(أضْـحَى فـراقُك لى علَيـهِ عُـقوبـةً   لَيس الذى قـاسـيتُ شَـيـئـاً[3] هَيِّناً)

أى عُوقبت على تقصيرى عن واجبك، بفراقك الشديد على الكُرْه إلىّ، فليس الذى لاقيته من ذلك بهيّن، أى بيسير. ولايريد الهيِّن الذى هو ضد العزيز.

ـ ٤٠ ـ

وله أيضاً:

(يَتَـداوَى من كـثـرة المــال بالإقْـ   ـلالِ جُـودًا كـأنَّ مــالاً سَـقَــامُ)[4]

أى يَتشـافى بالجـود، حـتى كـأن المـال مَـرَضٌ يبـغى إزالتَـه، والإقـلال بُرءٌ يطلبه.

وقوله (كأن مالاً سَقَامُ) ـ أَراد كأن جوداً مال، لأن المال لايقال له سَقام إذ هو جوهر والسُّقام عَرَض.

(حَـسَنٌ فـى عُـيـونِ أعْـدائِه أقْـ   ـبَحُ مِن ضَـيـفـهِ رَأَتْهُ السَّـوامُ)[5]

---

(١) انظر ديوان أبى تمام وروايته (حتى مابهنّ).

(٢) فى التبيان للعكبرى (٤:٣٠٥): «وكان قد وشى إليه به، فكأنه مع هذا قد اعترف بتقصير كان فيه وقد بيّنه بعد. لأنّ سياق الأبيات يدل عليه.

(٣) فى التبيان (٤:٢٠٥) والديوان: (منه) في مكان (شيئا).

(٤) ديوانه ص ١٦٥ وهو من قصيدة فى مدح أبى الحسن على بن أحمد المرى الخراسانى مطلعها:
لاافتخار إلاَّ لمن لايضام   مدرك أو محارب لاينام

(٥) السَّوام: الإبل الراعيه حيث شاءت.

أى هو حَسَنُ الصورة غاية إلاّ فى عيون أعدائه، لعلمهم بإهلاكه إياهم، أقبح من ضيفه فى عيون السُّوام، لعلمها إذا رأت الضيف أنها منحورةٌ، كقول الشاعر:

حبيبٌ إلى كلب الكريم مناخُهُ بَغِيضٌ إلى الكَوْمَاء والكلبُ أَبْصَرُ[1]

ومثله كثير. فقوله: (فى عيون أعدائه): ظَرْف لأقبح، ولايتعلق بحسن، لأنه لايحسن فى عيون أعدائه. وتقدير البيت: حسن فى عيوننا معشر أحبابه ومن لايَشْقَى به، لكنه بخلاف ذلك فى أعين عِداه. وقد بالغ بالقُبح ولم يبالغ بالحُسن، لأن قُبْحَه فى عيون أعدائه، أمدح له من الحسن فى عيون أحبابه.

(وَعَوارٍ لَوامعٌ دَمُها[2] الحِلُّ وَلَكِنَّ زِيُّها الإحْرَامُ)

اللوامع: السيوف لبريقها. ووصفها بالعُرْى: لاعتيادها مفارقة أغمادها. وعَوارٍ: جمع عار، لاجمع عُرْيان، لأن فُعْلانَ لايكسرُ على (فَواعل)، (دَمُها الحل): أى أنها مستحلة للدماء، على أن زِيَّها الإِحرام: أى أنها مجردة أبداً كالمُحْرم لايَسْفِك الدماء. فقد اجتمع فى هذه السيوف طبيعة الحل وزِىُّ الإحرام.

(وَمِنَ الرُّشْد لَمْ أَزُرْكَ عَلَى القُرْ بِ عَلَى البُعْدِ يُعرَفُ الإِلْمَامُ)

كان قريباً منه فلم يَزُره، ثم بَعُدَ فزاره، ليكون ذلك أدلَّ على إجلاله وإعظامه له، فأوجبه[3]. وأراد: من الرُّشد أنى لم أَزُرْك. وقوله (على البعد): متعلق بيعرف. وعلى القرب متعلق بأَزُرْك.

(١) البيت فى الحماسة (شرح المرزوقى ٤:١٦٥٤) ولم ينسبه لقائل.
(٢) فى الديوان والتبيان: (دينها الحل). أى لاتتحرك عن شئ. وإحرامها: تجريدها من الأغماد.
(٣) أوجب الإعظام وأكده ببعده عنه وعدم زيارته إياه حين كان قريبا منه أى صيرّ المتروك واجبا.

-٤١-

وله أيضاً:

**(تَخْلُو الدِّيارُ مِن الظِّبـاءِ وَعِنْدَه		مِن كل تَابِعَـةٍ خَـيـالُ خَـاذِلُ)[١]**

كَنَى بالظباء عن الحِسان. أى تخلو الديار ممن بها. والخيالُ غير مفارق لى. وكَنَى بالتَّابِعَة عن صغارها، لأن الجِدَاية[٢] وهى الصغيرة من الظباء تتبع أمُّها. ولما جعل المرأة غَزَالةً جعل الخيال خاذلاً، كما تَخْذُل الظبيةُ عن القطيع، أى تَتَأَخَّر.

وإن شئت قلت: جعل الخيال بمنزلة ولد الغزال، وَرَبَّة الخيال بمنزلة الغَزال. فتابعة بمعنى متبوعة على هذا القول. وجعله الخيال بمنزلة الولد لها تعسُّف لأن الخيال رُوحانى، فهو أَلْطفُ من ربَّة الخيال، كما أن الصغير الجسم ألطفُ من الكبير. وخَاذِلٌ: أى خَذَلَها وزارنى. فَمِنْ ـ على هذا ـ تكون للتبعيض وللجنس، فَتَفَهَّمْه.

**(كَـافَـأْنَنَا عَنْ شِـبْـهِـهِنَّ مِنَ المَـهَـا		فَلَهُنَّ فى غَـيْـرِ التُّـرابِ حَـبَـائِلُ)**

كافَأْنَنَا: من الكُفُؤ، وهو المثل، والمها: بقر الوحش: يُشَبه النساء بهن فى سواد الحَدق. والحبائل: الشَّرَك، واحدتها: حِبالة، أى صِدْنا الْمَهَا وهنَّ أشباه النساء، بحبائل منصوبة لهُن فى التراب، فكافأنَنَا عن فعلنا بأشباههن بأن صِدْنَنَا كما صِدْنَاهن، طلباً لثأرهن، إلا أن النساء صِدْنَنَا بحبائل لم تُنصب لنا فى التُّراب، وهى الأعين والخدود وغيرهما، من المحاسن الظاهرة، كالمباسم والأعطاف والقدود، وكلهن حبائل إلا أنها لاتثبُت فى التراب.

**(مِنْ طَاعِنِى ثُغَـرِ الرِّجَـالِ جَـآذِرٌ		وَمِنَ الرِّمَـاحِ دَمَـالِجٌ وخَـلاَخِلُ)**

كَنَى بالجـآذر هنا عن النساء، كما كَنَى عنهن فى البيت الذى قبله بالظباء أى ينبغى أن تعُدَّ جآذرُ الإنس من طَاعِنِى ثُغَر الرجال، لأنَّهن يفعلن من القَتْل

---

(١) من قصيدة له بديوانه (ص١٧٧) والتبيان (٣: ٢٥٠) ومطلعها: «لك يامنازل فى القلوب منازل»

(٢) الجدَاية (بفتح الجيم وتكسر): الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وعَدا وتشدَّد (اللسَان-جدا).

مالا يفعل الطاعن. وينبغى أن يُعَدَّ الحَلْىُ[1] من السلاح، لأنه سلاح النساء، كقول الأعشى:

إذا هُنَّ نَازلْنَ أَقْرانَهُنَّ ... وكانَ المِصَاعُ بِمَا فى الجُوَنْ[2]

يعنى بما تَضَمَّنَتْ الجُوَنُ من الطِّيب وسائر أنواع الزينة. ولو جعل السلاحَ محاسِنَهُنَّ لكان أليق بالشعْر. ولكن لما كان السلاح فى المعتاد ليَس بجزء من المُتَسَلِّح، جعل سلاحهن ما ليس بجزء منهنَّ، وهى الدُّمَالج والخَلاخِلُ . وكان مَصُوغُ الذهب والفضة، كمصُوغ الحديد لرجال الحرب.

وقد يجوز أن يكون أراد. من طاعنى ثُغَر الرجال جآذرُ، ومن السلاح دُملجٌ وخَلْخَالٌ. يذهب فى ذلك إلى التعجب. وحذفت الألف التى لفظها الاستفهام، ومعناها هنا الإنكار. لأن اللفظ مُكتفٍ بذاته، لما فيه من معنى التعجب، كقول أبى تَمَّام:

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القول مَنْ لَوْ هَجَوْتُه ... إذنْ لَهَجانِى عنه معروفُه[3] عِنْدِى

أى أأُسَرْبِلُ، فحذف الألف. ومثله كثير إذا تضمن الكلامُ معنى الإنكار والعجب.

(١) فى اللسان (حلا) عن الليث «الحَلْى كل حلية حلّيت بها أمرأة أو سيفا ونحوه»
(٢) انظر ديوانه بتحقيق د. محمد حسين ص١٧). والمِصَاع: مصدر ماصع أى قاتَل وجالد. والجؤن: جمع جُؤْنه وهو السُفط فيه طيب المرأة وزنيتها.
(٣) انظر شرح ديوانه (دكتور محمد عبده عزام) والرواية فيه (أألبس) فى موضع(أسربل).

وله أيضاً:

(صَغُرتَ كلُّ كَبيرةٍ وكَبُرْتَ عَنْ ... لَكَأَنَّهُ وعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامِ)[١]

أى فَعَلْتَ الصنائع الحِسَان. فصغرْت كل صَنيعةٍ جسيمة فَعَلَها غيرك، بالإضافة إليها. وجَلَلْتَ عن التشبيه بشىء من الأشياء التى لانظير لها فى العالم. كالشمس والبدر والبحر. وعددت سِنَّ غلام: أى نِلت هذه النهاية، وبلغت تلك الغاية فى حدّ صباك. فذاك أغرب وأشرف.

فقوله (وعددت سن غلام) جملةٌ فى موضع الحال. كأنه قال: بلغت كلَّ ذلك غُلاماً، وكان ينبغى أن يقول: (صَغُرت كلُّ عظيمة) مَكانَ (كبيرةٍ) لأن الصِّغَر عند الأوائل، إنما يقابله العِظَم. ولكنه حمله على طريق اللغة، لأن الكبير وإن كُنِى به عن المُسِنِّ، فقد يكون للعظيم. إلاَّ أن غير المشترك فى التقابل، خير من المشترك، فتفهَّمْه.

(مَهْلاً أَلاَ لِلّه مَا صَنَع الْقَنا ... فى عَمْرِو حَابِ وَضَبَّة الأَغْتَامِ)

أراد عَمْرو حَابِس، فرخَّم المضاف اضطراراً، كقوله أنشده سيبويه[٢]:

أَودَى ابنُ جُلْهُمَ عَبادٌ بصِرْمَتِه ... إن ابن جُلْهُمَ أَمْسَى حَيَّةَ الوادِى[٣]

قال: أراد ابن جُلْهمة، والعرب يُسمون الرجل جُلْهمة، والمرأة جُلْهم. كل ذلك حكاه سيبويه[٤].

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص٤٢٥ والتبيان (٤:٦) والبرقوقى (٢:٢٨٨) ومطلعها «ذكر الصبا ومرابع الآرام»

(٢) انظر الكتاب لسيبويه (١:٣٤٤).

(٣) قال الأعلم الشنترى فى شرح البيت: البيت للأسود بن يعفر والشاهد فى قولهم (جُلهم) وأنه أراد أمه (جُلْهُمَ) فلا ترخيم فيه على هذا، لأن العرب سمت المرأة جُلْهُم بغير هاء، والرجل جُلْهُمة (بالهاء). كذلك جرى استعمالهم للاسمين. وإن كان أراد أباه فقد رخَّم.
والصِّرمة: القطعة من الإبل مابين الثلاثين إلى الأربعين. ومعنى أودى بها: ذهب بها. وأمسى حية الوادى: أى يحمى ناحيته ويتقى كما يتقى من الحامية لواديها. والوادى: المطمئن من الأرض.

(٤) انظر اللسان (جلهم) وقد أنشد البيت وهو للأسود بن يعفر، وقال: قال سيبويه: والعرب يسمون الرجل جُلْهمة والمرأة جُلْهم. والجُلْهم الفارة الضخمة وحىّ من ربيعة يقال لهم الجلاهم..اهـ. وانظر الكتاب لسيبويه (١:٣٣٤)

والأغتام: جمع أَغْتَم. كسِّر أفعلَ على أفعال، وهو قليل. ونظيره أعْزل وأعْزال، وهو الذى لاسلاح له، وأغرل[1] وأغرال وهو الذى لم يُخْتَن.

(أَحْجارُ نَاسٍ فوقَ أَرضٍ من دَمٍ ونُجومُ بَيضٍ فى سماءِ قَتَامِ)

لما استعار للدَّم أرضاً، استجاز تسمية جُثَثِ القتلى أحْجاراً وشبه البيض لِلَمعانها فى القتام بالنجوم النيرَّة فى الظلام.

(وَذِرَاعُ كلِّ أَبِى فُلانٍ كُنْيةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُها أَبو الأَيْتامِ)

أى وفى ذلك المُعْتَرَكِ أذرع قطعت من قوم كانوا يُكْنَون أبا زيد، وأبا عمرو، وأبا عبدالله، وغير ذلك من أنواع الكُنَى. فلما قُطِعت منهم ماتوا، فكُنِى كلُّ واحد منهم (أبو الأَيتام).

-٤٣-

وله أيضاً:

(عَذِيرى مِنْ عَذَارَى مِن أُمُورٍ سَكَنَّ جَوانحِى بَدَل الخُدُورِ)[2]

عذَارَى: أى خطوبٌ أبدٌ ار لم تُصِبْ أحداً قبلى. هذا معنى العُذْرة فيهن.

و(مِنْ) هاهنا للتبيين. أى ليست هؤلاء العَذَارى من النِّساء، إنما هى من أمور الدهر، أَى أعذرنى، أو مَنْ عاذرى؟ وقوله: (سَكَنَّ جوانحى بدل الخدور) جملة فى موضع الصفة لعذَارىَ، وبهذه الصفة مع قوله: (من أمورٍ) خَلَّص عذارى الخطوب هنا: من عذارى النساء لأن عذارى النساء لايَسْكُنَّ الجوانح إنما يَسْكنَّ الخدور. فأقام جوانحه لعذَارَى الهُموم مُقام الخُدور لعذارى النساء

---

(١) ويقال له أيضا (أرغل) (المخصص ٣٢:١) وفى اللسان (رغل) الرُّغلة: القلفة والأرغل: الأقلف وكذلك الأغرل. وغلام أرغل بيّن الرَّغَل أى أغرل وهو الأقلف.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص١٦٨) والتبيان (١٤١:٢).

و(بَدَل) ظرف. أى مكان الخدور، كما حكاه سيبويه[1] من قول العرب: إن بَدَلَك زيدا، أى إن مكانك. قال: ويُقال للرجل: اذهَب معك بفلان، فيقول: معى رجل بَدَلَ فلان، أى يغنى غَناءَه، ويكون فى مكانه.

-٤٤-

وله أيضاً:

(مَنَافِعُهَا مَاضَرَّ فى نفع غيرِها   تَغَذَّى وتَـرْوَى أن تَجُوْعَ وأن تَظْمَا)[2]

أى إن ضُرَّها لنفسها منفعةٌ لها، إذا جرَّ ذلك نفعاً لغيرها تقوتاً بالمجد، واحتساب الأجر، كقوله تعالى: (ويُؤْثِرُون على أنْفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[3] . أى طلباً للأَجر. ثم فسَّر قولَه: (منافُعها ما ضَرَّ فى نفع غيرها) بالنصف الثانى، فقال: (تَغذَّى وتَرْوَى أن تجوع وأن تظما). أى أنها تجوع لتخُصَّ غيرها بطعامها، فهى تَغَذَّى بذلك الجُوع ولايُؤثر فيها، بل هو نَماءٌ لجِسمها. وتعطش لتُخصَّ غيرَها بشرابها، فذلك العطش رِىٌّ لها، إذ هو فى سبيل المجد.

فتلخيص القضية. أنها تَغَذَّى بالجوع، وتَرْوَى بالعطش.

وكان وجه الصنعة ـ لو استقام له الوزن ـ أن يقول. تَشْبَع وتَرْوَى، ليُقابِل الجُوع بالشِّبَع، كما قابل العطش بالرِّى. لكن لما كان فى التَّغَذِّى ما يُشعِر بأنه ربما كان معه الشِّبَع، تَسمَّحَ به، وأراد (أن تَظْمَأَ) فأبدل الهمزةَ إبدالاً صحيحاً، حتى ألحقها بحروف العلّة، وذلك لحاجته إلى الوصل، لأن الهمزة لايُوصل بها الرَّوِىُّ، ولايَطَّرد هذا فى كل شىء.

---

(١) عبارة الكتاب لسيبويه (١: ٤٠٠) فى باب ماينتصب من الأماكن والوقف «ومن ذلك قول العرب: هو موضعه، وهو مكانه، وهذا مكان هذا. وهذا رجل مكانك إذا أردت البدل. كأنك قلت: هذا فى مكان ذا وهذا رجل فى مكانك ويقال للرجل: أذهب معك بفلان فيقول: معى رجل مكان فلان. أى معى رجل يكون بدلا منه ويغنى غناءه ويكون مكانه».

(٢) من قصيدة فى رثاء جدته ومطلعها.

ألا لا أرى الأحداث مدحا ولاذما   فما بطشها جهلا ولاكفها حلما

وانظر ديوانه ص١٧٤ والتبيان (٤: ١٠٣).

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر.

وليس لك أن تقول: إنه خَفَّف الهمزة تخفيفاً قياسيًا، لأن الهمزة إذا خففتْ تخفيفاً قياسيًا، لم توصل به، لأنه في نية الهمزة. فمن حيث لايوصل بالهمزة مُخَفَّفة، لايوصل بها مخففة تخفيفاً قياسيًا، فتفهمْه فإنه لطيف.

(إذا فَلّ[1] عَزْمِى عَن مَدًى خَوفُ بُعْدِهِ   فَأَبْعَد شيءٍ ممكنٌ لم يَجِد عَزْمَا)

أى إن الممكن من المَطَالب، إذا لم يعزم عليه طالبه، كان بمنزلة الممتنع. والفرق بين الممكن الذى لايجد عَزْماً وبين الممتنع، أن الممكن إذا عُزِم عليه نِيْل، والممتنع لايُنَالُ البتَّة ولو عزم عليه. وقوله: (فأبْعَدُ شيءً ممكنٌ): يريد فأبعد الممكنات ممكن لايُعْزَم عليه. ولايجوز أن يكون شيء هاهنا يجمع الممكن والممتنع، لأن العقل لايشكُّ فى أن الممتنع أبعد الأشياء.

وتلخيصه: إذا فَلَّ عزمى بعد مطلبى فأبعدُ منه مَطلبٌ ممكن، لم يجد لَدَىَّ عزما.

-٤٥-

وله أيضاً:

(سِرْبٌ مَحاسِنُه حُرِمْتُ ذَواتِها   دَانى الصِّفَات بَعِيدُ مَوصُوفاتِها)[2]

السِّربُ: القطيع من الظِّباء والشاء والبقر. وعنَىَ (بالسِّرب) هنا النساء، تشبيهاً لَهُنَّ بالظباء. والمحاسنُ: واحدها حُسْن على غير قياس. وذواتها: صَواحبُها. أى هَوایَ سِرْبٌ حُرِمْتُ ذواتِ محاسِنه، وذَوات المحاسن هنَّ ذلك السِّرب. فكأنه قال: حُرِمْتُه، بأن حِيل بينى وبينَه. وقد يجوز أَن يكون سربٌ مبتدأ، ومحاسنه مبتدأ آخر، أَو بدلاً من سِرْب. وحُرِمت ذواتِها: خبر عن المحاسن، والمبتدأ الثانى وخبره؛ خبر عن سِرْب. فلا يحتاج على هذا القول إلى إضمار (هَوَاى). وأَن يكون سربٌ خبر مبتدأ مضمر: أولى كما قدمنا، لقبح

---

(١) ويروى قل (بالقاف) أيضا وفى رواية الفاء يرتفع (خوفُ) لأنه يكون فاعلا وبالقاف ينصب على المفعول له.

(٢) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه ص١٨٥ يمدح بها أبا أيوب بن أحمد بن عمران الأنطاكى وانظر التبيان(١: ٢٢٥).

الابتداء بالنكرة. ثم قال: (دَانى الصفاتِ بعيدُ موصوفاتِها): إنما دَنَتْ صفاتُه عليه، لأنه يَقْدِرُ على وصفهن بما أُوتِيَه من اللَّسَنِ، والمَنطق الحَسَن. وبَعُدت موصوفاتُ السِّرب، لأنهنَ مقصوراتٌ محجوباتٌ، أو ممنَّعات، والضمير فى (موصوفاتها): راجعٌ إلى السِّرب وإن كان مذكراً. لكن جاز ذلك، لأنه فى معنى الجماعة. ولايجوز أن يكون راجعاً إلى الصفات، لأنه نوع من إضافة الشىء إلى نفسه.

(وكأنَّها شَجَرٌ بَدَا[1] لكنَّها شَجَرٌ جَنَيْتُ المُرَّ من ثَمَراتها)

أى كأنَّ العِيس شَجرٌ من عُلُوِّهن. والعرب تشبه الحمول كثيراً بالنخل، وذلك لما يضَعُون على الهوادج من الرقم والعُهون الملونة، فيشبِّهون ذلك بالزهر والبُسْر[2] المَلوَّن. ولم يشبه المتنبى الهوادج وما عليها بذكر النخل، وإنما عنى عُلُوَّ الإبل، فشبهها بالشَّجر عامة، ثم قال: (لكنها شجر جَنَيتُ المُرّ من ثَمراتها) يعنى بذلك: إبعاد الإبل حَبَائِبه عنه، وقد بيَّن ذلك بقوله:

(لاسرتِ من إبلٍ لَوَ انىَّ فوقَها لَمَحَتْ حَرارةُ مَدْمَعىَّ سِمَاتِها)

دَعَا عليهن ألا يَسِرْن، إشفاقاً من بعد حبائبه عنه إذا سارت.

(وتَرى المُروَّةَ والفُتُّوةَ والابُوَّ ةَ فِىَّ كلُّ مليحة ضَرَّاتِها)

يعنى أن الملائح يَعْشَقْنَه، وهو يؤثر عليهنَّ المروَّة والأبُوَّة والفُتُوَّة، وذلك أن هذه الثلاثة يَنْهَيْنَه عن عِشْقِ النِّساء ويأمُرْنَ بحُبِّهن أنفسهن. فعَلِم الملائح أن هذه الخصال الثلاث يَضُرْرن بِهِنَّ عنده، كما تَضُر المرأةَ عند بعلها ضراتُها، إذ لولاهن لواصلهن.

(وَمَقانِبٍ بمَقانِبٍ غَادَرْتُها أقواتَ وَحْشٍ كُنَّ من أقْواتِها)

المِقْنَبُ: القطعة من الخيل. أى صَرَفتُ مِقْنَب غيرى بمِقْنَبى. فهذا معنى قوله: (وَمَقانِبٍ بمقانب غَادَرْتها) وقوله: (أقْواتَ وَحْشٍ كُن من أقواتها) أى

---

(١) فى الديوان والتبيان: «بدت».

(٢) زهر النبت: نَوْره. وأزهر النبت: إذا نَوَّر وظهر زَهْره. والبُسر: التَّمر قبل أن يُرْطِب. (اللسان).

صَرَعتُ هذه المقَانب، فتركتها أقواتاً للوحوش التى كانت من أقوى المقانب، فعاد الأمر بالعكس. وجعل الوحش الآكلةَ لهم مما كانوا يقتاتون به، لأن العرب تأكلُ الذئب، والضَّبُع والهليا غ[1] والفهد ونحو ذلك من آكلة الإنسان. وقد شبَّه بعضهم هذا البيت بقول البحترى:

كــلانا بها ذِئْــبٌ يحدِّث نفســه ... بصاحــبه والجِــدُّ يتبعــهُ الجَــدُّ[2]

وليس مثله، لأن البحترى لم يأمُل أكلَ الذئب كما أمَّل الذئبُ أكلَه وإنما قال: كلانا خاتل لصاحبه، الذئب يريد أكْلى، وأنا أريد قَتْله.

(أَقْبَلْتُها[3] غُرَرَ الجِيــاد كَأَنَّــما ... أَيْـدِى بَنــى عمـرانَ فى جَبَهــاتِهَــا)

الكريمُ يوصف ببياض اليد، وهذه الخيل التى أقْبَلْتُها هذه الوجوه. هُنَّ غُرّ، فكأن غُرَرها أيدى هؤلاء موضوعة فى جبهاتها. يعنى أقبلتها خيلاً سابقة، يُقبلون جِباهَها كما تقبِّلُ أيدى بنى عمران. فهذا معنى التشبيه.

(تَكْبُــو وَرَاءَكَ يَا ابْـنَ أَحْــمَـد قُــرَّحٌ ... لَيْسَتْ قَوائِمُـهُـنَّ من آلاتِــهـا)

القُـرَّح هنا: كناية عن الرجال الكهول المُذَكَّين[4]. وأصله فى الخيل، واحدها قارح، وهو الذى أتى عليه خمسُ سنين من نِتَاجه. فشبه الممدوح بفرسٍ جواد، وشبه مبارزيه بخيل قُرَّح، كقوله:

فدىً لأبى المِسْكِ الكرامُ فإنَّها ... سَوابقُ خيلٍ يَهتَدينَ بأَدْهَمِ[5]

أى بفرسٍ أَدْهَم. وخصَّه بالدُّهمة، لأنه عَنى به كافوراً.

وقوله: (ليست قوائمهنَّ من آلاتِها): أى ليست قوائمها آلات لها لأنها تعثر وتكبو وتضعف عن مجاراتها، فكأن هذه القوائم ليست من آلاتها[6]. إذ لو كانت

---

(١) الهلياغ (بالغين) من صغار السباع. (اللسان).

(٢) البيت من قصيدته فى وصف الذئب، وأولها: «سلامٌ عليكم لاوفاء ولاعهد». وانظر ديوانه ط. هندية (١٨٦:١).

(٣) يقال: أقبلته الشئ أى جعلته قبالته.

(٤) من ذكّى الرجل (بتشديد الكاف) إذا أسَنّ وبدَن. والمذكّى أيضا: المسِنّ من كل شئ.

(٥) من قصيدة له فى كافور مطلعها «فراق ومن فارقت غير مذمم» انظر الديوان ٤٥٩ والتبيان (١٣٧:٤).

(٦) (ليست من آلاتها): أى آلات لها، أى أعوانا مسعفه لها.

آلاتٍ لها لنصرَتْها ولم تخنها ولا أظهرتْ فضلك أيها الممدوح على هذه القُرَّح. وإنما قوائمها من آلاتك أنت، لدلالتها على سبقك، إذا كَبتْ هذه القرح وراءك، فهن آلاتُك المبيِّنة لفضلك لا آلاتها، لأن من نصرك وخذل مناوئيك، فإنما هو آلة لك لا لمناوئيك، وإن كان أهلاً له، وجزءاً منه، كقوله تعالى: (يَانُوحُ إنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)[1] أى ليس من أَنْصَارك ولامُعاضِدِيك، إنما هو من أعدائك. ولم ينفِ أنه ابنه حقيقة، لأن نساء الأنبياء لم يَفْجُرْن.

وذكر القوائم هنا، لذكره الخيل، ذهاباً إلى الصنعة. وإنما القوائم هنا كناية عن الخصال والفضائل النفسانية. وقيل: إن الضمير فى آلاتِها لـ «وراءَك»، أى لايتبعك إلاَّ خيلٌ قوائمها أثبت من قوائم هذه القُرَّح. وأما قوائم هذه فمقصِّرة عن متابعتك، والصبر على مُجاراتك.

(سُقِيَتْ مَنابِتُها التى سَقَتِ الوَرَى بِنَدَى[2] أبى أيوبَ خَيرِ نَبَاتِها)

الصَّنعة سارية فى هذا البيت، وذلك أنه جعلَ للنفوس منابت، وليست النفوس نباتية فتنبت، وإذا لم تنبت فلامَنْبِتَ لها، ومعناه: سقى اللّه أَهل هذا الممدوح بندَاه لأنهم أَجواد، فإذا أَفاض عليهم جوده، أَفاضوه على من سواهم. وقوله: (خيرُ نَباتها) الهاءُ للمنابت. ودعا للمنابت بُسقيا النبات لها، وتغذيتها إياها، قلبا للعادة. لأن المَنْبِت يغذِّى النبات، والنبات لايُغَذِّى المَنْبِت، إذ المنْبت غير نامٍ، ولكنه أغرب بذلك، وجعل الممدوح خَيْر نبات المنَابِت التى هو منها، لأنه أشرفها وأوسطها، فالباء[3] التى فى قوله: (بندى أبى أيوب) على هذا التفسير متعلقه بُسقِيَتْ. وقد يجوز أن تكون متعلقة بَسقَت. ويكون سَقْى المنابت غيرَ مُبَينٍ. فكأنه قال: سُقيت منابتها، وأمسك ولم يذكر ما تُسقَى به.

---

(١) الآية ٤٦ من سورة هود.

(٢) يروى (بيدى) كما فى التبيان (١: ٢٣٠) وهذا البيت متقدم فى التبيان على البيت السابق له.

(٣) جعل الباء فى (بندى) بيانية. فإذا علقت بالفعل الثانى المبنى للمعلوم، خلا الفعل الأول فى المبنى للمجهول من معنى الباء وهو البيان.

(لَو مَرٌ يركُضُ فى سُطور كِتَابَةٍ أَحْصى بحافِرِ مُهرِهِ مِيماتِها)

يصفه بالحذق فى الفروسية. وخص المُهرْ ليكون أغرب، لأنَّه إذا فعل ذلك بالمُهرْ وهو غير ماهر ولامُرْتاض، كان أقدر أن يفعل ذلك بالقارح[1]، لارتياضه وانقياده.

(يَضَعُ السِّنَان بحيثُ شَاءَ مُجَاوِلاً[2] حَتَّى من الآذانِ فى أَخْرَاتِها)

يصفه أنه حاذق بالطعن، حتى إنه يضع السِّنان فى خَرْت الأذن. وقوله مُجاولاً: حال مُفيدة[3]. والمُجَاوِلُ: المُجارِى فى مَيْدان الطعن، وذلك أنه إذا فعل وهو جائلٌ فى الحرب، كان أقدر عليه وهو فى الميدان وادع.

(لاخَلْقَ أَسمحُ منك إلاَّ عارفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لم يَقُلْ لَكَ هَاتِها)

أى المعروف عنك الجود بكل ماسُئلته، فلا أحد أسمح منك إلا إنسان عرف هذه الشيمة منك، فلم يسألك نفسك. وجعله أسمح منه، لأنه بذل له أنفس الأشياء، فكأنه قد جَادَ عليه بما لم يجد هو بمثله على أَحد، لأن الجودَ بالنفس أقصى غاية الجود وهذا كقوله هو:

يأيُّها المُجدَى عَليه رُوحُهُ إذْ ليس يَأْتِيه لهَا اسْتِجْدَاءُ[4]

وقد أُنْعم[5] شرحُه فيما تقدم. وَراء[6]: مقلوبة عن رأى، قال الشاعر:[7]

فَلَيْتَ سُويداً رَاءَ مَنْ فَرَّمنهمُ ومَنْ خَرَّ إذ يَحْدونَهُمْ بالركائبِ

ويَدُلُّك على أن (رَاءَ) مَقلوبة عن رَأَى، أنه لم يأت لها مصدر، إذ الأفعال المقلوبة لامصادر لها عند سيبويه، ولاأعرف أحداً خالفه. ولو كانت (رَاءَ) لغة فى رأيتهُ، لكان لها مصدر. وهذا أصل من أصُول التصريف، فتفهمْه.

(١) القارح من الخيل: هو الذى دخل فى السنة الخامسة.
(٢) (مجاولا) أى مدافعا ومطارداً. و(أَخْراتها): جمع خُرْت (بضم الخاء وفتحها) وهو الثقب فى الأذن.
(٣) أى حال مؤسسة لامؤكدة لما قبلها.
(٤) انظر ماسبق (مقطوعه٣٣)
(٥) أى شرح شرحا دقيقا وافيا فيما تقدم.
(٦) قال ابن سيده فى المحكم: «راَء لغة فى رأى والاسم الرِّى» ونقلة عنه صاحب اللسان فى (رأى).
(٧) هو قيس بن الخطيم. وقد أنشد البيت صاحب اللسان فى (رأى) منسوبا إليه. وأورده شاهد على أنه يقال (راءه فى رآه) وفيه (بالركائب) فى موضع (كالجلائب) التى هى رواية الأصل.

والخَلْق فى هذا البيت: بمعنى المخلوق. ولذلك أُبدل (عارف) منه. إذ لو كان الخْلق مصدراً لم يُجزْ إبدال (عارف[1]) منه، لأن الجواهر[2] لاتبدل من الأعْراض. وإنما كان يَنْصِبُه على الاستثناء المنقطع، مع أن المصدر لامعنى له فى هذا البيت. ولذا حَذَّرْنا منه إغرابا (بالإعراب).

(غَلِتَ الذى حَسِبَ العُشُورَ بآيةٍ   تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ من آياتِهَا)

غَلِت فى الحساب، وغَلِط فى القَوْل. هذا فرْق. وقيل: هما سواء. يمدح إمام أنطاكية، فيصفه بتجويد التلاوة، وحُسن التأدية، حتى جعل حُسْنَ لفظه وترتيله للقراءة فى الإعجاز، بمنزلة الآية، فيقول: يجب أن تكون قراءتك هذه مضافة إلى الآيات، تُعَدُّ بصورة فى النفس آية، فقد غَلِط حُسَّاب العُشور إذا لم يَعُدُّوا قراءتَك منها. وكان يجب أَن يقول: ترتيلُك للعشور من آياتها، أَو الأعْشَار من آياتها، فكان أذهب فى الصنعة.

وهذا البيت كله (خَلْف)[3] من وَجْهين. أحدهما: طريق الغُلُوّ الذى لامَساغ له فى الذات اللُّقنة[4]. والآخر: أن الترتيل عَرَضٌ فى اللفظ وليس بذات لفظ، والآية لفظ. وإنما التَّرتيلُ فى ذات اللفظ كالعَرَض فى الجوهر، فلاينبغى أن يُعدَّ ماهو عَرَض فى الجوهر جزءاً من ذات الشىء، فتفهَّمْه، فإنه لطيف المعنى[5].

(لا تَعْذُل المرَضَ الذى بك، شَائِقٌ   أنت الرِّجال، وشَائِقٌ عِلأَتِها)

كان هذا الممدوح عليلاً، فيقول: لاتلم المرض المعتمد[6] لك، والحالُ بك، لأنك محبَّبٌ إلى النفوس وإلى أحوال النفوس، فكما أَنك تَشُوق النفوس فتذهب

---

(١) عارف: اسم فاعل ومعناه ذات موصوفة بالمعرفة.

(٢) يريد بالجواهر أسماء الذوات الجامدة.

(٣) فى المصباح المنير: والخَلْفُ - وزان فلس- الردئ من القول. يقال: سكت ألفا ونطق خَلفا. أى سكت ألف كلمة ثم نطق خطأ.

وقال أبو عبيد فى الأمثال: الخَلْف من القول: السقط الردئ. وفى التاج عن ابن برى: ويستعار الخَلف لما لاخير فيه

(٤) يقال: غلام لقِن: سريع الفهم (اللسان- لقن)

(٥) أى دقيق المعنى غامضة.

(٦) يقال: فلان عميد: أى شديد المرض لايقدر على القعود حتى يُعْمد بالوسائد. ثم اتسع فيه فقيل: عميد. (أساس البلاغة).

نحوَك، وتحلُّ بك، كذلك الأحوال، والعلّه نوعٌ من الحال، فلا عتاب عليها فى حبها لك.

فتلخيص البيت: لاتَعذُل مرضَك، لأنك تشوق الرجال، وتشوق عِلَلَها. فشائق: خبرُ مبتدأ مقدم، وأنت مبتدأ. أَى أنت شائقٌ الرجالَ وعللَها. ولايجوز أن يكون شائقٌ مبتدأ، وأنت فاعل بشائق، لأن اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفعل إذا كان (معتمداً)[1] على شىء قد عمل فى الاسم قبله، أعنى، كأن يكون خبراً لمبتدأ، أو فاعلاً لفعل، أو صفة لموصوف[2]، أو حالا لذى حال، ونحو ذلك، فأما أن يكون يعمل عملَ الفعل وهو مبتدأ، فلايجوز. فلو قلت: ضاربٌ زيداً تُريد: اضربْ زيداً كان خطأ.

(فإذا نَوتْ سَفَراً إليكَ سَبَقْتَها فَأَضَفْتَ قبل مُضَافِهَا حَالاَتِها)

هذا البيت متعلق بهذا البيت الذى قبله: أَى أَن الرجال إذا نوتْ سفراً إليك سبقْتَها[3] بإِضافتك أَحوالها، قبل إِضافتك إِياها. وإضافته لحالاتها قبوله لها بجسمه، لأنه فى ذكر المرض، والمرض عَرَض، والعَرَض يطلب مَحَلاً، ومحله الجسم. ويشبه ذلك قوله بعد هذا:

(ومنَازِلُ الحُمَّى الجُسُومُ فَقُل لَنَا ماعُذْرُها فى تَرْكِها خَيْراتِهَا)

أَى إذا كانت الأمراض أَعراضاً، ولم يكن للعَرَض بُدٌّ من جسم، وأمكن العَرَضَ جسمُك الذى هو خير الجسوم، فكيف يُعذر على تركه.

---

(١)[معتمدا] زيادة يتضح بها الكلام.

(٢) إن لم تكن الصفة المشتقة معتمدة على شئ مما ذكره ابن سيده، فإنه يشترط فيها لتعمل عمل الفعل أن تكون معتمدة على مايقربها من الفعل كالاستفهام والنفى. وهذا عند نحاة البصرة. أما نحَاة الكوفة فلا يشترطون الاعتماد على النفى والاستفهام، ويجوزون أن تكون الصفة مبتدأ، وما بعدها فاعل أو نائب فاعل سدَمَسدَ الخبر. (انظر الأشمونى. باب إعمال الفاعل).

(٣) فى التبيان (١:٢٣٤) قال ابن فورجة: الناس يروون (سبقتها) (بالتاء) والصواب (بالنون) لأن المعنى إذا نوت الرجال السفر إليك سبقت العلات الرجال وجاءتك قبلها. ويصح بالتاء على تمحُّل بأن يقال: سبقت إضافتها بإضافة حالاتها فيكون من باب حذف المضاف. وبريد بالحالات حالات مرضهم الذى ذكره. اهـ.

(فــاليــومَ صِــرتُ إلـى الذى لو أنَّـه   مَلَكَ البَــرِيَّةَ لا سْــتــقلَّ هِبَــاتِهــا)

هذه الهاء فى موضع المفعول به، أى لاستقلَّ أَن يَهبَها لعالم آخر. فكان يجب على هذا أن يقول: لاستقل هبتها، لأن الهبة هنا المصدر، لا الموهوب، ولكنه جمع المصدر، لأنه عنى به الموهوبين، ولأنه مصدر متنوع، لأنه كان يهبها فُرادى وَمثْنى، ومازاد على ذلك من الكمّ، فقد تنوع المصدر باختلاف الأعداد، فاستجاز الجمع[1] لذلك.

(مُــسْــتَــرخَصٌ نَظَرٌ إليــه بمــا بـه   نظَرَتْ وَعَــثْــرةُ رِجْلِهِ بديَاتِهَــا)

«مَابِهِ نَظَرَتْ»: يعنى أعين البرية. أى أَن النظر إليه رخيص بأعينها يعنى بفقدها الأعين. وكذلك عَثْرةُ رجله لو اشْتُريت بديات البرية لكانت رخيصة.

ـ٤٦ـ

وله أيضاً:

(وَتركُـكَ فـى الـدُّنْيَـا دَوِيًـا كأنَّمـا

تَـداوَلَ سَمْـعَ المَـرْءِ أَنْمُلُـهُ العَشْرُ)[2]

يعنى لايسمع شيئاً، كقول النابغة:

«وتلْـك التـى تَستَـكُّ منهـا المسامعُ»[3]

والدَّوِيّ: الصوت. وهذا البيت مضمن بما[4] قبله. أَى إنما المجدُ السيف، والفتكة البِكر، وأَيام حرب يُسْمع لها من اجتماع الأصوات المختلطة الواصلة إلى الآذان، مثل صوت البحار الذى يسمعه الإنسان إذا أطبق أذنيه بأنمله.

---

(١) الأصل فى المصدر عند أصحاب اللغة الأ يُثنى ولايجمع، لأنه جنس يصدق على القليل والكثير والواحد وغيره، إلا إذا قصد به الأنواع مثل جمع علم وفهم على علوم وفهوم. (انظر كليات أبى البقاء حرف الميم-)

(٢) البيت ومابعده من قصيدة مطلعها «أطاعن خيلا من فوارسها الدهر» وانظر ديوانه ص١٨٩ والتبيان(٢:١٤٨).

(٣) صدره كما فى ديوانه «أتانى أَبَيْتَ اللَّعْن أنك لُمتَنى» وانظر مختارات الشعر الجاهلى (١:١٥٧).

(٤) هو قوله   ولاتحسين المجدزقًا وقَينة   فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
ومضَّمن: أى مكمَّل لمعناه، وهو عيب عند أصحاب العروض. وقد سبق مثله.

والأنمل هنا: الأصابع، واحدتها أَنْملة، من باب تَمْرة وتمر[1]، وليس بتكسير أنملة لأن هذين البناءين إنما يكسران على (أفاعل).

وقوله «تداول سمعَ المرء»: يجوز أن يكون السمع اسماً للأذن، فلا يحتاج فى هذا القول إلى حذف. ويجوز أن يكون السمع هنا: الحِسُّ لا الجوهر الذى يُحَسُّ به، فإذا كان ذلك، فلابد من حذف، كأنه قال: تداولَ موضع سمع المَرْءِ. وإلى هذا ذهب أبو على فى قوله تعالى: (خَتَم اللّهُ على قلوبِهم وعَلَى سَمْعِهم)[2] وجَّهه على الوجهين جميعاً.

(إذَا الفَضْلُ لم يَرْفَعْكَ عن شُكْرِ نَاقصٍ

عَلَى هبةٍ فالفضلُ فيمَنْ لَه الشُّكْرُ)

أى إذا اضطرْرت إلى ناقص فتفضل عليك فشكرتَه فقد حصل الفضل لذلك الناقص، فمن الحق أن تَتَحامى رَجاءَ الناقص[3]، لئلايتيح لك فضلاً[4] منه عليك، فيكون الفضل له. وقال: (الفضل فيمن له الشكر) أى: الفضل للشاكر، لا للمشكور، لأنه يُشَرِّف هذا الناقص بشكره. أو بنفعه به.

(وَغَيثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عامِراً   عَلا لَم يُمتْ أو فى السحابِ له قَبْرُ)

عامر: جَدُّ هذا الممدوح. يصف سحاباً بكثرة الماء، حتى كأن عامراً ذَا عَلاً إلى الفلك فأمطر الناسَ جوده، أو دفن فى السحاب، فهو يجود بالماء وإن كان فيها مَيِّتاً.

---

(١) يريد أنه من باب اسم الجنس الجمعى الذى يفرّق بينه وبين واحده بالتاء. وليس من صيغ جموع التكثير.

(٢) الآية ٧من سورة البقرة.

(٣) تنازع شراح المتنبى فى تفسير معنى البيت. ومن أحسن التوجيهات قول ابن القطاع: إنما أراد أبو الطيب، إذا لم يرفعك فضلك عن شكر ناقص فالفضل له لالك.ينهاه أن يمدح ناقصا. وهذا من كلام الحكمة. قال الحكيم: من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل، يرفع قدر الجاهل عليه. وفيه نظر إلى قول الطائى:

عياش إنك للئيم وإننى   إذ صرت موضع مطلبى للئيم.

(٤) فى ت «تفضلا».

وقوله: (لم يمت) بدل من قوله: (عَلاَ). وقد يجوز أن يكون حالاً من الضمير الذى فى علا أَى علا غيرَمَيِّتٍ.

(او ابنَ ابنهِ الباقى[1] علىَّ بن احمدٍ   يَجودُ به لو لَمْ أَجُزْ وَيَدِى صِفْرُ)

أَى لولا أنى جُزْت به خالىَ اليد منه، لما شككت أَن أَحدهما هناك. ويدى صِفْرُ: جملة فى موضع الحال.

(إليكَ طَعَنَّا فى مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ

بكلِّ وَآةٍ[2] كُلُّ ما لَقِيتْ نَحْرُ)

أَى قطعنا إليك الأراضىَ البعيدة بكل ناقة خفيفة مُوثَّقَة، تفعل فى الأرض البعيدة ماتفعل الطَّعنة فى النحر. ومَعناه أنها تتوغل كالطعنة فى الصدر، وتبلغ الغاية، كما تبلغ الطعنة إذا وصلت إلى القلب.

(إذَا وَرِمَتْ من لَسْعةٍ مَرِحَتْ لها   كأن نَوالاً صَرَّ فى جِلْدِها النِّبْرُ)

النبر: دُوَيْبَة تلسع الإبل، فتَحبَط[3] مواضعُ لسْعها وتَرِم، يقول: إذا لسعها النبر لم تَأَلَمْه، لاعتيادها إياه، وطَيِّب نفسها، وفَرِحَت له، حتى كأن تلك اللسعة التى أورمت جلدها، صَرَّت فيها نوالاً لهَا، فهى تفرح لذلك، كما يفرح المُعطَى بالعَطية.

وقوله: «كأن نوالاً»: يجوز أن يكون نوالاً منصوباً بكأن، والجملة التى هى (صرٌ فى جلدها النِّبر): خبر كأن. وفيه ضعف لأن اسم (إن) نكرة غير مؤيدة بالصفة.

وخير منه عندى أن يكون فى (كأن) إضمار الشأن أَو الحديث، أى كأن الأمر أَو الحديث، ونوالاً: مفعول لصَرٌ.فقوله: «نوالاً صَرٌ فى جلدها النِّبْر»: تفسير للمضمر الذى فى (كأن).

---

(١) كلمة «الباقى» صفة لابن المنصوب. سكن الياء فيه لضرورة الشعر انظر التبيان (٢:١٥٣).

(٢) الوآة: الناقة الشديدة النجيبة من الإبل، والذكر: وأى وانظر اللسان (وأى).

(٣) الحبط: الانتفاخ أيا كان من داء أو غيره. يقال حَبِط جلده: ورم. وقال فى اللسان: وفى المحكم: «وَرِم يَرِمُ بالكسر، نادر،».

(فَجِئْنَاكَ دُونَ الشمسِ والبدرِ فى النَّوى

ودُونَك فى أَحْوالِك الشمسُ والبَدْرُ)

قوله: (دُونَ الشمس والبدر فى النوى) حال، أَى جئناك وأَنت أَقرب إِلينا من الشمس والبدر، وهما دونك فى المجْد وشرف القدْر.

(لِسَانى وَعْينِى والفُؤَادُ وهِمَتى أَوُدُّ اللّواتى ذَا اسْمُـهامنكَ والشَّطرُ)

الأَودُّ: الاحِبَّاء، وأحدهم وِدٌ[1]. فيقول: هذه الأعضاء منى تُحبُّ ماقابلها من أَعضائك التى أسماؤها هذه.

وقوله: (والشطر): أَى كأن هذه الأعضاء منى شقيقة سَمِيَّتها منك، حتى كأنهما اقتسمتا جزءاً من العنصر الذى منه كَونُها. وإِذ كان هذا فى الأعضاء، فكان لسانى موافقاً للسانك، يقول ماتقول، وعينى مطابقة لعينك تستحسن ماتستحسن، وفؤادى ملائم لفؤادك، يهوى مايَهْواه، وهذه عُمَدة أَعضاء الإنسان فالجملتان شقيقتان. فنحن إِذَنْ شقيقان.

وأما قوله: وهمتى، فزيادة، لأن الفؤاد محل الهمة، فهو يغْنى عنها.

---

(١) الوِدُّ: الوديد والجمع أَوُد. ويقال: ودك وديدك كما تقول: حبُك وحبيبك.

وله أيضاً:

(أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكثرَهُ مَجْدُ وَذَا الجدُّ فيه نلْتُ أَمْ لم أنَلْ جَدُّ)(١)

بَلْه: يُنْصَبُ بها ويجر، النصب على أنه اسم للفعل كرُوَيدَ. والجر على أنه مصدر، وإن لم يكن له فعل، فقد وجدنا مصدراً دون فعل، كويلٍ وأخواتها.

أَى أَقلُّ فَعالى شرفٌ. دَعْ أكثرَه، كقول القائل فكيف أَكثرُه. وهنا إفراط فى القول، إلا أن الشرف يتفاضَل فى ذاته، فإذا كان أَقلُّ فَعاله شرفاً، فأكثره شرفٌ أَعْلَىَ من ذلك.

وقوله: (وذَا الجِدُّ فيه نلتُ أَم لم أَنل جَدُّ). الهاء عائدة إلى المجد، أَى وذا الجِدُّ فى طلبه جَدٌّ.

الجِدُّ: الاجتهاد والتشمير. والجَدُّ: البَخْت. ويقول: جِدى فى الأمور بَخْت. وإن لم أنل به بَخْتا، لأن الجِدّ معدود فى السعادة، لكونه من الفضائل النفسانية، التى تبعث عليها الأَنَفَة والشهامة، كما أن التوانى يُعَدّ فى الشقاوة لكونه من الرذائل التى يبعث عليها العجز والسآمة، يقول: فأنا إن لم أنل بسعيى حظاً نلت به عند نفسى وغيرى عُذْراً أَحْصُل به على راحة نفسى، لايَلحقنى ملام من أَحد: كقوله:

(ومُبْلغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مثلُ مُنْجِحِ)(٢) ؟

(سَأَطْلبُ حَقِّى بالقنَا ومَشَايخٍ كَأَنَّهُم من طول ما التَثَمُوا مُرْدُ)

مشايخ: جمع مَشْيَخَة، حكيناه عن أَبى زيد، وقد يجوز أَن يكون جمع مَشْيُوخاءَ، الذى هو اسم لجمع شَيْخ، فكان ينبغى على هذا (مَشاييخ)، لكنه اضطر فحذف، كقوله:

(١) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه (١٩٨) والتبيان (١:٣٧٣) يمدح بها على بن محمد بن سيار.

(٢) شطر بيت لعروة بن الورد، وروى صدره أساس البلاغة (نجح): (ليبلغ عذراً أو يُصيبَ رَغيبة) ولم ينسبه. ويقال: رجل منجح: ذو نُجح.

والبكراتِ الفُسَّجَ العطامسا[1]

فشبههم بالمُرْد، لأنهم التثموا حتى لم تظهر لحاهم، كما لم يظهر للمرد لِحيً. ولو اتزن له لكان أَحسن أَن يقول: كأنهم من شدة ما التثموا، لأن كيفية الالتثام حَجَبت لحاهم، بإحكامهم إياها. والشدة كيفية، والطول كمية فالكيفية أولى بما ذهب إليه.

وإن قلت: إنهم أَطالوا الالتثام حتى حُسِبُوا مُرْداً كان له وجه.

(تَلَجُّ دُمُوعى بالجُفونِ كأَنَّما جُفُونِى لِعَيْنَىْ كُلِّ باكيةٍ خَدُّ)

أَى إن جفونى مساربُ للدمع لايخلو منها، حتى كأنها خدٌّ لكل باكية. فالدمع يلازمها كما يلازم خَدَّ الباكية.

وإن شئت قلت: ذهب فى ذلك إلى غزر الدمع. أى أن جفون دموعى مُجْتَمع الدموع، حتى كأنها خدٌّ لِعَيْنَى كل باكية.

(سَرَى السَّيفُ مِمَّا تَطْبع الهندُ صَاحِبِى

إلى السيفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللّهُ لا الهِند)

صاحبى: نعت للسيف. ولايكون على حد قولك (ضاربى) المنقولة من قولك: زيد ضاربٌ عمراً؛ لأنه لايقال: زيد صاحبٌ[2] عمرا، وذلك أن هذه الصفة جُرِّدت من معنى الفعل، فلم يعدُّوها من المصادر[3]، وقولهم: (للّه درُّك) فدرك:

---

(١) هذا عجز بيت من الرجز لغيلان بن حريث الربعى (الكتاب لسيبويه٢:١١٩) والخصائص لابن جنى (٢:٦٢) وصدره قد قربت ساداتها الروائسا)
(والعَيْطَمُوس من النوق الفتية الحسناء. والجمع. العطامس وقد جاء فى ضرورة الشعر عَطامس. وحقه أن يجمع على عَطاميْس بقلب الواو التى قبل الآخر ياء لكنه اضطر إلى تخفيفه في الشعر. والبكرات: جمع بكرة وهى الناقَة الفتية. والروائس: جمع رائسه وهى السريعه المتقدمة. والفُسَّج: جمع فاسِج وهى التى ضربها الفحل قبل أن تستحق الضِّراب وانظر المحكم (٢:٣٧١) واللسان (فسج).

(٢) كلمة(صاحب) أصلها اسم فاعل من الصحبة. فهى صفة مشتقة لكنهم جردوها من الوصفية وجعلوها اسما للرجل أو الشئ الذى يستعين به الإنسان كالسيف ونحوه وهى مثل (جارية) أصلها صفة من الجرى ثم جعلت اسما للسفينة. ومثلها أيضا كلمة(درّ) أصلها مصدر درَّت الناقة تدر ثم جعلت اسما للبن.

(٣) (فلم يعدوها من المصادر) أى لعلها من الصفات أولعلها ليست مشتقة من المصدر مباشرة فى وضعها أو مكانها لأنها حين نقلت من الوصفية إلى الاسمية انقطعت صلتها بالمصدر فليست مشتقه منه مباشرة.

مصدر وقد أجْمدوه حتى قال سيبويه: هو بمنزلة قولهم: (للّه بلادك) وقوله: (مما تطبع الهند)، يعنى السيف الذى عنصره الحديد، وهو الذى تطبعُ الهند. والسيف الثانى: هو الممدوح، وهو الذى يطبعُه اللّه لا الهند، لأن الهند لاتَخْلُق وإنما الخالق اللّه وحده:

(يَكادُ يُصيبُ الشىءَ من قَبْلِ رمْيهِ وَيُمكنُه فى سَهْمِه المُرْسَلِ الردُّ)

يصفه بالقوة فى الرماية، والعلم بها، فيقول: يصرِّف سهمه كيف شاء، حتى لو أراد ردَّه بعد إرساله مثلاً، أمكنه ذلك. و(يمكنه): يجوز أن يكون معطوفاً على (يُصيب). فيكونان جميعاً داخلين تحت (يكاد). ويجوز أن يكون من الفعل الذى هو خبر (يكاد) فيكون ذلك أَبلغ. وكلتا القضيتين داخلة فى الامتناع، لايجوز أن يصيب شيئاً قبل رميه له. ولا أن يقارب ذلك. وكذلك القول فى القضية الثانية.

والهاء فى (رميه) يجوز أن تكون ضميرًا (لشىء) فيكون مجروراً فى موضع نصب. كأنه قال: من رميه هو. ويجوز أن يكون ضميراً لفاعل، والمفعول على هذا محذوف، أى من قبل رميه إياه.

- ٤٨ -

وله أيضاً:

(حَوْلِى بكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ

تُخْطِى إذَا جِئْتَ فى اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ)[١]

أى إنهم لايعقلون و(مَنْ) إنما يستفهم بها عمن يعقل، فإذا استفهمت عن هؤلاء بمن فأنت مخطىء، إذ لاحظٌ لهم فيها وإنما حظُّهم (ما) التى هى لما لايعقل.

وإن شئت قلت: إنهم وإن كانت صُورهم صُوَرَ الناس، فهم بهائم، لجهلهم، وإنما تُعامل الأنواع بطبائعها لا بأشكالها، ولذلك أخذت الحكماء فى حدودها

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص١٧٠) والتبيان (٤: ٢١٠) يمدح بها أبا عبد الله الخصيبى، ومطلعها:
«أفاضل الناس أغراض لذا الزمن»

طبائعها دون صُورها، حتى إن بعضهم قال استضعافاً للحدّ المأخوذ من الصورة: (فإنه لايُستنكر أن يكون إنسان على شكل سمكة، كما لايستنكر أن تكون سمكة على شكل إنسان). وأراد (تُخْطِىء)، فأبدل إبدالاً صحيحاً للضرورة، كما أنشد سيبويه: (فارعَىْ فَزارةُ لاهناك المرتعُ)[1].

ولو خفف تخطى تخفيفاً قياسياً فجعلها بين بين، لانكسَر البيت، لأن الهمزة المخففة بَيْن بين عند سيبويه بُرمَّتها[2] مخففةٌ.

(ومُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ[3] صَحِبْتُهمُ   عَارِين من حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ)

أى ورب فقراء بأرض قَفْر صحبتهم وبُليت بهم (عارين من حُلَل): أى هم اللصوص لايتسربلون، (كاسين من دَرَن): يصف شَعَثَهم وقَشَفَهم. وإنما يُعَدِّد ما مُنِى به وبلى، من مكاره الأيام، وصحبة من لم يكن أهلاً للصحبة.

(كَمْ مَخلص وَعُلاً فى خَوْضِ مَهْلَكِةٍ   وَقَتْلةٍ قُرِنَتْ بالذَمِّ فى الجُبُنِ)

أى: كم إنسان أقدم، فسلم وعلا مع إقدامه، ولم يضره اقتحامه الهَلَكه، وآخر جَبُنَ، فقُتِل مع جُبْنِه، ومات مع ذلك، مذموماً على نكوله مَلُوماً. وقوله: «فى الجُبُن» متعلق بقَتْلَةٍ، كأنه قال: وقَتْلة فى الجُبن قُرِنت بالدم، كما أن قوله (فى خوض مَهْلكة) مُتعلقة بمخلص وعُلا.

(مَدَحتُ قوماً وإن عِشنَا نَظَمتُ لَهمُ

قَصَائداً من جياد الخَيْل والحُصُنِ)

---

(١) هذا عجز بيت للفرزدق وصدره (راحت بمسلَمة البغال عشية) وقد استشهد به سيبويه فى الكتاب (٢: ١٧٠) على أنه أبدل الألف فى (هناك) من الهمز لضرورة الشعر (أى أبدل للضرورة وليس على التخفيف) قال: ولو جعلها بين بين لانكسر البيت.

(٢) برمتها: أى بجزأيها، وذلك أن (همزة بين بين) تنطق بين الهمزة وحرف العلة الذى تدل عليه حركة ماقبلها، فهى مؤلفة من جزء من حروف العلة (الألف أو الواو أو الياء). وقد جاء فى اللسان (بين): «ومعنى قول سيبويه بين بين أنها ضعيفة ليس لها تمكين المحققة ولاخلوص الحرف الذى منه حركتها».

وانظر شرح المفصل لابن يعيش: مبحث تخفيف الهمزة(٩: ١٠٧)

(٣) السبروت: الأرض القفر لانبات فيها.

عنى بالقصائد: الجيوش، وإنما كنى عنها بذلك، لقوله: (مدحت قوماً) واستعمل النظم مكان الحَشْد، لمكان القصائد، وجعلها من جياد الخيل والحُصُن، لأنه عنى بالقصائد العساكر، والعساكر إنما تأتلف من الخيل وفُرْسانها، ولو قال: (من إناث الخيل والحصن) لكان أذهب فى الصنعة، لأن الحُصُن: الفحول من الخيل، فكان يطابق الإناث، كقوله تعالى: (وَبَثَّ منهما رجَالاً كَثيراً ونِسَاءً)[1]. وأما (من جياد الخيل والحصن)، فقسمة غير سالمه، لأن الحُصن قد تدخل فى جياد الخيل، وكذلك جياد الخيل قد تدخل فى الحصن، إذ بعض الجياد حِصان، وبعض الحصن جواد. ومن عَنى بالحُصن الجياد، ما ذهب فى باب القُبْح، لأنه لايوجب قسمتها، إذ الجياد هى الحصن.

(تَحتَ العَجَاجِ قَوافِيها مُضَمَّرَةً ... إذَا تُنُوشِـدْنَ لَمْ يدخُلْنَ فى أُذُنِ)

عنى بالقوافى الخيل، وخصها بالذكر لأنها أشرف مافى الشعر، لاشتمالها على اللوازم، كالرَّوِى والصِّلَة والخُرُوج والرِّدف والتأسيس، وغير ذلك من طوائف القافية، وإذا جادت القوافى؛ سَرَت جودتُها فى الشعر. واستجاز أن يجعل القوافى (مُضَمَّرة)، لكنايته بها عن الخيل.

(إذا تُنُوشِدْن لم يدخلن فى أُذن): فرق مليح صحيح، لأنهن لَسْنَ فى الحقيقة قوافى، فتلج فى المسامع، وإنما هن خَيْل، وليس هناك تناشد. إنما استجازه للفظ القصائد والقوافى.

(غَضُّ الشبابِ بَعيدُ فَجرُ لَيْلتِهِ ... مُجَانبُ[2] الجَفْنِ للفَحْشَاء والوَسَنِ)

يستغرب العبادةَ مع الشباب. و(بعيد فجر ليلته): أى لاينام، فآخر ليلته بعيد من أولها. (مُجانب الطرف للفحشاء والوسَنِ): هذا اختصار مليح. وما أحسن مقابلته الشباب بالفحشاء، والسهر بالوسن. وكأنه قال: غضُّ الشباب، مجانب الطرفِ للفحشاء، طويل الليل، مجانب الطَّرْف للوسن.

---

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) رواية الديوان والتبيان «مجانب العين».

(أَلقىَ الكِرَامُ الأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهمُ

عَلَى الخَصِيْبِيِّ عنْدَ الفَرْضِ والسُّنَنِ)

(الأُلَى): بمعنى الذين. بادوا من صلة (أُلَى). أى باد هؤلاء الكرام والقوا مكارمهم على هذا الممدوح، كأنهم كَفَّلُوه إياها، كما يُكفِّل الوصىُّ اليتيم.

(فَهُنَّ فى الحَجْرِ مِنْهُ كُلَّما عَرَضَتْ

لَهُ اليَتَامَى بَدَا بالمجْدِ والمِنَنِ)

فهُنَّ: يعنى هذه المكارم الملقاة عليه التى كُفِّلَها. يقول: هذه المكارم التى مات أهلها، وبقيت يتامى فى حجر هذا القاضى الممدوح، فهو يفرق أمواله فيهم، ويبدؤهم بالمجد والمنَّة. فهما من جملة الأيتام، يظهرهما ويؤثرهما، كما يفعل الرَّابُّ المُشْبِلُ[1].

وقوله: (بدا): أراد (بدأ) فأبدل إبدالاً صحيحاً للضرورة. كما تقدم فى تخطِئ ونحوها.

ـ ٤٩ ـ

وله أيضاً:

(لقَدَ حَازَنِى وَجْدٌ بمَنْ حَازَهُ بُعْدُ فَيَا لَيْتَنِى بعُدٌ ويالَيْتَه وَجْدُ)[2]

أى الوجْد خُلُقى فقد حازنى، والبعد خُلُقه فقد حازه، يقول: فياليتنى بُعْدٌ لأحوزه كما حازه البعد، وياليته وجْد فيحوزنى كما حازنى الوجد، فنجتمع ولانتفرق.

(سُهاد أَتَانَا مِنْكِ فى العَينِ عِندنَا رُقَادٌ وقُلاَّمٌ رَعَى سِرْبُكُمْ وَرْدُ)

(١) الرَّاب: من ربَّى الصبى يربُّه ربا: إذا تعهده بالتغذية والتنمية والحراسة. والمُشبل: ذو الأشبال أى الأطفال. وأصل الشبل: ولد الأسد ويقال: لبؤة مشبل: معها أشبالها.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص٢٠٦) وشرح الواحدى (٣١٠) والبرقوقى(١: ٢٤٤).

استحسن كل مكروه أتى من قِبَلهم؛ واستلطف كل جافٍ لهم، حتى جعل السُّهاد رُقاداً، والقلام[1] ـ وهو ضرب من الحَمْض ـ وَرْداً. كل ذلك لحبِّه إياهم.

إذا غَـدَرتْ حَـسْنَاءُ وَفَّت بِعَـهـدِها وَمِنْ عَـهْـدِهَـا ألاَّ يَدُومَ لـهَـا عَـهْـدُ)

شيمة المرأة: الغَدْر. وهى التى عُهدت[2] عليه فمتى غدرت فقد أوفت بعهدها

(وَسَيْفِى لأَنْتَ السَّيفُ لا ماتَسُلُّهُ لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيفُ مِنه لَكَ الغِمْدُ)

أقسم بسيفه، ثم تلقى القَسَم بقوله للمدوح، لأنت السيف، أى إنك أمضى من السيف بل أنت السيف فى الحقيقة، إذ لولاك لم يكن للسيف غَنَاءُ كقوله:

إذا ضَرَبَتْ يُمناهُ بالسَّيفِ فى الوَغَى[3]

تَبَيَّنْتَ أن السيفَ بالكف يضْرِبُ

(ومِمَّا السيف منه لك الغمد): الشىء إنما يُصان بما هو دونه فى القَدر، ليكون له وِقَاء. يقول: فأنت أشرف من السيف، لأن السيف مطبوع من الحديد، وأنت تلبس الدروع والجواشِنَ والتُّرْك[4]، فهن لك كالغمد. وإذا كنت أنت مصوناً بما السيف منه مصنوع، فلا محالة أنك أَشرف من السيف، لأن السيف مساوٍ للدرع فى القَدْر؛ لأن جوهرهما سَواء. والدرع لك لباس. والغمدُ فى قوله: (ومما السيف منه لك الغمد): مرفوع بالابتداء. وخبره: (مما السيف منه)، فغمدك من الحديد الذى طُبع منه السيف.

---

(١) القُلاَّم: نبات كريه الرائحة من الحمض، أى النبات الذى فيه ملوحة أو حموضة ترعاه الإبل بعد الخُلة، وهى النبات الحلو، والمرعى كله إما حمض وإما خلة.

(٢) حق العبارة أن تكون (وهى التى عهدت عليها) أو (وهو الذى عهدت عليه) فالضمير فى (عليها) للشِّيمة، وفى (عليه) للغدر.

(٣) صدر البيت فى الديوان والتبيان: «إذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه».

(٤) التُّرك: جمع التَّريكة: بيضة الحديد والجواشن: جمع جوشن وهو الدرع.

(كَأنَّ عَطِيَّاتِ الحُسين عَسَاكِرٌ ففِيهـا العِبِدَّى والمُطَهَّمـةُ الجُرِدُ)

العسكر إنما يأتلف من الخيل والرجال. وهذا يَهَب الخيل والعبيد. فهذا وجه الكيفية فى تشبيهه عطاياه بالعساكر. ثم يكثر هبة هذين النوعين، حتى يعود فى كثرة العسكر. فهذا تشبيهها بالعساكر من جهة الكمية. والعطية: المُعطى لا العطاء إذ لو كان ذلك لم يجز تشبيه العَرَض بالجوهر، فتفهَّمْه.

(حَبَانِى بِأَثْمَان السَّوابِقِ دُونَهـا مَخَافَةَ سَيْرِى إنَّها للنَّوى جُنْدُ)

(وَشَـهـوةَ عَـوْدٍ إنَّ جُـودَ يَمـينِه ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالجَـوادُ بهـا فَـرْدُ)

أى أعطانى الدنانير دون الخيل، مخافة أن أَبينَ عنه، لأن الخيل جُند للنوَّى وأَعوان. و(شَهْوةَ عَوْدٍ) أى أَراد أَن أَقيم فُيوَالى لى عطاياه. إنَّ جود يمينه ثُناءُ ثُناءُ: أَى أَياديه مَثْنَى؛ وهو فى ذاته فَردٌ. وإن شئت عَنَيْت بالعود، أنه معدوم النظير فى جوده، كما يقال: رجل واحد: لامِثْل له، قال أَبو ذؤيب:[1]:

يَحمى الصَّريمـةَ أُحْـدَانُ الرِّجـال له صَـيْـدٌ ومُـجْـتَـرِىءٌ باللَّيلِ هَمَّـاسُ[2]

فكأنه قال: والجواد بها أَوْحَدُ.

(فَـهُم فى جُموعٍ لايَراهَا ابنُ دَأْيَةٍ وهُمْ فى ضَجِيجٍ لايُحسُّ به الخُلْدُ)

ابن دأية: الغُراب، سُمِّى بذلك لأنه يقع على دَأْيَة البعير، وهى فَقَارَته، فيعقرها. والعرب تصف الغراب بصحة البصر، حتى عنوا به فقالوا: أبصر من غراب، والخُلد[3]: فأرة عَمياء لاسَمع بها، زعموا.

---

(١) البيت من شعر مالك بن خالد الخزاعى كما فى ديوان الهذليين(٣:٤) وليس لأبى ذؤيب. وقد ،ورد البيت بهذه الرواية فى اللسان أيضا. وهو فى ديوان الهذليين «أحمى الصريمة» وأُحدان: جمع واحد و هو الرجل الواحد المتقدم فى بأس أو علم أو غير ذلك كأنه لامثل له. ويقال فيه أيضا (وُحدان). والهماس: السَّيَّار بالليل

(٢) الهموس والهماس من أسماء الأسد أيضاً، وسمى الأسد هموسا لأنه يهمس همسا أى يمشى مشيا بخفية فلا يسمع صوت مشيه.

(٣) الخلد: ضرب من الجرذان عمى لم يخلق لها عيون (اللسان).

يقول: فما يراهم الحديدُ البصر ولايُحِس بهم الذكىّ الحسٍّ مبالغة. وليس يذهب فى ذلك إلى قلة جموعهم، وخفوت لُجُمهم[1]، إنما يذهب إلى احتقارهم، وقلة غنائهم، ومثله فى ذلك الاستضعاف قوله:

فبَعْدَه وإلى ذا اليوم لو رَكَضَتْ   بالخيل فى لَهَوَات الطفل ماسَعَلاَ[2]

ـ ٥٠ ـ

وله أيضاً:

(أراكِضُ مُعْوِصَات القَوْل قسراً   فَأَقْتُلها وغيرِىَ فى الطِّرَادِ)[3]

أى أنا ذو بديهة، فإذا عُورضت فى قول الشعر فَرغتُ وغيرى يعد فى تلحينه وتسديته ومعاناته، وليس هناك قتل ولاطراد، وإنما استعارهما. وأقتلها: بمعنى أصيبها وأملكها كقولهم: قتلتُ الأمر علماً. والمُعْوِص: الأبىُّ الممتنع.

ـ ٥١ ـ

وله أيضاً:

(أَنَا لائمى إن كُنتُ وَقْتَ اللَّوائِمِ   عَلِمْتُ بِمَا بى بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ)[4]

قوله: (أنا لائمى إن) كقوله: أنا مثلك إن فعلت كذا. أى صيرّنى اللّه مثل لائمى فى قلة اللب والجهل بالحب. وقيل أراد أنا لائم نفسى أى جعلنى اللّهُ لائماً لها، وهذا أضعف فى العربية، إنما تستعمل العرب فى مثل ذلك أنا لائم نفسى. هذا مذهب سيبويه[5]. وقد أنشد بعض الكوفيين:

(١) خفوت اللجم: ضعف صليلها عند السير.
(٢) هذا البيت من قصيدة له ومطلعها (أحيا وأيسر ماقاسيت ماقتلا) وقد تقدمت ص٣٥.
(٣) أحد بيتين له فى ديوانه (بيروت٢٤٦) وشرح الواحدى (ص٣٦١٠) وأول البيتين:
أتنكر مانطقت به بديها   وليس بمنكر سبق الجواد
والمُعوصات من الشعر: عريصه وهو المكشل الذى يصعب استخراج معناه.
(٤) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه (ص٢٠٩) والتبيان (٤:١١٠) يمدح بها أبا الحسن بن عبد الله بن طغج.
(٥) ذكر سيبويه هذا الموضع فى الكتاب (١:٣٨٥) بقوله فى باب (هذا مالاتجوز فيه علامة المضمر المخاطب، ولاعلامة المضمر المتكلم، ولاعلامة المضمر المحدث، عنه الغائب).

(ندمت على ما كان منى عدمتُنى)[1]

فعلى هذا يجوز (أَنا لائمى) أَى لائم نفسى .

يقول : إن كنت علمت بحالتى وعقلت أمرى بين تلك المعالم، كقول الأشتر:

بقَّيتُ وَفْرِى وانحرفت عن العُـلاَ　　ولقيتُ أضيـافى بوجه عَبُوسِ[2]

إن لم أشُنَّ على ابن حرب غـارةً　　تعدو ببيض فى الكريهة شُوسِ

(وَلِكنَّنِـى مِمَّـا شُدِهْـتُ مُتَيَّمٌ　　كَسَـالٍ وَقَلْبِـى بَائحٌ مثلُ كَاتِمِ)

أى ولكنى متَّيم كسـالٍ ممـا شُدِهتُ وذهِلْت[3]. أَى قد أفرط ذهولى، حتى كأنى ذَهلت عن الهوى، فُعدتُ كالسَّالى، ومعنى كل ذلك أنه يريد: لم يخلص لى حال ولايَثْبتُ لى حقيقة، وإنما يقول إنهَ بقى فقيد العقل، ومَن فَقَد عقله لم يَثْبُت له تذكُّر ولاسُلُوّ، ونحـو هـذا قـوله تعـالى فى صـفـة أهـل النار: (لايَمـوتُ فـيـهـا ولايَحْـيا)[4]. وإن شئت قلت: ذَهِلت عن الشكوى، حتى كـأننى سـال وذهوله عن الشكوى إما أن يكون عَدِم حِسُّه بتلاشى جسمه كقوله هو:

وَشكيتى فقدُ السَّقام لأنَّهُ　　قَد كَانَ لمَّا كَانَ لى أعْضاء[5]

وقلبى بائح مثل كاتم: أَى أنه قد ظهر على الحبّ، فكأن قلبى بائح به وهو مثل كاتم، أَى أنه لم يقصد إظهار ذلك. ومعنى كل ذلك نفى القصد لأحواله.

(عَنِ المُقتَنِى بَذْلَ التِّلادِ تِـلاَدَهُ　　وَمُجْتَنِبِ البُخْلِ اجْتِنَابَ المحَارِمِ)

أى يقتنى[6] بذلَ التِّلاد مكان تلاده، فـأعقبه ذلك ذكراً فى البذل، فكأنه قال: عن المقتنى الذكر الجميل، ببذل التِّلاد مكان تلاده. الذى كان اقتناه، لما فى تلاده من البقاء[7] فى الذكر الجميل المقْتَنَى مَكانه. من البقاء[8].

---

(١) شطر بيت لقيس بن ذريح وعجزه «كما يندم المغبون حين يبيع».
(٢) انظر شرح الحماسة للمرزوقى (١٤٩:١) وعجز البيت الثانى هنا هو عجز بيت ثالث وروايته.

إن لم أشن على ابن حرب غارة　　لم تخل يوما من نهاب نفـوس
خيلا كأمثـال السـعالى شـزياً　　تعدو ببيض فى الكريهة شوس.

(٣) يقال : ذهَلت عنه وذَهلت وأذهلنى كذا وكذا عنه. (اللسان. ذهل)
(٤) الآية ٧٤ من سورة طهَ.
(٥) انظر ماسبق فى شرح هذا البيت (مقطوعه ٣٣ من هذا الكتاب).
(٦) فى ت: اقتنى.
(٧) فى ت: (الفناء)، وفى م (المعتاد) وكلاهما تحريف.
(٨) (من البقاء) يظهر أن هذه العبارة تكرار لسابقتها عن سهو من الناسخ.

فتلادَه عندى[1] - منصوب بالظرف، كما أنك لو أظهرت المضاف المحذوف فقلت: مكان تلاده، كان منصوباً على الظرف، فلما حُذِف المضاف، عمل الفعل فى المضاف إليه ذلك العمل نفسه، كقوله تعالى: (واسْأَلِ القرية التى كُنَّا فيهَا)[2].

ولو قال: (تلادُه)، فرفعه بالمُقْتَنَى على السعة لجاز، أَى كأن ماله يدعوه أَن يبذله فَيَقْتُنُوه بذلك فخراً. فكانّ المال هو المقتنيِ له ذلك. ولا كلام فى قوله: (ومُجْتنب البخلِ اجْتناب المحارم) لظهوره.

(كَـأَنَكَ مـا جَـاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُـودُه عَلَيكَ، ولاقَـاوَمْت مَن لَمْ تُـقَـاوِمِ)

إن شئت قلت: إن حسادَك جاودُوك فى الجود والبأس، حتى غلبتهم فيهما، فكأنك بعد غَلَبِك إياهم ماجاودوك ولاقاتلوك. ثم جعل للقضية مثلاً مطلقاً، أَى أَيها الإنسانُ مَن غلبك بعد ماغلبْته فكأنك ماغلبته، وإن شئت قلت: كل من جاودته فُقْتَه، وكل من حاربته غلبته، حتى كأنك إنما اخترت من المُجاوِدين والمحاربين من وثقت بظهورك عليه، ولم يَكُ ذلك قصدك، إذ لو كان ذلك لم يك محموداً منك، لأنك لم تَشْجُع إلاَّ على من علمت أنه دونك ولا جاريت فى النَّدى إلا من علمت أنك فوقه. هذا كله لايُمْدح به. ولكنك إنما كنت الظاهر على المجاودين المحاربين، بفضيلتك النفسانية، ومزيتك الطبيعية إلاَّ أنك اخترت من هو دونك. وقوله: (من لم تقاوم) كقوله: ولاقاتلت من بانت شجاعته عليك، فهذا اللفظ المسلوب[3] فى معنى لفظ آخر مُثْبت، وإنما ذكرت لك هذا لتثبت قدمك فى تَبَيُّنه.

---

(١) يريد أن (تلاده) فى آخر الشطر من بيت المتنبى منصوب على الظرفية، لأنه على تقدير (تلاده) ثم حذف المضاف فقام المضاف إليه مكانه، كما فى قوله تعالى (واسأل القرية) إذ تقديره: واسأل أهل القرية.

(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف.

(٣) المسلوب: أى المنفى بدليل مقابلته بعد ذلك بقوله (فى معنى لفظ آخر مثبت).

-٥٢-

وله أيضا:

(غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِم بِهِ لاعَدِمْتُهُ   وأصْبَحَ دَهْرِى فى ذُرَاهُ دهُوَرا)[١]

أى فيه من الفضائل مافى كل الفضلاء. فقد صار الناس به نَاسَين. ولايعنى بالناس جميع نوع الإنسان، لأن فى جماع النوع رفيعاً وضيعاً، وإنما عَنَى بالناس الفضلاء من الناس، ولولا ذلك لم يقتض مدْحاً، كقول أبى نواس:

لَيْسَ على اللَّه بمُستنكرٍ   أن يجمع العالم فى واحد[٢]

لم يرد العالم كلَّه، إنما عَنَى رُفَعَاءَهم وخيارهم.

(وأصبح دهرى فى ذراه دهورا):

يقول: جنيت من لذيذ تَمر العيش فى دهرى عندَه، ماجناه أهلُ كل دهر من حُلْو ثمر دهرهم، فصار دهرى بذلك دهوراً.

-٥٣-

وله أيضا:

(وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَولاً صحيحاً   وآفَتُه من الفَهْمِ السَّقِيم)[٣]

قد يكون القول صحيحاً فى ذاته، ولا تلوح صحته إلى الجاهل به، فيعيبُه، لأنه يظنه على خلاف ماهو به. ومِنْ كلام الحكماء: (من عَلِم أنِسَ، ومن جَهِل اسْتَوحَش). وقال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بما لَم يُحيطوا بِعِلْمِهِ ولَمَّا يَأتِهِم تَأوِيْلُه)[٤]: أى لو فهموه لعلموه، فآمنوا به. ويشبه هذا البيت قوله هو:

(ومن يَكُ ذَافَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ   يَجِدْ مُرًا بِهِ الماءَ الزُّلالا)[٥]

(١) البيت أحد أبيات ثلاثة فى مدح أبى محمد الحسن بن عبد الله بن طغج (ديوانه٢١٥) والتبيان(٢:١٤٥).

(٢) تقدم التعليق على هذا البيت مقطوعة ٥ص٣٧.

(٣) من قصيدة له بديوانه (ص٢٣٢) والتبيان(٤:١٢٠).

(٤) الآية ٣٩ من سورة يونس.

(٥) انظر ديوانه (ص١٣٩) والتبيان (٣:٢٢٨).

وله ايضا:

(كَفِرِنْدى فِرِنْدُ سَيْفِى الجُرَازِ لَذَّةُ العَينِ عُدَّةٌ للبِرَازِ)[١]

الفرند: ماء السيف، فارسى معرب. إنما هو مابين الباء والفاء. والعرب تعرِّب مثل هذا بالفاء المحضة، والباء المحضة هذا قول سيبويه[٢] فى باب اضطراد الإبدال فى الفارسية.

الجُرَاز: الماضى النافذ. وإنما شبه فرنده بفرند السيف، لأن فرند السيف دليلٌ عَلَى مضاء حَدِّه. وعنى بفرند نفسه هنا شحُو بَه، وتغير لونه من الأسفار والتعب، فجعله فِرِنداً، لأنه دليل على مضاء عزمه، كما أن فرند السيف دليل على مضاء حده.

ففى ذلك شبه فرنده بفرند السيف، وإن لم يكن شُحُو به فى الحقيقة فرنداً، بل هو خلاف الفرند، فإنما سمَّاه به، لأنه محمودٌ منه، كما أن ذلك محمود من السيف. ونحوه قوله صلى اللّٰه عليه وسلم (لَخلُوفُ فم الصَّائم أحَبُّ إلى اللّٰهِ من المِسْك)[٣] وليس الخلُوف بطيب، ولكن لدلالته على مايحبه اللّٰه عز وجل من الصيام.

وأما ابن جنِّى فقال: عَنَى أن جوهر سيفى كجوهرى. فإن كان عنى بالجوهر الفرند، فخطأ، لأن الفرند[٤] إنماهو صفاء السيف بما يحدُث من الصَّقال[٥]، فهو لذا عَرَض.

---

(١) يمدح بهذه القصيدة أبا بكر على بن صالح الروذيارى الكاتب (ديوانه (ص٢٠٢)والتبيان (٣:١٧٤) والبرقوقى (٢:٣٧١).

(٢) قال سيبويه فى الكتاب (٢:٣٤٢) حاكيا عن العرب طرائقهم فى تعريب الألفاظ الفارسية: ويبدلون من الحرف الذى بين الباء والفاء ألفا نحو الفرند والفندق. وربما أبدلوا الباء لأنهما قريبتان. قال بعضهم: البرند.

(٣) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير (مادة- خلف) وروايته فيه (الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

(٤) هذه العبارة سقطت فى ت.

(٥) الصقل: الجلاء. صقل الشئ يصقله صقلا وصقالا فهو مصقول وصقيل: جلاه. والاسم: الصقال. وفى الأصل (الصقالة) بالتاء ولعله تحريف من الناسخ.

وإن كان عَنَى بالجوهر سِنْخ هذا السيف، أى أن سِنْخى فى نوع الإنسان كسنخ سيفى هذا فى نوع الحديد، فصفاء فهمى من جهة شرف جوهرى، كما أن صفاء هذا السيف من جملة شرف جوهره، فهو حسن.

ويقوى ذلك أنه قد استطرد فى أبيات السيف من هذا الشعر، تشبيهه نفسه به، وجعله نفسه فى نوعه، كسيفه فى نوعه. ثم أخبرعن نفسه فقال: هو لذةً العين، أى أنظر إليه فأستملحُه، وهو أيضاً عُدَّةٌ للقتال.

(ودقيقٌ قِدَى[1] الهباءِ أنيقٌ مُتَوالٍ فى مُسْتَوٍ هَزْهَازِ)

أى وفيه فِرنْد دقيق، قدر الهباء فى شكله وتضاؤله، متوال: متتابع. فى مستو، أي فى متن مُستوٍ. فأقام الصفة مقام الموصوف، وقواها بهزها، فحسن ذلك.

(يَا مُزِيلَ الظلام عَنِّى ورَوْضِى يَومَ شُربِى ومَعْقِلِى فى البَرَازِ)

البرازُ: الصحراء. يقول لسيفه: إذا اسودَّت الدنيا علىَّ بنزول الملمَّات، كشفْتَها عنى وفرَّجْتَها. وقد يعنى به أنه يزيل الظلام عنه بمَائه وضيائه. (وَرْوضِى يوم شُرْبى): شبَّهَه بالروض فى خُضرته، وجعله روضة يوم شربه، على ماتجرى به عادة الشجاع من تلقفه[2] سيفه وتنزيهه طرفه فيه، متأملاً لحسنه وماهية جَوْهَره. وكان أذهب فى الصنعة أن يقول: (وروضتى) لأن الرَّوض جمع، وهو يخاطِب واحداً، ولكن هذا واسع كثير. (ومَعْقِلِى فى البَراز): أى انى أمتنع بك إذا امتنع غيرى بحصن، لأن الشجاع إنما يلجأ إلى سلاحه لا إلى معقل، كقوله هو:

(جواشنُها الأسنةُ والسيوف)[3]

وكقوله: (فلا أحارب مدفوعاً إلى جُدُرٍ)[4]

---

(١) فى اللسان (قدا) يقال: هو منِّى قدَى رمح (بكسر القاف) أى قدره. وقال الأزهرى:قدَى وقاد وقِيد كله بمعنى قدر الشئ.

(٢) كلمة (تلقفه) غير واضحة فى الأصل. وفى اللسان (لقف): اللَّقْف: سرعة الأخذ لما يرمى إليك باليد.

(٣) عجز بيت له بديوانه (٢٥٣:١) وصدره فيه: «فدعْه لَقًى فإنك من كرام»والجوشن: اسم الحديد الذى يلبس من السلاح. والجوشن: الدرع.

(٤) عجزه كما فى ديوانه «ولا أصَالح مغرورا على دخَن».

وإن شئت قلت: إذا كنتُ فى الصحراء فلم أجد معقلاً، فأنت أيها السيف هناك مَعْقِلِى.

(إن بَرْقِى إذا بَرَقْتَ فَعَالِى وصَلِيلِى إذَا صَلَلْتَ ارْتَجَازِى)

يذهب بذلك إلى التقريب بين نفسه وسيفه، لَمَّا أن مثَّل نفسه به فى جوهره أراد أن يكمل تشبيهها به فى أَعْراضه، فيقول: أيها السيف، لاتظنَّنِى مُقَصِّراً عنك، بأن لالَمْعَ لى كلَمْعِك، ولاصليل لى كصليلك، فإنك إن قَدَّرت ذلك، فأنت مخطئ، لأن مايُوازى لمعَك وصليلك منِّى، أشرف من لَمْعك وصليلك. أَنا أفعل بك يوم الرَّوع مايكسو جبينى وسائرَ وجهى ضياء، استبشاراً به وفرحاً. فذلك البشر هو بَرْقى المُوازى لبرقك، وأرتجز بشعرى إذا صُلْت فيقوم ذلك مقام الصليل لك فإذن لايُقَصِّر حالى عن حالك.

(وَ لقَطْعِى بِكَ الحديدَ عَلَيْها فَكلانا لجِنِسه اليومَ غَازِ)

وهذا أيضاً زيَادة فى تقريبه بين نفسه وسيفه. يقول: أنا أقتل أقرانى وهم جنسى، وأنت تقطَع عليهم الدروعَ والمغافِر والتَّرْك[1]، وكل ذلك جنسك، فقد حكيتُ فعلك فى نوعك، بفعلى فى نوعى. أنا إنسان أقتل إنساناً، وأنت حديد تقطع حديدا.

وهذا من أبدع الصنعة، مثَّل نفسه بذاته، فى سيفه بذاته، ثم عَرَضَهُ المتصل به الذى لايتعداه، كالبَرْق والصليل، ثم فى عَرَضه الذى يُوقِعه بغيره، عن حركة واستعمال، وهو قَطْعُهُ الحديد، فقدَّم ماهو من الذات لايتعداها، وأخَّر مايتعدى الذات. فتفهمة فإنه غريب.

(كَيْف لايَشْتكى وكيفَ تَشَكَّوْا وبِه لابِمَنْ شَكَاها المرَازِى)

أى كيف لايشتكى هذا الممدوح وهو الذى يتحمل المغَارم، ويتكلف المُؤَن بذاته وماله، فبه المرَازى. وكيف تشكاها هؤلاء وقد احتملها هو عنهم. فالعجب من شكواهم ولا رُزْءَ بهم، ومن يحتمل الرزية عنهم لايشتكى. فتقدير القضية: وبه المرازِى لابمن شكاها.

---

(١) التَّرك والتَّريكة: بيضة الحديد للرأس والجمع ترائك وتريك.

والمرازِى: جمع مَرْزِئة[1] ، وكان حكمه المرازِئ، فأبدل إبدالاً صحيحا قياسيا، لأنه لايوصل بالهمزة المخففة إلا هكذا، أعنى أن تبدل ابدالاً محضاً، حتى تلحق بحروف العلة، ولذلك استْشهد سيبويه على أن الهمزة تبدل إبدالاً صحيحاً فى حال الاضطرار ، كبيت عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت:

وكنت أذلَّ مِن وَتَدٍ بقاعٍ   يُشَجِّجُ رأسَه بالفِهْرِ واجِى[2]

اعتقد البدل فى واج صحيحاً، لأن القطعة جيمية، فالوصل ياء محضة. وهذا الاستشهاد من دقائق سيبويه، ولطائفه التى بزٌ فيها المُمارِى، وسَبقَ المُجارِى.

ـ ٥٥ ـ

وله ايضا:

(فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ ما أَوْلَيْتَنى   والقَوْلُ فيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القَائِلِ)[3] .

أى أن مدحك يُشَرِّف مادَحك، فكلما شكرتك على نوالك بالشعر، رَفع شعرى فيك من قدرى، فاقتضانى الشكرُ على ذلك شكْراً آخر، إلى غير نهاية.

(فمتى أقوم بشكرك) يُوئِسُ نفسه من القيام بشكره، ويجعله داخلاً فى الامتناع.

فهذا استفهام فيه معنى النفى، أى لا أقوم بشكر ذلك أبداً.

---

(١) فى اللسان (رزأ): والمرزئة والرَّزِيئَة: المصيبة والجمع: أرزاء ورزايا (ولم يذكر لفظ المرازى).

(٢) البيت من شواهد سيبويه (الكتابَ ٢: ١٧٠) والخصائص: (٣: ١٥٢) والمحكم(١: ٧) وشرح المفصل لابن يعيش(٩: ١٤٤) والشاهد فيه قوله (واجى) فقد أبدل الشاعر من همزة(واجئ) ضرورة. وقال فى اللسان (وجأ)بعد أن روى البيت: فإنما أراد واجئ بالهمزفحول الهمزة (ياء) للوصل ولم يحملها على التخفيف القياسى.

وقال ابن يعيش: "والإبدال هنا أسهل لأن الهمزة طرف، والطرف مما يسكن فى الوقف والهمزة إذا سكنت وانكسر ماقبلها قلبت ياء نحو قولك فى بئر بير"

والواجئ: من وجأ الوتد: إذا ضربت رأسه ليرسب تحت الأرض. والتشجيج ضرب رأسه. والفهر: الحجر ملء الكف.

(٣) البيت من أبيات ثلاثة فى مدح بدر بن عمار(ديوانه ص١٥٤) والتبيان(٣: ٢٤٧).

-٥٦-

وله أيضا:

(كـأن على الجَـوانِبِ منه ناراً وأَيْدِى القَـوْمِ أجْنِحـةُ الفَـرَاشِ)[١]

أى على جوانب هذا السيف نار. شبه لَمْعَه إذا هُزَّ بلسان النار، وشبه أيدى القوم فى تطايرها حَوَالى ناره بالفراش المتهافت فى النار. وقال: أجنحة الفراش، لأن طيرانها إنما يكون بالأجنحة. وقد كان يعنى من ذلك الكلام: (وأيدى القوم فراش). ولكن أبدع بقوله: (أجنحة الفراش) ولامعنى لرواية من روى (كأن على الجماجم) لقوله: «وأيدى القوم» وإنما كان يسوغ لو قال: وهن أجنحة الفراش يعنى الجماجم. فأما كون السيوف على الجماجم كالنار وتطاير الأيدى مع ذلك، فتشبيه بعيد.

(يُدَمِّى بَعضُ أَيدِى الخـيلِ بَعْـضـاً ومـابِعُـجَـايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَـاشِ)

العُجَاية: عَصَبَة[٢] فوق الحافر. والارتهاش: أن تضطرب يد الفرس، فتنعقر ذراعاه، لأن ذلك الاضطراب يحدث عنه اصطكاك. فيقول: إنما دميت أيدى هذه الخيل بعجلة الهزيمة، والازدحام فى الهرب، لابارتهاش كان أصابها. ولو وصفها بالارتهاش، كان ذلك عيباً لها، ولم يقتض مدحاً.

(لَقُوه حَاسِـراً فى دِرْعِ ضَرْبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَـهِبِ الحَـواشِى)[٣]

أقام الضرب فى تحصينه له، مُقام دِرعٍ دقيقة النسج. ووصفها بالتهاب الحواشى، ذهاباً إلى حِدّة ضربه.

(مِنَ المُـتَـمَـرِّدَاتِ يُذَبُّ عَنْهـا بِرُمـحْى كلُّ طَائرة الرَّشَـاشِ)

أى قوسى هذه متمردة كالشيطان المَرِيدِ، أَذُبُّ عنها بالطعن المُرِش[٤].

---

(١) من قصيدة للمتنبى فى مدح أبى العشائر الحمدانى (ديوانه٢٤٢) والتبيان (٢:٢٠٧) والرواية فيهما «على الجماجم» ومعناه أن يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها والسيف يلمع كالنار عليها. ولم يرض ابن سيده رواية من روى الجماجم.

(٢) فى اللسان قال ابن سيده فى معتل الياء: العُجاية عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رُسْغ الدايه... وقال ابن سيده: وقيل العُجاية كل عَصَبة فى يد أو رجل. وقيل هى عصبة باطن الوظيف من الفرس والثور والجمع عُجًى وعُجِىّ على حذف الزائد فيهما وعجايا (عن ابن الأعرابى) (اللسان- عجا).

(٣) هذا البيت متقدم على قوله (كأن على الجوانب... البيت) فى الديوان والتبيان.

(٤) يقال: أرشّت الطعنة: جاءت بالرَّشاش وهو الدم.

ولو قال: يَذُب عنها رمحى بكل طائرة الرشاش، لكان أليق؛ لأن الرمح فاعل لطعنته. والطعنه منفعلة له. فكأنه عكس إدْلالاً واتساعا.

(عَليكَ إذَا هُزِلْتَ مع اللَّيَالِي   وحَوْلَكَ حين تَسْمَنُ فى هِراشِ)

الهُزَال هنا: مَثَل[1] لإدبار الدُّول، والسِّمن: مَثَلٌ لإقبالها. يقول: إذا ساعدك الزمان بالإقبال عليك تهارَشُوا فى طلب المنفعة حواليك.

وذكر الهِراش تخسيساً لهم، لأنه من فعل الكلاب. فإذا ألمت بك نوائبه فهم عليك أعوانه. والعرب تكنى بعَلَى على خلاف ماتَكْنِى عنه بـ(مع) فمع واللام: للموالاة. وعلى: للخذلان والمعاداة. قال تعالى: (لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ)[2] ومعنى هذا البيت متداوَل كثير. ومنه قول بعض المُحْدَثين:

وكنت أخِى بإِخَاءِ الزمان   فَلمَّا نبا صرتَ حَرْباً عَوانا[3]

وتقدير البيت: عليك مع الليالى إذا هَزلت، وحولك فى هراش إذا سَمنت. أى أنهم هم كذلك.

-٥٧-

وله أيضا:

(خَلاً وَفيه أهلٌ وأَوْحَشْنَا   وَفيه صِرْمٌ مُروِّحٌ إبِلَهْ)[4]

الصِّرم: الجماعة من الناس، أى أنه خال عندى وإن كان فيه أهل، لأنهم غير أحبائى الذين عَهِدت بها، وهو موحش وإن كان فيه صِرْم من الناس لعدم أولئك الأحباء ويقويه بعد هذا:

(لو خُلِطَ المِسْكُ والعَبِيرُ بها   ولستَ فيها لَخِلُتها تَفِلَهْ)

(١) أى استعارة.

(٢) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٣) هذا البيت أحد أبيات ثلاثة بعث بها إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات يستعطفه. وبعده فى عيون الأخبار (٧:٨٤)

وقد كنت أشكو إليك الزمان   فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات   فها أنا أطلب منك الأمانا

(٤) القصيدة فى مدح أبى العشائر الحمدانى (ديوانه٢٤٨) والبرقوقى (٢:١٨٧) ومطلع القصيدة.

لاتحسبوا ربعكم ولاطلله   أول حىّ فراقكم قتله

وترويح الإبل: ردها إلى المراح، وهى مأوى الإبل ونحوها.

وإنما تحسُن الأمكنه فى عيون المحبِّين باحْتيازها المحبوبين. وقوله: (وفيه أهل): جملة فى موضع الحال. وكذلك قوله: (وفيه صرم) جملة فى موضع الحال أيضاً، فإذا رَدَدْتها إلى الإفراد، فكأنه قال: خلا عامراً، وأوحشنا آهلاً.

(يَنْصُرُها الغَيثُ وهْىَ ظَامِئةٌ   إلى سِوَاهُ وسُحْبُها هَطِلَهْ)

ينصرها: يُسْقِيها قال:

مَنْ كان أخْطَأهُ الربيعُ فإنَّمَا   نُصِرَ الحجازُ بغَيثِ عبد الواحِدِ

وإنما قيل فى المكان المسقىّ: نصره الغيث لأن المكان فى غالب الأمر إنما يُهْجَر لَجدْبه. فذلك الهجر خَذْلٌ له. فإذا سُقِى أعْشبَ وأَخْصب فاستدعى مَنْ رحل عنه، فكأنه نُصِر بالمعاودة، كما خُذِل بالتَّرك، ولذلك دُعِى للدار بالسُّقيا، لتخصِبَ فيعاودَها من حلَّ بها، فَيعودَ عامراً ماكان منها غامراً.

يقول: الدار ظامئة إلى من رَحَل عنها، إلاَّ إلى الغيث الذى ينصُرها هذا وسحبها هَطِلة، ليكون ذلك أبلغ فى استغراب الظمأ وما أشبه هذا بقوله:

إذا أردت كُميتَ اللون صافيةً   وجدتُها وحبيبُ النفسِ مَفقودَ[1]

قوله: (وهى ظامئة): جملة فى موضع الحال. وكذلك (وسحبها هَطِلة) والسُّحب: جمع سَحاب لاجمع سحابة لأن (فَعَالة) لاتكسَّر على فُعُل. إنما جمع سحابة: سحائب.

(واحَربَا منك ياجِدايَتَها   مُقيمةً فاعْلَمى ومُرْتَحِلَهْ)

الجِدَاية: الظبية. أى: واحربا منك ياظبية هذه الدار. أقمتِ أو ارتحلتِ، لأنك إن رحلتِ عَدمْتُك، ولا خفاء بحال من عَدِم حبيبه. وإن أقمتِ مُنِعتِ منِّى وقُصِرت عنِّى. فُمقامك وارتحالك سواء، كلاهما عائد علىّ بالحَرَب، وهو الهُلْك. ومثله قول الآخر:

(والقريب الممنوعُ منك بعيدٌ).

وقوله: (منك): أى من حبِّك ومن أَجْلك. واستعمل (وَا) هنا دون (يا). لأنه أشهر أعلام[2] التفجُّع والنُّدبَة.

(١) من قصيدة له فى هجاء كافور. مطلعها «عيد بأية حال عدت ياعيد».

(٢) أعلام: علامات. والندبة عند النحويين أدواتها (وا) فى الأكثر الأعم. و(يا).

(وَبيضُ غِلمانِهِ كَنَائِلِهِ أولُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الحَمَلَةْ)

جعلهم محمولين حاملين لأنهم إذا حملوا إلى المعطين البدر والثياب كانوا فى جملة الهبات فكأنهم حملوا أنفسهم مع حملهم الهبات. وقوله: (أول محمول سيبه) قدمهم فى السيب لأنهم أشرف أنواعه. وقال: (بيض غلمانه) يعنى: الصقلب والروم لأنهم أثمن من الزنج والنُّوْب وأحسن فى الأعين وهذا البيت كقوله:

كأن عطياتِ الحُسين عساكرٌ ففيها العِبِدَّى والمُطَهَّمة الجُرْدُ[1]

(وراكبَ الهَوْلِ لايُفَتِّرهُ لَو كَانَ للهْولِ مَحزِمٌ هَزَلَهْ)

أى أنه يركب الهول دائماً، لايُفَتره ولايُرِيُحه، فلو تجسم الهول، فكان مركوباً يُشَدَ عليه الحزام، لَهَزل ذلك المَحِزمَ، بدوام الركوب وملازمته، وخصَّ المحزِمَ دون طوائف الجسم، لأنه موضع الركوب والهَمْز.

(قَدْ هَذَّبَتْ فَهمَه الفَقَاهَةُ لى وهَذَّبَتْ شِعْرِى الفَصَاحةُ لَهْ)

الفقاهة : الفَهْم. تقول العرب: ماله فقاهة ولافصاحة.

يقول: فقاهته فى الشعر قد هذبت فهمَه لى، باستحسانه ماأُنقح من شعرى فيه، حتى مايستحسن غيره من الشعر المتعَسَّف المَخْشُوب[2]. وهذبت فصاحته شعرى له، أى لما علمت أنه فصيح، نقَّيت ألفاظ شعرى واستجدتها، فكانت فصاحته هى التى هذبت شعرى.

(فَأكْبَروا فِعْلَه وأَصْغَرَهُ أكبرُ من فِعْلهِ الَّذى فَعَلَهْ)[3]

أى أَعظموا فعل أبى العشائر، وأَصْغَره هُوَ، أى استَصْغَره، لأنه صغير بالإضافة إليه، كما هو عظيم بالإضافة إليهم. ثم قطع فقال: «أكبر من فعله الذى فعله»: أى الفاعل أكبر من الفعل المنفصِل عنه.

---

(١) من قصيدة فى مدح على بن الحسين الهمزانى ومطلعها:

(لقد حازنى وجد بمن حازه بعد)

(٢) فى أساس البلاغة: خشبت الشعر واختشبته: قلته كما جاء غير متأنق فيه..... وشعر خشيب ومَخشوب.... وكان الفرزدق ينقع الشعر، وكان جرير يخشِب وكان خَشْب جرير خيرا من تنقيح الفرزدق.

(٣) هذا البيت متقدم فى عدة أبيات فى الديوان على سابقه.

(فصرتُ كالسَّيفِ حامــداً يَــدَهُ   مايَحْـمَـدُ السَّيــفُ كـلَّ مَنْ حَمَـلَهْ)

أى أَجاد الفهم عنى، كما أجاد الضرب بالسيف، فأنا كسيفه فى أنى أحمد فـهمه، كما يحمد السيف يَده. إلاّ أن السيف يَحمد منه جسْمانياً وهو يدُه وأنا أحمد منه نفسانياً وهو فَهْمُه.

(مايحمد السيف كل من حمله): أَى ليس كل حامل له يجيد الضرب به، فيكون حامداً لكل من حملَه. وكذلك أنا، ليس كل أحد يفهم شعرى، فأحمدَهم كما حمِدت هذا الممدوح.

-٥٨-

وله أيضا:

(أَعيدُوا صَبَاحِى فَهْوَ عِنْدِ الكَواعبِ

ورُدُّوا رقَـادِى فهو لَحْظُ الحَبَائِبِ)[١]

إن شئت قلت: طال على الليل فلاصباح، وأسهرنى الحزن فلا رُقاد، وكل ذلك بمغيب من أحببت. فيقول: أعيدوا الكواعِب إلىَّ، فإذا كان ذلك قَصُرَ ليلى، وجاء الصباح. وردُّوا الحبائب إلىَّ، فإن رُقادى عندهن، فإذا عُدْن عاودنى نومى.

وإن شئتَ قلت: غاب عنه الصباح بمغِيب الكواعب، لأن الدنيا تُظْلِم على المحزون، فإذا أراد أَن يُردّ ذلك عليه، استدعى أن يُرَد إليه الرُّقاد. لأنه قد كان يَرى الخيالَ فيه وفى الخيال أُنس ، فلما عدم الرقاد، عدم الخيال الذى كان يأنس به.

وقوله: (فهو لحظ الحبائب) أى أن سبب رُقادى نظرى إليهن، فإذا لم ألحظهن سهرتُ غَرضاً[٢] إليهن.

(أَرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِى فَعُقْتِه   عليك بِـدُرٍّ عن لِـقـــاء التَّرائِبِ)

---

(١) مطلع قصيدة له فى مدح أبى القاسم طاهر بن الحسين العلوى (ديوانه بيروت ص٢٢٥) والتبيان(٢:١٤٧).

(٢) الغَرَض (بالتحريك) مصدر غرض إلى حبائبه: إذا اشتد شوقه إلى لقائهن..

السلك: الخيط. يقول: عهدت جسمى ناحلاً؛ فلما رأيت السلك حسبته إياه؛ ومن عادتك البخلُ بالعناق. فَحَجَزْتِ بين السّلك وبين ترائبك بنظام الدُّرّ عليه، جرياً على ما اعتدتيه من البخل.

وقوله: (عليك): ظرف فى موضع الحال.

(إليك فإنى لستُ ممن إذا اتَّقَى
عِضَاض الأفَاعِى نَامَ فوقَ العَقَارِبِ)

ضَرُّ العقرب، أسهل من ضَرِّ الأفاعى، فهو يزجرُ عاذلته على اقتحام المهالك، والاهتجام على صعاب المسالك، فيقول لها: إليك؛ فإنى لاأصبرُ على الصغير من الأذى، فَرَقاً من العظيم؛ وإن كان أيسر من الموت؛ كما أَن سمَّ العقارب أخفُّ من سمِّ الأفاعى؛ وأَبلغ من هذا قولُه:

* إن المنية عند الذلِّ قِنْديدُ *[1]

(اتَانِى وعيدُ الأَدْعِيَاءِ وأنَّهم
أَعَدُّوا لى السودان فى كفْر عَاقِب)

(كفْر عَاقب): موضع بالشام، وأرصد له فيه قوم يريدون إهلاكه. (والأدعياء): ناس ادَّعَوْا إلى علىّ عليه السلام.

(ولو صَدَقُوا فى جَدِّهم لَحَذِرْتُهمْ فهل فِىَّ وحدى قولُهمُ غيرُ كاذبِ)

أى لو صدقوا[2] هؤلاء الأدعياء المُوعِدُون لى، فى ادِّعائهم قُرْبى علىٍّ عليه السلام، لحِذرتهم لشرفهم، ولكنهم يكذبون فى ذلك، فهل فِىَّ وحدى يكون قولهم صادقاً، كما يكونون فى نسبهم، كذلك يكونون فى تَوعُدهم إيّاى.

(بأىِّ بلادٍ لم أَجُرَّ ذوائبى وأىُّ مكان لم تَطأْهُ رَكَائِبِى)

أما جَرُّه ذوائبه: فكناية عن الغَزَل والتَّغَنِّى، كقول الآخر:

---

(١) عجز بيت للمتنبى وصدره «وعندها لذّ طعم الموت شاربه».

(٢) (صدقوا هؤلاء): الواو (فاعل) وهؤلاء بدل منه. أو هؤلاء هو الفاعل والواو علامة على أن الفاعل جمع مذكر. وهذه لغة بنى الحارث بن كعب وجماعة من العرب ، وهى ذائعة حتى اليوم فى بلاد المغرب.

أيَّامَ أسحبُ لمَّتى عَفَر المَلاَ   وأَغُضُ كُلَّ مُرَجَّلٍ رَيَّانِ[1] .

وأما وطء ركائبه المكان، فكناية عن الغزو[2]، يقول: كلُّ مكان قد شاهدت إما طالبَ غَزَلٍ، أو غَازِىَ أَمَلٍ.

(كَأن رَحِيلِى كانَ مِن كَفِّ طاهرٍ
فَأثْبَتَ كُورى فى ظُهوُرِ المَوَاهِبِ)

أى إن مواهب هذا الممدوح مُشَرِّقَةٌ ومُغَرِّبة. فكأن رحيلى كان من كَفِّه، وهى مكانُ العطايا، فأثْبَتَ كُورى فى ظهور مَواهبه فهى تُشَرِّق بى وتُغَرِّب. ووجه اتصال هذا البيت بالذى قبله، أنى لم أدع موضعاً إلا أتيته، كما أن مواهب طاهر لم تدع موضعاً إلا أتَتْه. وإنما صح لى ذلك بإثباته رحلى على ظهور مواهبه السيارة.

وجعل للمواهب ظهوراً، لذكره الكُور الذى موضعه الظهْر. وهذا مجاز. إذ لاظهر لمواهبه ولابطن.

(فَلم يَبْقَ خَلْقٌ لم يَردْنَ فِنَاءَهُ   وَهُنَّ له شِرْبٌ وُرُودَ المشَارِبِ)

يُحقق تشريقُ مواهبة وتغريبُها، وأخذها من الدنيا فى كل أفق وقُطر. فيقول: لم يبق خَلْقٌ إلا وقد وردت هبات طاهر فناءَه؛ إما قادماً بها من لدُنه، وإما محمولة إليه. والخلق هنا: بمعنى المخلوق، إذ لامعنى للمصدر فى هذا الموضع.

(وهُنَّ له شِربٌ وُرُودَ المشارِبِ): أى وهى وإن كانت مشارب للآملين، فإنها تطلب الآملين الزُّوار؛ مع طلبهم إياها طلب العِطاش للمشارب. وقوله:

(وهُنَّ له شِرْبٌ): يتعجب من أنها لهم شرب، وهى تطلبهم طلبَ الظمآن للماء. وهذا نحو قول أبى تمام:

---

(١) أنشد البيت صاحب اللسان (مادة غضض) بهذه الرواية غير منسوب لقائله ثم قال: قيل يعنى به الشعر فالمرجَّل على هذا الممشوط، والريان: المرتوى بالدهن وأنشده فى (مادة-رجل) برواية (أيام ألحف مئزرى عفر الثرى) ثم قال: أراد بالمرّجل الزق الملآن من الخمر وغضُّه: شُربُه. ابن الأعرابى: قال المفضل: يصف شَعْره وحُسْنه. وقوله أغضّ: أى انقُص منه بالمقراض ليستوى شعثه. والمرجّل الشعر المسرّح.

(٢) فى التبيان (١:٤٩-٥٠) قال ابن فورجة: ليس فى البيت مايدل على أنه وطئه غازيا، فكيف قصره على الغزو، ووجوه السفر كثيرة.

فاضْحتَ عطاياهُ نَوازعَ شُرَّدًا يُسائِلْنَ فى الآفاقِ عن كلِّ سائِلِ[١]

إلاّ أنَّ بيتَ أبى الطيب أغرب. وتلخيصه: فلم يبق خَلْق لم يَرِد فناءه وُرُود المشارب، على أنهن شِرْب لذلك الخَلْق.

(فقد غَيَّب الشُّهادَ عن كل موطنٍ وردَّ إلى أوطانه كل غائبٍ)

أى دعا صيتُه فى السَّخاَء الناس حتى غابُوا عن أوطانهم، مسافرين إليه. ثم أغنى هؤلاء السَّفْر[٢]؛ فردهم إلى أوطانهم،وكفاهم[٣] عن السَّفَر إلى غيره. بما أفادهم إياه. قال بعض النُّقَّاد: وهذا كقول أبى نُواس:

وإذا المَطِىُّ بنا بلغْن محمداً فظهورُهنَّ على الرِّجال حَرامُ[٤]

وليس عندى مثلَه، لأن المتنبى قال: أغنى هذا الممدوحُ قُصَّادَه، ورَدَّهم إلى أوطانهم، فكفاهُم السَّفَر. وأبو نواس قال: إذا بَلَغَتِ المطىُّ بنا هذا الأمير، حَرَّمناَ ظهورها على الرِّجال؛ أى لم نركبها أبداً ؛ ولا امتهناها، جزاءً لها على تبليغها إيانا أملناَ من لقائه. ولم يذكر عطاءً؛ ولا كفاية سَفَر، ألا تراه يقول بعد هذا؛ مُبينا لعلة تحريم ظهورها علي الرجال:

قَرَّ بننا من خَير من وطئ الحَصَى فَلَها علينا حُرمة وذِمَامُ

(أُنَاسٌ إذا لاَقَوا عِدًى فَكأنمَّا سلاحُ الذى لا قَوْا غُبارُ السَّلاهِبِ)

السَّلاهب : الطوال من الخيل وغيرها، وإن شئت قلت : سلاح أعاديهم بمنزلة غُبار الخيل فى أنه لا يعبأ به. وخصَّ السَّلاهبَ، لأن الطوال أخفُّ ، فغبارها أخف.

وإن شئت قلت : إن سلاح من لقيهم إنما هو إثارة الغبار بالهرب والانهزَام، وجعلِ ذلك سلاحهم، لأنه هو الذى يقيهم، كما يقى السلاح غيرهم، أى ذلك الذى يقوم لهم مقام السلاح.

وإن شئت قلت: كان السلاح هنا الدرعَ والجُنَن [٥] أى هي عليهم أوْهَى نسْجاً من الغُبار تخرقها الرماح، كقوله فى صفة الرماح:

---

(١) ديوان أبى تمام (بيروت. ٢٢٠) وشرح ديوان أبى تمام للدكتور محمد عبده عزام.
(٢) السَّفْر (بسكون الفاء): المسافرون.
(٣) الفعل (كفى) يتعدى إلى المفعول بنفسه، ولكنه هنا قد ضمنّه معنى (أغناه) فعداّه (بعَنْ).
(٤) البيت والبيت الآتى بعده فى ديوان أبى نواس (ط. الحميدية ص٥٥) وهو من قصيدة بمدح بها محمداً الأمين.
(٥) الجنن: جمع جُنة (بضم الجيم) وهى كل ما يوقى به المحارب نفسه من عدوه من درْع وتُرس ومِغْفَر ونحوها.

قــواض مــواض نسج داودَ عْندهـا   إذا وَقَــعَتْ فــيــه كنسْج الخَـدرَنق[1]

الَخدَرْنق: العنكبوت؛ شبه الدروع فى خَرْق الرماح لها، وسهولة ذلك منها عليها، بيت العنكبوت.

(رَمَوْا بِنَواصيها القسِيَّ فجئتَهاَ

دَوامِى الهَوَادى سالماتِ الجوانبِ)

أى رَمَوا هذه الخيل بالقسىّ، فعكس، (ومثله كثير)؛ فجاءت دَوامى الهوادِى، وهى الأعناق والمقادم، لإقدامها. وسلمت جوانبها، لأنها لم تستعرض ولم تستَدْبِر. وكنى بالجوانب هنا عن الأعجاز والأعْطَاف جميعاً، وهم يصفون المُقْدِم بأن جُرحه فى أمام جسمه، والمُدبر بخلافه، كقول القُطامىّ:

ليــست تجــرَّحُ فُــرَّاراً ظهــورهـم   وفى النحــور كُلــومٌ ذات أبلادِ[2]

وقوله:(دوامى الهوادى): أراد دَوَامِىَ، فسكن اضطراراً.

(يَقولـون تاثيـرُ الكواكـب فـى الـوَرَى

فَمـا بَالُـه تاثيـرُهُ فـى الكواكـبِ)

أثر فيها باعتلائه عليها. يقول: أثَّر هو فى الكواكب؛ وهو من الورى فكيف زعموا أن الكواكب تؤثر فى الوَرَى. يذهبُ إلى تكذيب المنجمين، فيقع فيما هو أوحش وأفحش[3] من قولهم، وهو قوله : إن هذا المددوح أثَّرَ فى النجوم بفضله عليها. وهذا نحو قوله :

فتبًّا لــدين عَبيدِ النُّــجُـومِ   ومَنْ يَدَّعــى أنَّهـــا تَعْقِلُ [4]

وَقَــدْ عَرفتكَ فما بَالُهـــا   تَــراكَ تَراهَــا ولا تَنْــزِلُ

(يرى أن مَــامَـا بانَ منكَ لضـاربٍ   بأقْــتَلَ مــمـا بانَ مْنكَ لعـائب)

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. يريد أن يقول: إن الرماح إذا وقعت فى دروع الأبطال خرقتها كما تخرق نسج العنكبوت (انظر التبيان ٢: ٣٠٤).

(٢) ديوان القطامى ص١٢. وأنشده فى اللسان (بلد) شاهدا على أن الأبلاد: جمع بلد (بالتحريك) وهو أثر الجرح.

(٣) كلمة (أفحش) ساقطه من ت.

(٤) من قصيدته التى مطلعها (أينفع فى الخيمة العذل) (ديوانه٣٠٦) والتبيان(٣: ٦٦).

أى يرى أنه ليس الذى بان منك لضارب، بأقْتل ممَّا بان منك لعائب.

أَى العيب أَقْتَلُ من الضَّرْب . ففى (أَن) مُضْمَر على شَرِيطة التفسير[١]، وما الأولى نفى، والثانية بمعنى الذّى والجملة بكلِّيتها تفسير المضمر على شريطة التفسير.

(حَمَلْــتُ إليـه من لِسانى حَديقــةً

سَقَاها الحِجاَ سَقْىَ الرياض السَّحائبِ)

الحديقة : الروضة : شَبَّه القصيدة بها فى حسنها، إلاَ أن الذى قام لها مقام السحاب للحديقة، إنما هو عقلىّ، بأنه سقاها بفكره وتأمله، سَقىَ السحاب الرياض، كقول أبى تمام فى صفة الشِّعْر:

ولكنّـه صــوبُ العُــقُـولِ إذا انْجلــتْ

سَحائـبُ منــه أُعْـقـبِـتْ بسـحائِب[٢]

وأراد سَقْىَ السحاب الرياضَ ففصل بين المضافين اضطراراً

-٥٩-

وله أيضا :

(كتمتُ حبكِ حتى عنكِ تكرمةً ثم استوى فيك إسرارى وإعلانى[٣])

أى كَتمْتُ حُبِّى عن الأنام، حتى عَنْك، وإنما كان كتمانه تكرمة لك، ثم غلبنى ذلك فاستوى سِرِّى وجَهْرى، أى أظهرت منه مثل ما كنت أخفى.

(كَأنهُ زَادَ حَتَّى فاَضَ عَنْ جَسَدِى فَصَارَ سُقْمى بِه فى جِسْمِ كِتْمَانىِ)

أَى كأن الحب زاد حتى سَقِمتُ، ففاض بَعضُ سُقْمى إلى جسم كتمانى، فمرض الكتمان، وَبطَل[٤]، فظهرَ الحّب . وهذا اعتذار منه إلى محبوبه فى إعلانه

(١) ويسميه النحويون ضمير الشأن أو ضمير القصة، وتفسيره القصة التى بعد (أن).

(٢) من قصيدة أبى تمام التى مطلعها «على مثلها من أربع وملاعب».

(٣) انظر ديوان المتنبى (بيروت ٢٦) والتبيان (١٩٢:٤)

(٤) يقال: بطل بطلا وبطولا وبطلانا: ذهب ضياعا وخسرا (القاموس).

بحبه. أي إنما كان ذلك لهذا . واستعار للكتمان جسْماً، وان كان عَرَضاً، لأنه ذكر السُّقمَ ، والسُّقم عَرَض، والعَرَض لابد له من محل.

وان شئت قلت : الهاء في كأنه راجعة إلى الكتمان.وإن لم يَجْرِ له ذكر، كقوله: من كَذَبَ كان شرا، أي كان الكذب[1] شَراً له. حكاه سيبويه. ومثله كثير في التنزيل وغيره. فيكون المعنى على هذا، كأن الكتمان فاض عن جسدى فتغَشّى الجسم[2]؛ واستتر السقم الحالُ فيه باستتار جسمي، لأنه إذا استتر الجوهرُ الحالُ فيه العَرض، استتر[3] العَرَض في أغلب الأمر . ولمَا قال إن الكتمان مشتمل على الجسم كاشتمال الثوب، استجاز أن يجعل الكتمانَ جسماً مؤلَّفا، وقد خفي جسمه وظهر ما فاض عليه من الكتمان، فكان السُّقم في جسم الكتمان.

- ٦٠ -

وله ايضا:

(وَلَقَــدْ عَلمِناَ انَّناَ سَنُطيــعُــهُ لَمُــا عَلِمناَ انَّناَ لا نخْلدُ)[4]

أي علمنا أَننا في طاعة الفراق[5] والانقيادله، لتيقننا الموت، الذى هو أشد أنواع الفراق، لأنه اضطراريّ الوجود، وغيره من أنَواع الفراق ممكنٌ لا واجب ، وكأنه قال : نحن متيقّنون لو قوعه، لعلمنا أَننا نموت . وذكر الطاعة، لأن الامتناع من الموت ممتنع.

ومن ظريف هذا البيت : إيجابه إطاعة الجنس، وجعله علة ذلك إطاعة النوع الضروريّ، لأن النوع قابل لاسم الجنس. وهذا منه تفلسف منطقّي بديع.

- ٦١ -

وله أيضا :

(أعْلَى قَنَاةِ اُلْحسين أوسطُها فيه وأَعْلَى الكَميّ رِجْلاهُ)[6]

(١) يريد أن اسم كان ضمير راجع إلى المصدر (الكذب) المفهوم من الكلام، ولم يصرح به، ومثله قوله تعالي (اعدلوا هو أقرب للتقوى) فإن الضمير (هو) راجع إلى العدل المفهوم من السياق.
(٢) تغشى الجسم: علاه وستره.
(٣) استتر: ساقطه من ت.
(٤) من مقطوعه أربعة أبيات (ديوانه٢٠١) والتبيان(١:٣٨٤).
(٥) الفراق: مصدر وهو اسم جنس تحته أنواع منها فراق الموت وهو أمر طبيعى حتم لامفر منه فكذلك الفراق في الدنيا ينبغى أن نطيعه وتتقبله قياساً على الموت لأن كلا منها نوع تحت جنس واحد.
(٦) القصيدة في أبي العشائر الحمداني (ديوانه ص٢٥٢) والتبيان ٤:٢٦٣ ومطلعها:
الناس مالم يروك أشباهُ والدهر لفظ وأنت معناهُ

(فيه): أى فى المأزق. ومعناه: أنه لما طعن بها الفارس تَحَنَّت، وتَقَوَّست. أحد طرفيها فى المطعن[1] والآخر فى يد الطاعن، فيعتمد عليه، فصار أوسطها أعلى أنبوب فيها .(وأعلى الكميُّ رجلاه) أى يطعُن الفارس فيخر مكبُوًّا[2] : أعلاه رجلاهُ وأسفله رأسه.

(تُنْشِدُ أثوابُنَا مَدائحِهُ   بألْسُنٍ مالَهُنَّ أفْواهُ)

أى تدل من رآها أنا قد مدحناه، فأخذنا مدحه[3]. فتخبر عن جودة المدح بجودتها، إذ لا يكافىء الممدوحُ الناقد بالجيِّد إلا على الجيِّد.

وقيل: عَنى أنها جُدُد، فهى تُقَعقع [4]. وهذا لا يلتف إليه.

(إذا مَررْناَ على الأصَمِّ بها   أغْنتَهْ عَن مِسْمَعَيْه عَيناَهُ)

(بها): أى بالحُلل. يقول : إذا رأى الأصمُّ علينا هذه الحلل التى كساناها أبو العشائر، عَلِمَ أننا داعون له من أجلها، وشاكرون عليها، لِمَا يُرى من بَهائِهَا وسَنائِها وإن لم يسمع شكرنا إياه ، ولا دعاءنا له. فعيانه موثوقٌ به، بل هو أشد إعراباً عن ذلك من اللسان. لأن اللسان ربما حذف إما اختصاراً وإما لُكْنة[5]. ونحو هذا البيت قوله هو:

خَلَفَتْ صفاُتك فى العيون كلاَمَه   كالَخطُّ يَملأُ مسْمَعَى من أبْصرَا[6].

ونظير البيت الأول قول الأسود، وهو نُصيْب:

فعاجُوا فأثنوا بالذى أنت أهله   ولو سَكَتُوا أثْنَتْ عليك الحقائبُ[7].

---

(١) أى فى مكان الطعن.

(٢) (مكبوا) هكذا فى الأصل. والفعل (كبا) فعل لازم: كبَا يَكبُو كبواً وكُبواً: انكب على وجهه ويكون ذلك لكل ذى روح (عن ابن سيده فى اللسان) ولعله ضمن الفعل (كَبا) معنى الفعل(نكَس) أو الفعل (قَلب) وهما متعديان ثم اشتق منه (مكبواً) أى منكَّساً أو مقلوبا.

(٣) كذا فى الخطيتين. ولعله قد سقط من العبارة شئ أى فأخذنا جزاء مدحه أو نوال مدحه حللا، فهى تخبر عن جودة المديح بجودتها.

(٤) أى يسمع لها صوت عند احتكاك بعضها ببعض.

(٥) اللكنه: عجمة فى اللسان وعيٌ (اللسان لكَن)

(٦) البيت من قصيدة له فى مدح أبى الفضل بن العميد ومطلعها
«باد هواك صبرت أم لم تصبرا »
وانظر ديوانه ص(٥٢٢).

(٧) البيت لنصيب فى ترجمته فى الأغانى (حـ٤: ٤٠).

وقال قوم لم يكْنِك يا أبا العشائر، فقال:

(قالـــوا الم تَكْنِـه فَقُلْـتُ لَهُمْ   ذَلكَ عِـــيٌّ إذا وَصَفْنَـــاه)

قالوا (ألم تكنه): يُخرَّج ظاهره على أنه قد كَنَّاه، لأنك إذا قلت مُنكراً: ألم تقم؟ فمعناه: قد فعلتَ القيام. وإذا قلت أقُمْتَ، لم يكن فيه إثبات أنه قام، وإنما هو إنكار أمر القيام. والمتنبى لم يُكْنِ أبا العشائر فى القطعة التى قبل هذه .
وإنما قال له هولاء المطالبون المتتبعون لزَلَّلِه:(ألم تَكْنه[1])؟ وهم مستفهمون لامنكرون، فلم يشعر هو لمكرهم، فاعترف لهم، فقال: لا. ثم أعلم ماحاَوَله هؤلاء الحاسدُون منه، فقال هذا الشعر معتذراً وحكى ماواجَهُوهُ من لفظ الاستفهام.

(لا يَتَوقَّـــى أَبوُ العَشائرِ مِنْ   لَبْـــسِ مَعَانِى الوَرَى بِمَعْنَـاهُ)

أى إن صفاته مغْنية عن تسميته وَتَكْنِيَتَه، لأنه منفرد بها لا يُشْرَك (فيها) إذ هى صفات لا يُحلَّى بها غيره. فصارت كالاسم، بل هى أشد اختصاصاً له من الاسم والكنية، لأن حُسَيناً وأبا العشائر كثير. والصفاتُ التى لأبى العشائر هذا، لا تَلْحَق إلا إياه. فصارت لذاته كالحدِّ للنوع المحدود. ولذلك سَمَّى تكنيته مع وصفه إياه عِيًّا.

ـ٦٢ـ

وله أيضا :

(كَيْفَ تَرْثِى الـتى تَرَىَ كُلّ جَفنٍ   رَاءهاَ غَيْرَ جَفْنِها غَيْـرَ رَاقِى)[2]

أى لا يسعها الرثاء للباكين، لأنه ليس يبكى من هجرها[3] واحد، بل كل واحد. وإنما كانت ترثى لو انفردَ باكٍ بالبكاء، فأما جميع الباكين من هجرها، فلا يسعهم رثايتَها[4] لهم . وإن شئت قلت: إن كل جفن رآها بكى من هجرها إلا جَفْنها وحدها، فإنه لا يبكى، لأنها لا تهجره. ويقُوِّى ذلك قوله بعد هذا:

(١) فى التبيان (٢:٢٦٦) وقال قوم لأبى العشائر: ماكَنَّاك وأنت تعُرف بكنيتك. فكأنهم حاولوا إفساد مابينهما.

(٢) من قصيدة فى مدح أبى العشائر الحسين بن على بن حمدان. مطلعها:

أتراها لكثرة العشاق   تحسب الدمع خلقه فى المآقى

(ديوانه ص٢٣٦) والتبيان (٢:٣٦٢).

(٣) فى – م: لهجرها.

(٤) رثايتها: مصدر رثَت المرأة بعلها ترثية وترثوة (اللسان– رثى) ومعنى ترثى هنا: ترْحَم.

(أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نفسك لكنَّـ ـكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنىً واشتياقِ)

فهى لا ترثى لذلك من غيرها؛ لأنها مُعفاة منه. وتقدير البيت: كيف ترثى التى ترى كلَّ جفن رآها غير رَاق إلا جَفْنَها (فغير جَفنها) استثناء (وغيرراق) حال. وإذا رَدَدْت غير راق إلى الاسم المحصَّل فكأنك قلت: كيف ترثى التى ترى كل جفن رآها باكياً، لأن(غير راق) معناه: باك . كما أنك إذا قلت : زيد غير عالم . فغير عالم كقولك : جاهل وأراد: راقئا، فأبدل إبدالاً صحيحاً، للوصْل[1].

(لَوْ عَدَا عَنْك غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ لأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ المَنَاَقى)

عدا: صرف. وأرار: أذاب . والرسيم: ضرب من السير . والمناقى: الإبل السّمان . أى لو كان المانعُ عنك بعداً لا هَجراً، لَسِرْنا دَأَباً حتى تُهزَلَ إبلنا، فيذوب مُخُّها، فاكتفى بذكر المُسبَّب عن ذكر السَّبب.

ومثله قوله:

أبْعَدُ نأيِ المليحةِ البَخَلُ فى البُعْدِ ما لا تَكلَّفُ الإبلُ[2]

(ولَسِرْناَ ولَوه وَصَلْناَ عَلَيْها مِثْلَ أنْفَاَسِناَ عَلَى الأرْماقِ)

الأرماق : البقايا. أى سرنا إليك على هذه الإبل التى كانت تعود أرْماقا ونحن كالأنفاس عليها خِفةً، لما لَحقَناَ من النُّحول: كقوله:

بَرْتنى السُّرَى بَرْىَ المُدَى فَرَدَدْننى

أخَفَّ على المركُوب من نَفَسِى جِرمِى[3]

(فمثلَ أنفاسنا): حال من الضمير الذى وصلنا (وعلى الأرماق) ظرف متعلق بأنفاسنا.

(١) الوصل فى اصطلاح أصحاب القوافى: الحرف الذى بعد حرف الرَّوِىّ، وقد يكون أحد حروف أربعة وهى الألف والواو والياء والهاء (انظر تاج العروس- وصل)

(٢) انظر شرح البيت فى المقطوعة ٣٧.

(٣) انظر ديوانه ص٦٦ والتبيان (٤:٥١) وفيه: برانى فى موضع (برتنى).

وإن شئت قلت : ولو وصلنا على هذه الإبل فقد استكرهت حملنا فضعفت عنه لما لحقنها من المشى، كما استكرهت أرماقنا حمل أنفاسنا لذلك.

(كَاثَـــرتْ نائـلَ الأميـــر مِنَ الما   لِ بمـــا نَوَّلَتْ مِـــنَ الإيـــــراق)

الإيراق: التُّجنيب والمنعْ. يقول : كاثرت عطاء الأمير بمنعها. يصفها بكثرة ذلك منها. فكأنه قال : عارضتْ جُودَهُ ببخلها، ليكون أبعث على حبها،

كقول العرب:(تَمَنَّعِى أَشْـهىَ لكَ)[1]. وقد يكون أنه وصـفهـا بالعفـة، كمـا وصف الأمير بالكرم؛ أى أنَ عِفتَّها فى نوع العِفة، ككرم الأمير فى نوع الكرم.

(يابنى الحارث بنِ لقمانَ لا تَعْدَمْـــــــــكُمُ فُى الوغَـى مُتُـونُ العِتَاق)

فى الوغى اختصاص حسن. يصفهم بالشجاعة إذ لا يُدْمنُون ركوب الخيل أبدا لإراضتها وسياستها.

(طاعــنُ الطَّعَنةَ الَّتِىُ تطعن الَفْيـ   ـلَقَ بالذُّعْـــرِ والـــدَّمِ المُهْـــراقِ)

الفَيلق[2]: الكتيبةُ . والذُّعْر: الفزع . أى أنها طعنة تملأ صدور الكتيبة كلها ذُعـراً، وإن لـم تكن تقع الطعنةُ إلا بواحـد. فكأنه بذلك قـد طعن الفَـيْلِقَ كله، فيفرُّون.

(هَـمُّـــه فـــى ذَوِى الأسِنَّـــةِ لا فيـ   ـهاَ وأطـــرافُها له كالنِّـــطـــاقِ)

أى حَفَّت به الأسنة، حتى صارت له كـالنِّطاق، فَـهـمُّه حينئذ فى قتل ذوى الأسنة؛ وأسْرِهم لا فى دفع ما أحدق به من الأسنه لهوانها عليه، وحقارتها لديه.

وقوله:(وأطرافهـا له كالنطاق): جملة فى موضـع الحال، يسـتغرب ذلك، وهذه حاله. وشبهه بعض النقاد بقول أبى تمام:

إن الأسودَ أسودَ الغابِ هِمَّتُها   يوم الكريهةِ فى المسلوبِ لا السَّلَبِ[3]

---

(١) لم نهتد إلى هذا فى كتب الأمثال.

(٢) فى اللسان (فلق): كتيبة فَيْلق: شديد شبهت بالداهية. وفى التهذيب: الفَيلق: الجيش العظيم. وفى أساس البلاغة: رماهم بفيلق شهباء و هى الكتيبة المنكرة.

(٣) انظر قصيدته التى مطلعها «السيف أصدق أبناء من الكتب».

وليس مثله، لأن أبا تمام نفى عن الممدوح حُب السَّلب وأبو الطيب ذكر أن أبا العشائر لا يعبأ بالأسنة المحدِقة به لشجاعته، ولم يذكر حُبَّ سَلَب ولا ضدّه، وقال (وأطرافها) ولم يقل(وهى) ، لأن الأسنة لم تخالط لحمه بَعْدُ، وإنما هى على ظاهر جسمه، فأطرافها هى المحدقة به لا جُمْلَتها.

(جَاعِلٍ دِرْعَه مَنِيَّتَه إنْ لَمْ يكن دُونها من العارِ واقِ)

أى يجعل درعَه منيتَّه التى تقيه العار، إذا لم يجد غير الموت واقيا. وكانَ أظهر من ذلك ـ لو اتَّزن له ـ أن يقول : جاعلٌ منيته دِرْعه.

(والأسَى قَبلَ فُرقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ والأسَى لا يكُون بَعْدَ الفِراقِ)

يسُفهُ رأى من شحٍّ وجَبُن. فيقول: لا معنى للأسى قبل فرقة الروح، لأنه فى حد الوجود، فإذا حل به العدمُ وأزالَ الوجود فلا أسى هنالك؛ فمن الحكم[1] ألا يكون أسىً. وقيل: الأسى لا يكون بعد الفراق، وإنما هو قبل الفُرقة، فعلى هذا يكون صدر البيت تسفيهاً لرأى المشفِق على الذات، وعجزُه اعتذار له،

(لَيْسَ قَوْلى فى شَمْسِ فعْلِك كالشَّمْسِ ولَكِنْ فى الشمس كالإشْرَاقِ)

جعل لفعله شمساً: استعارة لحسن أفعاله وإنارتها. فيقول: ليس ثنائى عليك فى نوع الثناء مثلَ فعلك فى نوع الفعل ، ولكن فعلك شمس وثنائى، إشراقها ، أى إن ثنائى ينَشُر فعلا ويُبَيِّنُه[2] كما يظهر الإشراقُ جوهَر الشمس. وكنَّى عن فعله بالشمس، وعن ثنائه بالإشراق، لأن الشمس أشرف من الإشراق؛ من حيث كانت جوهراً والإشراقُ عَرض فيها.

-٦٣-

(ولَو لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِه عَلَيْه لَبَشَّرتُهُ بِالْخُلود)[3]

غير أعدائه: الحِمام الطبيعى . فيقول: لو لم أخفْ عليه الموت إلا من قبل أعدائه لتيقنت[4] أنه خالد؛ لقصور عِداهُ عنه . وهو نحو قول جرير:

(١) من الحكُم: أى من الحكمة.

(٢) فى ت: ويثبته.

(٣) من قصيدة قاها المتنبى وقد وشى به إلى السلطان فضيق عليه وحبسه فكتب اليه من الحبس (أيا خدّد الله ورد الخدود) (انظر ديوانه ص٥٣) والتبيان (٣٤١:١).

(٤) فى م : لتيقَّنا.

زعم الفرزدَق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامِرْبَعُ[1]

إلاَّ أن قول أبى الطَّيب أبلغ، لأن جريراً بَشَّر مِربَعا بطول السلامة، ولم يفصح بالخلود . وأبو الطيب أراد أن يبشره بالخلود.

-٦٤-

وله أيضا:

(قَطَّعْتِ ذَيَّاكِ الخُمَارَ بِسكْرةٍ وأَدَرْتِ من خَمرِ الفِراق كُئوساً)[2]

الخُمار : أخف من السكر. فيقول : كنت أشكو هجَركِ مع القرب، فأتبعنى بَيْنُكِ، وهو أشد من الهجر الذى كان مع دُنوِّ الدار، وقرب المزار. وكثيراً ما يستعمل هذا النحو، أعنى أنه يستصغر العظائم، بإضافتها إلى ما هو أَعظم منها، كقوله:

وَقَدْ كنتُ قَبْلَ الموتِ أَسْتَعظِمُ النوى

فقد صارت الصُغرى التى كانت العُظمى[3]

وكقوله:

ولم يُسلها إلا المنايا وإنما أجَلُّ من السُقِم الذى أذهبَ السُقماَ[4]

(وَبه يُضَنُّ على البرية لاَ بِهاَ وعَلَيْه مِنْها لاَ عَلَيْه يُوسَى)

أى يُضنُّ على البرية أن يُعدّ منها وإن كان من نَوْعها، لأنه أشرف منها جوهراً وفعلاً. فكأنه إنما يُعَدُّ فى نوع آخر غير نوع الإنسان، ولا يُنْفَسُ[5] بالبريَّة عليه، لأن خطره أَنْفس من خطرها، فتقديره: لاَ بها عَلَيه. فحذف (عليه) للعلم بها، وكذلك يُحْزَن عليه منها: أى يُحْزَن على أن يُعَدَّ منها، فيُبخَس حقه، ولا يُحْزَن عليها من كونه معدوداً فيها بالنوعية لأنها دونه فى القَدْر والخَطَر .

(١) ديوان جرير (ط الصاوى ص٣٤٨).
(٢) ديوانه (ص٥٨) والتبيان (٢:١٩٣).
(٣) من قصيدته فى رثاء جدته (التبيان ٤:١٠٣).
(٤) هذا البيت وسابقه من قصيدة واحدة وبينهما أبيات.
(٥) يُنْفَس: أى يُضَنُّ (مبنية للمجهول).

وإن شئت قلت: إنه إنما يُحْزَنَ عليه من بينهم إذا هلك، لا عليها إذا هلكت، لعجز غَنائها عن غنائه .

فَمِنْ على القول الأول للعلة أى مِنْ أجلها، وعلى القول الثانى بمعنى من بَيْنِها.

وأراد : (يُؤْسىَ)؛ فأبدل إبدا لاً صحيحاً للرِّدْف[1]، فى قول أبى الحسن[2]. وهو تخفيفٌ قياسىّ فى قول أبى عثمان[3]؛ لأنه يرى الرِّدف بالتخفيف القياسىّ معاملة للفظ.

-٦٥-

وله أيضا:

(مَرَتْكَ ابنَ إبراهيمَ صافيةُ الخَمْر

فَهُنِّئْتَها من شارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ)[4]

أى أنت سكران صاحياً[5] بأريحيةٌ خَلَّتك؛ فإذا شربتَ الخمر أسكرتها بفضل سكر أريحيتك. وقال مُسْكِرِ السكر ولم يقل مُسْكِرِ الخمر لأن إسكاره السكر أبلغ من إسكاره الخمر. وهو أذهب فى الشعر وأغرب؛ لأن العَرَض لا يَحملُ عرَضاً؛ فتفهمْه. وقال مَرَتْك؛ وإنما؛ هو مَرَأتك[6]؛ فأبدل إبدالاً صحيحاً، كقوله:(فارْعَى فزارة لا هَنَاكِ المَرْتَعُ)[7].

(١) قال ابن سيده: الرِّدْف: الألف والواو والياء التى قبل الرَّوىّ وسُمى بذلك لأنه ملحق فى التزامه وتحمل مراعاته بالروى فجرى مجرى الرِّدف للراكب. أى يليه لأنه ملحق به (تاج العروس واللسان- ردف) وقال الجوهرى: الرِّدف فى الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروى ليس بينهما شئ فإن كان ألفا لم يجز معها غيرها، وإن كان واوا جاز معه الياء.

(٢) أبو الحسن: هو الأخفش الأوسط سعيد بن مَسْعدة المجاشعى. أخذ عن سيبويه، وهو الطريق إلى كتابه. وله كتب فى النحو والعروض وهو الذى استدرك على الخليل البحر السادس عشر من بحور الشعر.

(٣) أبو عثمان هو بكر بن محمد بن بقية المازنى (ت ٢٤٧هـ) وهو صاحب أول كتاب مستقل فى علم التصريف، واشتهر بتصريف المازنى وقد طبع حديثا بمطبعة مصطفى البابى الحلبى بتحقيق العالم الأستاذ عبد الله أمين.

ومراد أبى الحسن الأخفش بما نقله عن المازنى أن تخفيف الهمزة إذا كانت رِدْفا تخفيف قياسى مطرد، لأن الرِّدف لايكون إلا حرف مدّ ولين.

(٤) أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبى فى أبى الحسين على بن ابراهيم التنوخى وقد دخل عليه وهو يشرب. (الديوان ص٨٤) والتبيان (١٣٧:٢).

(٥) كذا بنصب (صاحيا) ولو رفعه لكان مثل: الرمان حُلوحامض، وهو أحسن.

(٦) لما أبدل الهمزة فى (مرأتك) ألفا للضرورة، التقت ساكنه مع تاء التأنيث فحذف الألف للتخلص من التقاء الساكنين.

(٧) هذا عجز بيت للفرزدق. وقد تقدم شرحه ومحل الاستشهاد عليه (مقطوعة ٤٨).

وله ايضا:

(ياأُختَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ فى الوَغَى　　لأَخُوكِ ثَمَّ أرقُّ منكِ وأرحَمُ)[١]

(يرنُو إليك مَعَ العَفَافِ وَعندَهُ　　أنَّ المجوسَ تُصيبُ فِيماَ تحكمُ)

قيل: يخاطب محبوبته. جعلها أختاً تعففاً عنها، وتنزهاً عن الفجور بها. (لأخوكِ): يعنى نفسه. (ثَمَّ): أىْ فى موضع القتال. و(اعتناق الفوارس) أرق منك فى الهوى وأرحم، ذلك على قساوته فى الحرب،يرنو إليك مع العفاف .... البيت.

أى إن أخاك وهو يعنى نفسه ينظر إليك فيعجبه حسنُكِ، إلا أنه يَعِفُّ تشرفاً لاتديناً، وعنده مع عِفته، أن المجوس تُصيب فى حكمها الذى هو نكاح الأخوات.

وإن شئت قلت: إنه يتغزل بأخت رجل شجاع، فيقول لها: أخوك على شدته وبَسالَته، أرقُّ منك وأرحم، ثم أخبر عنه أنه يرنو إليها مع العَفاف الذى تُوجبه منافرة الطبيعة لنكاح الأخوات، فيذُم نفسه على ذلك العفاف الطبيعىّ. وعنده أن المجوسَ تصيب فى نكاح الأخوات.

وقد قيل فى هذين البيتين قولا لا ينبغى أن يُلتفت إليه لسُخْفهِ.

وقولُه المجوس:أراد المجوسيين، فلذلك أدخل عليه الألف واللام. ولو عَنَى القبيلة لقال إنَّ مَجُوسَ كقولة:

أَحارِ أُرِيكَ برقاً هَبَّ وَهْناً　　كنار مَجوسَ تَسْتعَرِ اسْتعاَراَ[٢]

(رَاعَتْك راعِيةُ البياض بَعارضى[٣]　　ولَوَ انَّهـا الأولى لَرَاعَ الأَسْحَمُ)

---

(١) من قصيدة يهجو بها إسحاق بن إبراهيم (ديوانه٥٧) والتبيان ٤: ١٢١) ومطلعها
لهوى النفوس سريرة لاتعلم　　عرضا نظرت وخلت أنى أسلم.
(٢) البيت فى اللسان (مجس) وقال: قال ابن برّى: صدر البيت لامرئ القيس وعجزه للتوام اليشكرى وكانا يتباريان. يقول امرئ القيس شطرا ويجيزه التوءم فيقول الشطر الثانى ليعلم أيهما أشعر.
(٣) كلمة (بعارضى) كذا وردت فى البرقوقى وفى طبعة بيروت (بمفرقى).

الراعيةُ : أول ما يظهر من الشيب. والعرب تصف المرعَى بالسواد، فإذا حَلَّت الشَّيبةُ جعلوها(راعية) لذهاب السواد، كما تُذهِب الراعيةُ من الماشية خضرةَ المرعىَ.

(ولَوَ انها الأولى لراعَ الأسحم): أى لو تقدم البياض قبل السواد، ثم أعقبه السواد لكان أروع؛ لأن السواد أروع من البياض وأهول.

(والظُّلْمُ مِنْ شيمِ النُّفوُسِ فإن تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ)

المعنى: والظلم من تأليف خلق النفوس. ومعنى الظلم: وضع الشئ فى غير موضعه. وتأليف النفوس من أربعة أشياء متنافرة: من حارّ رطب، وبارد رطب، وحار يابس، وبارد يابس. وهى ما اعتدلتْ صَلَح الجسم، وإذا اختلفت فسدَ الجسم، فهل يوجد[1] ؟

(وتَراهُ أصْغَرَ ماتَراهُ نَاطقاً ويكونُ أكذبَ ما يكونُ ويُقْسمُ)

أى يعظم ساكناً بهيبته، فيغُرُّ من رآه ، فإذا تكلم صَغُر من لُكنته، كقوله:

وكائنْ تَرى مِنْ صامَتٍ لَك مُعْجِبٍ

زيادتُه أو نقصُه فى التكلُّمِ[2]

(ويكون أكذبَ ما يكون ويقُسم) : أى إذا تناهى فى الكذب أقسم عليه أنه حق له.

-٦٧-

وله أيضا:

(كُنْ لُجَّةً أيُها السَّماحُ فَقَدْ آمنَه سَيْفُه مِنْ الغَرقِ)[3]

اللُّجة مَهْلكه للأرواح، والسَّماح مَهْلكة للمال. فيقول:أيها السماح اعْظُم، حتى تكون لُجة مُهْلكة لما له، فإن سيفه يَحلف عليه بالإغارة والنُّهْبة جميع ما

(١) كذا جاءت هذه العبارة وهى ناقصة، ولعل تمامها بمساعدة القرائن أى (فهل يوجد من لايظلم)؟
(٢) البيت من معلقة زهير. يقول: كم صامت يعجبك صمته فتستحسنه، ولكن تظهر زيادته على غيره ونقصانه عنه عند تكلمه.
(٣) هذا البيت من جملة سبعة أبيات له فى الديوان (ص٢٥٤) والتبيان(٢:٣٧٢). وأولها
لام أناس أبا العشائر فى جود يديه بالتبر والورق

تتلفه أنت . ولما جعل السماح لجة استعار اسم الغَرَق للفقر. ونظير هذا قول الشاعر:

ومَنْ يفتقر منا يَعِشْ بُحسامِه ومنَ يَفْتَقِرْ من سائر الناس يَسْألِ

وقال: كن (لُجة) ولم يقل : كن بَحْراً ، لأن اللُّجة أهول ما فى البحر، ألا ترى أن العرب تسميها(العَوْطب)[1]، لما يَحْدث فيها من العَطَب أو يُخاف، ولم يُسَمُّوا جملة البحر عَوْطَبا.

-٦٨-

وله أيضا:

(أنــاَ بالوُشـــاَةِ إذا ذكرتُـكَ أشْبَهُ تَأتى النَّدَى وَيُــذاعُ عَـنكَ فتــكْرَه)[2]

الكريم يكره ذكر إحسانه إلى مُؤَمِّليه، حذرا أن يظُنوا ذكر ذاك اعتدادا به. عليهمْ وَمناً ، فكأن من يذكر عنه؛ يُشيع عنه ما يكره إشاعته؛ وَينِمُّ به . والقطعة رائية ولا تكون هائية، لأن بعد هذا البيت بيتاً آخره (نَصْرُهُ)[3] ؛ فهذه هاء إضمار؛ متحركٌ ما قبلها ؛ وهاء الإضمار المتحرك ما قبلها؛ لا تكون رَوِياً.

فإن قال قائل: قد قال فى المصراع الأول من هذا الشعر (أناَ بالوشاةِ إذا ذكرتك أشْبهُ) فَقَفَّى بالهاء . قُلْتَ: لم يُقَفَّ بهاء . وليس الشعر بمصرَّع، وإنما هو فى البعُد من التصريع، بمنزلته لو قال : (إذا ذكرتك أمثلُ) مع قوله تكره . فهذا احتيالٌ لطفه له أهل بغداد[4].

---

(١) فى اللسان (عطب): العَوْطَب الداهية، ولجة البحر، وهما من العَطب وقال ابن الأعرابى: العَوطب: أعمق موضع فى البحر.

(٢) هذا البيت أحد بيتين خاطب بهما سيف الدولة (ديوانه٢٩٧) والتبيان(٢:٩١)

(٣) هو البيت: وإذا رأيتك دون عرض عارضاً أيقنت أن الله يبغى نصره

(٤) يريد أن أهل بغداد حسَّنوا للمتنبى أن يدخل فى شعره شيئا من دقة الصنعة فحاكاهم فى مذاهبهم.

والذى عندى أن أبا الطيب كان جاهلاً بصناعة القوافى؛ فانها مهنة دقيقة، يعجز عنها الشعراء ؛ ويغلَطون فيها . نعم وقلّ من يعرفها من النحوين إلاّ الخليل[1] وأبا الحسن[2] إماميهما وقليلاً بعدهما.

-٦٩-

وله أيضا:

(وَمنْ خُلقَتْ عَيناكِ بَيْنَ جُفُونِهِ

أصابَ الحَدُوَرَ السَّهلَ فى المرتَقَى الصَّعْبَ)[3]

أى أن قلبى متنزه بمناعته ؛ أى بشجاعته ؛ دافع عن نفسه ببأسه . ولكن من كانت له عين كعينك، أصاب الأمر الصّعب بالسَّعى السهلْ . أى فذلك ممكن لك منِّى على تمنُّعه على غيرك . والانحدار سهل؛ والارتقاء صعب . فمن كان الارتقاء عليه فى سهولة الانحدار، فكل صعب له سهل، كقول البحترىّ

ومُصعِدٌ فى هضاب المجد يَطلُعُها   كأنه لِسُكُونِ الجأش منُحَدِرُ[4]

وقد بالغ أبو الطيب بالمقابلة بين الحَدور السَّهل والمرتقى الصعب؛ لسرى طبيعةالضد فى الوصفين والموَصُوفَين . قابل الحدُور بالمرتقى ، والسَّهلَ بالصعب . ولو أمكنه أن يقابل الحَدُور بالصعود؛ لكان أذهب فى الصنعة ليوازن اللفظين.

---

(١) هو الخليل بن أحمد مخترع علم العروض والقوافى.
(٢) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وهو الإمام الثانى لهذه الصناعة وقد استدرك على الخليل البحر السادس عشر (المتدارك).

* * *

يقول محققا هذا الكتاب: ومع احترامنا لرأي العالم اللغوى الجليل ابن سيده. فإننا نضيف إلى الخليل وأبى الحسن، فيلسوفَ الشعراء الأكبر أبا العلاء المعرى . فقد كان علمه بأعاريض الشعر وقوافيه فى وزن علم الخليل وأبى الحسن. رحم الله جميعهم. كما تدل على ذلك مقدمة سقط الزند لأبى العلاء، ولزومياته التى التزم فيها مالايلزم.

(٣) من مقطوعه أربعة أبيات (ديوانه١٣٠١) (التبيان١:٤٧).
(٤) من قصيدة للبحترى بديوانه يمدح بها على بن مرّ الطائى مطلعها:
(فى الشيب زجر له لو كان ينزجر)
وانظر ديوانه (ط . هندية ٢:٤٣).

وله أيضا:

(وَفَاؤُ كُما كالرَّبْعِ أَشْجاهُ طَاِ سُمه

بأنْ تُسْعِداَ والدَّمعُ أشفْاَه سَاجِمِه)[١]

يخاطب خليله. وإنما كثرت مخاطبة العرب خليلَين وصاحبين؛ دون أقلٍّ أو أكثر؛ لأن أقل السَّفْر المتُرافقين ثلاثة، فالواحد يخاطب صاحبيه. يذهبون فى ذلك إلى أنه إن اختلف الاثْنان قَتلَ الأقوى الأضعف . فاذا كان لهما ثالث؛ توسط فحال بينهما فى الأغلب. فلذلك لم يَصْطَحب فى، الأكثر، أقلُّ من ثلاثة لهذه العلَّة . هذا معنى مخاطبة العرب فى أَغلب الأمر الاثينن ، حتى تجاوزوا فى ذلك إلى أن خاطبوا الواحد بخطاب الاثنين؛ كقوله تعالى:(أَلقيا فى جَهَنَّم)[٢] ومن كلامهم : ياحَرَسىُّ[٣] اضْربا عُنقهَ . وقال:

فإن تَزْجُرانى يابنَ عَفَّان أزدجر[٤]

والطاسم : الدارس . وأشَجاه : أَشَدُّه إِشجاء وإحْزاناً . ولا يكون فعلاً لمقابلته إياه بقوله : أَشفْاه . وأَشْفىَ : اسم لا فعل . يقول : وفاؤ كما أيُّها الخليلان الَّلائمان بأن تسعدانى على بكائى فى هذا الربع الدارس، كهذا الربع الذى بكيتهُ، وذلك فى تَرْك المساعدة فى الوقوف به مَعى[٥] ففى ذلك أَشْبَـــه وَفاؤكما للربع دروساً وطُموسا . ثم قال :(والدمعُ أشفاه ساجمه) : أى لا تلومانى على البكاء، فإن أَشفىَ الدَّمع سَاجمُه . وقد يجوز ،(الدمعُ أشفاه ساجمه أى بالإسعاد وبالدمع الذى أشفاه ساجُمه . أى وفاؤ كما بالإسعاد لى، والبكاء معى (دارسٌ) قد قارب العَدَم، كما أن الربع كذلك، فكلاكما أشجاُه لى

(١) مطلع قصيدة له فى مدح سيف الدولة (ديوانه ٢٥١) والتبيان (٣:٣٢٥).
(٢) الآية ٢٤ من سورة ق.
(٣) الحرسىّ: واحد حرس السلطان وهم الحراس المرتبون لخدمة السلطان وحراسته (اللسان-حرس).
(٤) صدر بيت لسويد بن كاهل وعجزه «وإن تدعانى أحم عرضا ممنعا» ويروى (أنزجر) فى مكان (ازدجر) . والشاهد فيه أنه خاطب الواحد (ابن عفان) خطاب المثنى بقوله (فإن تدعانى).
(٥) فى م. (بمعنى) وفى ت (يدمعى) وكلاهما تحريف.

مادَرَس، وقديقنع المشُوقُ من صاحبه أن يقف معه على الربع عاذلاً، أو عاذراً وإن لم يَشْركه فى شوق ولا بكاء ، كقول البحترى [(١)]

قف مَشُوقاً أو مُسْعِداً أو حزيناً أو مُعيناً أو عاذرا أو عَذولاً

فقد يجوز أن يكون أبو الطيب عَدِمَ هذا كله من خليليه، وأبيا موافقته على وجه : لا مَشوقين ولا مسعدين ، ولا عاذرين .

والدمع على هذا، معطوف على موضع (بأن تسعدا) أى بالإسعاد . وبالدمع الذى أشفاه سَاجُمه، يعنى بكاءه معه . والباء فى (بأن تُسْعداَ): متعلِّق بمحذوف. أى وفاؤكما بالإسعاد. ولا تكون متعلقة ؛ «بوفاؤكما» الأولى، لأنك قد أخبرت عنها بقولك :(كالرَّبع) فمحال أن تخبر عن الاسم وقد بقىَ ما يتعلق به، لأن هذا المتعلق به جزء منه. فكما لا يخبر عن الاسم قبل تمام حروفه، كذلك لا نُخْبِر عنه وقد بَقىَ ما هو جزء منه.

(سَقاكِ وَحَيَّاناَ بِك اللّه إنَّمَا على العِيسِ نَوْرٌ والخُدُورُ كَمائمُهْ)

جرى فى هذا البيت على مذاهب العرب وطرائقهم ، لأنهم يحُيُّون بالنَّوَّار وأصناف الأزهار. فلما أبصرها فى الخدور جعلها نَوراً فى كِمِّه[(٢)] فدعا له بالسُّقْيا، لينعمَ ويَحْسُن ودعا لنفسه أن يَحْياَ بذلك النَّوْر.

(إذَا ظَفِرتْ مِنك العيونُ بنظرةٍ أثابَ بهامُعْيِى المَطِيِّ وَرَازِمُهْ)

يريد أن النظر إليها سببٌ لقول الشعر فيها، والتغنى به فى الطرق، وجميع ما يتصرفون به، ويَحْدون به، فتنشط الإبل لذلك، إذ من طبعها أن تنشط للحُداء.

(قِفِى تَغْرَم الأولىَ من اللَّحظِ مُهْجَتِى

بِثَانيَة والمُتْلِفُ الشئَ غَارِمُهْ)[(٣)]

يقول : لَحَظْتُكِ فأهلَكتِ اللحظةُ مُهْجَتِى. فقفى عَلىَّ حتى أَلْحَظَكِ أخرى، فَترُدَّ علىَّ ما أذهبتِ الأولى وذلك أن لكل نَظرة أنظُرها تأثيراً فىَّ فإذْ قد عدمتُ

(١) فى الخطيتين (أبى تمام) ولعله سهو من الناسخ وإنما البيت للبحترى من قصيدته التى مطلعها (ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا) .
(٢) فى اللسان (كمم): كُمّ كل نَور: وعاؤه. ثم قال: "الجوهرى : الكِمُّ (بالكسر) وعاء الطلع وغطاء النَّور".
(٣) هذا البيت متقدم على سابقه فى الديوان

المهجة بالأولى، فعمل الثانية ردُّها، لأن الشئ إذا انتهى فى ضدٍّ انعكس إلى ضدِّه.

(وَتَكْمِلَةُ العَيشِ الصِّبا وعَقِيبهُ وغَائِبُ لَونِ العَارِضَيْنِ وقَادِمُهْ)

أى كمال العيش، يعنى جميع طبقاته، فأولُّهن الصِّبا : وهو من النشوء إلى الشَّباب، وعَقيبُه الشباب[١]، وبعده غائب لون العارضين، وهو الشيب مالم يَقْدُم، فإذا قدم فقد كَمَل العيش وما بعد الكمال إلا النقص. والهاء فى (قادمه) راجع إلى اللّون ولا يكون راجعاً إلى (غائب) ، فيكون من إضافة الشئ إلى نفسه ، وليس كذلك إذا كان مضافاً إلى اللون، لأن اللون جنس انقسم إلى نوعين: غائب وقادم؛ والنوع غير الجنس، فكأنه قال: وتكملة العيش الصِّباَ وعَقيبهُ، وسَوادُ الشَّعر وبياضهُ، لأنه إذا كان البياض غائبا، فالسواد حاضر.

(وأَحْسَنُ منْ مَاءِ الشَّبِيبةِ كُلِّه حَيَا بَارِقٍ فى فَازَةٍ[٢] أناَ شَائمهُ)

قوله: (فى فازة) يعنى فازة ديباج ضربت لسيف الدولة، والحيا هنا الخصب، ويعنى به سيف الدولة . والشائم[٣] : الناظر.

(إِذَا ضَرَبتْه الرِّيحُ مَاجَ كأنَّما[٤] تجُولُ مَذَا كيه وتَدْأى ضَرَاغِمُهْ)

أى هذه الفازة مُصوَّرة بصُورَة خَيلٍ وأسْد، فإذا مرت به الريح حركت الفَازةَ، فتحركت هذه الصُّور بحركاتها، فُتخُيل أن مَذاً كِيهاَ، وهى الخيل المصورة فيها تجول، وأن ضراغمها تدْأى[٥]: أى تمرمرًا سريعاً . ومن روى: تدْأى أى تهمس[٦] المشىَ لَتِخْتل. والضراغم : الأسْد . واحدها ضرْغَم وضِرْغاَم وضِرِغامة . وأن يكون فى البيت جمعَ ضِرِغْم أولى، لأنه إن كان جمع

---

(١) عقيبه : الذى يعقبه.
(٢) الفازة: قُبَّة أو خيمة أو مظلة وفى اللسان (فوز) قال الجوهرى.
والفازة مظلة تمد بعمود، عربى فيما أرى.
(٣) الشائم: الناظر إلى البرق يرجو المطر. وعنى بالبارق الممدوح أى أن مايرجوه من كرم الممدوح هو أحسن من مساء الشبيبة.
(٤) رواية الديوان والتبيان (كأنه).
(٥) دأيت للشئ ختلته. ورأى الذئب دأواً وهو شبه الخَتْل والمراوغة.
(٦) فى اللسان (همس) قال: الجوهرى: همس الأقدام أخفى مايكون من صوت الوطء، والأسد الهموس: الخفى الوطئ .... قال أبو الهيثم: سمى الأسد هموسا لأنه يهمس أى يمشى مشيا بخفية فلا يسمع صوت وطئه.

ضِرغْام أو ضرغامة ، لزم (ضراغيم) لأن الألف إذا كانت رابعة في الواحد، صارت ياء في الجمع ثابتة، إلا أن يُضْطَرّ شاعر، كما أنشد سيبويه :

والبكرات الفُسَّجَ العَطامساَ[1]

وإنما حكمه العطاميس، فخذف للضروة ، فإن يكن ضراغمه جمع ضِرْغِم وهي لغة مشهورة حكاها ابن دُرَيْد وغيره، أوجه من أن يُوَجَّه على الضرورة .

(فَقَد مَلَّ ضوء الصُبح مما تُغيرُهُ   ومَلَّ سَوادُ اللَّيل مما تُزَاحِمُه)

(وملَّ القَنا مما تَدُقُّ صدوره   ومَلَّ حديدُ الهند مما تُلاَطمُه)

ذكر طاهر بن الحسين أن(تُغيرُه) في البيت من الغَيْرة، يريد أن الصبح يَغار من كثرة ما تفعل فيه ، من قلبه إلى ضده، من شدة القتال، وكذلك الليل أيضاًيَغار من ذلك، لأنه يُصيِّره يوماً ، لإظهاره فيه السيوف والرماح، من ضيائها.

قال أبو الفتح بن جني: أراد تُغير فيه، فحذف حرف الجر اختصاراً وقال في (تزاحمه) : أي تَسْرِي فيه، فاستعمل(تزاحمه) في موضعها والهاء في (تزاحمه) مفعول به، وليست بمعنى (تزاحم) فيه . وقال الوَحيدُ[2] : ليس هذا أراد بقوله (تُغيره) وإنما أراد أنك تسير في بياض الحديد ، من البَيْض والدروع،فكأن الصبح يَغار عليه إذا رأى ضياء غيره قد ألْبَسَ به.

وقوله:(وملّ سواد الليل مما تزاحمه) : يعني بالغُبار، كأنه ليل آخر يزاحم الليل الذي هو الظلمة . وقوله:(وملَّ حديدُ الهند مما تُلاطُمهْ) أي تلاطمه بأمثاله،

(قَبائعها تحتَ المَرافق هَيْبةً   وأنفذُ مما في الجُفُون عَزائمُهْ)

يريد أنهم يسترون سيوفهم ويخفونها هيبة ومخافة من سيف الدولة. وعزآئمهُ أنفذُ من شفار سيوفهم.

(سَحابٌ من العِقبانَ يَزْحفُ تَحتَها

سَحَابٌ إذَا اسْتسْقَتْ سَقتْها صَوَارِمُهْ)

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه (٢:١١٩) وماسبق شرحه (المقطوعة ٤٧).

(٢) هو سعد بن محمد بن علي بن الحسن الأزدي المعروف بالوحيد، أحد شراح المتنبي وهو عالم عراقي شاعر. وكان عالما بالنحو والعروض، ولم يصل إلينا كتابه (توفي سنة ٣٨٥هـ) (عن بغية الوعاة).

ويروى: (فَوقَهـا)، فيكون قوله: (العِقْبـان) فى أول البيت كناية عن الخيل، كما قال:

تَظُنُّ فِـراخُ الفُـتْـخِ أنك زرتهَــا   بأمَّـاتِهـا وهى العِـتـاقُ الصـلادم[1]

السحابُ: جمع سحابة . وكل جَمْع ينقُص عن واحده بالهاء، فلك تذكيره وتأنيثه، فأنَّث فى قوله (تحتها)، وذَكَّر فى قوله : صوارمه، أخذاً بالأمرين. ولا يمكنه هنا غير ذلك، لمكان الوزن، وأن هذا الشعر موصولٌ، ليس له خروج[2]، أعنى أنه ليس بعد هائه حرف لين . وقيل تأنيث هذا النوع الجمع ، وتذكيره على الجنس. أى قد حُشرت العقبان فى أفق جيشة، ثقةً منها بما يُقْتَلون، فيكون رزقاً لهذه العقْبان، كقول الأفوه[3]:

وتَـرىَ الطيَـر عـلـى آثارِنا   رَأْىَ عَـيْنٍ ثقـةً أن سَـتُـمـارُ[4]

فالعقبان على هذا الجيش كالسحاب، لتكأُثفِها واشتبا كها ولونها. والجيش تحت هذا السحاب، الذى هو من العقبان، سحابٌ آخر . فإذا استَسْقت السحاب الأعلى يعنى العِقْبان، سَقَتْه صوارمُ هذا السحاب الأسفل، الذى هو الجيش، بأن تضع لها القتلى، فتنزل عليها، فتخصُب . وجعل الأسفل يَسقى الأعلى؛ إغراباً، لأنه بعكس ما جرت عليه العادة، من أن الأعلى هو الذى يَسقِى الأسفل.

وقال:(إذا استسقت) وإنما العِقبان وسائر سباع الطير مستطعمةٌ لامُستْسقيةٌ؛ لأنه ذكر السَّحابَ؛ والسحابُ مُسْتَسْقى . كقول أبى ذُؤيب فى صفة السحاب:

تَرَوَّت بماء البحر ثم تَرفعَتْ[5]

(١) هذا البيت من قصيدته «على قدر أهل العزم تأتى العزائم»

(٢) قال الخليل: الخروج الألف التى بعد الصلة فى القافية كقول لبيد (عفت الديار محلها فمقامها) فالقافية هى الميم، والهاء بعد الميم هى الصلة لأنها اتصلت بالقافية، والألف التى بعد الهاء هى الخروج (اللسان-خرج).

(٣) فى م. «الآخر» تحريف والأفوه: شاعر جاهلى قديم والبيت من شعرله فى خطية بدار الكتب (رقم ١٢ش ورقه ١٨).

(٤) قوله «ستمار» أى تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى وانظر البيت فى التبيان أيضا (٣:٣٣٩)

(٥) روى البيت فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبدالمجيد (٣:٣٧٢) وكذا فى الخصائص(١: ٤٨٠) بهذه الرواية. ويروى فى ديوان الهذليين ص ٥١: «ثم تنصبت فى موضح« «ترفعت» وقبله هذا البيت:

سقى أم عمرو كل آخر ليلة   حناتم سود ماؤهن نجيج.

والحناتم: سحاب سود. واحدها: حنتم.

ومن الحسن أن تكون الرِّواية« يزحف» على لفظ التذكير؛ توطئة لقوله : صوارمُه، فيكون ضرباً من الإشعار . وجَعَلَها تزحف لكثرة الجيش، كما قالوا: كتيبةٌ جرَّارة، أى لا تَقدْرُ على السير إلا رويداً؛ لكثرتها.

(سَلكْتُ صُـروفَ الدَّهرِ حتَّـى لَقيتُه

عَـلَـى ظَــهرِ عَزمٍ مُؤْيَـداتٍ قَوائِمُه)

الهاء فى لقيتُه : عائدة على سيف الدولة . وعَلَى : متعلقة بسلكتُ.

فالمعنى : إن عَزمْةَ مؤيد فاستعار أنه ركبه. وسلكت صروف الدهر عليه.

-٧١-

وله أيضا:

(أَأَطْرحُ المَجْدَ عن كَتفِي وَأَطْلُبهُ وأترك الغَيثَ فى غِمدى وأَنْتَجِعُ)[١]

كَنَى بالمجد عن الرمح الذى يُحْمل على الكتف مُعتقَلاً ؛ لمَّا كان المجد يُكتسب به. فهذا من باب الاستغناء عن ذكر السبب بذكر المُسبَّب. وإن شئت قلت : جعل الرمح هو المجد مبالغة. كقولهم :ما زيد إلا أكل وشرب : وإن شئت كان الحذف ؛(أى ذا المجد) وهو الرمح أيضاً، لإدراك المجد به . (وأطلبه): أى أطلب أثراً بعد عين . وأترك الغيث فى غِمدْى : يعنى السيف الذى هو سبب خصب المعيشة . وليس الغيثُ هنا ذات السيف . وإنما عَنَى الغيث. وإن شئت قلت: جَعَلَه الغيثَ مبالغة؛ إذْ كان سبباً له، ثم قال وأطلب الرزق على غير هذا الوجه الذى لا يكْرُم عيش ولا يُخْصِب إلاّ به [٢] به ، كقول النبى عليه السلام :«الخير فى السَّيفِ والخير مع السَّيف».

وأصل الانتجاع : طلب الكلأ . ثم صار كل طلب: نُجْعة . وحسن لفظ الانتجاع لتقديم ذكر الغيث.

(ذَمَّ[٣] الدُّمُسْتُق عَيْنيهُ، وقدَ طَلَعتْ سُوْدُ الغَمامِ فظَنُّوا أنها قَزَعُ)

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة (ديوانه٣١١) والتبيان(٢:٢٢٢) وشرح البرقوقى(٢:٢٩٣) ومطلعها:

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعُوا.

(٢) هذه عبارة (ت) وعبارة م (ولاخصب).

(٣) رواية الديوان «لام».

أى غرّت الدُّمستق عيناهُ ، ثم توهَّمَ جيش سيف الدولة قليلاً وهو كثير، فأقدم اغتراراً بما خيَّلته إليه عينهُ ، فذمَّ عينيه ولاَ مَهُمَا إذ لم تخبراه باليقين، فَثَرِيَاهُ الجيش على ما هو به من الكثرة، لأنه لو صَدَقَتَاه لم يُقْدِم. والقَزَعُ: قطع السحاب المفترقة . يقول : ظنَّ الجيشَ قليلاً كقَزَع السحاب، وهو كسود الغَمام، وإنما شَبَّهه بالغمام السّود ، لأنه أهول منظراً ؛ ولأن فيه صَواعقَ بلاغَيث، فهى أشبه بصفة الجيوش من جهة العاقبة واللون، ألا تراهم قالوا : كتيبة جأواء[1] وخَضْراء[2] وخَصيف[3]. وكل ذلك إلى السواد.

فتلخيص البيت : ذم الدمستق عينية حين أو همتاه الجيش قليلاٍ وهو كثير، فأقدم ، وكان أذهب فى الصنعة ـ لو اتَّزنَ دون زحاف ـ أن يقول:(فَظَنَّ)، بلفظ الإفراد لانهٌ إخبار عن الدُّمستق ، ولكنه حمل الضمير عليه وعلى من حوله.

(كـأنَّمـا[4] تَتَلقَّاُهم لتِسْلُكَهُمْ فـالطَّعنُ يَفْـتحُ فى الأجْـواف مـا تَسَعُ)

أى كـأنَ خـيله تريد سلُوك عِداه ، كـمـا يَسلُكُ السـهم ُ الرمِيـةٌ ثم يمَرقُ، فالطعن يفتح فى أجوافهم مـا تسع الخيل، إشـادةٌ بالطعن ، وتشييعاً له . كقول قيس بن الحطيم:

سَلَكْتُ بهـا كَـفِّى فـأنهـرْتُ فَـتْـقَـهـا يرى قـائمٌ من دُونهـا مـا وَرَاءهَا[5]

وأراد ما تَسَعُ الخيل؛ فحذف المفعول ، لتقدم ذكر الخيل.

(دُونَ السـِّهَـام وَدُون الفرِّ[6] طَافـحـة ٌ علـى نـفـوسـهـم المـُـقْـوَرَّةُ الُمـزُعُ)

أى قد تَغَشَّتـهم الخيلُ حتى صـارت أقـرب إليـهم من السِّهـام التى فيـهم، مـبالغـة وليس بحـقـيقـة، لأن السّـهام، التى فيـهمُ أقـرب إليـهم من الخـيل التى عليـهم.و(دون الفَرِّ) : أى أن الـخيل تمنعـهم الفِرَار . وقال :(على نفوسـهم) ، ولم

(١) أى كدراء اللون فى حمرة، وهو لون صدأ الحديد (أساس البلاغة).
(٢) سميت بذلك لخضرة الحديد (الأساس).
(٣) قبل لها ذلك لبياض الحديد وسواد الصدأ (الأساس).
(٤) رواية الديوان والتبيان: (كأنها).
(٥) البيت فى ديوانه ص٣وقبله.
طعنت ابن عبد القيس طعنه ثائر لها نفذُ لولا الشعاع أضاءها
(٦) رواية الديوان «ودون القَرّ» بالقاف وقد عرض ابن سيده لذلك فى شرحه. والسهام (كسحاب) : السموم ووهج الصيف.

يقل على أبدانهم؛ لأن نفوسهم قد فاضت عن أبدانهم ، فكأن الخيل عليها دون أجسامهم ، وقيل معناه: إن هذه الخيل تَسبقِ السُّهام وتفوت حتى تغنى عن الفرّ.

ويروى (دُون السُّهام ودون القرِّ) فيكون المقْوَرَّةُ على هذا الدروع التى قد أخلقها التداول؛ حتى عادت كالمقوَرَّة من الخيل وهى الضامرة ـ المتجردة[1] (والمُزَّع) على هذا : التى قد تمزَّقت أشلاؤها أى قد تمزعت كما يتمزعُ اللحم أى يتبدّد . فيكون المعنى أنه لا تقيهم الكُسَى حَرّاً ولا برْداً؛ ولكن هذه الدروع المقوَرَّة . والرواية الأولى أصح .

(إِذا دعا العِلْجُ عِلْجاً حالَ بْينَهُماَ أَظْمَى تُفَارِقُ مْنهُ أختَها الضَّلَعُ)

رمُح أظْمى : أسمر؛ وقيل : ظمآن إلى الدم ؛ والأوَّل أولى ؛ إذ لو كان من الظمأ لكان حَرياً أن يُسَمع مهموزاً ، ولم أسمعه كذلك .إلا أن مثل هذا الإبداع قد يجوز فى الضرورة كقوله: (لاَهَنَاك المَرتْع)[2] ولا حاجة بنا إلى توجيه ذلك هنا، إذ المشهور فى كتب اللغة أن الأظْمى : الأسمر يقول : إذا تداعى العِجلْجان لتناذر أو تشاور أو تناحُر ، حال بينهما رمح أظمى يدخل بين الضِّلعين؛ فيفرج بينهما حتى يتفرقا.

و(منه): أى من أجله . وحسن ذلك المفارقة هنا لقوله : (حال بينهما). وكان من حُسن الصنعة لو اتزن له ـ أن يقول : إذا دعا العلج صاحَبه ليوازى به قوله : (أختها الضَّلَعُ)؛ لأن الأخوة والصحبة من باب المضاف ولكنه ذلَك أراد ؛ كأنه قال : إذا دعا العلج صاحبه أو أخاه.

(كَمْ من حُشاَشةِ بِطْريق تَضَمَّنهاَ للبــاَترِاَتِ أمـيــنٌ ماَلَــهُ وَرعُ)

الحُشاشة : النفْس . وقيل ، بقيَّتُها . والباترِاتُ : السيوف القاطعة والأمينُ هنا : القَيْد، ونفى الوَرَع عنه إغراباً بأمين لا ورع له. وإنما سماه أميناً لحفظه على السيف ما استودعه إياه من الأسَارى ؛حتى يردَّهم إليه عند القتل فهو

---

(١) فى الخطية م (المتجددة) بالدال.

(٢) هذا جزء بيت للفرزدق وتمامه كما فى الكتاب لسيبويه (٢ : ١٧٠)

راحت بمسلحة البغال عشية فارعى فزارة....

والشاهد فى قوله (لاهناك) أصله (لاهنأك) فخفف الهمزة لضرورة الشعر.

أمين لذلك . وليس له وَرَعٌ لأن الوَرَعَ إنما يكون عن قصد ، والقصد إنما يكون لذى العقل . وكذلك أمانته غير حقيقية . ولو كان أميناً عاقلا لكان وَرِعاً إذ لا أمانة إلاّ بوَرَع .

(يُقاتِلُ الخطْوَ عنهُ حِينَ يطلُبهُ ويَطْرُدُ النوم عنهُ حين يَضطجِعُ)

أى تقصر خُطا هذا الأسير بضيق القَيْد، إذا أراد أن يخطو . ويطرد النوم عنه تَرنُّم حلقه كقول أبى نواس[1]:

إذا قام غنتْه على الساق حَلْقة لها خَطْوُه عند القيام قصير

والمقاتلة والطراد فى البيت مستعاران.

(قل للدُّ مُسْتُق إنَّ المسلمين لكمُ خانُوا الأميَر فَجَازاهُم بما صَنَعُوا)

خيانتهم إياه: خلافُهم له ؛ بسعيهم إلى النهب وأسلاب العَدُو المفزوعين[2]. وإسلامُه إياهم له : تركُه الطلَب بثأرهم ؛ أو رضاه لهم ما حل بهم .

(وَجَدْتمُوهُم نياماً فى دِماَئكُم كأن قتلاكُمُ إياهم فَجَعُوا)

أى خافوكُم؛ فألقوا نفوسَهم فى دماءِ قتلاكُم؛ لتحسبوهم منهم ، فتتجافَوا عنهم ؛ وكأنهم هم المفجُوعون بقتلاكم ، يُلقون أنفسهم عليهم كإلقاء المفجوع نفسه على القتيل تأسفاً . وقيل : كان المسلمون يأتون قَتْلَى الروم يتخلَّلونهم؛ فينظرون من به رَمَقٌ فيقتلونه ، فبينما هم كذلك أكَبَّ عليهم المشركون فقتلوهم.

(تَشُقُّكمْ بِفَتاَهاَ كُلُّ سَلْهَبةٍ والضَّرْب ياخُذُ مِنكُم فَوقَ ما يَدَعُ)

(بفتاها): أى بفارسها . ذهب فى لفظ الفتى إلى الرفع من شأن الفارس؛ كقولهم: (أنت الفتى كلُّ الفتى) لا يُذْهب به إلِى فَتاء السِّن: لكنه كقولك : أَنت الرجلُ . تمدحه بالصبر والثبات والنجدة، لا تعنى به الرجولة، التى هى الذكوريّة(والضربُ يأخذُ منكم فَوق مايَدَعُ) . ذهب قوم إلى أنه عنى أن القتلى أكثر من النَّاجين . وهو لعمرى قُوَيْلٌ. والذى عندى أنه لم يَعْنِ بذلك الكَمَّ ؛ وإنما

(١) انظر ديوان أبى نواس (ط الحميدية ص٧٩) وهو من قصيدة له يمدح بها الخصيب أمير مصر. وفى الشطر الأول منه (حلْية) فى موضع (حَلْقة).

(٢) فى ت (العدو المسْرعين).

عَنىَ أن الضَّرب يأخذ النفوس، ويدع الأبدان؛ والنفس فوق الجسم فى لطف الجوهر؛ وشرف العنصر. فهذا معنى قوله : ما يَدع. لا الكمية التى ذهب إليها أولا .

-٧٢-

وله ايضا:

(يَرُدُّ يَداً عن ثَوبِهاَ وهْوَ قَادِرٌ ويَعْصِى الهوى فى طَيْفِها وهو راقِدُ)(١)

(يرد يدا عن ثَوبِهـاَ) : كناية عن العفاف . والثوب هنا يجوز أن يعنى اللباس؛ وأن يعنى بعض طوائف جسمها، كقول الآخر :

خَرَّقوا جَيبَ فَتَاتِهُم لم يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَة(٢)

قيل : يعنى بالجيب القُبل. قوله (وهو قادر) : أى متمكن بها ، لا يتقى رقيباً لأن ذلك فى النوم. وأثبت لنفسه قدرة فى نومه لأنه قد تتهيأ للنائم أفعال اليَقِظ وإن كانت غير مقصودة ،وقد قيل : إن قوله (يرد يدا عن ثوبها وهو قادر) : أن هذا إنما هو فى اليقظة . وإنما أراد وهو يقظان فلم يتزن له، فكنى بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أَن قادراً مقلوب لفظ راقد . فأَناب المقلوب فى المقابلة مناب الضدَّ الذى هو يقظان .(ويعصى الهوى وهو راقد): أى أَنه يملك نفسه عن شهوته فى حال النوم ، وتلك حال لا يغلب فيه عقلٌ شهوة ، لأن التحصيل حينئذ عازب؛ فهو يَعْزُب بتمالكه عن محبوبه فى حال الرُّقاد .

وجملة معنى البيت: انه اعتاد العفاف فى يقظته؛ كقوله هو:

وترى المروَّةَ والفتوَّةَ والأبوَّ ةَ فِىَّ كُلٌ مليحة ضَرَّاتِها(٣)

فاذا رأى الطيف أراه النوم ما تعود من العفة فعَفٌ، فإنَّ ذلك من خلق النفس كثير. أعنى أن ترى فى حُلمها ماتَعودتْه يَقْظَى؛ ولذلك علة ذكرها حذاقُ القدماء جالينوس وغيره . والطَّيف فَعلٌ من طاف يطوف، إلا أنَّا لم نسمع فيه

(١) من قصيدة فى مدح سيف الدولة (ديوانه ٣١٨ والتبيان ١:٢٦٨) والبرقوقى (١:١٧١)مطلعها: «عواذل ذات الخال فىّ حواسد ».

(٢) البيت فى اللسان (رجل) وقبله بيت آخر:

كلُ جار ظل مغتبطا غير جيران بني جَبَلَة

(٣) انظر ماسبق شرحه لهذا البيت (مقطوعة ٤٥

طَوْفا[1] . وقد يكون (فَعْلا) من طاف يطيف؛ سُمِّى بالمصدر، لأن طاف يَطيف عندنا من باب باع يبيع واسع. ولا أحمله على ما ذهب اليه الخليل فى طاحَ يطيح قياساً عليه؛ لأن باب باع يبيع واسع كثير.

وباب «طاح يطيح» قليل، لا يُوجد لها أخت إلاَّ تاه يتيه فى لغة من قال : تَوَّهْتُه . وحكى أبو زيد : ماَهَت الرَّكيةُ تَميه وهو من الواو فهى ثالثة «لِطاَحَ وتاهَ » على قول الخليل:

(مخضَّبةٌ والقومُ صَرْعَى كأنَّهم[2] وإن لم يكونوا سَاجِدين مَسَاجدُ)

أى هذه البلاد مُخَضَّبة، الدماء فيها جارية، والأشلاء مُنْكَبَّة ومَبطوحة فكأنها مساجُد مُحلَّقة لا نكباب القتلى وإن لم يكونوا ساجدين.

(تُنَكِّسُهم والسَّابقَاتُ جِبالُهم وتَطْعَنُ فيهم والرِّماحُ المكايِدُ)

تنكسهم: تقلبهم على رءوسهم . فيقول: من شأن تنكيسك لهم عن متون خيلهم وهم رُكبان لها . فلما تركوا الخيل ، وركبوا الحصونَ والقلاع وقُنَن الجبال مكان الخيل؛ فلم يمكنْك تنكيسهم بالرمح حينئذ، كما كنت تنكّسُهم به فُرسْانا ، أقمت كيْدك لهم مقام الرمح فنكّسْتَهم عن الجبال به. وقوله :(والرماح المكايد) : أى المكايد هى التى قامت مَقام الرماح لأنك وصلت بالمكيدة إلى مثل : ما كنت واصلاً إليه بالرمح . وقد أجاد فى تطبيقة قوله:(والسابقات جبالهم) بقوله: (والرماح المكايد).

(فَتىً يَشْتَهِى طُولَ البلادَ وَوَقْتُهُ تَضِيقُ به أوقَاته والمقَاصِدُ)

---

(١) يعنى ابن سيده أنه لم يسمع فى طيف الخيال، طوف الخيال، مع أن أصل المادة واوى العين، ومثله طاح يطيح (بالياء) فى المضارع مع أنهم يقولون (طوّحت). فأصله إذن واوى العين. ومثله الفعل (تاه يتيه) بالياء فى المضارع. فأصله بالواو فى المضارع، لأنهم يقولون أحيانا (توّهْته) بالواو، وهى الأصل فى المادة.
وكل هذا عند من يقول: إن الأصل فى المضارع من هذه الأفعال أن تكون عينه واواً (وانظر الكتاب لسيبويه ٢:٣٦١).

(٢) فى الديوان والتبيان: (كأنها).

أى همته يَقصُر عنها الدهرُ فهو يشتهى طول الدهر ليسع همته، وجيشه عظيم تضيق عنه البلاد فهو يشتهى أن تتسع البلاد وتطول لتحمل جمعه. فالأوقات أزمنة تضيق عن همته ، والمقاصدُ أمكنةُ تضيق عن جيشه.

وفى البيت حذف . وتمامه ـ لو اتزن ـ فتى يشتهى طولَ البلاد لجيشه، وَسَعَةَ الأوقات لهِمَّته. فهمته تضيق عنها الأوقاتِ وجيشه تضيق عنه البلاد.

(أُحِبكَ ياشمسَ الزَّمانِ وبَدْرَهُ وإن لأَمَنى فيك السُّها[1] والفَراقِدُ)

جعله شمس الزمان وبدره ليخبر عنه بكمال النُّورية وأنه يعم الليل والنهار بضوئه وهذا أحسن. لأن الممدوح موجود نهاراً وليلاً فهو للنهار شمس والليل بدر، واختار البدر على القمر، لان القمر ربما لم يُغْن ضوؤه كبير غَناء مع ما آثره من الوزن . وجعل غيره من الأملاك بالإضافة إليه سُهاً وفراقد . ولا خَفَاء بما بين الشمس والبدر وبين السُّها والفراقد من المراتب فى النُّور.

فيقول : أنا أحبك أيها الملك الذى هو فى الملوك كالشمس والبدر فى النجوم ، لعظم نفعك وجسامة غنائك فى نوعك ، وإن لاَ مَنى فيك؛ أملاك هم فى الملوك كالسُّها . والفراقد فى الكواكب فكيف أُطيع من هو كالسها والفراقد فيمن هو كالشمس والبدر وهمامُغنيان عن السها والفرقدين . بل احدهما مُغْنٍ عنهما . والسُّها والفرقدان لا يتجزءان منها ولا من أحدهما وقال :(والفراقد). وإنما هو (الفرقدان) لأنَّه جمعها. بما حولهما، أو على أنه جعل كل جزء منهما فرقداً وقد فعلت العرب ذلك قبله كثيراً كقوله:

ودونَ الَجدَى المأمولِ منك الفراقد[2]

وحكى سيبويه: أنهم يقولون للبعير (ذو عَثَّانين) كأنهم جعلوا كل جزء منه عُثْنونا[3].

---

(١) السها: كوكب صغيرخفى الضوء فى بنات نعش الكبرى، يمنحن الناس به أبصارهم. والفرقدان: كوكبا فى نبات نعش الصغرى. (اللسان)

(٢) عجز بيت أنشدُه صاحب اللسان فى (فرقد) عن ابن سيده ولم يذكر قائله وصدره «لقد طال ياسوداء منك المواعد»

(٣) سيبويه (الكتاب ٣:١٣٨).

وقال جرير : أنشده سيبويه:

قَالَ العواذلُ ما لجهلك بعدما   شاب المفارقُ واكتَسَين قَتِيرا[1]

-٧٣-

وله ايضا:

(يَحِيدُ الرمحُ عنك وفيه قَصْدٌ   وَيقْصُر أن يَنَال وفيه طُولُ)[2]

أى هيبتُك فى فؤاد القِرْن تَخذُل يده فيحيد رمحه عنك مهابةً لك بعد أن سَدَّده ويَقْصُر الرمح أيضاً أن ينالك هذا القِرنُ به، حَذَره إقدامك عليه وإن كان طويلا. وإنما يَعنى بطول الرمح العمل به، وجودة التصريف له، لا الطول الذى هو ضد القِصَر . لأن الطولَ عيبٌ وذلك أن الرمح إذا كان طويلاً خانَ فضَعف .

-٧٤-

وله ايضا:

(شَفَنَّ لِخَمْسٍ إلى مَنْ طَلَبْـنَ قُبَيلَ الشُّفُونِ إلى نازِلِ)[3]

الشُّفَن: النظر من فوق إلى أسفل.(لخمس)أى بعد خَمْسٍ بين يوم وليلة . والعرب تُغَلِّب فى مثل[4] هذا المؤنثَ على المذكَّر،لسبق الليلة لليوم فى تاريخ الشهر .

أى رَكبت فُرسانك خيلَهم إلى عدوهم وطَوَوْا عليها المراحلَ ليلاً ونهاراً فما نزلوا عنها[5] حتى هجمت بهم على مطلوبهم . فكان نظرهُنَّ إلى من طلبته من العدوّ قبل نظرهن إلى نازلٍ عَنهْنَّ . أى لم ينزل أحدٌ منهم عنها فتنتظر إليه. وإنما أدركوا ما طلبوه ثم كان النزول بعد ذلك.

---

(١) البيت لجرير فى ديوانه (٢٨٩) وهو من شواهد سيبويه (١٣٨:٣) على أنه جمع مفرق الرأس على مفارق. ووجه ذلك أن يجعل كل جزء منه مفرقا على الاتساع. والقتير: الشيب من القتر وهو الغبار.

(٢) من قصيدة له مطلعها:

رويدك أيها الملك الجليل   تأىَّ وعده مما تُنيل

(٣) من قصيدته «إلام طماعية العاذل» ديوانه(٢٧٠) والتبيان(٢٥:٣).

(٤) كلمة (مثل) ساقطة من م.

(٥) فى م (عليها) تحريف.

(فـأقْـبَلْن يَنْحَـزْنَ قُـدَّامـهُ   نَوافِـر كـالنُّحْل والعـاسِلِ)

ينحزن : ينفعلن[1] ويَتَحوزْنَ [2] فقلبت الواو ألفا لا نفتاح ماقبلها، فالتقى بذلك ساكنان فحذف الأول لالتقائهما . أى كانت خيلُ عدُوك أمامك وهو[3] فى آخر ها من خوفك . وهى بينك وبينه نوافر . فاقتضى البيت ثلاث تشبيهات اختصرها بأن ردها إلى اثنين. وشَرح ذلك أنه شبَّه الممدوح بالعاسِلِ وعدوه بالعسل المطلوب للشَّوْر[4] وصحابه بالنُّحل التى ينُفَرُّها العاسِلُ ليصل إلى العسل المطلوب . وعنى بالخيل هنا: أصحاب الخيل . واكتفى من تشبيه عدوه بالعسل لفظاً لأن كلامه يقتضى ذلك وهو[5] من حُسْن دليل الخطاب؛ لأنه إذا كان عاسلٌ ونحل فهناك عَسَلٌ لا محالة، وقوله:(ينحزن قدامه) :أى ينحاز بعضهنٌ إلى بعض .

(وَمَا بين كـاَذَتَى المُسْتَغِـير   كمـا بَيْن كـاَذتى البـائِلِ)

الكاَذَة : لحم الفخذ ألفُه منقلبة عن واو . قالوا ثوب مَكُوذ : بلغ الكَاذة . والمستغير : الفرسُ المُغير ، بناه على استفعل لأنه طَلَبٌ، والطلب يأتى على استفعل كثيراً. عليه بنى سيبويه[6] باب استفعل.

يقول: قد تفرج ما بين أفخاذ الخيل بالركض ، كما يَنْفَرج ما بينهما إذا تفارجت للبول أى فتحت أفخاذها .

(فَـلُقِّـينَ كُـلَّ رُدَيْنـيَّـةٍ   ومَصْبُوحَـةٍ لَبـنَ الشـاَئِلِ)

يقول: إن خَيْلَ سيف الدولة لقيت[7] مع الخارجى بعد جَهْدها أشدَ الأعراب الذين يَغْذُون الخيلَ الكرام التى تُؤْثَر باللبن عند قِلَّتة . ولقيتْ جَيْشاً [الخارجى

(١) ينفعلن من الانفعال وهو التأثر وليس يريد وزن الكلمة.
(٢) فى اللسان (حوز) انحاز القوم: تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم ومالواإلى موضع آخر. وتحوّز عنه وتحيز: إذا تنحّى وأصلها: تحيوز فقلبت الياء واوا لمجاورة الياء وأدغمت فيها.
(٣) فى م : (وهى) ولعل الصواب ما أثبتنا والضمير عائد إلى (عدوك) وبهذا يستقيم التعبير.
(٤) يقال: شرت العسل أشوره شورا: جنيته وجمعته من الخلية.
(٥) وهو: ساقطة من م.
(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٢:٢٣٩).
(٧) (مع) سقطت من (ت) ومثلها موجودة فى عبارة صاحب التبيان عند شرحه البيت.

من الأعراب يقاتل][1] على ناقة[2] قد تيقَّن استهلاك أصحابه دونه. فأعرض عن ركوب الخيل. ووصفه بحاله فى كَذبِه ودَعْواه.[2].

إنما الشائِلُ بغير هاء: اللاَّقح، وبالهاء : التى خف لبنها . والخيل إنما تغذى بلبن الشائلة [3] لأن اللبن إذا خف مَرَأ ونجع[4].

وإنما أراد هذا الشاعر الشائلة[3] فحذف الهاء للضرورة.

والمصبُوحة :المسقيةُ الصَّبوح وهو مااصطُبح بالغداة حاراً . أى كل قَناةٍ رُدَينية وفرس مَلبُونةٍ وهى أقوى الخيول . أنشد سيبويه[5]:

لا يَحمل الفارسَ إلا المَلْبُونْ   المحْض من أمامِهِ ومِن دُونْ

(وَطَعْنٍ يجمَعُ شُذَّانَهُمْ   كما اجْتَمعَتْ دِرَّةُ الحَافِلِ)[6]

«شُذَّانهم» : مَنْ شذَّ منهم . والدَّرَّة : اللبن يجتمع فى الضَّرع.«والحافِلُ» : إما أن يكون جُملة[7] فيعنى به الناقة، فيكون من باب ناقة بازل أى من المؤنث الذى لاهاء فيه . وإما أن يكون جزءاً فيعْنى به الضَّرع وهو عندى أجود لأنه موضع تحفُّل اللبن.

ومعنى البيت: أنه عنى طَعَنْتَ كُلَّ طعنة عظيمة تجمعُ المتفرقين على صاحبها،تعجباً من سعتها، كما تُجْمَع الدَّرَّةُ فى الضرع المُحَّفل كقول الشاعر:

---

(١) هذه العبارة قد سقطت من الأصلين ومحلها خال. وقد استوحيناها من قول الخطيب فى شرح البيت التالى كما نقله صاحب التبيان (٣:٢٦).
قال الخطيب: يقول : إنه ركب جملا وأشار إلى أصحابه يحثهم على القتال وأعرض عن ركوب الخيل لتيقُّنه أن أصحابه يهلكون دونه وأن الغلبة له

(٢) وصف المتنبى ذلك الخارجى. فقال : (وجيش إمام على ناقة :. صحيح الإمامة فى الباطل)

(٣)-(٣) مابين الرقمين ساقط من ت.

(٤) فى اللسان (مرأ) يقال: مرأنى الطعام وأمر أنى: إذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيبا. و(نجع) الطعام فى الإنسان ينجع نجوعا: هنأ آكله وصلح عليه ونجع فيه الدواء وأنجع: إذا نفع.

(٥) هذا الرجز من شواهد سيبويه فى الكتاب (٢:٤٧). والملبون: الذى يُسقى اللبن ويؤثر به لكرمه وعتقه والمحض: الخالص.

(٦) حفَّل الشاة: جمع اللبن فى ضرعها ليُرى حافِلا.وضَرْع حافل، وضُروع حُفَّل وحوافل. ونهى عن بيع المحفَّلة (اساس البلاغة).

(٧) جملة أى جملة الناقة كما يفهم من كلامه وشرحه.

تركتُ بنى الهُجَيمْ لهم دَوَارٌ إذا تمضى جماعتهم تعود[1]

والدُّرة فى الدر كالحلية فى الحلْى . أعنى أن هاء التأنيث تعاقب[2] الفتحة. ومثله بَرْكٌ وبِرْكة وهى الصدر . وحَب[3] وحبّة وهى بذور الصحراء .

(وأنْبَتَّ مِنهُم ربيع السِّباع فأَثْنَتْ بإحسانِك الشَّامِلِ)

أقام الأشْلاء للسباع، مُقام الربيع للماشية . والأول (ربيع للسباع) إنما هو على المثل[4] كما قيل : فلان يَرْعَى فى لحوم الناس. يقول : ألقيتَ لها الأشلاء فأَخْصَبَت كما تخصب السَّوام[5] فى الربيع . ونحوه قول

وأصبحتْ بِقُرى هِنْريطَ جائلةً ترعْى الظُّبَا فى خصيب نبتُه اللِّمَمُ[6]

يَعْنى الرءوس جعلها خصيبة إشعاراً بأن أصحابها شُبأن . وقوله:(فأثْنَتْ - بإحسانِك الشَّامِلِ): مبالغةٌ وإفراطٌ ومذهب شعرىّ غير حقيقى. لكن يقول : إن السِّباع قد اعتادت ذلك منهم حتى عَقَلت أنَّه من لدُنه فشكَرَتْ لذلك.

(وكَمْ لَك من خَبَرٍ شائِعٍ لَهُ شيةُ الأبْلَقِ الجائلِ)

أى خبرك مشهورٌ ظاهر شُهرته كشهرة الأبلق الجائل . وذلك أن الأبلق مشهور فى موضعه . فإذا[7] جال كان أشهر له، لأنه يُعرف فى مواضع . وكذلك خبرك سائر مشهور[8] فى كل موضع.

---

(١) البيت لعنتره فى ديوانه ٢٨٢ وشرح الحماسة للمرزوقى (١٤٦:١) والدوار (ككتان) ويخفف وهو الأشهر: صنم كانت العرب تنصبه ويجعلون موضعا حوله يدورون به. شبه المقاتلين المجتمعين حول ذلك الرجل ينظرون طعنته الواسعة. ثم ينصرف جمعهم ويأتى منهم جمع آخر برجال يدورون حول صنم لهم.

(٢) تعاقبها: تخلفها إذا زالت.

(٣) الحَبُّ (بالفتح) اسم جنس واحدته حَبَّه (بالفتح) أيضا وهو عام فى كل مايبذره الزارع بيده كحب القمح والشعير.

أما الحبة (بكسر الحاء) ففيها خلاف عند أئمة اللغة. فقيل: هى بذر كل نبات ينبت وحده من غير أن يُبذر وقيل: هى اسم عام للحبوب المختلفة من كل شئ وقيل: هى بزور الأعشاب والبقول البرية (انظر اللسان- حبب).

(٤) أى على الاستعارة.

(٥) السوام: الإبل المرسلة فى الربيع لترعى وتسمن.

(٦) ديوان المتنبى (ص٣٥٥) والتبيان (٤: ٢٠).

(٧)هذه عبارة ت. وفى م (فإذا كان جال).

(٨) كلمة (مشهور) سقطت من م.

وله أيضا:

(وَلَـهُ ـ وإن وَهَبَ الملوكَ ـ مَواهِـبُ

دَرُّ الـمـلــوكِ لـدَرِّهَــا أَغْـبَــارُ[١]

الغُبر : بقية البن فى الضرع . فيقول :هباتك كأول الدَّر، وهبات الملوك كبقايا الَّلبن بعد الحلب . وأوضح من هذا أن يقول : إن مواهب الملوك وإن كَثُرت وغَزرت بالإضافة إلى مواهبك ، كالغُبر بالإضافة إلى الدَّرَّ الذى هو أغزر اللبن؛ فهذا أبين . والأول وجيه. واللاَّم فى قوله (لدرَّها) بمعنى إلى: أى درها بالإضافة إلى درها.

وقوله : (دَرُّ الملوك لدرها أغبار): جملة فى موضع الصفة للنكرة . فكأنه قال : وله مواهبُ دَرُّ الملوك لدرُّها أغبار . وإذا رَدَدْتَ هذه الجملة إلى المفرد، فكأنه قال :وله مواهبُ فائقة.

وقوله: (وإن وهب الملوك) : معناه :أجْزلَ الهبةَ . فهذا يُحسَّن معنى البيت. ويدلك عليه قوله:(دَرُّ الملوك) فقد أوضح ماأراده فى قوله:(وإنْ وَهَبَ الملـوك) ولا تكون وَهَب هنا مجردة من معنى الغَزَارة لأن الممدوح إذا فاق واهِباً غير مُجْزِل ، لم يك ذلك فضلاً إنما فضله أن يفوق المُجْزلين.

(وَبِدُون ما انا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى المَطِيُّ ويَقْرُبُ المُسْتَارُ)

أى بأقل من هذا الوداد الذى أضمره لك تعمل المطى فى الأسفار إلى المودود حتى تنْضَى ، فيقرب بذلك ما كان بعيداً . وذلك أن الشَّوق يحمل على احْتِثاث[٢] المَطِيّ وإِغْذاذ[٣] السَّير كقول الشاعر:

---

(١) من قصيدة له بديوانه (ص٢٧٧) والتبيان (٢:٨٦) ومطلعها:

سرْ حيثُ حلّ تحله النوار   واراد فيك مرادك المقدار.

يراجع التبيان والديوان

(٢) فى ت: (اختلاف) مع موضع (احتثاث) تحريف.

(٣) يقال: أغذ فى السير: أسرع فيه.

كـأن عليـهـا سـائقـاً يَسْـتَـحـثُّـهـا   كـفَــى سَـائقـاً بالشــوق بين الأضــالع

وقال :

وعَــودُ قليل الذَّنب عــاودَتَ ضَــرْبَهُ   إذا هـاج شـوق من مَــعـاهـدها كِـبْـرُ[1]

والمُستارُ[2]: مُفْتَعَل من السَّيْر . أى : يقرب الموضع الذى يسار إليه وإن كان بعيدا .

-٧٦-

وله أيضا:

(وكــذا تطـــلعُ البُــدورُ علَيْناَ   وكــذا تَقْلَقُ البــحُــورُ العِظَـامُ[3])

أى إن همتك لا تستقر لأن شيتمك الحركة كما أن البدر شأنه الحركة دائماً كلما غاب من موضع طلع على آخر. وكذلكَ البحر يتموَّجُ فلا يستقرّ . وكَنىَ بالقلق عن التموج لأن القلق ضد الطمأْنينة والاستقرار . و(كذا): مجرور فى موضع نصب . أى مثل طلوعك تطلع البدُور، ومثل قلقك تقلق البحور، ومثَّل طلوعَه بطلوع البدر وقلقهَ بقلق البحر إشعاراً بان الممدوح كالبدر جمالاً وكالبحر نوالاً. وقوله: (العظام): مؤازرة للبدور لأنه لو قال البحور ولم يذكر العظام لم يك مطابقاً للبدور، فتفهمه.

(والذى يَضْــربُ الكتــائِبَ حَــتى   تَتَــلاقَى الفِــهــاَقُ والأقْــدامُ)

الفقهة: ما يلى من فِقَر العُنق . وقيل الفهاق :مَواصِل الأعناق فى الرءوس أى ينقص الأعضاء ويبضعها، حتى يلتقى طرفا الجسم على بعد بينهما. وإن شئت قلت : يضرب الهام ، فتسقط على الأقدام.

(فكثــيُــر من الشــجـــاع التَّــوقِّى   وكـــثـــيــرٌ من البلَيغ الكَلاَم)

(١) فى ت: من معاهدها ذكر.

(٢) المستار: مفتعل من السير، أى هو اسم مكان من استار المكان إذا سار اليه فى مشقة وعناء.

(٣) من قصيدة فى مدح سيف الدولة مطلعها:

«أين أزمعت أيهذا الهمام   نحْنُ نبت الربا وأنت الغمام»

أى هيبته تروع قلوب ذوى النَّجدة وقلوب ذَوِى البلاغة، لأن هذا الممدوح شجاعٌ بليغ قد بلغ الغاية فى الفضيلتين ، فأبعُد غايات الشجاع وأعلى منازله أن يُحسن التوقى من هذا الممدوح ولا يتحدث بالظهور عليه، لأن ذلك منه سفهُ رأى . وأبعد غايات البليغ أن يقدم فيسلِّم عليه ولا يتحدث بإسهابٍ فى مخاطبته ولا إطناب . وهذافى أسلوب قول الشاعر:

يُغضِى حياء ويُغْضَى من مَهابَته   فلا يُكَلَّم إلاَّ حينَ يَبتَسِمِ[1]

ولأبى الطيب فضل ذكر الشجاعة والبلاغة فى بيت واحد وإفراد كل واحد من الفضيلتين بمصراع.

-٧٧-

وله أيضا:

(ضُرِبْنَ إلينا بالسِّياطِ جَهالَة   فلما تَعارفْنا ضُرِبنَ بها عَنَّا[2]

يصف خيل الروم . وذلك أن سَرِيَّةَ الروم رأت جيش سيف الدولة فظنته جيشها فهمزت نحوه تريدُ اللحاق، فتبين لهم قبل أن يَلْحقوا أنها خيل الإسلام ، فانصرفوا هاربين عنها مُجدِّين يضربونها بالسياط للإدْبار كما يضربونها للإقبال . و«عن» ها هنا : لِمَا عدا الشيء أى مبعدين عنا لها . وقوله: تعارفنا: أى افترقنا فعرفونا وعرفناهم.

(وإنْ كُنتَ سيف الدولِة العَضْبَ فيهم

فدعْنا نكُنْ قَبلَ الضِّرابِ[3] القَناَ اللدْناَ)

اللَّدن : اللين. ذكَّر على اللفظ لأن القنا وإن كان قناة فلفظه لفظ المذكر وما خرج من الجميع على هذه الصورة جاز تذكيره وتأْنيثة . يقول إن كنت أنت

(١) المشهور أن هذا البيت للفرزدق من قصيدة له فى مدح على بن زين العابدين، ولم نجدها فى ديوانه (ط. الصاوى)وتنسب لغيره وهو الصحيح.

(٢) من قصيدة فى سيف الدولة وقد عزم على محاربة الروم ومطلعها:

تزور ديارا مانحب لها مغنى   ونسأل فيها غير ساكنها الإذنا

(الديوان ٣١٦ والبرقوقى (٢:٤١٨) والتبيان (٤:١٦٧).

(٣) فى بعض النسخ: «قبل اللقاء»

سيف الدولة والسيف أشرف السلاح، وهو المستغاث به إذا اشتد البأس، لأن الرماح والسهام قد فنيت، فَعُدْنا نحن حينئذ رماحا وقدْمنا، فإذا فنينا أو قاربنا ذلك فكن أنت سيف الدولة الذى يكون به الضِّراب إذ لا يباشر ذلك إلا مثلُك .
وهذا نحو قول الآخر

فلما لم نَدَعْ قَوْساً وسَهْماً مَشَيْناً نحوهم وَمَشوا إلَيْناً[1]

-٧٨-

وله أيضا:

(اخْتَرْتُ دَهْماءَ تَيْن يامَطرُ وَمَنْ له فى الفضائلِ الخِيَرُ)[2]

أراد دهماء هاتين الفَرَسين ، فاكتفى بالإشارة من التنبيه. تقول العرب: تا، وهاتا ، وتى ، وهاتى ، وقوله : يا مطر: يخاطب سيف الدولة جعله مَطراً بجوده .(ومن له فى الفضائل) : عطفٌ على قوله :(يامَطرُ) والخِيرُ: جمع خِيَرة وهو الشئ المختار. أى له من الفضائل أشرفها، أو من نوع كل فضيلة أشرفه . أراد ومَنْ له من الفضائل الخير فوضع«فى» موضع «من» . والفضيلة : الخَصلة التى يُسْتَحَق بها الفضل، وضدها الرّذيلة.

-٧٩-

وله أيضا:

(حَصَانٌ مِثلُ مَاءِ المُزْنِ فيه كَتُومُ السِّرِّ صادِقةُ المقَالِ)[3]

أى هذه المرأة حصان طاهرة نقية من الشّوْب[4] كماء المُزْن فى المُزْنِ قبل انحطاطه إلى الأرض ومُمَازَجَته طبيعة التراب . فالهاء فى قوله (فيه): راجعة إلى المزن . (كَتُوُم السِّرِّ) : يعنى محاسن خُلُقها وخَلْقها ؛ وكتمها إياه : صونها له

(١) من قصيدة لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهنى (الحماسة: شرح المرزوقى ١:٤٤٢).
(٢) قالها فى سيف الدولة وقد خيره بين فرسين دهماء وكميت (ديوانه ٢٨٢) والدهماء: السوداء. وتين: اسم إشارة للمؤنث.
(٣) من قصيدتة له بديوانه (ص٢٦٧) فى رثاء والدة سيف الدولة، مطلعها:
نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال.
(٤) الشوب : الخلط. أى برئية مما يدنّس النفس من العيوب.

حتى لا يُطَّلع عليه منها . ولما كَنَى بالسِّر عن المحاسن الخلقيَّة والخُلُقية كنى عن صونها بالكتمان . وكأنه إنما سَمَّى ذلك سرًّا لأنه مما يجب ألا يُعرف من النساء . (صادقة المقال) أى لا تَدْخل فى ريبة فتحتاج إلى افتعال التأويل والتحّيل للاعتذار ، ولكنها حسنة الخفايا سالمة الإرادة ، فصدقُها يُغنْيِها عن التماس الكذب . وإن شئت قلت : وصفها بصدق المقال مُطلقاً لأن ذلك من أجلِّ ما يُمدح به ولا خفاء بمزية الصدق .

(فلا غِيضَتْ بِحَارُكِ ياَ جَمُوماً عَلَى عَلَلِ الغَرائِبِ والدِّخَالِ)

بحر جَمُوم : كثير الماء ، وكذلك البئر . والدِّخال : أن تُدْخِل بعيرا قد شرب بين بعيرين لم يشربا . والغرائب : الإبل الواردة حِياض غير أهلها، فهى مدفوعة عنها ممنوعة دُونها، كقول الحجاج (ولأضرِ بنَّكُم ضربَ غَرائِبِ الإبل)[1] وغيضت، نقصت. غاض الماءُ وغِضْته وفى التنزيل .(وغِيضَ الماء[2]) والعَلَلَ : الشُّرب الثانى من النَّهَل . فيقول : لا غِيضَت بحارك : أى لا قَصَّر جوُدك عن كثرة ما يَرِدُهُ من الغرائب وذوات الدِّخال وكلاهما نوع غير مستحق للورود ، فكنى بهم عمن لا يستحق جُودَ هذا الممدوح. وإن شئت قلت : كنَّى بهما عن المقيمين والطارئين عليه . أى عَمَّ جودك الفريقين. يدعو له بذلك.

-٨٠-

وله ايضا:

(بِنَا منكَ فوقَ الرَّمِل ماَ بِكَ فى الرَّمْل

وهذا الَّذِى يُضْنىِ كَذَاك الذى يُبْلِى[3]

منك : أى من أجلك .تقديره: بنا فوق الرمل من الحزن بك والأسف عليك ما يُنْحِفُنا ويُضنينا كما بك فى الرمل . إلا أن هذا لنا مُضْنٍ وذاك مُبْلٍ وكلاهما مشتبهان فى أن عملهما التَّنَقُّص والفساد ، إلا أن حالك البِلَى وحالنا الضَّنَى وقال :(وهذا الذى يُضْنيِ) فأشار إلى الضَّنى إشارة القُرب لأنه مُشاهد.

(١) من خطبة الحجاج حين ولأه عبد الملك بن مروان أمْرَ العراق.
(٢) الآية ٤٤ من سورة هود.
(٣) مطلع قصيدة بديوانه (ص٢٧٩) فى رثاء أبى الهيجاء عبد الله بن على سيف الدولة.

وقال:(كذاك الذى يُبْلِى) : فأشار إلى البِلى إشارة البعد لأنه مُغَيَّبٌ عنه.

(تَركتَ خُدودَ الغانياتِ وَفَوْقَها

دُموعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ فى الأعينِ النُّجلِ)

هؤلاء الغوانى[1] كُحْل الأعين كَحَلاً طَبيعياً . والكَحَلُ الطبيعى يزيده الحسن حسناً لأن كلّ طبيعىٍّ يُقوِّيه المكتَسبُ المشاكِلُ له ، فيقول : إن دموع الغانيات الكُحْلِ المكتحلات تغسل الكُحْلَ الذى هو زيادةٌ فى حسن الكَحَلَ فيزول حُسن الكُحلِ ويبقى حُسنُ الكَحل فقد زال الحُسن الاكتسابىّ الذى كان زيادة فى الطبيعىّ فنقص الحسن عما كان عليه إذ كان المكتسب موجوداً مع الذاتى ، وكأن الدمع هو الذى أذابه ونقصه . ولا يكْنى فى حدّ الحقيقة عن تنقُّص الحسن بالإذابة ، لأن الحُسن عَرَضٌ فلا يذوب ، وإنما تذوب الجواهر ،لكن لما كانت زيادة الحسن بالكُحل وكان الكُحل جوهراً، استجاز إيقاع الإذابة على العَرَض الحادث عنه فتفهمه.

(تَبُلُّ الثَّرى سُوداً من المسلك وَحْدَهُ وقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً على الشَّعَرِ الجَثْلِ)

أى بَكَيْنَ دَمْعاً مشوباً بدم، لإفراط الحزن عليك ، تقطرت حُمْراً ووقعت على الذوائب المنشوره[2] على الخدود للحزن، وفيها أفواهُ المسك فسقطت إلى الأرض سُوذاً بالمسك وحْدهُ دون الكُحْل لأنَّ الكُحْل قد أَذابهُ الدمع وأسالهُ . وقال (تبل الثرى) : فأشعر بأنها خرقت الأرض لشدة وقوعها وغزارتها حتى رَسَخَتْ فى الثرى

(ألسْتَ مِنَ القوم الذين رِمَاحُهُمْ نَدَاهُمْ وَمِن قَتْلاَهُمُ مُهجَةُ البُخلِ)

لَّما استعار للبُخل مهجة مقتولة ، فجعلها إحْدى قتلاهم ، وكان البخل إنما يُقتل بالنَّدى ، جعل نداهم رُمحاً يُقَتلُ به البخل . وقيل : من رماحهم نداهم : أى يجودون بما أفاءت عليهم رماحهم . والأول أولى لقوله : ومن قتلاهم مهجةُ البخل .

---

(١) الغانية: التى غنيت بحسنها عن الزينة.

(٢) فى م: (المنشورة). ولعله تحريف من الناسخ. ويشهد للمنشورة قول الشاعر

نشَرتْ ثلاث ذوائب من شعرها فى ليلة فأرت ليالى أربعا.

وقوله :«مهجة البخل» : تفلسُفٌ لأنه إذا قُتلت المهجة ـ والمهجة قِوام المقتول ـ أغنى ذلك عن وصف الجُملة بالقتل . وهذا منه احتيال مليح لتسوية إعراب الرَّوى . وليس للبخل مُهجةٌ . إنما المهجة للحيوان، فاستعارهُ. وسَهَّل ذلك حين استعار القتل للبخل . وقال:(ألست). فأخرج اللفظ مُخْرَج الاستفهام ومعناه الإثبات والتقرير كقوله تعالى (ألستُ بربكم[1]) ؟ قال جرير:

ألستم خَيْر من ركب المطايا وأندى العالَمين بُطون رَاح[2]

فمعناه أنت من القوم الذين شأنهم كذلك، كما أن معنى (ألستُ بربكم): أنا ربُّكم . ومعنى (ألستم خير من ركب المطايا) : أنتم خير من ركب المطايا .

(وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الحوادِثِ صَبْرهُ ويَبْدُو كما يَبْدُو الفِرِندُ على الصَّقلِ)

أى إذا نزلت بك الملمات ثَبَتَ من صبرك، وتبيَّن من جَلَدك ما يزيدك فى النفس جَلالاً، لأن ذلك عين الخُبر والمِحْنَة، كما أن السيف إذا أخذ منه الصَّقْل جلا عن[3] جوهره الذى كان يخفيه منه الصَّدَى فازداد شَرَفا[4] بذلك ؛ ولذلك قالوا : خرج منها كالشُّهاب . أى بيِّن الفضل واضح الشرف . وقابل مرَّ[5] الحوادث بالصَّقل لأن ذلك كله رَوْزٌ[6] واختيار وداعية ألى الوقوف الصحيح من الشئ .

(بِنَفْسِى وَلِيدٌ عَادَ من بَعْد حَمْلِه إلى بَطْنِ أمٍّ لا تُطَرِّقُ بالحَمْلِ)

يعنى أنه عاد من بعد الحمل الذى تبعته الولادة إلى بطن أمٍ لا تضع حملها يعنى الأرض لأن من تضمنته لا يخرج منها إلا إلى الحشر، فجعل تضمينها له كالحَمْل به ، ونفى عنها التَّطريق الذى هو ضد الحمل وكل ذلك مستعار .

(وَماَ الموْت إلا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهْ يَصولُ بلا كَفٍّ ويَسْعَى بلا رِجْل)

---

(١) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٢) البيت من قصيدته فى مدح عبد الملك بن مروان مطلعها:
أتصحوا أم فؤادك غير صاح عشية هَمَّ صحبك بالرواح.

(٣) فى م: (عنه) .

(٤) فى م: (شوفا) تحريف.

(٥) فى م : من .

(٦) فى م: (زور) تحريف. ويقال: رازه بروزه رَوْزاً: جرَّب ماعنده وخبره والرُّوز: التجربة (اللسان – روز) .

قوله :(دق شخصه) : كلام شعرى[1] لأن الموتَ عَرض والعرض لايُشَخَّص، إنما التشخيص للجواهر . وقديُتَجوز بالعَرَض المحسوس كالحمرة والصفرة . فأَما الأعراض النفسانية فلا تُشَخَّص. وسوَّغه ذلك قوله فيه (سَارق) لأن السارق لا يكون إلا شخصاً ، فلما نسب إليه صفة لا تكون إلاَّ فى الجواهر، وهو السَّرَق، استعار له التشخص .(يصُول بلا كف ويسعى بلا رِجْل) : أى أنه عَرَض والعرض لايد له ولا رِجْل .

(يَرُدُّ أبو الشَبْلِ الخَمِيسَ عن ابِنْه　　ويُسْلِمهُ عـنـدَ الوَلادةِ للـنَّملِ)

يَعِذر سيف الدولة فى أنه لم يطق دفع المنية عن ابنه . يقول : إن الأسد يَرَدُّ الخميس عن شِبْله وذلك لكبر أجرامهم وعظم أشخاصهم، ويسلمه عندما يولد للنمل تأكله إذلا يطيق دفعها لدقة أشخاصها فكذلك الموت لو تجسَّم لردَّهُ سيف الدولة عن ابنه، ولكنه عَرَضٌ غير مُتَجسِّم ولا محسوس ، فلا قوة به عليه ، بل سيفُ الدولة أعذر من الأسد لأن النمل وإن دقت فهى مرئية والموت غير مرئى ، فدفْعه أبعد من الإمكان . ألا ترى إلى قول بعض حكماء العرب يوصى ابنه:(فإنما تَغُرّ من تَرَى ويغرّك من لا يُرى) . يعنى الموت وهو الذى لا يُرَى.

-٨١-

وله ايضا:

(فَماَ تُرَجِّى النُّفُوسُ مِـنْ زَمَنٍ　　أحـمـد حَالَيْه غَيرُ مَحْمود)[2]

أى أحمد حَالَى الدهر أن يَمُدَّ للإنسان فى العمر ويُسَلِّمه ثم يُفْضى به بعد ذلك إلى الهلكة ، وتلك حال غير محمودة لمصيرها إلى ما لا يحُمد ، لكنها أحمد الحالين ، فما ظنك بالآخر .

وإن شئت قلت : أحمد أحوالك بقاؤك بعد صديقك، وتلك حالٌ غير محمودة لما هو به من تعجُّل الوجَل وانتظار الأجل. وهذا إفراط من القول لأنه إذا كان

(١) بل هو استعارة بالكناية. والمجاز والاستعارة قياسيان. وإنما يعاب فيهما مافيه بُعد.

(٢) من قصيدة بديوانه (٢٩٤) ومطلعها «ماسدكت علة بمولود»

الأحمد غير محمود فهو مذموم لا محالة. فأى صفة تقع على الأَذَمّ والمحمود مذموم ، ما هى إلا أن الأَذَمَّ أذهب فى باب الذم، وإلا فالذم مشتمل عليها، فذكر محموداً لإنه ذهب إلى الأحمد .

(تَحْمِلُ أغمادُها الفِدَاءَ لَهمُ فانْتَقَدوا الضَّرْبَ كالأخادِيد)

الأخدود : الشق الواسع فى الأرض يُخَدُّ فيها : أى يحفر . شبه الضربة العظيمة بها ، وكان أبو وائل تغلب هذا ، قد أسرته بنو كلاب ، فَضَمِن لهم الفِداء عن نفسه، فكان مكّاَن ما ضمن لهم من الفدية أن غزاهم فأوقع بهم . ألا ترى إلى قوله فيه وفيهم :

فَدَى نفسه بِضَمانِ النُّضَارِ وأعطى صُدورَ القنا الذَّابِلِ [1]

ومناَّهُم الخيلَ مَجْنُوبَةً فجئنَ بكل فَتىً بَاسِلِ

فيقول : تحمل لهم أغمادُ السيوف ماضمنه لهم من الوَرِق[2] والعَيْن وغيرهما،وذلك منه هُزْء بهم. أى إنما كان الفداء المحمول إليهم أن ضُرِبُوا بما فى الأغماد وهى السيوف . فكانت كل ضربة على قدر الأخدود عِظَماً . ولما كان المعتاد فى الفِداء الذهب والفضة بالأغلب جعلَ السيوف نقوداً والأغماد أكياساً، وحَسُن ذلك لأن السيف من الحديد، والحديد يَشْرك الذهب والفضة فى أنه جوهرٌ معدنى كما أنهما معدنيان . فانتقدوا الضرب ، أى قام لهم مقام النقْد. وقيل : وقع بهم أجود الضرب كما يختار المنتقد أجود الدراهم والدنانير، وكله هُزء.

وقوله:«كالأخاديد» : فى موضع الحال . أى انتقدوا الضرب عريضاً ومستطيلا . والضرب ها هنا يجوز أن يكون الجنس ، وأن يكون جمع ضَرْبة . فقد ذهب محمد بن يزيد فى قوله تعالى :(غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوبِ)[3] إلى أنه جمع تَوْبة ، إلا أن أكثر ذلك إنما هو فى الجواهر المخلوقة دون الأعراض، نحو

---

(١) البيتان من قصيدته.

إلام طماعية العاذل ولا أرى الحب للعاقل.

(٢) الورق: الفضة. والعين: الذهب أو ماضرب من الدنانير.

(٣) الآية ٣ من سورة غافر.

لَوزة ولوز ، وموزة وموز : وقد جاء فى الجوهر المصنوع منه شئ كدواة ودَوِىّ ، وسفينة وسفين . فأما فى العَرَض فقليل كما قلنا . لكنى أوثر أن يكون الضرب هنا جمع ضرْبة لقوله (كالأخاديد) مع ما آنَسَنَا[1] محمد بن يزيد فى قوله تعالى :(وقَابِلِ التَّوْبِ) . وأضمر السيوف فى قوله :(تحمل أغمادها) للعلم بمكانها، كقوله تعالى :(كُلُّ من عَلَيها فَانٍ)[2] وأيضاً فقد جاء ذكر الجنود والسيوف متصلة بهم فكأنها مذكورة .

(مَوقِعُه فى فَراشِ هَامِهِمُ   وَرِيحه فى مَنَاخِرِ السِّيْدِ)

الفَراش : قشور تكون فى الرأس على العظم دون اللحم، وقيل : ما يتطاير من عظام الرءوس واحدته بالهاء . و(مَوْقِعه) : وقوعه . أى يقع هذا الضرب برءوسهم فَتَشُمّ الذئابُ رائحة الدم فتقطع [3] إليهم لتأْكلهم . فالهاء فى قوله: (وريحه) ليست للضرب لأن الضرب لا طبيعة له فيكون ذا ريح ، وإنما الهاء للدم ، فأضمره لمكان العلم به،

وقد يجوز أن تجعل الريح للضرب وإن كان فى الحقيقة للدم لأن الدَّم إنما حدث عن الضرب فكأن الريح للضرب. وإن شئت قلت : إذا وقعت الضَربة أرَشَّت دَماً فتغير منه الهواء ، حتى ينْشق[4] الذئب رائحته فيستدل عليه.

وقوله (فى مناخر السِّيد) كان ينبغى أن يقول فى مَنْخِرِ السِّيد أو فى منخَرى السيد . ولكنه جعل كلَّ جزء من المنخر مَنخِراً ، ثم جمعه كما حكاه سيبويه[5] من قولهم للبعير : ذو عثانين. كأنهم جعلوا كل جزء منه عُثنوناً . وعليه وجه قول العرب : آتيك عُشَيَّانات [6] قال : جمعوالأنهُ حينٌ ، كلَّما تصوبت فيه الشمس ، ذهب منه جزء . وأنشد قول جرير:

قال العواذلُ مالجهلك بعدَما   شابَ المفارقُ واكتسين قتيرا[7]

---

(١) آنسنا: أعلمنا. قال صاحب المصباح: آنست الشئ بالمد: عَلِمْته. وآنسته: أبصرته.
(٢) الآية ٢٦ من سورة الرحمن.
(٣) قطع المفازة قطعا وقطع النهر قطوعا: عبره: (أساس البلاغة).
(٤) يقال: نشق الريح نشقا (بسكون الشين) ونشقا (بفتحها) واستنشقها وتنشقها.
(٥) انظر الكتاب لسيبويه (١٣٨:٢)
(قال: ومن ذلك قولهم للبعير ذو عثانين كأنهم جعلوا كل جزء منه عثنونا ونحو ذا كثير.)
(٦) عبارة سيبويه فى الكتاب (٤٨٤:٣) وسألته (الخليل) عن قول بعض العرب: آتيك عُشَيَّانات ومُغَيربانات فقال: جعل ذلك الحينِ أجزاء لأنه حِينٌ كلما تصوبت فيه الشمس ذهب منه جزء فقالوا: عشيانات كأنهم سموا كل جزء منه عشيّة. اهـ.
(٧) ديوان جرير صـ٢٧٦ يهجو الأخطل.

وإن شئت قلت : إنه عنى بالسِّيد هنا : النوع فجمع المنخر لذلك وكل واسع[1] .

(ثُمَّ غَدَا قِدُّهُ الحِمَامُ وَمَا تَخْلُصُ منه يَمِينُ مَصْفُودِ)

صَفَدْتُ الأسير وصَفَّدته : أو ثقته . وأصفدت[2] الرجل : أعطيته بالألف لاغير . فمصفُودٌ على صَفَدته . وكانت أغلال العرب القد[3] . ولهذا قالوا فى المرأة السيئة الخلق: غُلٌّ قَمِلٌ ، لأنهم كانوا يشدُّون القِدَّ على الأسير فيقمل.فمعناهُ: كان هذا الميت أبو وائل أسيراً فى يد العدا فأنقذته منهم ثم غدا بعد ذلك فى أسر الموت فلم يك بك قدرة على تَنقذه[4] منه، وما يخلص منه يمين مصفُود . وَعَذَرهُ لعجزه عن تَنَقُّذه إياه من الموت ، فالموت لا يخلص [منه][5] من أوثقه . فأنتَ ياسيف الدولة غير ملوم على أن لم تنقذه من الحِمام كما تنقذه من الأنام . (قِدُّه الحِمَام) : مبتدأ وخبر فى موضع خبر غَدا، واسم غدا : مضمر فيها كما حكاه سيبويه من قولهم :(كل مولود يولد على الفطرة[6]، حتى يكون أبواه اللذان يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه) أضمر اسم يكون فيها، وجعل الجملة فى موضع الخبر، وأنْشَد:

إذا ما المرء كان أبوهُ عَبْسٌ فحسبُكَ ماتريد إلى الكلام

ولو قال : (ثم غدا قَيْدُهُ الحِمام) أو(قِدُّهُ الحِمام) ، لكان حسناً، لكنه لما كان ذكره إنما هو لأبى وائل ، وقد أجراه كثيراً ، أكدَّ ذلك بالمحافظة عليه

---

(١) وكل واسع: هذا قول الخليل فى العبارة السابقة. ونحو هذا كثير. أى وكلا التخريجين له شواهد كثيرة فى كلام العرب.
(٢) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت ص٢٥٢. وفى أساس البلاغة: صفده وأصفده: أعطاه. وتقول: إن أفدتنى صرفا فقد أصفدتنى ألفا.
(٣) القدُّ: القَيْد. وهو السير من الجلد غير المدبوغ. ويقال: أسره بالقدِّ (الأساس).
(٤) يقال: أنقذه من البؤس واستنقذه وتنقذه: إذا نجاه (الأساس).
(٥) [منه] زيادة تستقيم بها العبارة.
(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٣٩٦:١) وفيه بعد أن روى الحديث"....فأحد وجهى الرفع أن يكون المولود مضمرا فى يكون، والأبوان مبتدأ ومابعدهما مبنى عليهما ، كأنه قال: حتى يكون المولود أبواه اللذان يهودانه وينصرانه. ومن ذلك قول الشاعر:
إذا ما المرء كان أبوه عبسٌ فحسبك ماتريد من الكلام.

فأضمره .ألا ترى قوله : (قد مات من قبلها)[١] ... وقوله : «ما كنت عنه»[٢] ... وقوله :(أين الهبات التى يفرقها)[٣] إلى سائر ما فى القطعة من إخباره عن أبى وائل ، واستفهامه عنه.

-٨٢-

وله أيضا:

(ولا فَضْلَ فيها للشجاعة والنَّدى وصبر الفتى لولا لِقَاءُ شَعُوبِ)[٤]

فيها : أى فى الدنيا. وشَعُوبُ : المنية تَشعَب أى تفرِّق ، وأنشد يعقوب:

فقام إليها بها جازرٌ ومَن تَدْعُ يوماً شَعُوبُ يُجِبها[٥]

يعزِّى عن الدنيا ويقول: إن تمام هذه الفضائل فيها إنما هو بتيقُّن الفناء .أى لولا خوف الموت ، شجع كل الناس وجادوا وصبروا فلم يك أحد مخصوصاً بهذه الفضائل دون صاحبه، ولو كان كذلك لم يك لهذه الفضائل فضل، لأن الأشياء إنما تَتَبَيَّنُ بأضدادها . فلو عُدِم الضدّ خفى ضدُّه .

وإن شئت قلت : لو أُمِنَ الموتُ لَما كان للشجاع فضل، لأنه قد أمن الموت . وكذلك السَّخيُّ والصَّبور لأن اعتقاد الخلود، وتنقل العُسْر إلى اليسر والشدة إلى الرخاء مما يُسَكِّن النفوس ويسهل البوس . هذا قول أبى الفتح، وهو حسن .

وقوله: (لولا لقاء شَعُوب) أراد لولا تيقن لقائها. و(الفتى) هنالا يعنى به فتاء السِّن[٦] إنما يراد به المدح. كقولك : أنت الرجلُ أى الجَلْد الصابر وكقول الهذلى[٧].

---

(١) البيت بتمامه (قدمات من قبلها فأنشره وقع قنا الخط فى اللغاديد).
(٢) تمامه (ماكنت عنه إذا استغاثك يا سيف بنى هاشم بمغمود).
(٣) تمامه (على الزرافات والمواعيد).
(٤) من قصيدة بديوانه (ص٢٧٢) مطلعها:
لايحزن الله الأمير فإننى لآخذ من حالاته بنصيب.
(٥) البيت لأبى الأسود الدؤلى فى إصلاح المنطق لابن السكيت ص٠ ٣٧ وفيه (ذابح) مكان (جازر).
وشَعوب: اسم للمنية وهى معرفة لاتدخلها الألف واللام.
(٦) فى م: (ذا السن) ونفظنه محرفا عن (فتاء السن) يريد حداثه السِّنّ.
(٧) هو مالك بن خالد الهذلى كما فى ديوان الهذليين (٣: ٥) واللسان (قمح).

فـتًى مـا ابنُ الأغـرِّ إذا شَـتَـوْناَ وحُبُّ الزَّادفى شَـهْـرَىْ قُـمَـاحِ[١]

كنى بالفتوة عن الكرم ، كأنه قال : ابن الأغر كريم مُتَفَتٍّ، ولولا ذلك لم يعمل (فتىً) فى (إذا) لأن الظروف لا تعمل فيها إلاَّ[٢] الأفعال أو ما هو فى طريقها ، وإذا قلت زيد فَتىً، تعنى به السِّن ، فليس فيه معنى فعل.

(فَـعُـوِّضَ سـيفُ الدولـة الأجـرَ إنهُ أجلُّ مُـثـاَبٍ من أجلِّ مُـثِـيبِ)

إن شئت عَنَيتَ بالمثاب سيف الدولة، وإن شئت عَنَيتَ به الأجر الذى أُثيبه.

إذا اسْتقبلَتْ تَفْسُ الكريم مُصـاَبَها بخُبْثٍ ثَنَتْ فاسْتَدْبَرَتْهُ بِطيبِ)

المصاب هنا الإصابة لأن المصدر قد يخرج على شكل المفعول به لأنه فى المعنى مفعول ، فمن ذلك الميسور[٣] والمعسور والمعقول والمجلود. فأما فيما جاوز الثلاثة فُمطرد كالُموفَى فى معنى التوفية، والمقاتلة فى معى القتال أنشد سيبويه:

أقـاتِل حـتى لا أرى لى مُـقَـاتِلا وأنْجـو إذا لم ينج إلا المكيِّس[٤]

والخُبثُ فى هذا البيت : كناية عن الجَذَع، وجَيَشان النفس عند الفزع. والطيب : كناية عن الصبر والتوطين . أى إذا جَزع الفهم فى أول نزول المصاب به رَاجَعَ أمره بعد ذلك ،فعادَ إلى الصبر.

وإن شئت قلت : من لم يوطِّن نفسه للقاء المصائب قبل نزولها صعبت عليه عند حلولها فليستشعر اللبيب التوطن [٥] على لقاء المكروه، لأنه إذا لم يفعل ذلك، ونزل به ما يكره ، عظم عليه وجزع منه، ثم يحول بعد ذلك إلى الصبر، إذ

(١) يقال لشهرى كانون: شهرا قماح لأن الإبل ترفع رأسها فيهما عن الماء لبرده.
(٢) [إلا] ساقطة من الأصلين والكلام بدونها خطأ.
(٣) هذه الكلمات الأربع- ولها نظائر- هى مصادر جاءت بزنة اسم المفعول من الثلاثى تقول: ماله معقول ولامجلود : أى عقل وجلد.
(٤) البيت فى اللسان (قتل) وهو لزيد الخيل وقد ورد كذلك فى الخصائص لابن جنى (١:٣٧٣) والكتاب لسيبويه(٢: ٢٥٠).
(٥) م: (المواض) وفى ت (التواطن) وكلاهما تحريف.

لاجَدْوى له فى الجزَع . فالحكم أن يبتدئ أولاً بما يعود إليه آخراً كقول الشاعر:

رَأى كلَّ شيءٍ إلى غايةٍ فصيَّرَ آخرهُ أوّلا[1]

وقد فسَّر المتنبى معنى هذا المتقدم بقوله بعد هذا:

(ولِلْواجِدِ المحزُونِ[2] مِن زفراته سُكونُ عَزاءٍ أو سكونُ لُغُوبِ)

أى لابد للمحزون أن يسكن حزنُهُ : إما تعزيا وهو الحميد، وإما إعياء وهو اللُّغوب . وإن شئت قلت : إن لم يصبر تعزِّياً واحتساباً ، وإلا صبر لُغوبا حين لا أجر ولا فضل.

- ٨٣ -

وله أيضا:

(فَلِمْ لا تَلُوم الذى لاَمَها وماَ فَصُّ خَاتِمِه يَذْبُلُ)[3]

كأن لائماً لام هذه الخيمة على عجزها عن الاستقرار على سيف الدولة والاعتلال[4] له حين تقوضت . فيقول: لا ينبغى أن تُلام لأن ذلك ليس فى وسعها، ولا استطاعتها، وليس على تارك ما لا يطيق لوم. فإن كان الإنصاف أن تُلام هذه الخيمة على ماليس فى طَوْقها ، فلم لا تَلُوم لائمها على أن لم يطق أن يجعل فصٌ خاتمه يذبل؟ لأنهما قد استويا فى العجز وإنما كان ينبغى أن يلومها من أطاق التختم بهذا الجبل . فإذن لا أحد يقدر على ذلك فلا تلومَنّ الخيمة على تقوضها ، وضعفها عن حمل سيف الدولة، لأن العجز عن الممتنع قد وضح فيه العُذر ، و(لِمْ) : لغة فى (لِمَ) فاشية معروفة .

(فَمَا اعْتَمد اللّهُ تَقْويضَها ولِكنْ أَشار بما تَفْعَلُ)

---

(١) ورد البيت فى الخصائص (١: ٣٠٤) غير منسوب لقائله وصدره فيه: «رأى الأمر يفضى إلى آخر».
(٢) رواية الديوان والتبيان (وللواجد المكروب).
(٣) من قصيدة له بديوانه (بيروت٣٠٦ والتبيان٣:٦٦) حين ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة فهبت عليها ريح شديدة فسقطت فقال: (أينفع فى الخيمة العُذّل)
(٤) أى اختراع علة حسنة لسقوطها. والهاء فى (له) راجعة إلى العجز عن الاستقرار.

أى لم يقوضها ليُحزنَك ، ولكن أشار عليك بالرَّحيل نحو ما اختاره لك من الجهاد؛ وسلوك سُبُل الرشاد. والإشارة من اللّه عز وجل عليه : إنما هى إلهامُهُ إياهُ، وليست على حد الإشارة الإنسانية، لأن هذه إنما هى الجوارح . وربنا تعالى يَجلُّ عن ذلك .

(رَأتْ لَون نُورِكَ فى لَونِهـا　　كَلَونِ الغَـزَالَةِ لا يُغْسَلُ)(١)

وهذا عذر الخيمة فى سقوطها ، أى أنها رأت لَون نورك فى لونها كنور الشمس فَراعَها ذلك ، لأنها ظنتك الشمس ؛ التى هى الكواكب، فلذلك سقطت لأنها استعظمت حملها لك ، وقوله :(لايُغْسَلُ) أى اتصل نورك بها، حتى صار فيها كالشَّامة التى لا تُمْحَى بالغَسْل.

(وقد عَرَفْتكَ فما بَالُها　　تَراكَ تَراهاَ ولا تَنْزِلُ)

هذا البيت شُنع(٢) وكُفر لِما عَنى أن هذه الكواكب غير عاقلة، لأنها لو كانت عاقلة لعرفَتْك ، وتبيَّنت أنَّ مَحلَك فوق محلّها ،فكانت تنزل إليك فإذ لا تنزل ، فهى غير عارفة بك ، وإذ هى غير عارفة بك ، فهى غير عاقلة . ولعمرى، فقد ذهب فى ذلك إلى تكذيب من ادعى أن الكواكب تعقِل وإن كان قد غلا .

- ٨٤ -

وله أيضا:

(ومَا عَفَتِ الرياحُ له محلاً　　عَفَاهُ من حَدَا بِهمُ وَسَاقَا)(٣)

أى لم تعف الرياح هذا المنزل، وإنما عفاه بتنقلهم عنه وإجلائهم له.

(نَظَرتُ إليهمُ والعينُ شَكْرَى　　فصارت كلُّها للدمع ماقاَ)

شَكْرى : أى مَلأى لم تفض بعدُ . والماقُ : مجتمع الدمع . فلما رأيتهم متحملين ، فاض الدمع من جميع جوانبها ولم يخص الماق وحده، بل صارت العين كلها للدَّمْع مَجْرًى، فكأنها كلُّها ماَقٍ ، كقول الشاعر:

(١) ورد هذا البيت فى الديوان متقدما على ماقبله فى جملة أبيات.

(٢) قد غلا المتنبى فى هذه المعانى على سبيل تخيل الشعراء، وهو لايريد تقرير حقيقة علمية! ويقول ابن سيده (ولعمرى فقد ذهب فى ذلك إلى تكذيب من ادعى أن الكواكب تعقل وإن كان قد غلا)

(٣) من قصيدة فى مدح سيف الدولة (ديوانه ٢٨٩) والتبيان (٢٩٤:٢) ومطلعها:

أيدرى الدمع أىَّ دم أراقا　　وأىَّ قلوب هذا الركب شاقا.

أُقَلِّبُ عينى فى الــفـوارِس لا أَرى   حِزاقـاً وعـينى كـالـحَـجَـاةِ من القَطْرِ (١)

أى تملأتْ كلُّها من الدمع حتى عادت كالحَجَاةِ ؛ وهى نُفأّخة الماء .

ولا أقول : إن الألف فى «ماق» مبدلة من الهمزة، لمكان الردف، لأنهم قد قالوا «ماق» بزنة «مال» وكسَّرُوه على أمواق كأموال، فدل ذلك على أن ألفه منقلبة عن واو ؛ كألف مال. ولو لم نعرف ماقاً مكسَّرا علي أمواق ، لعلمنا أن ألفه منقلبة عن همزة ، لقولهم مَأْق مهموزة .

(وخَــضْــرُ تـثـبـتُ الأبـصــارُ فـيــه   كَـأَنَّ عـلـيــه من حَـدَقٍ نِطَاقَـا)

إِن شئت قلت : إذا نظرته العين استحسنته ، فلم تَعْدُه ، وتثبت فيه . فكثر الناظرون إليه من كل جانب كأنه متنطق بالحَدق .

وإن شئت قلت: تثبت الأبصار فيه لبضاضته ونعْمتَه ؛ فكأن ما ثبت فيه من حَدَق الناظرين إليه نطاق له. وأراد كأن عليه نطاقا من الحَدَق المُحدِق به .

(أَبَاحَ الـوَحْــشَ يـاوَحْشُ الأعــــادى   فَلِمْ تَـتَـعَـرّضِــينَ له الرِّفَــاقَــا)

الوحْشُ مؤنث . ويروى (أَباحَكِ أيُّها الوحش الأعادى) . والأعادى: جمع الجمع : عدو وأعداء وأعادٍ ؛ وأصله أعادِىّ كأفاعى؛ فحذفت إحدى الياءين تخفيفاً، ثم حذفت الأخرى لغير عله؛ وصار التنوين عوضاً منها. وأراد (الأعادىَ) لأنه فى موضع نصب؛ بكونه مفعولاً ثانياً لأباح فاضطره الوزن إلى تسكين الياء . والرِّفاق : جمع رُفقة كحُفرة وحِفار ، وعلبة وعِلاب والمعنى أيتها الوحش ؛ قد أباحك هذا الممدوح أعاديَه قتلهم وصرَعَهم لك ؛ وحكّمك فى أكلهم ، فلِمْ تتعرضين له الرفاق السائرة إليه ، وقد أغناكِ عن الاعتساس(٢) والطلب فيمن أَجْزَرَك(٣) من أعاديه؛ وجَعَله(٤) لك أكيلةً.

---

(١) البيت فى اللسان (حجا) غير منسوب وروايته (أقلب طرفى) وجمع حجاة حجاً مقصور وحجى والحجاة: نفّاخة الماء من قطر أو غيره. وفى التهذيب «وعيناى فيها».

(٢) في م: (الأعشاس) تحريف. والصواب ماأثبتناه عن(ت). ويقال: اعتسى الشئ: طلبه ليلا أو قصده. والاعتساس والاعتسام: الاكتساب والطلب (اللسان–عسس).

(٣) يقال : أجزرتك بعيرا أو شاة: دفعته إليك لتجزره (أساس البلاغة).

(٤) هذه رواية (ت) وفى م: (له).

(إِذا أُنْعِــلْن فى آثارِ قَــومٍ   وإنْ بَعُـدوا جَـعَلْنَهمُ طِرَاقــا)

الطِّراق : مـا أطبقت عليه النعل فَخُرِزَت به ؛ وهو طبقته السفلى. وقيل الطراق : نعل تُطْرح تحت النعل ؛ استظهاراً وتوكيداً. أى أنها إذا أُنْعلت فى طلب قوم أدركتهم فداستهم فصارت أشلاؤهم نعالاً لتلك النعال.

(أَقــامَ الشِّـعْـرُ ينتظر العطَايَا   فلمَّــا فَــاقَتِ الأمْطارَ فَــاقــاً)

انتظر الشعر أن تُحسِن فأشكرُ وأشعُر. فلما فاقت عطاياك الأمطار ، فاق شعرى الأشعار كقول البحترىّ:

فــقــد أتتكَ القَــوافى غِبَّ فــائدة   كــمــا تَفَـتحُ بعــدَ الوابل الزّهَرُ[1]

(يُقَــصِّــرُ عن يَمِــينكَ كلُّ بَحْــر   وَعَــمَّـا لَمْ تُلِقْـهُ مـاَ الأَقــاَ)

لاَق الشئ وألاقَهُ : أمسكهُ . ولاقَ هو نَفْسهُ : أَمْسك . أنشد سيبويه :

تقــول إذا اســتــهلكتُ مــالاً للذةٍ   فُكيــهــةُ هَشَّىءُ[2] بكفــيكَ لائِقُ

يقول : يقصر البحر عن يمينك جوداً ؛ ويقصرما ألاَقَ من الأعلاق، عما بذلته أنت . أى إنما تعطيه أنت أكثر مما يمسكه البحر فى ذاته.

- ٨٥ -

وله أيضا:

(لا الحُلْمُ جَــادَ به ولاَ بَمِــثــالِهِ   لَولاَ ادِّكَــارُ وَدَاعِــهِ وَزِيالِه)[3]

أى مثله لا يستطيع الحُلْم أن يُصوِّره، لأنه أرفع من ذلك . لكنى تذكرته حين تذكرت وداعَه ومزايلته؛ فثبت ما امتثلت منه فى هاجسى؛ فأرانى النوم إياه . فإذن لم يَجدْ لديه إلا تذكُّرَهُ له . وهذا رأى بعض الفلاسفة فيما يراه النائم .

(١) من قصيدة للبحترى مطلعها «فى الشيب زجر له لو كان ينزجر».

(٢) فى الكتاب لسيبويه (٢:٤١٧) يريد (هل شئ) فأدغم اللام فى الشين. والبيت لطريف بن تميم العنبرى.

(٣) مطلع قصيدة له بديوانه ص٢٨٤ يمدح بها سيف الدولة والزيال: المزايلة والمفارقة.

وقال أبو تمام:

زارَ الخيالُ لها لا بل أَزارَكهُ فِكْرٌ إذا نَامَ فكرالخَلْقِ لم يَنَمِ[1]

وإن شئت قلت : إنه بالغ بصفة هجر محبوبه له فقال : لا يسمح لى بمواصلةٍ فى يقظة ولا نوم ؛ وإنما أطلت تذكره ؛ وواصلت ذلك ليلاً ونهاراً حتى رأيت خياله. وأبلغ منه قول الآخر :

«صَدَّتْ وعلَّمت الصدود خيالها»

فهذا يصف أنه لم يرَ خيالها.

(إنَّ المعيدَ لنا المنامُ خيالَهُ كانت إعَادَتُه خيالَ خياله)

أى كنا قبل النوم نتخيل خياله بالتذكر والتفكر ؛ فلما نمنا رأينا خيال ذلك الخيال الذى كنا تخيلناه.

وإن شئت قلت : إنه كنى بذلك عن قلق الزمن الذى استمتع فيه بالخيال . والإعادة بمعنى المُعاد ، وضع المصدر موضع الاسم ولا يكون الخيال هو الإعادة ، لأن الخيالَ جوهرٌ والإعادة عَرَض.

(نَجنِى الكواكبَ من قَلائدِ جِيده ونَنَالُ عينَ الشمس من خَلْخَالِه)

السابق من هذا البيت إلينا ؛ أنَّه شَبَّه دُرَّ قلائده بالكواكب لبياضه، وخلْخاله بعين الشمس لا ستدارته ولونه ، إن كان من ذهب. ولكن ألطف من هذا أن يقول إن هذا المحبوب ممنوع لا تصل اليد إلى العبث بقلائد جيده،ولا تمسُّ خَلْخاله الأيدى، فيقول : من مسَّ قلائده فكأنه جنىَ الكواكب لبُعدها ومناعتها ، ومن نالَ خَلْخاله؛ فكأنه نال الشمس لذلك أيضاً مع التشبيه الذى تقدم ذكره . ولو قال: «وننال الشمس من خَلْخاله» كان كافياً فى المعنى لكن قال :«عين الشمس» لأن هذه الجارحة مستديرة .

وإن شئت قلت: إنه عنى بعين الشمس حقيقة جوهرها ، لأن هذه الجارحة من الحيوان.

(١) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ومطلعها «سلِّم على الربع من سلمى بذى سَلَمِ».

(بِنْتُم عن العين القريحة فيكُمُ وسَكَنْتُم وَطنَ[1] الفُؤادِ الوَالهِ)

فيكم: أى من أجلكم ، كما تقول : هُجرت فيك : أى من أجلك وليست (فى) هنا للوِعاء (وسكنتم وطن الفؤاد): كان يُغْنى من ذلك أن يقول : وسكنتم الفؤاد . ولكنه وطأ بذكر الوطن صنعةً وتسبباً ،إلى حفظ إعراب القاقية وجعل الهاءَ الأصلية فى الواله، لأن العرب تصل بها أصلاً كما تصل بها زائدة . قال:

حوريةٌ أولعتُ باشتهارها ناصلةُ الحَقْوَينِ من إزارِها[2]

يُطرقُ كلبُ الحيِّ منْ حِذَارِها أعْطَيْتُ فيها طائعاً أو كارِها

حديقةً غلباءَ فى جِدارِها وفَرساً أنثى وعبداً فارِها

فوصَلَ بالهاء الأصلية فى قوله كَارِهاً وفارِها كما وصل بالزائدة فى سائر الأبيات .

(فَدَنوتُمُ ودُنُوكُم مِنْ عِنْدِه وسَمَحْتمُ وسَماحُكُم من مَالِه)

أى فكرٌ فيكم فأدناكم فؤاده ، ولم تَدْنُوا أنتم بإرادتكم . فالمَنُّ للفؤاد لا لَكُمْ، وسمحتم وسماحكم من ماله . أى سمحتم له بالزيارة، وسماحكم من لَدُنهُ، لأنه إنما كان لِمَا امتثله خاطركم من ذكراهم، وتصوّر لقياهم . ولما ذكر السماح استجازَ ذكر المال، وإلا فلا حقيقة له.

(إنِّى لأُ بِغضُ طيفَ من أحْبَبتُه إذ كان يهجرنىِ[3] زمَانَ وِصالِه)

إِنما شَنَأ الطيف، لأنه وصله أيام هجر الحبيب له ، وهو المُوجب لزيارة الطيف لأن إمكان الوصل لا يكاد يكون مع خيال، إنما الخيال مع عدمه لما يَحدُث من الشوق والتوق.

---

(١) وهذه رواية الديوان أيضا. وفى التبيان فى المتن (ظَنٌ) وقال فى الشرح ويروى (ظَنٌ الفؤاد) بالظاء المعجمة والنون، يريد فى ظَنِّى وفكرى.
ويروى (طى الفؤاد). وليس بشئ.

(٢) الأبيات الثلاثة فى اللسان (فره) والأول فى (نصل) برواية (ضوربة) مكان (حورية) والروى فيها هو (الراء) و (الهاء) وصل والألف: خروج وقال فى اللسان «إنما عنى أن جفونها ينصلان من إزارها لتسلطها وتبرجها وقلة تثقفها فى ملابسها لأشرها وشرها.

(٣) رواية الديوان (يهجرنا).

وقيل معناه : إذا كان الحبيب يهجرني زمان وصال الخيال، وهذا من الضعف بحيث لا يلتفت إليه . وإنما نقلته تعجباً.

(إن الرياح إذا عَمدْنَ لناظرٍ اغْنَاهُ مُقْبِلُها عن استِعْجالِهِ)

أى لهذا الممدوح من شيمة المبادرة إلى الجود ، مايغنى عن السؤال، كما أن للريح من السرعة ما يغنى عن الاستعجال لها . والهاء فى استعجاله يجوز أن تكون للناظر، فتكون فى موضوع الفاعل، أى عن استعجاله إياها، ويجوز أن تكون للمُقْبل، فتكون الهاء فى موضع المفعول . وذلك أن الاستعجال مصدر ، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول.

(غَرَبَ النُّجومُ فَغُرْنَ دون هُمُومِه وطَلَعْنَ حِينَ طلعن دُون مَنَالَهِ)

أى قد نال ما هو أعلى من النجم، وهمته فى ذلك غير مقتنعة بما نالت، ولا مقتصرة عليه ، فهى تطالبه بما هو أبعد من مطالعها ومغاربها.

-٨٦-

وله أيضا :

(الفاعِلُ الفعلَ لم يُفْعَلِ لِشدَّتِه

والقائلُ القَولَ لم يُتْرَك ولَمْ يُقَل)[١]

أى يفعلُ الذى لم يفعله غيره، بل ع جز عنه وقصَّر، لشدته وثقل مَئُونته، و(القائل القولَ لم يُتْرَك): أى لم يَتْرُكِ الناس اجتهاداً فى أن يقولوا مثله، فهذا معنى قوله «لم يُتْرك» : لكن لم يقدروا عليه، فهذا معنى قوله:«ولم يُقَل». وهو كقول البحترى:

فى غاية طُلبَتْ وقصَّر دُونَها مَن رامَها فكأنها ما تُطْلَبُ[٢]

أى لما كان الطلب علةً للإدراك؛ ثم لم تك هذه الغاية مُدرَكة، كان الطلب كأن لم يكن.

(١) من قصيدة بديوانه (ص٢٧٥) والتبيان(٣:٣٧) ومطلعها:
«أعلى الممالك مايبنى على الأسل».
(٢) من قصيدة بديوانه (ط. هندية ١:٦٢) يمدح بها إسحاق بن إبراهيم.

وتقدير البيت: الفاعل الفعلَ الذى لم يُفعل؛ والقائل القول الذى لم يُقَلْ؛ فحذف (الذى) ومثله كثير؛ أنشد سيبويه:

لَوْ قُلْتَ ما فى قَومِها لَمْ تِيثَمِ — يَفضلُها فى حَسَبٍ ومِيسَمِ[1]

(هو الشجاعُ يَعُدُّ البخلَ من جُبُنٍ — وهْوَ الجوادُ يَعُدُّ الجُبنَ من بَخَلِ)

أى إنه شجاع جواد؛ لأن إحدى هاتين الصفتين منوطة بالأخرى؛ لأن الشجاع يجب له أن يعلم أن البُخل جُبن وهَلَعٌ من الفقر؛ فإن كان بخيلاً فهو ناقص الشجاعة؛ لحذَره من الإعْدام؛ ويُحَبُّ للجواد أن يعلم أن الجُبنَ بخلٌ بالنفس؛ فان لم يك ذا شجاعة فهو ناقص الكرم؛ لبخله بذاته.

فهذا الممدوح قد تَبَيَّن له أن البخل جُبنٌ؛ وإن الجبن بُخلٌ، فلم يرض إحدى هاتين الخطتين دون صاحبتها؛ فشجُع وكَرُم. ومثله قوله هو أيضا:

فقلت إن الفتى شَجاعتُه — تُريه فى الشُّحِّ صورةَ الفَرَقِ[2]

وقد اجادَ ابن الرومى تلخيص ذلك وتسهيلَه ؛ فقال:

البخلُ جبنٌ والسماحُ شَجاعةٌ — لا شكَّ حين تصحَّح التَّحصيلا[3]

جَبُن البخيل من الزمان وصَرْفِهِ — فتهيَّب الإفضال والتنويلا

(وكَمْ رِجَالٍ بلاَ أرضٍ لكَثْرتِهم — تَركتَ جَمعَهُم ارضًا بلا رَجُلِ)

أَى كانوا كثيراً قد غَطُّوا الأرض بكثرتهم حتى خَفِيتْ ، فكأنهم بلا أَرض البَتَّة ؛ يقول : قتلتَهم أَنت؛ حتى عادت تلك الأرض الموطأةُ بكثرتهم؛ أَرضاً لا تَرى فيها رَجُلا. وأوقع (كَمْ) على جميع هذا ؛ لأنها خبر.

قال:

كم دون سَلْمَى فَلَواتٍ بِيد — مُنْضِيةٍ للبازِلِ القَيْدُودِ[4]

---

(١) البيت من شواهد سيبويه (الكتاب ١:٣٧٥) وقال يريد مافى قومها أحد، فحذفوا هذا كما قالوا: لو أن زيداً هاهنا وإنما يريدون لكان كذا وكذا.

(٢) من قصيدته فى أبى العشائر ومطلعها:

لام أناسٌ أبا العشائر فى — جود يديه بالعين والورق.

(٣) لم نهتد إليهما فى ديوانه.

(٤) القَيْدود: الناقة الطويلة الظهر. قيل وزنه: فَيعُول، من القود. (اللسان- قدد).

وقوله: (تركت جمعهم أرضا بلا رَجُل) جملةٌ فى موضع جر، لأن موضع (كم) هنا رفع بالابتداء.

(يَا مَنْ يَسيُر وحُكْمُ النَّاظِرينَ لَهُ فيما يَراهُ القلب فِى جَذَلِ)[1]

أى قد أطاعتك آمالكُ ، وحكمكَ الزمان فى نيلك كل ما سعيت إليه، وبنَيْت هواك عليه، فما تقع عيناك من المرئيات إلا على ما يسُرهما ويؤديان به إلى فؤادك ما يخبرك ويسرك. وقال: وحكم الناظرين وحكم القلب: أى حكم ناظِرَيه وحكم قلبه. وكلتا الجملتين فى موضع الحال من الضمير فى الفعل، أعنى (يسير) أى: يا من يسير مسروراً جَذِلَ الفؤاد.

(أَجْرِ الجيادَ على ما كُنت مُجْرِيَها وخُذ بِنفسِكَ[2] فى أخْلاقِكَ الأوَلِ)

السابق إلىَّ من هذا البيت، أنه رأى منه تغُيراً عما كان عليه من تفضيله على من سواه من الشعراء، فقال له: اعْدِل كما كنت فاعلا.

وأما ابن جنى فقال : سألته عن هذا فقال : كان سيف الدولة قد ترك الركوب أياماً، فحضضته بذلك على المُعاودة.

-٨٧-

وله أيضا:

إِذَا كان مَدحُ فالنَّسيبُ المقَدَّمُ أَكُلُّ فَصيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ[3]

من شأن الشعراء إذا أرادوا المدح، أن يقدِّموا النسيب . هذا هو الأغلب، حتى سَمَّوا الشعر الذى لا يُصدَّر بالنسيب خَصياً ،حُكِى هذا عن أبى زيد.

فالمتنبى قد خَرَق فى هذا الشعر عادتهم، وأنكرها عليهم، وجعل ابتداء شعره مدح سيف الدولة . ثم قال:(أكلُّ فصيح قال شعراً مُتَيَّمُ) ؟هذا فى اللفظ إنكارٌ، ظاهره استخبار، وهو فى الحقيقة خبر منفىّ. أى ليس كل فصيح شاعراً مُتَيَّماً، فيلزمه النسيب إذا مدح،

---

(١) فى الديوان: (الجذل).
(٢) رواية الديوان (النفسك).
(٣) مطلع قصيدة له فى سيف الدوله بديوانه (٣٠٢) والتبيان (٣: ٣٥٠) والبرقوقى (٢: ٢٤٩).

(فَـجَـازَ له حُـتى على البـدرِ حُكْمـهُ وبأنَ له حـتَّى على البـدرِ مـيـسَمُ)

أى إذا سَارَ أثار الغبارَ، فحكم على الشمس بالاسوداد. وهو ضدٌّ لونها. وَإذا سَارَ ضاعفَ الغبار. وكَلَّفَ البدر. والمِيسم على هذا القول من الوَسْم ـ الذى هو العلامة بالنار والقطع، وليس بآلة هنا، إذا لا معنى لذلك، وقيل المِيسَم هنا الحُسن. أى فاق البدرَ والأول أولى.

وتقدير البيت: فجاز له حُكمْ على كلِّ شيء، حتى على الشمس. وبان له وسْمٌ على كل شيء، حتى على البدر. وينبغى أن يكون الفعل مَنْوياً مع حتى، كأنه قال: حتى جاز على الشمس، وحتى بان على البدر، أى إلى أن. ولا تكون حتى هنا حرف غاية، وتكون داخلة على «على» لأن حتى وعَلَى حرفان ،ولا يدخل حرف على حرف. فلا بد من تقدير حتى(بإلى أن). وإذا قدرتها بإلى أن، فقد حصل الفعل؛ لأن «أَنْ» لابد لها من الفعل.

(وَلاَ كُتْبَ إلا المَشـرفَيـَّةُ[1] والقَنا ولا رُسْلُه إلا الخـمـيسُ العَـرَمْـرَمُ)

أى الذى يقوم له مَقام الكتب ، إنما هو السُّيوف.والذى يقوم له مقام الرُسُل، إنما هو الجيش العظيم، يُهْديه إلى عَدوِّه. وإنما نفى الإخلاد إلى الكُتب والرسل، لأن ذلك تأنّ، وأَخْذٌ بالهُوَيْنى.

(يَطَانْ من الأبْطَـــالِ مَنْ لا حَـمَلْنَهُ وَمِنْ قِـصَـدِ المُـرَّانِ مـاَ يُقـومُ)

القِصَد: كِسَر الرماح، واحدتها: قِصْدة. وَالمُرَّان: وَشيج[2] الرماح إذا لأنَ وتَخَلَّق، من المَرانة؛ وهى اللين، ألا تراهم قالوا فى هذا المعنى: رمح لَدْن . واللُّدنة : اللِّين. ومن هنا زعم سيبويه أنه إذا سَمَّيْتَ بُمرَّان[3] صرفته ؛ لتصوره مَعنى من اللين فيه. ومعنى البيت: أنَّ خيلَه يَطَأْنَ من أعدائه، من لم يَحْمِلْنَه . فوضع الماضى موضع المستقبل.

---

(١) رواية الديوان(المشرفية عنده... ولارسل).

(٢) فى اللسان (وشج) الوشيج: شجر الرمان واحدتها وشيجة.

(٣) قدّر سيبويه النون فى(المرّان) أصلية، فلذلك لم يمنع المسمى به الصرف، وإنما يمنع من الصرف إذا كانت الألف والنون فيه زائدتين مثل غضبان وجوعان.

وقال سيبويه (٢:١١) وسألت الخليل عن رجل يسمى (مرّانا) فقال: اصرفه، لأن المرّان إنما سمى للينه فقال: هو فُعّال، وإنما المرّانة: اللين.

وإنما توضع الأفعال بعضها موضع بعض فى غالب الأمر مع الحروف نحو قولك: إن فعلتَ فعلتُ: أى إن تفعلْ أفعلْ، وقولك: واللّه لافعلتُ، تريد: لاأفعلُ،

(ومِن قِصَد المُرّان ما لا يقوّمُ) أى قد بالغت فى تحطيم الرماح وتَعْويجها ، حتى ليس فى الإمكان أن يُجْبرَ عَنْ كسرها؛ ولا أن يُقوِّم مُنَادُها[1].

وقيل: (من لاَ حَمَلْتَه)[2]: دعاء للمدوح : أى لا غَلَب عِداهُ حرابه، فيملكوا خيلهم.

والأول عندى أولى ، لقوله:(ومن قِصَد المُرّان ما لا يقوّم) فهذا خبر، إلا أن تضع (يقُوِّم) موضع (قُوِّم) فَيتوَجَّه معنى الدعاء، وقد يجئ لفظ الدعاء مساوياً للفظ الخبر ، كما يكون ذلك فى الأمر وَالنهى، كقول الشاعر، أنشده يعقوب:

كَملْقَى عِقالٍ أو كَمَهلِكِ مَالكٍ ... وليس لحيٍّ هالك بوصَيلِ[3]

وقال الهُذَلى[4].

لَيْسَ لِمَيْتٍ بوصيل وَقَدْ ... عُلِّق فيه طَرَفُ المَوصِلِ

فمعنى هذا كله : ولا وُصِل هذا الحىّ بهذا الهالك . وهذا دعاء قد خرج على لفظ الخبر، ومثله كثير.

(يُقرُّ له بالفَضْلِ من لا يَوَدُّهُ ... وَيقْضِى له بالسَّعِد من لا يُنَجِّمُ)

أى إن فضله ذائع شائع، يضطر عداه إلى الإقرار به له، تنكُّباً لخرق الإجماع، وعلماً منهم أنهم أنكروا[5] ولم يقبل ذلك منهم، فكان دليلا على تعسفهم؛ كقول البحترى:

---

(١) منآدها: معوجها، والكلمة سقطت من ت.

(٢) (لا) إنما تفيد معنى الدعاء إذا دخلت على الفعل الماضى نحو قول أبى العلاء

لاأوحشت دارك من شمسها ... ولاخلا غابك من أسده.

(٣) انشده فى اللسان (وصل) للغنوى. وعجز البيت «وليس لميت هالك بوصيل» ثم قال: ويروى «وليس لحى هالك بوصيل».

دعاء لرجل، أى لاوصل هذا الحى بهذا الميت. أى لامات معه ولاوُصل بالميت.

(٤) هو المتنخل الهذلى. والبت فى ديوان الهذليين (١٤:٢) واللسان (وصل) وقد أنشده يعقوب بن السكيت فى إصلاح المنطق ص٢٢٠.

(٥) أى أشد إنكارا لفضائل الممدوح لأنهم أعداؤه.

لا ادّعِى لأبى العــلاء فــضــيلةً حــتى يسلِّمــهــا إليــه عِــداهُ[1]

(ويَقضى له بالسَّعدِ من لا ينُجِّمُ): أى قد عهد سعيداً ميموناً مدركاً لكل من طلب فيقاس بماضى أفعاله وحاضرها على[2] مستقبلها.

(أجَــارَ على الأيام حــتى ظَنَنْتُــه تُطالبُــه بالرَّد عَــادٌ وَجُــرْهُمُ)

(أجار على الأيام): حمى منها ومَنَع ، وجعل نفسه ملاذاً للناس منها حتى ظننت أن الغابرين من الأمم ستطالبه بأن يردَّها إلى الحياة، وأن يُعْدِيَها على الأيام التى تَحيَّفْتها وأهلكتها، وخص عاداً وجرُهماً لقدمهما. وإن شئت قلت: لعظمهما.

(كَاجْناَسِهـا رَاياتُهـا وشِعَـارُها وَمـآ لَبِسَتْـه والسـلاحُ المُصَـمَّم)[3]

عسكر العرب قبيلةٌ واحدة. فخيله وسلاحه وملبوسه كلُّه عربيّ، وإنما مدح عسكره بذلك، لأن الجيش إذا كان من قبيلة واحدة كان أشدُّ لبأسها. هذا قول أبى الفتح.

والذى نؤثره نحن، أن عسكر العرب إنما هو كما قال، ألا ترى أن النابغة قد قال:

وَثِقت لهم بالنصـر إذْ قـيل قَـدْ غَـزَت كـتـائبُ من غـسَّـانَ غـيـرُ أَشَـائب[4]

وهى التى تسمى الجَمرْة[5]. ومنه قول الحطيئةلعمر بن الخطاب: (ياأمير[6] المؤمنين،كُناَ ألف فارس، ذَهَبةً حمراء: أى لم يختلط بنا أحد. فهكذا عسكر

(١) من قصيدة البحترى التى أولها: «أرج لرباطلة رباه» ديوانه (ط. الجوانب ١:١٩١).
(٢) كذا فى الخطيتين وظاهر أن (على) مقحمة من الناسخ وهى تفسد المعنى لأن مراده قياس المستقبل من أفعاله بالماضى لاالعكس.
(٣) (المصمم) هى رواية ابن سيده. أما رواية الديوان والواحدى والتبيان فهى (المسمم) ويقال: سيف مصمم: ماض فى الضريبة (أساس البلاغة).
(٤) البيت للنابغة فى ديوانه وأنشده اللسان وأساس البلاغة (أشب) يقول: وثقت للمدوح بالنصر لأن كتائبه وجنوده من غسان وهم قومه وبنوعمه.
(٥) قال فى اللسان (جمر): والجمرة: القبيلة لاتنضم إلى أحد، وقيل هى القبيلة تقاتل جماعة قبائل وقيل: هى القبيلة يكون فيها ثلثمائة فارس أو نحوها، والجِمرة: ألف فارس. يقال: جَمْرة كالجمرة. وكل قبيل انضموا افصاروا يداً واحدةولم يحالفوا غيرهم فهم جَمْرة.
وذكر اللسان عن الليث: الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم، لايحالفون أحدا ولاينضمون إلى أحد. تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس.
(٦) عبارة اللسان (وفى الحديث عن عمر أنه سأل الحطيئة عن عبس ومقاومتها قبائل قيس فقال: ياأمير المؤمنين كنا ألف فارس كأننا ذَهَبة حَمراء لانستجمر ولانحالف. أى لانسأل غيرنا أن يجتمعوا إلينا لاستغنائنا عنهم).

العرب . فأما عساكر الملوك فكلّما تنوعت أجنادها، كان أعظم لُملكها، وأقدر لملِكها، (لأنه متى تغيرت حربٌ ما، قوم بحرب آخر)[1] فيقول إن أجناس عسكر هذا الملك كثيرة مختلفة بالنوعية، فينبغى أن تختلف أيضاً أعلامها وبزتها وسلاحها ، لكل نوع من أنواع الخميس زِىّ يخالف زِىّ صاحبه كقوله هو يصف عسكراً:

تَجَمَّع فيه كل لِسْنٍ وأمة   فما تُفهِمُ الحُدَّاث إلاّ التراجمُ[2]

وتقدير البيت راياتُها وشعارها وسلاحها كأجناسها . أى أن هذه المحمولات كلها متنوعة فى ذاتها، كما أن الحاملين لها متنوعون . والتنوع الذى ذكرناه فى هذاالبيت ؛ إنما هو تنوع بالنَّسب، وتنوع بالصورة، لا تنوع بالفصول الذَّاتية، ولو قال هو كأنواعها ، لكَان أشبه ، ولكنه آثر كلام الجمهور.

(بغُرَّته فى الحربِ والسِّلم والحِجاَ   وَبذْل اللُّها والحمدِ والمجدِ مُعْلَمُ)

أى أَنه مُعلَم بغرته فى هذه الفضائل كلها مَطْرور بها . ذهب إلى شهرته وجَهْرَتِه[3].

(ضَلالاً لِهَذِى الريح ماذا تُريدُه   وهَدْياً لهذا السَّيْلِ ماذا يُؤمَّمُ)

دعا على الريح،لانها عارضت سيف الدولة فآذت ، ودعا للغيث ، لمشاكلته إياه فى طبيعة الجود.

(تَلاَكَ وَبعضُ الغيث يتَبْعُ بعَضَه   من الشَّامِ يتْلُوُ الحاَذقَ المتعلِّمُ)

تَلاَكَ يعنى الغيث، ويخاطب الملك ، وكان الغيث قد صحبه من الشام إلى ميَّافارقين (وبعض الغيث يتبع بعضه) : أى أنك غيث ، فلا تلم الغيث فى اتباعه إياك ،لأن بعض الغيث يتبع بعضاً. و(من الشام) : متعلق بتلاَك، أى تلاك هذا الَغيثُ يتبع بعضاً . و(من الشام): متعلق بتلاَك، أى تلاك هذ الغيثُ من الشام.

(يتلو الحاذِقَ المتعلمُ) : إما أن يكون هذا على المَثلَ ، فيكون الحاذق والمتعلِّمُ نوعين، أى كل حاذق يتلوه مُتعلِّمه، من أى الطبقات كان. فهذا وجه المثل الكلىَّ.

---

(١) هذه العبارة وردت هكذا فى الخطيتين.
(٢) من قصيدته التى مطلعها : «على قدر أهل العزم تأتى العزائم».
(٣) يقال: فلان جهير: بيِّن الجهارة إذا كان ذا جهرة ومنظر تجتهره الأعين (أساس البلاغة).

وإما أن يَعنى بالحاذق سيفَ الدولة ، وبالمتعلِّم الغيث ، أى سيف الدولة هو الحاذِق بسلوك طريقة الجود ، والغيثُ مُتَعَلِّمٌ منه ، فهو يتبعه لذلك.

ولو اتزن أن يقول : يتلو المُعَلِّمَ، المتعلِّمُ لكان حسناً لمقابلة الفاعل بالمفعول ، ولكن فى الحاذق مَزِيَّةٌ، إذ ليس كلُّ مُعَلم حاذقاً.

(أَلَمْ يسأَلِ الوَبْلُ الذى رَامَ ثَنْيناَ   فَيُخبره عنكَ الحديدُ المُثَلَّمُ)

أى: ألم يسأل الوبلُ الذى أراد صَرفَنَا عن وجهنا، الحديدَ المَثلَّمَ فيخبره عنك، أنه لم يجد فيك مَطْمَعا، ولا لصَرْفك مَوضِعاً. فكيف يَروم الغيث من كفك وصرْفك، ما عجز عنه الحديدُ، الذى هو أقدر على ذاك منه. فالعامل فى هذا البيت الفعل الآخر، الذى هو (فيخبره)[1]. وهذا كقولك:ضربتُ وضربنى زيد، أى ضربت زيداً، وضربنى زيدٌ.

فخذف لدلالة الثانى عليه. وقد أبان سيبويه[2] ذلك وقال: إنه كلام العرب، أوأكثر كلامها. يعنى إعمالَ الثانى. ولو أَعْمل الأول لقالَ الحديدَ المثلَّم ويضمرفى (يخبر) كأنه قال: ألم يسأل الوبلُ الحديدَ المثلَّم فيخبره، وهو كقولك: ضربت وضربنى زيدا، أى ضربت زيداً وضربنى.

(١) يريد أن كلا من الفعلين (يسأل) و(يخبر) قد تنازعا العمل فى معمول واحد وهو (الحديد) ونحاة البصرة يؤثرون إعمال الثانى بالعمل لقربه ونحاه الكوفة يؤثرون إعمال الأول.
والعمل فى بيت المتنبى (ألم يسأل الوبل.... فيخبره عنك الحديد المثلم) هو للثانى دون الأول قال ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا فى اسم عمل   قبل فللواحد منهما العمل
والثانى أولى عند أهل البصرة   واختار عكسا غيرهم ذا إمره.

(٢) أبان سيبويه تنازع العاملين فى المعمول فى الكتاب (١: ٣٧) فى باب (الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى به وما كان نحو ذلك) قال: وهو قولك: ضربتُ وضربنى زيدٌ ، وضربنى وضربت زيداً تحمل الاسم على الفعل الذى يليه... وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره.
وقال فى ص ٣٨: ولو لم تحمل الكلام على الآخر لقلت: ضربتُ وضربونى قومك وإنما كلامهم ضربت وضربنى قومك اهـ.

-٨٨-

وله أيضا:

(وَمَنْ صَحِبَ الدنيا طويلاً تَقَلَّبَتْ   عَلى عينهِ حتّى يَرَى صِدْقَها كذْباَ)[١]

أى لا صدْقَ أصدقُ من العيان، وبه تَثْبُتُ حقيقة البُرهان. فيقول : من عرف الدنيا عَلِمَ أن ما يراه عياناً مما يسرُّه، لا يلبث أن يزول، فيعقبه ما يسوءُه. فكأن ذلك الصدق المدرك بالعيان كَذبٌ . و(طويلا)[٢] هنا: نصب على الحال ولايكون على الظرف، لأن طويلاً ونحوه صفة، وليس بحين يقع فيه الفعل، ولذلك اختار سيبويه[٣] فى قولهم:(سِيْر علَيه حسنًا وشديدًا ونحوهما) أن يكون أحوالا لا ظرفاً، لما قدمنا.

(لَقَد لَعِبَ البَينُ المُشِتُّ بِهاَ وَبِى   وَزَوَّدنِى فى السَّيرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّاَ)

يعنى ما زودُ الضبِّ[٤] العَدمَ،وإن كان لفظه لفظ الوجود. أى لم يُزَوِّدنى شيئاً بقدر ما يشْربُ الضبُّ من الماء. والضبُّ لا يشرب الماءَ ألبَتَّة، إنما يستروح النسيم.

(إذا الدَّولةُ استَكفَتْ به فى مُلمَّةٍ

كَفَاَهاَ فَكانَ السَّيفَ والكَفُّ والقَلْبَاَ)

استكْفتْ به: أى طلبت الكِفاية. ولو قال استكْفَتهُ فاتَّزن، كان (مثل) استغفرت[٥] اللّه واستعجلت السير.

---

(١) من قصيدة له فى مدح سيف الدوله مطلعها:

فدينك من ربع وإن زد تناكربا   فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

(٢) ما المانع من إعراب (طويلا) صفة للمفعول المطلق، أى (اصطحابا طويلا) أو صفة لاسم زمان نحو (عصراً طويلا) فيكون ظرفا.

(٣) قال سيبويه فى (الكتاب ١:١١٦) إن سائلا لوسألك فقال: هل سير عليه شديدا، وسير عليه حسنا، فالنصب فى هذا على أنه حال وهو وجه الكلام. لأنه وصف السير ولايكون فيه الرفع، لأنه لايقع موقع ماكان اسما، ولم يكن ظرفا لأنه ليس بحين يقع فيه الأمر، إلا أن تقول: سير عليه سير حسن، أو سير عليه سير شديد.

(٤) الضب: حيوان معروف يضرب به المثل فى الحيرة فيقال: أحير من ضب ، لأنه إذا خرج من حجره لايهتدى إليه بعد أو بته.

(٥) يريد: لو قال المتنبى (استكفته) لكان الفعل متعديا بنفسه لابحرف الجر مثل استغفرت الله من الذنب، واستغفرت الله الذنب ومثل: استعجلت فى السير واستعجلت السير.

(كفاها فكان السيف والكف والقلب): أى كان هو الجامع لهذه الثلاثة، وذلك أن السيف لا يستغنى عن الكف ، والكفُّ لا تقبض عليه حتى يؤيدها القلب. وقد قال فى تحقيق هذا:

وَلَكِنْ إذا لم يحمل القلبُ كفه على حاله ، لم يحمل الكفُّ[1] ساعدُ

(فَبُورِكْتَ مِن غَيثٍ كَانَّ جُلودنا به تُنْبِتُ الدِّيباجَ والرِّيطَ[2] والعَصْبَا)

العَصْب: برود اليمن، جعله كالغيث وجعل جلودهم كالأرض التى إنما تُنْبِت بالغيث . فان شئت قلت : كَنَى بالديباج والريط والعصب عن نَعْمة جلودهم وما يعلوهم من الخير . وإن شئت قلت : كنى به عما تَهَب لهم من الكُسَا، وإن شئت قلت : إنَّ الغيث يُنْبِت الرياض ، وجلودُنا بنداك تنبت ماهو أحسن من الرياض : عَصْباً وديباجاً.

(ولكنه وَلَّيَّ وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ إذا ذَكرَتها نَفسُه لَمَسَ الجَنبْاَ)

سَوْرَة : حِدَّة وارتفاع : أى إذا ذكر سَوْرَة الطعنة لم يصدق أنه نجا منه فلمس جنبه ، ليعرف هل أصابه الطعن أم لا ؟ كقول أبى نواس:

إذا تفكرتُ فى هواىَ له لمستُ رأسى هل طار عن جسدى[3]

يعنى أنه يَهْوَى ممتنعاً عزيزاً.

(فأَضْحَى كأن السُّور من فوقُ بَدْؤهُ

إلى الأرض قَد شَقَّ الكواكب والتُّرْبا)

(من فوقُ): مبنى على الضم لحذف المضاف إليه. وبدؤه : ابتداؤه أى أن هذا السور فوقَه قد شق الكواكب إلى ما فوقها ؛ وأسفله قد شق التربَ إلى ما تحته ، كقول السموءل بن عادياء يصف حِصْنا:

(١) من قصيدة بديوانه (٢٦٣) والتبيان(١:٢٦٨) ومطلعها «عواذل ذات الخال فىّ حواسد» وفى م (آلة) فى موضع (حاله).
(٢) رواية الديوان: «والوشى».
(٣) ديوان أبى نواس :٤٢٥.

رَســا أصلُه تحت الثَّــرَى وســمــا به   إلى النجـــم فــرْع لا يُنَال طَويلُ[1]

فكأنه قال من السماء بدؤه إلى الأرض. وإذا كان من السماء إلى الإرض، فهو لا محالة من الأرض إلى السماء. وإن كان المبدأ الصحيح إنما هو من الأرض.

-٨٩-

وله أيضا :

(أُعيذُها نَظَراتٍ منكَ صَادِقَـــةً

أن تَحسِبَ الشَّحْمَ فيمَن شحمُــهُ وَرَمُ)[2]

أى : أُجِلُّ نظرك الصادقَ المصيبَ ، أن تظنَّ بى حُسن حَالٍ ، لما يظهر لك من شارتى، وإنما ذلك تَجمُّل لا غِنًى ، فنظرُك هذا يُنبئُك[3] الأمْر بخلاف ماهو به . ويكون النظرُ ها هنا ظُنّه الخَير فيمن لا خير فيه ؛ والأول أشبه[4]

(إذَا تَرَحّـلْتَ عــن قَومٍ وقَد قَدَرُوا   ألاَّ تُفارِقَــهُــمْ فــالــرَّاحِلُــون هُــمُ)

أى إذا قدرُوا على إغنائى عن مُفارقتهم ، ثم اضطرونى إلى فراقهم [فُهُم][5] المخلُّون بى حقيقة. وإن كنت أنا المخلّ[6] بهم ، لأن سبب إخلالى بهم إنما هو سبب إخلالهم بى .إذْلو شاءوا أن لا[7] أرحل عنهم لم أرحل.

(وقد قَدروُا) :جملة فى موضع الحال. وجاز أن يكون حالاً من قوم، وإن كان نكرة، لأن فيه معنى العموم، ولولا هذه الواو، لكان أولى من ذلك أن تكون الجملة فى موضع الصفة للنكره. فأما مع الواو فلا تكون، لأن الصفة

(١) البيت من قصيدة للسموءل بديوان الحماسة (١:١١٤) بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد أمين.
(٢) من قصيدته التى مطلعها «واحر قلباه ممن قلبه شبم».
(٣) فى م: ينسيك ولعها (ينبئك)
(٤) فى م: أسبق. والصواب ماأثبتناه.
(٥) [فهم] ساقطة من الخطيتين، وهى ضرورية لأنها جواب الشرط.
(٦) يريد: المخل بهم فى ظاهر الحال لا فى حقيقة الأمر.
(٧) الخطية م: (أن) فى موضع (أن لا) بسقوط حرف النفى (لا)

والموصوف كالشيء الواحد. فإذا عطفت الصفة على الموصوف فكأنك عطفت بعض الاسم على بعض، وهذا ما لا يَسوغ. وأما الحال فمنفصله من ذى الحال ،فجاز الفصل بينهما لذلك.

(وَشَرُّ ماقَنصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ   شُهبُ البُزَاة سَواء فِيه والرَّخَمُ)

أى: أنا فى الشعراء كالبازِى فى أنواع الطير، والشعراء غيرى كالرَّخَم ، وبين البازى والرخَمة من الفضل ما قد عُلم. فيقول: إذا تساويتُ أنا ومن لا قُدِّرَ له[1] فى أقدار عطاياكَ، فكان له منها مالى، فأىُّ فضل لى عليه، وإن كنت فاضلاً له ؟ يقول: إما أن تُمَيِّزنى على غيرى من الشعراء، وتُبقِى عطاياك لهم كما هى، وإما أن تُبْقِى عطاءَك لى كما هو، وتُنزلَهم عنه، ليكونوا دُونى [فى[2]] النَّوال ، كَما هُم دُونِى فى المقال.

وخَصَّ شُهب البزاة لأنها أفرهُهُنَّ وأقْنَصُهُنَّ. وقد قيل إن البزاة كُلها شُهْب. فليس إذن على طريق التخصيص ، وإنما هو على حسب الصفة التى البزاة بها.

(وَمُهجةٍ[3] مُهْجِتى مِن هَمِّ صاَحِبها   أدْرَكْتُها[4] بِجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ)

أى: وُربَّ ذى مهجةٍ طلب منى ما طلبت [منه][5] فلم ينلنى ونلُته أنا. بجواد ظهره حَرَمُ: أى من ركبه ولاذَ به لم يُنَل، ولا قُتل، كما لا يُقْتل اللائذُ بالحرم.

(رِجْلاهُ فى الركْضِ رِجْلٌ واليَدَان يدٌ
وفِعْلُه ما تُريدُ الكَفُّ والقَدَمُ)

أى : إنه يَطْفِرُ[6]، فَتَقَعُ رجلاه معاً كأنما هما رجْل واحدة. وكذلك تقع يداه، فكأنهما يد واحدة. (وفعله ما تريد الكفُّ) إذا ضَرَبَتْهُ، والقدم إذا ركضتْه.

(١) فى م: (من تدركه) تصحيف.
(٢) [فى] زيادة بها تصح مقابلة الجملة بما بعدها.
(٣) البيت متقدم فى الديوان عن قوله «إذا ترحلت عن قوم.......»
(٤) هذه رواية الديوان والتبيان، ورواية ابن سيده «أدركته».
(٥) [منه] زيادة يحتاجها المعنى ونظيره قول صاحب التبيان: طلب نفسى كما طلبت نفسه.
(٦) طفر (كضرب): الطفرة أخص من الطفر، وهو الوثوب فى ارتفاع كما يطفر الإنسان الحائط إلى ماوراءه.

يقول : فهو يُغنى فارسه أن يضربه بسَــوْط، أو يركضة بعقبيه؛ ليستدرَّ بذلك جَرْيَتَه ، ويستمرئَ مِشيته.

-٩٠-

وله أيضا:

(أَشْكُو النوى ولهُمْ مِنْ عَبْرَتِى عَجَبٌ

كَذاكَ كُنتُ وما أشكوُ سِوَى الكِلَلِ)[١]

أى : عجبوا من بكائى وقد غيبُّها البُعد ، وكذا كان دمعى وهى حينئذ قريبة لا تغيِّبها عنى إلا الكِلَل. فكيف يعجبون من بكائى الآن.

فقوله: (وما أشكو سِوَى الكلل): جملة فى موضع الحال. كأنه قال: كذلك كانت عَبْرتى وهذه المحبوبة قريبة. وجعل (سِوَى) ها هنا، اسما، فموضعها نُصِبَ بأشكو. وهو فى قوة قوله: وما أشكو شَيئاً سِوَى الكِلَل. وحَسن ذلك أنه فى معنى: وما أشكو إلاَّ الكِلَل.

(مـاَبالُ كُل فُـؤادٍ فى عَشيـرتِها بِه الّذِى بِى وَمَا بِى غَيـرُ مُنْتَـقِلِ)

أى به من الحب لها مثل ما بى. والذى بى مع ذلك منتقل. وكان القياس، إذْ كان بهم مثلُ ما بى، أن ينتقل عنى حبُّها.

وقيل معناه: به مثلُ الذى بى. والذى بى ثَّابت. فالذى بِهِـمْ أيضـاً ثابـتٌ لا ينتقل. والفؤاد هنا يجوز أن يعنى به الطائفة التى هى موضع الحب، أعنى القلب. ويجوز أن يعنى به كل سيّد فى عشيرتها، لأن الفؤادَ من أشرف طوائف الجسم. وهذا كما يسمى الشريف.عَيْنا لأن العين أشرف الحواسّ، وألطف جوهراً، فيكون كقول أبى تمام:

وسْنى فما تصطادُ غير الصَّــيدِ[٢]

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص٣٣٦) والتبيان (٣:٧٤) ومطلعها:

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل   دعا فلباه قبل الركب والإبل

والكلل: جمع كلّة (بكسر الكاف) وهى ستر رقيق بتوقى به من البعوض ونحوه ينصب حول النائم. ويقال له فى زماننا (نَاموسية).

(٢) عجز بيت من قصيدة لأبى تمام مطلعها «أرأيت أى سوالف وخدود»

وصدر البت: «وحشية ترمى القلوب إذا اغتدت».

(مُطَاعَةُ اللَّحظِ فى الألْحَاظِ مَالَكَةً لِمُقْلَتَيْها[1] عظيمُ المُلكِ فى المُقَلِ)

أى إذا رأت العيون عينَها، ملكت عينُها العيونَ، فلم تقدر أن تتعداها إلى غيرها. فكأن عينها للعيون مَالِكة ، بمنعها إياها التصرّف ،والمالك مُطاعٌ

والألحاظ : جمع لحظ . على أنه سمَّى العين لحظا، ثم جمعه، وإلا لم يُسوِّغْ جمع المصدر إلا أن تكون العرب قد صَرَّحت بجمعه.

ونظير الألحاظ قولهم (الأسماع). إنما سمى موضع السَّمع بالمصدر، ثم كُسِّر. ولو قيل إنه اعتمد اللحْظ الذى هو المصدر مختلف الأنواع ثم كسره، كما كسرت الحلوم والأشغال، لكان وجها، إن كان ثبت عنده له سماع، يثبت أن المصدر الذى هو (اللَّحْظ) يُجْمَع.

ولو قال (عظيم المِلْك) بالكسر، لكان أَشبه بمالك، كما أنه لو قال (ملكه) واتزن ذلك؛ لكان ضم الميم فى (المُلك) أشبه بملك، لأن المعروف مالك بين المِلْك ومَلِكٌ بين المُلك. ولكنه لما قال عظيم وكان (المُلك) أفخم من (المِلْك) (اختار المُلك). وحَسُن ذلك، لأن البيت يشتمل بذلك على المِلْك الذى هو أعمُّ من المُلْكْ بقوله :(مالكةً، وعلى المُلك الذى هو أشرف من المِلْك.

(تَشَبَّه[2] الخفِرَاتُ الآنِساتُ بَهاَ فى مَشيها[3] فَيَنلنْ الحُسنْ بالحِيلَ)

الخَفرةُ: الحَيِيَّة. والآنسة: المتحبِّبة. أى كل امرأة حَسنة مقصِّرة عن حُسنها، تشَّبهُ بها فى مِشْيتها، فَيغيبُ حسن المَشىْ بقصر حسنها. فتنال الحُسْن بالتَّحيُّل. وحَسُن التشبّه. بها فى المشْى، لأن غير ذلك من أنواع حسنها لا يُقدَر على محاكاته.

(وَقَدْ أَرَانِى الشَّبَابُ الرُّوحَ فى بَدَنِي

وَقَدْ أرَانى المَشيبُ الروحَ فى بَدَلِي)

أى قد كنت فتى يُرينى شبابى رُوحى فى بَدَنى لا أُوذَنُ بنُقلته، ولا أستشعر قرب رحلته، فلما شِبتُ أيقنت أنى قَرُبت إلَى الموت وإلى فراق الدينا، ليعمُرها

(١) لمقلتيها: خبر مقدم عن (عظيم الملك).
(٢) فى م : تشبه الآنسات الخفرات....) ولايتزن.
(٣) وهذه رواية الديوان أيضا وفى م: حسنها.

بَدَلى؛ أى غيرى. فكأن رُوحه قد فارقه حين تيقَّن بإنذار المشيب أنه[1] له مُفارقٌ. وقد قال هو فى هذا المعنى يصف الدنيا :

تَمَلَّكهـا الآتى تَمَلُّك سَـالبٍ وفـارقـهـا المـاضى فِـرَاقَ سَليبِ[2]

أى كأن الآتى سَلَبَ الفانى رُوحَه.

وذكر أن الحسن البصرى[3] مَرّ بمكتب[4]؛ فبكىَ فقيل له ما يبْكيك فقال: اعتبارى من هؤلاء الصبيان، كأنهم يقولون: انصرفوا قد بُعِثْنا أبدالَكُمْ[5]. إلا أن المتنبى تصور روحه فى غيره والحَسَن لم يفعل ذلك.

(وَقَـدْ طَرقْتُ فَـتَـاةَ الـحىِّ مُـرتَدِياً بصَـاحِبٍ غَـيْـرَ عِـزْ هَاةٍ وَلاَ غَـزِلِ)

الفـتـاة: أنثى الفـتى، كـقـولهم: غـلاُم وغُـلامـة، ورجل ورَجُلة[6]. والطُّروق: الإتيان ليلاً. وأضافَ الفتاةَ إلى الحىّ، تفخيما لشأنها، وإشادة بمكانها، كقوله:

ولكنَّ قَلْبى يا ابنة القَومِ قُلَّبُ[7]

وأراد بالصـاحب: السـيف لأن الصـعلوك لا يفـارق سيفَه، فـأشـعـر أنه مُتَـصَـعْلِكٌ بقـوله: إن السـيف صـاحبٌ له. والعِزْهاةُ: المـاقت لحديث النسـاء ومجالستهن. والغَزِلُ : ضدُّه.

(١) (أنه): أى الروح. والروح يذكر ويؤنث.

(٢) من قصيدة له مطلعها:

لايحزن الله الأمير فإننى لآخذ من حالاته بنصيب

(٣) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى، شيخ التابعين. قال ابن سعد فى الطبقات كان عالما جامعا رفيعا ثقة مأمونا ناسكا، كثير العلم فصيحا جميلا. ولد سنة٢١هـ وتوفى سنة ١١٠هـ

(٤) المكتب والكتاب (بضم أوله) المكان الذى يتعلم فيه الصبيان الكتابه والقراءة.

(٥) فى م (ليدلكم) تحريف.

(٦) الأصل فى تاء التأنيث أن تكون للفرق بين المذكر والمؤنث فى الصفات وأما الأسماء الجامدة، فقلما تدخل التاء على مؤنثها.

(٧) عجز بيت من قصيدته «أغالب فيك الشوق والشوق أغلب» وصدر البيت:

«وبى مايذود الشر عنى أقله»

يقول: طرقْت هذه الفتاه مُرتدياً لسيفي. وجعلَه لا عِزْهَاةً ولا غَزِلا، لأن الغَزِلَ في طريق الفتية. والعَزَاهَةُ[1] في طريق العدم. فيقول: سيفي لايوصف بعزاهة ولا بَغَزِلٍ. لأنه جماد. والجمادُ لا يقبل قسمة[2] ولا عَدَمًا[3]. فتفهمه فإنه معنى لطيف، وهو باب من المنطق حسن. ولولا أنه ليس من غرض هذا الكتاب لزدته بياناً. وقد يجب أن أُعْذَر في قولي (العَزَاهةَ)، لأنه إنما قلته لمكان الغزل، وإن لم تستعمل العربُ (العَزَاهةَ) وأقلّ من هذا العُذر يغنيني مع من عَلِمَ طريقة المنطق.

(والمدحُ لابنِ أبي الهَيْجَاءِ تُنجِدُهُ بالجاهليَّةِ عَينُ العِيِّ والخَطَلِ)

كان بعض الشعراء يمدح سيف الدولة، بذكر أسلافه من أهل الجاهلية، فعابه أبو الطيب بذلك، وقال: إنّ فيما يشاهدون من أفعاله وفضائله ما يغني عن ذكر قدمائه من جدوده وآبائه.

وإعراب البيت يتوجه عندي على وجهين: أوضحُهما أن يكون (المدحُ) مرتَفعاً بالابتداء، و(عين العِيِّ والخَطَل): خبره، أي: مدحه إذا أنجده بذكر الجاهلية عِيٌّ وخَطَل. وبالجاهلية، متعلق (بتُنجِدهُ) أيْ تُقَوِّيه بها، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بالمدح، لأنه إذا كان كذلك صار في صلة المصدر، وقد حُلْتَ بينهما بتنجده، فلذلك لا يتعلقُ به.

---

(١) العزاهة: كلمة بمعنى المصدر من عزه الرجل (كفرح) فهو عزه وعزهاة: إذا لم يكن له أرب في حديث النساء واللهو معهن.
وفي تاج العروس نقلا عن الزمخشري : عزه الرجل (كفرح) فهو عزه، والاسم العزاهية كفراهية: لم يكن له أرب في الطرب. ولم نجد العزاهية في اللسان وأساس البلاغة. فلعلها في غيرها كتبه.

(٢) القسمة عند المناطقة هي التقسيم، كأن تقسم الألفاظ بحسب دلالتها (دلالة المطابقة ودلالة تضمين ودلالة التزام) وكأن تقسم الألفاظ بحسب عموم المعنى وخصوصه انقسام اللفظ إلى جزئي وكلي، وكأن تقسمه من حيث أفراد اللفظ وتركيبه.... الخ.
وقد فصل المناطقة القول في هذه التقسيمات تفصيلات تتفاوت ولكن الغزالي أجملها إجمالا واضحا في معيار العلوم ص٣٨-٥٢).

(٣) العدم الذي هو أحد المبادئ، هو ألا يكون في شئ ذات شئ من شأنه أن يقبله ويكون منه (انظر رسالة الحدود في تسع رسائل الحكم ص٩٤).

ويجوز أن يكون المدح مرتفعاً بالابتداء كما قدمنا، والخبر تنجده. وعين فاعلة بتنجده . أى مدح هذا الملك بأخبار الجاهلية إنما يَمدْح المادحُ بها لعيِّه وخَطَله.

(والعُـرْبُ منه مع الكُدْرِىّ طائِرَةٌ والرُّومُ طائرةٌ مِنهُ مَعَ الحَـجَلِ)

والعُرْب: لغة فى العَرَب. ونظيره، العُجم والعَجَمَ. والقطا: نوعان كُدْرِىّ وجُونى، فالكُدرىّ أسرعهما ، والحَجلُ: القَبَج[1] ، واحدتها حَجَلة. وقد يكون واحدتُها (حِجْلَى)[2] ، فيكون الحَجل، اسم الجمع، كما ذهب إليه سيبويه فى قولهم: خادِم وخَدَم، وعازِب وعزب. فالقطا من طيور ديار العرب الوَحْشية. والحَجَلُ من طير الجبال، وهى من مساكن الروم . فيقول : اضطرَّ أعداءه من الفريقين إلى الهَرَب منه والتَّوحُّش، فلحق كل واحد منهما بالوحشى من طير أرضه وصار فى جملته حتى كان لم يكن إنساناً، بكَونِه مخالطاً للطير. ولذلك قال: (طائره).

وقد يجوز أن يَكْنى بالطيران عن شدة الهَربَ ، وإلا فالعرب والروم وسائر الأجيال لا يتحولون طَيراً.

وخَصَّ حُوشية الطير دون سَائر الوحش، لأنها أسرع فى الهَرَب. وقوله:«منه»: أى من أجله.

(وَمَا الفِرارُ إلى الأجْبالِ من أسَدٍ تَمْشِى النعَّام به فى مَعْقِل الوَعِلِ)

أى النعام سُهْلية[3] لا قوةَ لخفافها على خشونة الجبل، ولو ركب سيف الدولة النعامَ، سَهُل عليها من ذلك ما صَعُب من سعده، ويُمنِ نقيبته، فمشت به فى معاقل الأوعال، وهى ذُرا الْجبال، لأن كل صَعبِ سهلٌ عليه.

---

(١) الحجل: الذكر من القبج (القاموس).

(٢) (حجلى) : لم يجئ الجمع على فعلى إلا حرفان: هذا والظربى: جمع ظربان وهى دويبة وقول ابن سيده هنا: (وقد يكون واحدتها (حجلى) اجتهاد منه فى تخريج الكلمة.

(٣) اللسان (سهل): السهل نقيض الحزن، والنسبة إليه سهلى (بضم السين)وفى المصباح: قال الجوهرى: السهل خلاف الجبل والنسبة إليه سُهلى (بالضم) على غير قياس.

وإن شئت قلت: إنه عنى بالنعام خيلَه، يقول: يركب أوعر الأوعَار؛ فكيف يطمع العدوّ المعتصم بالجبل أن يُعيذَه منه.

ومما يُحَسِّن أنه يعنى بالنعام هنا الخيل؛ وأنه ليس بحقيقة النعام، قولُه : (وما الفِرارُ إلى الأجْبَالِ من أسَدِ). يعنى بالأسد سيف الدولة، لا نوع الأسد الذى هو السبُع.

فمن ظريف الصنعة أن يُوفِّق بين آخر البيت وأوله، فلا يَعنى بالنَّعام، النوع الذى يُقال له النعام، كما لم يَعْنِ بالأسد الشخصَ الذى يسمى أسَداً على الحقيقة.

(وَرَدَّ بعضُ القَنَا بَعضاً مُقارَعة كأنه من نفُوسِ القومِ فى جَدلِ)

أى ضاق المعْتَرَك، وتحيَّر الملتقَى، حتى ردَّ بعض القنا بعضاً، وتقارعت فكان رد بعضها لبعض تقارعاً، وإذا كان قِراعٌ، كان صوت، فكأن ذلك الصوت الذى حدث عن التَّقارُع تَخاذلٌ . وذلك القراع والجدال كأنهما منافسة فى النفوس، كما يتنافس المتجادلون فى الظفر، فيرد بعضهم قولَ بعض. وأراد كأنهما ممن يحاول الظفر بالأنفس، فحذف، لانه قد عُلم ما يعْنى.

- ٩١ -

وله أيضا:

(وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنيَّاتِ وَاضِحٍ سَتَرْتُ فَمِى عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِى)[١]

يذهب إلى إيثار الجَلالة على اللَّذاذة، ويدعى ذلك شيمته، حتى إنه يصحبه فى خَلْوته، وحين الظفر بمحبوبته. والصبر عند ذلك أدل على مِلْكِهِ لإرْبه[٢].

قال: فربَّ حبيب مِثْلك حُسْناً ودَلاً زارنى، فحاولى تقبيل فمى، فسترت فمى عنه، لأنه موضع اللَّذاذة، واللذاذة لا أوثِرها، وبذلت له تقبيل مَفْرِقى، لأنه موضع الجلالة التى أو ثرها.

---

(١) من قصائد المتنبى السيفية ومطلعها:
لعينك مايلقى الفؤاد ومالقى وللحب مالم يبق منى ومابقى
(انظر ديوانه ص٣٤٥ والتبيان ٣:٣٠٤).

(٢) الإرب والإربة (بكسر الهمزه وسكون الراء) الحاجة ومنه حديث عائشة: (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملككم لإربه) أى أغلبكم لهواه وحاجته. أى يملك نفسه وهواه (اللسان-أرب). وسنن ابن ماجه (١: ٥٣٨)

وهذا كقول الآخر؛ إلا أنه بالعكس، ومنعه محبوبه من نفسه، ما منع المتنبى من نفسه حبيبه:

حاولت منها قُبْلَةً فتعمَّدتْ بعقَارب الأصداغ قَطْــع طريقها

(وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْـوى يَعِفُّ إذا خَـلاَ عَفَافِى وَيُرضى الحِبُّ والخيلُ تَلْتقى)

ويروى (ويرعَى الحب). فمن رواه «يُرضى» فإن من شأن نساء العرب أن يُحبِبْن من مُحِبِّيهنَّ الشجاعة والإقدام ، كقول عمرو بن كُلْثوم:

[يَقُتن جيِاَدنا](١) ويقُلْنَ لَستُم بُعُــولَتَــناَ إذا لــم تَمنْــعُوناَ

فيقول: أَنا أعَفُّ كرماً، وأُرْضِى محبوبى فى الحرب، بمشاهدته منى، ما يهواه منِّى، أو بإخباره ذلك عنِّى. وليس كل أحد من العشاق يجمع عِفة وشجاعة، إذ العشق والفتك غريزة الاجتماع.

ومَن رواه (ويَرعى الحِب) فهو يقول: أنا أعف كرماً لا فتوراً فى هواى،

بل أنا مُراعِ المحبوب، حتى إنى أذكرُه فى الحرب، وأراعيه أَوَانَ الشدَّة فكيف فى حال السكون والهدوء.

وفى(رَعْى الهوى) هنالك مَزيتَّان: إحداهما رباطة الجأش، حتى لا يُشْغَل(٢) الخاطر عن ذكر الهَوى. والآخر شدة محافظته على الوفاء، حتى لا يَشْغلَه عنه شدةُ الهيجاء، كقول زياد الأعجم(٣):

ذكرتك والخَطِّىُّ يخطِر بينَنا وقد نَهَلَتْ منا المثقَّفة السُّمرُ

وقوله: (والخيل تلتقى)؛ جملة فى موضع الحال. أى ويرعى الحب محارباً.

(إِذَا مَا لَبِسْتُ الدَّهْرَ مُسْتَمتِعاً بِهِ تَخَرَّقْتُ والمَلْــبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ)

لَبِسَ الدهْر مَلْبوساً، وإنما هى استعارة. يقول: إذا لبستُ الدهر مَلِيًّا أهْرَمَنِى، وهو لايُهْرِمُه امتداد برهته، فجرى الأمر بينى وبينه بضد ما يجرى بين

(١) تكملة لبياض بالأصلين نقلناه من معلقة عمرو بن كلثوم.
(٢) كذا فى ت. وفى م(يشتغل) وهما بمعنى.
(٣) هو زياد بن سلمى أو ابن جابر بن عمرو من عبد القيس وهو من شعراء بنى أمية (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة).

اللأبس والملبوس، لأنَّ شـأن اللابس أن يُخلِقَ الملبـوسَ، والدهرُ ملبوسٌ يُخْلِق لاَبِسه. ولما استجاز أن يجعله مَلْبُوساً، استعارَ له التَّخرُّقَ.

(إذَا سَعَتِ الأعْداء فى كَيد مَجدِه   سَعَى جَدُّه فى كَيدهم سَعْى مُحْنَقِ)

حَنِق حَنَقا: غضب، وأحنقه[1] [أغضبه] أى إذا رام العدو كيد مجده فحاول هدمه بمبارزته أو مقاومته، غَضِب جَدُّه، فدفع سعى عِداه بسَعْى أَنَفٍ[2] وأَيْدٍ، على ما تقدم قبلُ.

(كيدُ العدو لمجده). (وكيد): مصدر كاد يَكيد المتعدية: كقوله تعالى:(فإن كَانَ لكمْ كَيْدٌ فكيدون)[3] فمَجْدُه، مجرور فى موضع نصب. أى فى كيدهم لمجده. وذلك أن المصدر يضاف إلى المفعول، كما يضاف إلى الفاعل، كقوله تعالى (لاَ يسْأمُ الإنسانُ منْ دُعَاء الخَيْر)[4]، فالخير فى موضع المفعول ،أى من دعائِهِ الخَير.

-٩٢-

وله أيضا:

(يَشْكُو المـلاَمُ إِلى اللَّوائمِ حَـرُّهُ   وَيَصُـدُّ حِـينَ يَلُمنَ عَنْ بُرَحَـائه)[5]

أى إن الملامة لا تتعدَّى سَمْعى؛ ولا تصل إلى فؤادى، لأن حرَّه يمنعها من ذلك، فهى تتفادى منه . ويعتذر إلى اللوائم من قصوره عن الوصل إليه، بما يتوقعه من ناريتُه. والكلام شِعْرِىٌّ لا حقيقة، لأن المَلام عرَض، والعرض غير حاسٍّ فيشكو، وإنما تشكو الجواهر ما يلحقها من العَرض، وشَبَّهُ أبو الفتح هذا بقول كثيِّر[6]:

ذَهوبٌ لإعتاق المِئينَ عَطاؤه   غَلُوبٌ على الأمْرِ الذى هو فاعلُ

(ويصد حين يلُمن عن برحائه)

---

(١) أحنقته: غظته فهو محنق (المصباح).
(٢) الأنف (بالتحريك) الإباء والغضب والأيد والقوة.
(٣) الآية ٣٩ من سورة المرسلات.
(٤) الآية ٤٩ من سورة فصلت.
(٥) من قصيدة للمتنبى بديوانه مطلعها:
عذل العوازل حول قلب التائه   و هوى الأحبة منه فى سودائه.
(٦) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعى من شعراء العصر الأموى قدم إلى مصر ومدح أميرها عبد العزيز بن مروان، ورغب إليه كثيرا فى أن يجعله كاتبه فأبى عليه عبد العزيز ذلك، ولكنه أجازه بمال كثير.

مثل ما تقدم والبرحاء: الشدة.

(مَـا الخِلُّ إلاَّ مَنْ اوَدُّ بِقَلْبِـهِ   وَأرَى بِطَرْفٍ لاَ أرَى بِسَوائِه)

أى ما الخلّ إلاّ مَن يكون حَظىٌّ من قلبه، حَظُّه من قَلبى، ويرى بالعين التى أراهُ بها، فيقع التكافؤ فى الحبّ والجلالة، لا من حَظِّى من فؤاده مُقَصِّر عن حظه من فؤادى، وتعظيمه لى دون تعظيمى له.

وقد يجوز أن يعنى بذلك التناهى فى التشاكُل والتناسب؛ حتى كأنه هو جملةً. واذا كان هو إياه بالجُملة، فَقَلْبهُ قلبُ خليله، وَعْينه عينه.

(عَجِبَ الوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِم   دَعْ مَا تَرَاكَ ضَعُفتَ عَنْ إِخْفَائِه)

إنما عَجِب الوشاة[١] من اللُّحاة فى ذلك،لأنهم كلَّفوه تَرْك ما يعجز عن إخفائه ، والإخفاء للحُبِّ أمكن[٢] من تَرْكِه . فإذا ضعف عن الأقلِّ الذى هو الإخفاء؛ وقد علم اللُّحاةُ ذلك منه، فكيف يكلفونه الأكثرَ الذى هو السُّلْوان.

وقوله:«ضعفت عن إخفائه»: جملة فى موضع المفعول الثانى، إن كانت الرؤية عِلْميَّة أو فى موضع الحال إن كانت الرؤية حسيَّة[٣].

(مَهْلاً فإنَّ العَذْلَ مِن أَسْقَامِه   وَتَرَفُّقاً فالسَّمع مِنْ أَعْضَائِهِ)

أى إن العَذْل يُسقمه كما يُسقمه الحب، فهو نوع ، ن أسقامه، وتَرَفُّقاً فى عَذْلك، فإن السمع الذى يقرعه عذلُك من جملة أَعْضائه. فإن عَنُفْتَ به فى العذْل، اختل سمعُه أو ذهب.

وإنما قَدَّر ذلك نافعاً له عند من عَذَلَه، لأن العاذل لم يُرد بعذله إفسادَ جَوْهرِه ، وإنما أراد إصلاحَه. فيقول. إن لم تترفَّق، عاد ما حاولْتَه من إصلاحى إفساداً إلىَّ.

(١) الوشاة: جمع واشٍ وهو النمام. لأنه يشى كلامه بالزور ويزخرفه واللحاة: جمع لاحٍ وهو اللائم العاذل.
(٢) أمكن: يريد أنه أسهل من الترك.
(٣) أى بالإبصار بالعين.

والسمع: يجوز أن يكون مصدراً، إلاّ أنه إذا كان مصدراً، فليس من أعضائه . لأنه حينئذ جنس، والجنس عَرَض ، والأعضاء جواهر، والعَرَض لا يكون جزاً للجوهر. وإنما عَنَى موضع[1] السمع من أعضائه.

وقد يجوز أن يكون السمعُ اسماً للأُذن، سُمِّى لحِسِّها، كما سميت العينُ بصراً فى بعض المواضع. وإنما البصرُ فى أكثر الكلام حِسٌ[2].

(وَهَبِ المَلاَمَةَ فى اللّذَاذَةِ كالكرى مَطْرُودةً بِسُهادِهِ وَبكَائِهِ)

أى إن كنت تَلتَذُّ بالملامة، فاجعلها كالكَرى الذى قد عدِمتُهُ أنا، على التذاذى به. فكما نفاهُ عنى سهادى وبكائى ؛ فكذلك ينبغى لك أيها اللائمُ أن يُسَلِّيك عن كلامى الذى تلتذُّ به ما تراه من سُهادى وبكائى، فيعودا سواءً فى امتناع الالتذاذ. ودعاه إلى الائتساء به فى الصبر على عدم ما يُلْتَذُّ به.

«ومطرودة»: مفعول ثان لِهَبْ ، لأنها بمعنى(اجْعَل) المتعدية إلى مفعولين. وإن شئت قُلْت: إنه بدل من موضع «كالكرىَ» لأنه بمنزلة قولك مثل الكَرَى. وهذا القول أقوى.

(إنَّ المُعِينَ على الصَّبابَةِ بالأسَى أولَى برحْمَة رَبهَا وإخائِهِ)

أى مُعينى على الصبابة: مَنْ أعان بالمؤاسَاة لاَ بالملام. فإنّ رَاحِمِ ذى الصَّبابة مُؤاسيه[3] بالعذْر ،لا لائمه.

(والعِشْقُ كالمعشُوقِ يَعْذُب قُربهُ لِلمُبْتَلَى وَيَنَالُ من حَوْبَائِهِ)[4]

أى العشق مُلتذ مَحبوبٌ، كما أن المعشوق كذلك. وكلاهما نائل من حَوْبَاء المبتلَى وقاتلٌ له. وقوله: «والعشق كالمعشوق»: جملة يفسرها ما بعدها من البيت. كأنه لما قال : والعشق كالمعشوق، قيل له: فيمه؟ أو كيف تفسِّره للسائل، فتقديره: والعشق كالمعشوق فى أنهما يَعْذُبان ويقتلان مع ذلك.

(١) فى م: (بموضع) والباء زائدة من الناسخ.
(٢) فى م: (حسا) بالنصب. وإنما هو خبر عن المبتدأ (البصر).
(٣) المؤاساة (بالهمز) المشاركة فى الحزن وتعزية المحزون وضرب المثل له بمن أصيب برزء فصبر واحتسب الأجر. والمواساة (بالواو): المشاركة فى المال. يقال: أسيته بمالى مواساة (اللسان-أسا).
(٤) الحوباء: النفس

(وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيونِ فإنهُ ... مَالاَ يَزُولِ بِبَاسِهِ وسَخَائِه)

أى وُقى هوى العيون. وأما ما سواه فقد أمنْتُه عليه، لأنه دافعٌ له ببأسه وسخائه . وهَوَى العيون مالا ينفع فيه بأس ولا سخاء؛ فإنما أدعو له أن يُوَقَّى ما لا طاقة لجوده وبأسه على دفعه.

(مَنْ للسيُوفِ بأن تكونَ سَمِيَّهَا[1] ... فى[2] أصْلِهِ وفِرِنْدِه وَوَفَائِهِ)

أى بأن تكون مثل سميّها فى أصله، إما أن يريد: فى نوعه الذى هو الإنسانية، وإما فى (قبيله)، وفرنده؛ أى فى صورته، لأن صورة الإنسان أحسن من صورة السيف، ورونقه أفضل من رونقه. وأما وفاؤه فلا وفاء للسيوف.ولا عُذر إلا على المجاز، لأن ذلك من خواص الإنسان.

(إنِّى دَعَوتُك للنَّوائِبِ دَعْوةً ... لم يُدْعَ سَامِعُها إلى أكْفائِهِ)[3]

أى: دعوتك لخَطب ليس كُفؤاً لك، لأن كل خطبٍ دُونك، لا يَعُزُّكَ[4] ولا يَغْلبُك.

وإن شئت قلت: كل نائبة وإن عظمت فهى دون أن يُدْعَى مثلُك إليها، وإن كنت لا تُدعى من النوائب إلاَّ إلى ما أنت له كُفء ، ما وجدنا ما يكون كفئا لك، فندعوك إليه، لكن لابد أن ندعوك لما ناب، وإن جَل عنه خَطَرُك، وعَلا قدرُك.

-٩٣-

وله أيضا:

(كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِى فِيكُمُ ... وكَاتَمتِ القَلْبَ ماتُبصِرُ)[5]

هذه مبالغة فى كتمان السر والضَّن بإذاعته، أى رأت عينى ما رأت، فكتمته عن قلبى. وإذا كان القلب لم يعلم ذلك؛ لم يمكن أن يعلم غيرهُ به، إذ لا يمكن أَن يعلم غيُرك إلا ما عَلِمته.

---

(١) فى التبيان «سمية».
(٢) فى م: (من) وما اثبتناه من الديوان وهو مطابق لشرح المؤلف.
(٣) هذا البيت متقدم فى الديوان على سابقة.
(٤) عزَّه يعزه- من باب نصر- غلبه.
(٥) من قصيدة له بديوانه ص٣٥٣ والتبيان (٢:٩٢). ومطلعها:
رضاك رضاك الذى أوثر ... وسرك سرى فما أظهر

وإن شئت قلت: إذا رأت عينى ما تحُبون كتْمَه، تناساه قلبى، حتى كأن العين كتمت عنه ما رأت. والقولان متقاربان.

وقوله (فيكم): أى من أجلكم. وعصيان المقلة للفؤاد: إنما هو كَتْمها عنه ما رأته، فكأنه قال: كأنى عصت مقلتى فيكم قلبى، وكاتمتْه ما تبصر. فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ، وأعمل (كاتمت). إذ لو أعمل الأول واتزن لقال: وكاتمته القلب. أى عصت مقلتى القلب وكاتمته.

- ٩٤ -

وله أيضا:

(إذا كان شَمُّ الرَّوحِ أَدْنَى إليكُمُ فَلاَ بَرِحَتْنِى رَوْضَةٌ وَقَبولُ)[١]

أى إن كنتم إنما تؤْثرون شَمَّ الرَّوْح، ونسيم الهواء. وذلك إنما يكون بحضور الروض والريح القَبول، فلا زلت أنا روضة فتضمكم، وريحاً قبولاً تَشمونها، تَلَذُّ لكُمْ ، إذ كلما كنتُ، فأنتم قَريبٌ منى، وطالبون إلىَّ .

وقوله:(أدنى إليكم): أى أشد إدناء لمن يُحبُّكم. وقوله: (فلا بَرِحَتْنى روضة وقبول): إن شئت قلت: أراد فلا برحتُ روضة وقَبولاً، فعكس، فجعل المعرفة الخبر، وهى(نِى) والنكرة الاسم، وهى (روضة وقَبول).

وإن شئت قلت: إن (نى) من (بَرِحتْنِى) ليست بخبر، ولا بَرح هذه المقتضية للاسم والخبر. وإنما (بَرِح) هنا المتعدية إلى المفعول. كقوله تعالى:

(فَلَنْ أبرحَ الأرضَ حَتَّى يأْذنَ لى أَبى)[٢] فيكون (نى) على هذا مفعولاً، ويكون التقدير: فلا فارقتْنى، أو فلا زايلتنى[٣] روضة .

أى فإذا كان ذلك ، قصدتم هذه الروضة التى عندى، فسعِدت أنابقربكم. والأول أبلغ، لأنه على ذلك القول الأول ، يجعل نفسه ذات الروضة؛ ويتمنى

(١) من قصيدة بديوانه (ص٣٥٥) و (التبيان ٢:٩٥) ومطلعها
«ليالىَّ بعد الظاعنين شكول».

(٢) الآية ٨٠ من سورة يوسف.

(٣) زايلتنى : أى لابرحتنى ولافارقتنى يقال: زيلت بينهم: فرقت. وزايلته فارقته. (المصباح).

الخروج من النوع الحيوانىّ الإنسانى إلى النوع النباتىّ، إيثاراً لهواهم، واختياراً لقربهم.

(لقيتُ بَدْربِ القُلّةِ الفَجْرَ لَقْيَةً شَفَتْ كَمَدِى والليلُ فيه قَتيلُ)

أى أصبحت فى هذا الموضع، أو أفجرت[1] فيه. «شفت كمدى» أى شفت اللُّقْيةُ للفجر بانحسار الليل ما كان من الكمد. (والليل فيه قتيل) أى قد ذهب، واشتمل ضده على مَحلّه، فكأن الليل لما عُدم أو قارب العدم مقتول.

وإن شئت قلت: طال علّى الليل بالصبابة، فكأنه وَتَرنى، فاستوجب بذلك أن أطلبه بثأرى: فأوقد سيف الدولة بالدرب نيراناً ، فخالط ضَوْؤها دخانها، فبدت لى من الضوء المختلط بالدخان، سُمرة كسمرة الفجر، قبل أوان الفجر ، فكأن هذا الملك قد قتل الليل بإيقاده هذه النيران، التى خَلْخَلَت كثافة الظلمة ، فأنالنى بذلك ثأرى، فشفى كَمَدى.

وقيل: الفجر هنا سيف الدولة، أقام غُرّته مقام الفجر، وبالغ فى ذلك،حتى جعله قاتلاً لليل، وما طُلب عند ليل ذَحْل[2]، ولا نيل منه ثأر قبل هذا.

(عَلَى طُرُقٍ فيها عَلَى الطُّرقِ رِفْعَةٌ وَفى ذِكْرِها عنْد الأنِيس خُمُولُ)

رِفعْتها: أنها أُكُمٌ وجبال، وخمولها: أنها غير مسلوكة لوعورتها، فهى لذلك خاملة. وقد يجوز أن تكون طرقاً لم يسلكها إلاجيش سيف الدولة، لأنها مَخُوفة فالناس لا يعرفونها لذلك.

(وَمـا شَـعَرُوا حَتَّى رأوها مُغِيـرَةً قِبـاحـاً وَأمَّـا خَلْقُـهـا فَجَـمِـيلُ)

أى قباح الأفعال بهم، وإن كانت فى خلقتها جميلة، لأن خوفهم لها يقبِّحها فى أعينهم، فيخفى عليهم جمالُها. وهذا نَحو قوله:

حَسَنٌ فى عيون أَعْدَائِه أقـبـحُ من ضيفِه رأتهُ السُّوَامُ[3]

فالحسن فيه طبيعة، والقبح عَرَض.

(١) أفجرنا: دخلنا فى الفجر. وفى كلام بعضهم: كنت أحل إذا أسحرت، وأرحل إذا فجرت (المخصص ٤٨:٨) واللسان (فجر).

(٢) الذحل: الثأر وجمعه أذحال وذحُول يقال: طلب بذحله أى بثأره.

(٣) من قصيدة له مطلعها «لاافتخار إلا لمن لايضام».

(وأَضْعَفْنَ ما كُلِّفْنَهُ من قُباَقِبٍ   فأَضْحَى كأنَّ الماء فِيه عَلِيلُ)

قُباقِب: نهرٌ دهمته هذه الخيل ، فسدَّت مجارى الماء فيه، بكثرة قوائمها، فارتدع[1] الماء، إلا ما تخلل شُعَب قوائم الخيل، فأَضعفته عن قوة جَرْيه، حتى كأنه عليل. والعلة هنا كناية عن الضعف، إنما العلة فى الحيوان، والماء ليس بحىٍّ

(نَجَوتَ بإحْدى مُهجَتَيْكَ جَرِيحةً   وخَلَّفْتَ إحدى مُهْجَتَيك تَسِيلُ)

يخاطب الدُّمُسْتُق، وكان شُجَّ فى وجهه ونجا جريحاً، فهذا معنى قوله:

(نجوتَ بإحدى مُهجتيك جريحة)، وكان ابنه قد أسِر، فلذلك قال:

(وخَلفت إحدى مهجتيك تسيلُ)، أى تركتهَ يذوب فى الكَبْل والحَبْس، مع ما اشتمل عليه من خشية القتل:

(إذَا لَمْ تَكُن للَيثِ إلاَّ فَرِيسةً   غَذَاهُ ولَمْ يَنْفَعكَ أنَّك فِيلُ)

ضرب (الفيل) مثلاً لعظم عَدَد الروم، وضرب (الليث) مثلا لسيف الدولة وجيشه، أى فلا تُعْجِبَن الروم كثرة عددهم، فإن الكمية لا تغنى ، وإنما الغَناء للكيفّية. وقال :(غذاه): أراد غذاهُ ذلك الشخص المفْتَرس.

(أُعاَدَى عَلَى مَا يُوجبُ الحُبَّ للْفَتَى   وأهْدَأُ والأفكار فِيَّ تجُولُ)

أى أُعَادَى على مالدىّ من الفضائل النفسانية، كالشجاعة والفروسية، والفصاحة والشعر، حسداً لى على ذلك. وكل واحدة من هذه الفضائل فى حد الحقيقة، مؤجِبة للحب ، فكيف أُشْنَأُ على ما يُوجب لى الحبّ؟ يقول ذلك متعجباً.

قال أبو الفتح: لو قال (أُبْغَض) مكان (أعَادَى) كان أوفق فى مذهب الشعر، يعنى أبو الفتح: أنه لو قال ذلك، كان أذهب فى باب التقابُل، لأن النقيض إنما يقابل بنقيضة؛ وكذلك الضّد بضدّه . فضدّ الحب البغض. وضد العداوة الصداقة . فإذا قابلت العداوة بالحبّ، والصداقة بالشَّنَآن، لم يكُ ذلك على تقابل الضدّ والنقيض.

---
(١) ردعه - (كمنعه) -: ردّه فامتنع.

لكن الذى يُسَهل ذلك، أن العداوة علّتها البِغْضة، التى هى ضد الحب، فأقام العلة التى هى العداوة، مُقام المعلول، الذى هو البُغْض. ولولا ما يدْخُل التخفيفَ البدليَّ من الاضطرار، لقال[1]: فأشْنَى، أو (أشْنَ)[2] على احتمال الجزم، ولكن، الأول أسوغ أعنى وضع (أعَادَى) مكان (أُبْغَض) لما ذكرت لك، من دلالة العلة على المعلول.

-٩٥-

وله أيضا:

(تُرِى الأهلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نــائلُهُ فَمـاَ يُخَصُّ بِه من دُونِها البَشَرُ)[3]

أى أنه يكْسِبِ الأهلَّة بنظرها إلى غُرَّته نوراً وسَعْدًا، فتنال بذلك من جوده كما ينال الناس. فالبَشَر إذْن نوع غير مخصوص بنائله ، بل هو عام للعالم العُلوىّ والسُّفلْىّ.

-٩٦-

وله أيضا:

(وشَــرْبِ كــاسٍ أكْـثَــرَتْ رَنينَهُ وَأَبـدلَــتْ غِنــاءَه أَنِيْـنَــهُ)[4]

الشرب: اسم للجمع عند سيبويه، وهو عند أبى الحسن[5] جمع. ويدل على صحة قول سيبويه: إن العرب إذا حقَّرت هذا النحو حَقَّرته بوزنه، كما تحقَّر الواحد، فقالوا :شُرَيْب ورُكيب[6]. فلو كان جمعاً كما ذهب إليه أبو الحسن لرُدَّ إلى واحدة فى التحقير، ثم جمع بالواو والنون، فقيل:رُوَيْكبُون ورُوَيْجلُون. وإنما كلام العرب ما قدَّمنا.

(١) أى لولا توقِّيه ارتكاب الضرورة فى الشعر لجاز أن يقول...الخ.
(٢) لم يظهر لنا وجه لجزم (أشنى) فى هذا الموضع والعبارة كلها كأنها مقحمة إذ لا معنى لها.
(٣) من أبيات له فى سيف الدولة أولها:

الصوم والفطر والأعياد والعصر منيرة بك حتى الشمس والقمر.

(٤) من قصيدة له بديوانه ص٣٦٨ مطلعها:

حجّب ذا البحر بحار دونه يذمها الناس ويحمدونه

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط. أخذ الكتاب عن أستاذه سيبويه، وهو الذى أقرأ النحو من بعده، وعنه عرف الكتاب لسيبويه. توفى سنة ٢١٥هـ.
(٦) انظر الكتاب لسيبويه (٢٠٣:٢) ومذهب سيبويه أن (ركب) ليس تكسيرا لراكب، وإنما هو اسم مفرد دال على الجمع. قال: وذلك قولك: ركْب وسفْر فالركب لم يكسر على راكب. ألا ترى أنك تقول فى التحقير ركيب وسفير. فلو كان كسر عليه الواحد رد إليه....الخ.

أنشدنا القرشي:

بنيته بعُصعبَةٍ من ماليا   أخشى رُكَيْباً ورُجَيْلا عادِ يا[1]

وذهب قوم إلى أن معنى البيت: أن هذا الشَّرْب ـ وهم أعداء الممدوح ـ غَنَّوا بمناقبه، حتى إذا سكروا هاج لهم السكر ذِكْر[2] من سَبا منهم وقتل، فأَنُّوا[3] حُزْنا، وعاد ذلك الغناء أنيناً وتفجعاً.

والذى عندى أن هؤلاء الشَّرْب غَنَّوا ، فأَثْخَن فيهم هذا الملك وأوجعهم، فعاد ذلك الغناء رنيناً وأنيناً. وقوله :(أكْثَرَتْ) و(أَبْدَلَتْ): إخبار عن الخيل والقنا اللتين فى قوله:

(إنَّ الجِياد والقَنَا يَكْفِينَهُ)

ـ ٩٧ ـ

وله أيضا:

(فإنى رأيتُ البَحْرَ يعثُر بالفَتى   وهَذَا الذى يَأْتى الفَتَى مُتَعَمِّداً)[4]

أى أن سيف الدولة أولى بأن يُرجى ويُخشى من البحر، لأن البحر وإن أروى وأعطى، فليس شىء من ذلك على عَمْد ولا قصد. لأنه لا رُوَحَ له ولا فؤاد، فليس إذن يُحمد على مكرماته ولا ذميمٌ لآفاته. وهذا كقوله هو:

ألاَ لاَ أرى الأحداثَ حَمْداً ولاذماً   فما بَطْشها جهلاً ولا كَفُّها حِلْمَاً[5]

وأما سيف الدولة فهو لكل ما يأتيه من إفاقة[6] وإغْناء[7] وإماته وإِحياء، عامدٌ قاصد، لأنه من نوع الإنسان، الذى هو أشرف الحيوان.

---

(١) ورد هذا فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب، وشرح المفصل لابن يعيش (٥:٧٧) فى باب المركبات. وأنشده أبو عثمان عن الأصمعى لأحيحة بن الجلاح شاهدا على أنه يقال فى تصغير ركب ركيب فدل بذلك على أن ركيبا مفرد وليس جمعا لراكب

(٢) فى م: (فذكر) والفاء مقحمة من الناسخ.

(٣) أنوا :صاحوا بالبكاء.

(٤) من قصيدة للمتنبى بديوانه (ص٣٧٠) أولها
لكل امرئ من دهره ماتعودا   وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا.

(٥) مطلع قصيدة له فى رثاء جدته.

(٦) لعله يريد بالإفاقة هنا: منع العطاء. أو التفضيل فيه يقال: أفق فى العطاء أى فضّل وأعطى بعضاً أكثر من بعض (اللسان ـ أفق)

(٧) فى م: غناء والإغناء أجود فى مقابلة الإفاقة، لما قابل بين الإماته والأحياء.

(وَتُحْيِي لَهُ المالَ الصَّوارِمُ والقَنَا   وَيَقْتُلُ مَاتُحْيِي التَّبسُّم وَالجَدا)

أى أنه يغير فيغنم بسيوفه ورماحه، فهى تحيى له المال. ثم يهب عُفاته، ما يسلبه عُداته، وذلك فى حال تبسُّم وأريحيَّة للعطاء، فذلك التبسم هو الذى يقتل المال الذى أحيته الأسنة والصوارم، كقول أبى تمام:

إذا ما أغاروا واحْتووا مالَ معشَر   أغارتْ عليه فاحتَوتْهُ الصَّنائع[1]

وذكر التبسم والجَدَا هنا كقول كُثَيِّر:

غَمرُ الرداء إذا تبسَّم ضاحكاً   غَلِقت لِضحكته رِقابُ[2] المال

ولو قال (يميت) مكان (يقتل) لكان أشد مقابلة للحياة، لأن القتل ليس بضدّ الحياة إنما هو علة ضدّ الحياة فى بعض الأوقات.

ونقيض الحياة إنما هو الموت. ومقابلة الشئ بنقيضه أذهب فى الصناعة. و(التبسم والجَدا): مرتفعان بيقتل، أى ويقتل التبسم والجدا ما تحييه الصوارم والقنا. ففى تحيي ضمير راجع إلى القنا والصوارم، أى ما تحيى هى.

(هُو الجدُّ حتى تَفْضُلَ العَينُ أُخْتَها   وَحتَّى يكُونَ اليومُ للْيَومِ سَيِّداً)

إنما ذكر فضل يوم الأضحى وجعله سيد نوعه. ثم مَثَّل به فضل سيف الدولة على جميع نوعه. وذلك فى البيتين[3] اللذين قبل هذا البيت. ثم عجب من تفاضل الأشخاص الواقعة تحت نوع واحد، على أن عنصر هذا واحد. فقال:(هو الجَدّ حتى تفضل العين أختها) فبالغ بالعجب من العين التى تفضل صاحبتها على اقترانهما وشدة اقترابهما. وبالعجب من الأيام التى تتفاضل بما يحدث فيها من السَّراء والضَّراء وضروب الممالك والمناسك.

---

(١) انظر ديوان أبى تمام (باب الفخر) (ط بيروت ٤٢٩).

(٢) ورد البيت منسوبا لكثير فى إصلاح المنطق ص٤٢ وفى اللسان (غمر) وغمر الرداء: إذا كان واسع العطاء وإن كان رداؤه صغيرا. ويقال: غلق الرهن فى يد المرتهن: إذا لم يقدر على فكاكه. يريد إن ممدوحه إذا تبسَّم غلقت رقاب المال فى أيدى السائلين (وانظر معاهد التنصيص فى شواهد الاستعارة المجردة).

(٣) البيتان هما:

ولا زالت الأعياد لبسك بعده   تسلم مخروقا وتعطى مجددا
فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى   كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا.

(أجِزْنى إِذَا أُنْشِدْتَ شِعراً فإنَّمـا　　بِشْعرِى أتاك المادِحُون مردَّدَا)

أجِزْنى: أى أعطنى الجائزة إذا مدحك غيرى، فإنَّ الشعراء إِنما يأخذون معانى شعرى ، فيمدحونك بها، فإذَن إنما المستحق بجوائزك أَناَ لا هُمْ. إذ لولا شعرى لم يهتدوا إلى ما يمدحونك به. فكلما أحسنوا فإنما الإحسان لى كقول الآخر[1]

فـإن أَنشَـــدَ حَمَـاد　　فـقـد أَحســن بَشَّـار[2]

أى إن حماداً إِنما يأخذ شعر بشَّار. فالإحسان له ، والإنشاد لحماد.

-٩٨-

وله أيضا:

(ثِيـابُ كريـمٍ مـايَصُـونُ حِسانَهـاَ

إذَا نُشِـرتْ كان الـهِبـاتُ صِوَانَـهـاَ)[3]

يعنى ثيابا رُومية كساه إياها، (كان الهبات صِوانها)[4] أى أنه لا يصونها إِنما يبتذلها بالهبة. فالهبة هى التى تكون لها مَقام الصِّوان إذ لا صِوَان لها عنده وإذا لم يصن حسانها كان أَحْجَى ألاَّ يصون دُونَها.

(تُرِينَا صَنَاعُ الُّرومِ فيها مُلوكَها　　وتَجلُو عَلَيناَ نَفْسَها وقِيأَنهاَ)

يعنى ما فيها من التصاوير الرومية.

(وَلَم يَكْفِهاَ تصويرُهاَ الخَيْل وحْدَها　　فَصَّورت الأشْـــياءَ إلا زَمَانهاَ)

أى صورت الأنواع الحيوانية إلا الزمان، فانها لم تصوره لعجزها عن ذلك وذلك أن الزمان هنا إِما أن يعنى به الفَلك، ولا أحد يستطيع تصويره على

---

(١) هو أبو نواس

(٢) أحد بيتين لأبى نواس فى ديوانه (٥٤٥) وهما فى دواد بن رزين.

إذا أنشد داود　　فقد أحسن بشار

له من شعره الجم　　إذا ماشاء أشعار

(٣) مطلع قصيدة للمتنبى فى ديوانه (٣٢٩) والتبيان(٤:١٦٩).

(٤) الصوان - بوزن كتاب - ماتصان فيه الثياب وتحفظ.

حقيقته التى هو بها؛ وإما أن يكون الزمان هنا وجودَ النور وعدمه وذلك عَرَض والعرض لا يتصور إلا فى جوهره الذى هو منه.

(وَأمُّ عَتِيقٍ خَالُه دونَ عَمِّه رَأى خَلْفَها مَنْ اعْجبتهُ فَعَانَها)

وأم عتيق: يعنى فَرَساً. وعتيقُها : مُهرُها، والعتْق: الكرم وجعل لها خالاً وعمًّا،

يذهب إلى أن هذه الفرس ذات طَرَفَين كريمين، مختلفين بالنسب، لأن ذلك مما يُستْحَب في الخيل، أعنى ألاّ يكون الأبوان متناسبين[1].

وقد يستحب ذلك فى الإنسان، لأنهم يزعمون أن الأبوين إذا كانا متناسبين جاء الولد ضاويا، أى مهزولاً، دقيق العظم (ابن السكيت).

ومنه الحديث: (اغتربوا لاتُضْوُوا)[2]. أى لا تنكحوا فى الأقارب، فيجىء الولد ضاوياً. وقال: (خاله دون عمه) يذهب إلى أن أباه أكرم من أمه، وذلك أَنجب له. (رأى خلفها من أَعجبته فَعَانهاَ). يزعمون أن الشيء المُعْجِبِ ربما أَصابته العين ففسد لذلك، فيقول: رأى هذا الفرس الحِجْر[3] مَنْ أُعجب بها، فلغفها[4] بعينه. وهنا رواية ضعيفة، وهى.(رأت خلفها فلغفها من أَعجبتهْ فعانها). أَى خلفَها فحلا حاول كَوْمَها[5] حين أعْجَبته، فأمكنته ، فأولدها، فكأنه تنقصها بالإيلاد، كما يتُنَقَص الشىء الحسن المعجب إذا أصيب بالعين.

(إذَا سَايَرتْهُ بايَنَتْه وبَانَهاَ وَشانَتْه فى عَينِ البصيرِ وَزانَها)

(١) يريد بالتناسب هنا قرابة النسب بين الأب والأم: وعليه جاء الحديث (اغتربوا لاتضووا) أى تزوجوا فى بعاد الأنساب لا فى الأقارب لئلا تضوى أولادكم وقيل معناه: انكحوا فى الغرائب دون القرائب فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى . وولد القرائب أضعف وأضوى. ومنه قول الشاعر:

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى وقد يضوى رديد القرايب.

وانظر اللسان (ضوا) والنهاية فى غريب الحديث(٣:١٠٦)

وهذا المعنى صحيح تثبته الأبحاث فى علم الوراثه والطب.

(٢) انظر الهامشه السابقة.

(٣) الحجْر: بكسر الجيم) الفرس الأنثى والجمع أحَجار وحجورة وحجور قال فى اللسان: (واحجار الخيل مايتَخذ منها للنسل. (وانظر المصباح المنير).

(٤) يقال: لغف الرجل والأسد لغفا وألغف: حدد نظره (اللسان لغف).

(٥) كومها: مصدر كام الفرس أنثاه: نزا عليها (اللسان - كوم).

أى باينته، من (البَوْن) أى باعدته. فان قلت . ينبغى على ذلك:(باونته)، لأنه من الواو . فان شئت قلت : إن هذا على المعاقبة، ومعناها: قلب الواو ياء لغير علة إلاَّ طلب الخفَّة ، وهى لغة حجازية عربيَّة . يقولون :(صُيَّاغ) فى(صُوَّاغ) ، ومَيائِق فى مواثق[1]، وهو كثير ، قد عمل فيه يعقوب[2] باباً واسعاً. وإن شئت قلت: إنه من (البَيْن) الذى هو فى معنى (البون). حكى أبو عُبيد ، بينهما (بون) بعيدو(بَينٌ) . وقد بانَ صاحبَه يبونهُ ويَبينهُ . فحملك إياه على هذا، خيٌر من اعتقاد المعاقبة الحجازية ، لأنك إنما تلوذ بها إذا لم تجد عنها مَعْدِلاً.

و(شانَتْهُ فى عين البصير): أَى شانته بكونها أمَّه لتقصيرها عنه. «وزانها»، بكونه ابنها وهو زائد عليها.

(وأينَ التَّىِ لا تَأْمَنُ الخَيلُ شَرَّها وشَرَّى ولا تُعطِى سِوَاىَ أَمانَها)

إن شئت قلت: أَين فَرسى التى من أَمرها وشأنِها، من هذه الفرس المعيبة؟ وإن شئت قلت: أَراد هَبْ لى الفرس التى هى أَكرم من هذه الفرس التى وهبتها لى.

وقوله: (لاَ تأْمَنُ الخيلُ شَرَّها): إذا كَرَرْتُ بها . وأراد أَهل الخيل، فحذف المضاف، وأَقام المضاف إليه مقامه. (ولا تُعطى سِوَاىَ أَمانَها): أَى لا يأَمنُها إلا مِثْلى من الحُذَّاق بركوب الخيل.

---

(١) فى اللسان (وثق): الموثق والميثاق: العهد. والجمع: المواثيق على الأصل، وفى المحكم لابن سيده: الجمع المواثق، ومواثيق معاقبة .
وأما ابن جنى فقال لزم البدل فى (مياثق) كما لزم فى عيد وأعياد. وأنشد الفراء لعياض بن درة الطائى. ولا نَسَلِ الأقوام عقَد المياثق.
وفى المصباح: الَموثق والمِيْثَاق: العهد وجمع الأول: مواثق وجمع الثانى: مواثيق وربما قيل: مَيَاثيق على لفظ الواحد.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر، راوية ثقة، أخذ عن البصريين والكوفيين (ت سنة ٢٤٤هـ) ومن أشهر كتبه (إصلاح المنطق).

-٩٩-

وله ايضا:

(تَشْـبـيــهُ جُـودِكَ بالأَمْطَارِ غَـادِيةً   جُـودٌ لِكَفِّك ثَانٍ مَـالَه مطَرُ)(١)

أَى أَنك غاية فى الجود لا فوقها، فإذا شبهنا كفك بالمطر، فالمشبَّه دون المشَّبه به، فقد بالَغْناَ بمدح المطر وشرَّ فناه. فكان هذا التشريف له بتشبيه جودك به، جُوداً عليه ثانياً من جودك علينا بالمـال. وخَصَّ الأمطارَ الغَوادِى، لأنها بالأغلب أغزرُ ما تكون حينئذ فى أَول النهار، والنفوس حينئذ شَهْمَةٌ (٢) مُنْشَطة، فهى حينئذ أَروق وأَعلَق.

-١٠٠-

وله أيضا:

(وقــاسَـمَك العَـيْنَيـن منه ولَحْظَهُ   سَـمِـيُّك والخِلُّ الذى لا يُزايلُ)(٣)

يعنى بسميِّه والخِلّ الذى لا يزايل: السيف . أَما سميُّه فلأنه سيف، والمَلِك سيف الدولة، فهو وسيفه سَمِيّان. وأما كونه خِلاً لا يزايلهُ، فلأن السيف لايفارقه. فيقول: نظر إليك طامعاً فى إِحسانك، وإلى سيفك، خائفاً من بأسك، يقلِّب طَرْفَه من يمين إلى شِمال، فذاك معنى المقاسمة، أى إن السيف قد قاَسَمكَ عَيْنَىْ رسول الروم فهو تارة يتأملك، وأخرى يتأمل سيفك، ولحظه، عندى حشو، لأنه إذا قاسمه عينيه قاسمه اللَّحْظ..

(وَأكبَـر منـهُ همَّةً بَعَثَـتْ بِـــه   إليكَ العِدَا واسْتَنظَرتهُ الجَحَافِلُ)

أى أكبرت العِدَا هِمةَ هذا المُرْسَلِ، وأعظمت شأنه لإقدامه عليك، ومُثُوله بين يديك. (واستنظرته الجحافل): أى سألته أن يُنظِرْها، بشغله إياك أيها الملك عنهم. فمعنى استنظرته: طَلَبت منه النَّظِرَةَ، أى التأخير.

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص٣٧٤ مطلعها (ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته)
(٢) الكلمتان غير واضحتين فى الخطيتين، ولعل ما أثبتناه أقرب قراءة. والشهم: الذكى الفؤا المتوقد الجلد. ويقال: فرس شهم: سريع نشيط قوى والجمع شهام (اللسان: شهم). وفى اللسان (نشط): نشط الإنسان نشاطاً فهو نشط طيب النفس للعمل.
(٣) من قصيدة فى سيف الدولة بعد دخول رسول ملك الروم سنة ٥٤٣ ومطلعها:
دروع لملك الروم هذى الرسائل   يرد بها عن نفسه ويشاغل.

(أَطَاعَتْكَ فى أرْواحِها وتَصَرّفَتْ   بأمْرِكَ والتفَّتْ عليك القبائلُ)

بالغ بإطاعتهم إياه فى أرواحهم، لأنهم إذا أطاعوه فى ذواتهم، كانوا أَجْدَر أن يطيعوه فيما سواها. و(التفَّتْ عَليكَ القبائل): أى أحدقت بك العرب، لأن كل جيش مُحْدِق بأميره.

وإن شئت قلت: جعله سِطة[1] لِسراوة نسبه، وعلاوة حسبه، وقبائل العرب محيطة به، فالمُحاط به أشرف مِنْ المُحيط، كالقِلادة التى أَنْفسُها سِطَتُها. والدائرة التى أشرفُها نقطتها.

(رمَيتُ عِداهُ بالقَوافى وفَضْلِه   وَهُنَّ الغَوازِى السَّالمِاتُ القَواتُل)[2]

وفضله: أى وفضائله. هذا أذهب فى الصناعة؛ أى[3] أعنى أن يعطف جمعاًعلى جمع فى النية وإن لم يستقم ذلك فى اللفظ. أى إذا أغضبتُ عِداه لمدائحى فيه بفضائله النفسانية، فلم يجدوا فى شعرى مَطْمعا ولا فى فضائله الذاتية مَدْفَعا، فقد قَتَلْتُهم بأن أغضبتهم وأعجزتهم، وسَلِمَتْ هى فى أنفسها، إذ لم يقدروا على غض أشعارى، ولا إنكار فضائله.

(يُتَبّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرادُهُ   فَمَنْ فَرَّ حَربًا عَارَضَتْهُ الغَوائِلُ)

الغَوائل: الدواهى المهلكة. تقول العرب: الغضب غُول الحِلْم. أى يذهب بالحلم فيغتاله. يقول: إنَّ سعده يتبع المهزومين ؛ فيقتلهم بالعطش والكَلال وسائر أنواع الآفات، كقوله هو:

إذا فاتُوا الرماحَ تَناَولَتْهُمُ   بأرماح من العطش القِفارُ[4]

ويتبع من باب (فَعَّل) فى معنى (تفعلّ) أى يتتبع. ونظيره ما حكاه سيبويه من قولهم بَيَّن الشىء وتَبيَّنَهُ. وفى المثل: قد بَيَّنَ الصبحُ لذى عينين أى تَبَيَّن.

(رَأيتُكَ لَوْ لم يَقْتضِ الطَّعنُ فى الوغَى   إليك انقْياداً لا قْتَضتْه الشَّمائلُ)

---

(١) يقال: هو وسط فى قومه وسطة ووسيط فيهم: أى من أشرافهم وأحسنهم (أساس البلاغة).
(٢) وردت هذه الابيات مختلفة فى التقديم والتأخير.
(٣) وردت كلمة (أى) فى المخطوطتين قبل كلمة أعنى، وموضعها هنا.
(٤) من قصيدة المتنبى بديوانه (٤٠١) أولها «طوال قنا تطاعنها قصار»

أَى لو لم يَجْرِ من أَصحابك على الطعن، انقيادُهم لك، وطاعتهم إياك، لاقتضاهم إياه حُبُّهم لك . (والشمائل) يجوز أن تكون منه ومنهم. فإن كانت منهم ، فمعناه حبُّهم لك بطاعتهم، وإن كانت منه فمعناه بحبهم لشمائلك.

-١٠١-

وله أيضا:

(وأُسْقِطَت الأجِنَّةُ فى الوَلاَيَا   وأُجْهِضَتِ الحَوائلُ والسِّقابُ)[1]

أى إن النساء أُرْدِفْن، وعُسفَ بهِن فى الهزيمة، فمن كان منهن حاملاً أَسْقَطَتْ فى الولايا، وهى الأحْلاس[2] على أعجاز الخيل، والإبل، وأجهدت الإبل، وكُلِّفَت أَكثَر من طاقتها فى السير، فأُجْهِضت الحوائلُ، وهى الإناث، والسُّقابُ، وهى الذكور . والإجهاض للنوق، كالإسقاط للنساء. وهذا كقول أبى النجم:

كَمْ طَرَحَتْ من وَلَدٍ لا يغتذى   تراه كالمسلوخِ والجلْدُ بَرِى

(وَعَمروٌ فى مَيامِنهم عُمُورٌ   وكَعْبٌ فى مَيَاسِرِهم كِعابُ)

عمروٌ وكعب: بطنان : كعب بن ربيعة، وعمرو بن مالك. فان شئت قلت:

اختلفت كلمتهم، فأشارت طائفة بالهَرَب، والأخرى بالاستذمام[3]. وأَخذ الموثق من سيف الدولة. وكانوا قبل يداً واحدة، كلمتهم سواء. فكأنهم باختلافهم تقسَّموا وافترقوا، فصارت القبيلة باختلاف كلمتها فى قبائل، فلذلك جعل عمراً عُمُوراً، وكعبا كعابا.

أَنشد سيبويه:

رَأيت الصَّدْعَ من كَعبٍ وكانُوا   من الشَّنَآن قد صَارُوا كِعابا[4]

---

(١) من قصيدة له بديوانه (ص٣٨٢) ومطلعها

بغيرك راعيا عبث الذئاب   وغيرك صارما ثلم الضراب.

(٢) الحلس: كل شئ ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج.

(٣) فى اللسان (ذمم) استذم الرجل إلى الناس أتي بما يذم عليه.

(٤) أنشده سيبويه فى الكتاب (٢:٩٧) وقال: قال الأعلم: وكعب قبيلة من عامر، ونسبه الواحدى من شراح المتنبى إلى معاوية بن مالك وروايته.

فأمسى كعبها كعبا وكانت   من الشنآن قد دعيت كعابا

وأنشده العكبرى فى التبيان كرواية سيبويه ونسبه إلى كعب بن مالك الأنصارى وهذا بعيد.

وإن شئت قلت: هربوا وتبددُوا، فصاروا شيعاً وأحزابا، فكل جزء من عمرو عُمور، وكل جزء من كعب، كعوب. والقولان متقاربان.

(وَلَو غَيرُ الأمير غزَا كِلاَباً ثَنَاهُ عن شُموسِهِمُ ضَبَابُ)

يعنى بشُموسهم: حقائق نفوسهم. والضَّباب: ما يلقاه من الطِّعان والضِّراب. وقيل: ثناه عنهم أقل ما يصيبه منهم، لأن كثافة الضَّباب أقل من كثافة السحاب. وقيل :عنى بالشموس نساءَهم التى سباها سيف الدولة، وبالضَّباب: مَنْ فيهم من الكُماة والحُماة،

-١٠٢-

وله أيضا:

(تُفَدِّى أتمُّ الطيرِ عُمراً سِلاَحَهُ نُسورُ الفلاَ أحْداثُها والقَشَاعِمُ)[١]

أَتُّم هنا: بمعنى أَطول. وإنما جاز ذلك لأن التمام فى باب (كيف)، نظير الطول فى باب(كَمْ). وإنما المستعمل فى العمر أَطول، فلم يتَّزن له، ونحوه قول رؤبة:

(كالكَرْمِ إِذ نَادَى مِنَ الكافُورِ)[٢]

وإنما المعروف صاح الكَرْم، وسائر الشجر إذا بدا ثمره. إلا أَنه لو قال صاح الكَرْم لكان فى الجزء طىٌّ، وهو ذهاب فاء (مُسْتفِعلٌ)، لأنَّ قوله: (صاح مَنَل) مُسْتَعِلُن، فاستوحش من الطَّىِّ، فوضع نَادَى مكانَ صَاحَ، ليسلم الجزء.

والمتنبى أعذر، لأنه لو قال:(أَطول) لا نكسر البيت. ورُؤبة لو قال: صاح من الكافور لم ينكسر البيت، وإنما كان يلحقه الزِّحاف الذى وصفناه.

وقال. «تُفدِّى» فأنث الفعل، وإِن كان للأتَمِّ ، والأتم مذكر، حملاً على المعنى، لأن الأتم هو النسور فى الحقيقة. ونظيره قول بعض العرب:

(١) من قصيدته التى مطلعها «على قدر أهل العزم تأتى العزائم».
(٢) البيت لرؤبة كما فى اللسان (صبح) وقوله (إذ نادى) إنما أراد صاح يقال: صاح. العنقود يصيح إذا استتم خروجه من أكمته وطال وهو فى ذلك غض. وكافور الكرم الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود شبهه بكافور الطلع لأنه ينفرج عمافيه أيضا.

فـــــلان لَغُوب[1] جاءته كتابى فاحْتقرها . أنث الكتاب لَمَّا كان فى معنى (الصحيفة). و(نسور الفلا) بدلٌ من أتم الطير. ولأحداثها والقشاعم): بدل من (نسور). وكلاهما بدل بيان[2].

يقول: أَوْسَعَتْ سِلاحُه النسور شبَعاً من لحوم القَتْلى قديماً وحديثاً، لأن، قشاعمها وهى المسانّ[3] تشكر القديم والحديث[4]. وأحداثها تشكر الحديث، لأنها متأخرة الكون عن زمن القديم. فكلا النوعين يشكر سلاح هذا الملك، و(يفَدِّيه): أى يقولان نحن الفداء لسلاحه. واستعار الأحداثَ للنسور، وإنما هو فى نوع الإنسان، ومثل هذه الاستعارة كثير.

(هَلِ الحـدَثُ الحمراءُ تَعرِفُ لَونَها وتَعـلَمُ أىُّ السَّاقِيينِ الغَمَـــائِمُ)

(الحَدَث): حِصْنٌ، معروف وأنثه على معنى القَلْعَة، أو المدينة، وجعلها حمراء، لما سال عليها من الدماء، وكانت غَير حَمراء. يقول: فهل تعرف الآن[5] لونها القديمَ الذى بُدِّلت منه الحُمْرة. وإن شئت قلت: هل تعرف الآن[5] أنها حمراء، أو[6] تنكر ذلك؟

وقيل: جعلها حمراء، لأن سيف الدولة بناها بحجر أحمر، ولم يَك قبل ذلك.

يقول: فهل تعرف هذه القلعة أن بناءها الحديث غير بنائها القديم؟ وكذلك بَلَّت هذه السيوفُ هذه المدينة بالدَّم، كما يَبُل السَّحابُ الأرض بالمطر. فهل تعرف أن الغمام سقاها الآن أو[7] السيوف؟

وقد بين ذلك بقوله بعد هذا:

(سَقَتْهَا الغَـمـامُ الغُرُّ قبل نُـزُوله فَلما دَنَا مِنها سَقَتـهَا الجماجـمُ)

(١) قال فى اللسان (كتب): وحكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول وذكر إنسانا فقال: فلانٌ لغوب. جاءته كتابى فاحتقرها فقلت له أتقول جاءته كتابى؟ فقال: نعم . أليس بصحيفة؟ فقلت له: ما اللغُوب؟ فقال: الأحمق والجمع كتب.

(٢) ليس بدل البيان من أقسام البدل إلا إذا أراديه بدل الكل من الكل وهو الذى سماه ابن مالك البدل المطابق ومع ذلك يجوز فى قول المتنبى أن أحداثها والقشاعم بدل بعض من كل لأنهما نوعان من نسور الفلا. ، ويجوز فى (نسور) أن يكون بدلا مطابقا من (أتم الطير) أو عطف بيان عليه كما تقرر فى كتب النحو.

(٣) المسان: يقال: أسَّن الإنسان وغيره اسنانا: إذا كبر فهو مسن والأنثى مسنة والجمع: مسان. (المصباح - سنن).

(٤) كلمة(والحدث) وردت فى المخطوطتين هنا ولعلها زيادة.

(٥) - (٥) مابين الرقمين وهو قدرسطر سقط من ت.

(٦) فى الأصل (م) : (أم تنكر).

(٧) فى الأصل م: (أم).

أى سقاها السحاب قبل نزول سيف الدولة بها، فما دنا منها قتل من كان بها من الروم، فسقتها السيوف بدمائهم.

(وَ كان بها مثلُ الجُنُونِ فأصبحت وَمِن جُثَثِ القَتلى عَليها تَمَائمُ)

التمائم: العُوَذ، وهى تُناط بمن كان به مَرَض أو جُنون أو سِحر.

فيقول: كانت هذه القلعة مضطربة غير مطمئنة ولا مستقرة بمن غلب عليها من الروم، حتى كان بها من ذلك مثل الجُنون، لأن المجنون يخالطه اضطراب وقلة ثَبات، ولذلك قيل له: (الأَولَق)[1]. لأن الولَق: سرعة الطّعن والمشى، وهذا فيمن أخذه من ذلك، فجعله (أفعل).

فأما سيبويه، فهو عنده (فَوعَل) بدليل (مألُوق) فلما وردها سيف الدولة فَقَتَل مَن تَغَلب عليها، استقرت واطمأنت، فكانت جثث القتلى عليها تمائم أوجبت لها الاستقرار والطمأنينة.

(وقد حَاكَموُها والمَنَايَا حَواكِمُ فَمَا مَات مَظلُومٌ ولا عاشَ ظَالِمُ)

أثبتَ حكمًا من حيث أثبت ظلمًا، لأن الظلم جَورٌ، والجور نوع من الحُكم، ضد العدل، فحاكموا هذه القلعة. والسيوف حواكم : أى هُنَّ ذوات الحكم على المتحاكمين عليها، وكان الظلم مِن قِبَل الروم لهذه المدينة، بهدمهم إياها. وإخلائهم لها، فلما كان الحُكم للسيوف، مات الظلم بقتل هؤلاء الروم الظالمين.

(فما مَاتَ مَظلُوم): يعنى القلعة، أى لم يَعْفُ أثرُها، بل جُدِّدَ بناوها، وزيدت تحصينًا. (ولا عَاشَ ظَالِمُ): أى لم يعش الروم الذين هدمُوها، بل قتلهم سيف الدولة.

(تَقَطَّعَ مالا يَقطَعُ الدِّرعَ والقَنَا وفَرَّ من الفرسانِ[2] من لا يصَادِمُ)

---

(١) إذا أخذ (أَولَق) من الولَق مصدر (ولق يَلقُ): إذا أسرع فوزنه (أفعل).
لأن الواو فيه أصل. وإذا أخذ من (ألق الرجل): إذا جن فهو مألوق فوزنُ أولق (فوعل) كما قال سيبويه لأن الهمز فيه أصل.

(٢) فى التبيان (٣:٣٨٥): (الأبطال) فى موضع (الفرسان).

أى ما كان من السيوف قاطعًا للدرع ولِلا بسها بقى، وما لم يبلغ من الحدة والشدة أن يقطعهما، تقطَّع وفَنِى، وذلك لشدة ما كان هنالك من الضرب. ومن كان من الفُرسان غير مُزاحِم ولا مُصادِم لم يَثْبت. يذهب فى كل ذلك إلى أنه لم يبق إلا الجيِّد الصابر على الكفاح، من الرجال والسلاح. ألا تراه يقول:

(ولـلّـه وقـتٌ أذهَـبَ الغشَّ نَـارُهُ   فلـم يَبـق إلا صَارمٌ أو ضبَـارِمُ)

(تجاوَزْتَ مِقدارِ الشجاعة والنُـهى   إلى قـول قوم أَنت بالغيب عالمُ)

أى أن أناسًا من الحُذاق لما رأوا إقدامك، وإعمالك رُمحك وحُسامك، يتيحان لك سلامة الحَوباء[1]، والظفر أبدًا بالأعداء، قالوا إنه لا يقتحم ذلك إلا بعد ما ظل عالمًا، أنه لا يَئوب إلا سالمًا غانمًا، فَحَصلت عندهم بذلك عالِمَ غيب، مُتقَفيا[2] للعواقب غير ذى رَيب. وهذا أرفع من منزلة الشجاعة والتدبير:

(تَظُنُ فِـراخُ[3] الفُتـخِ أنك زُرتـها   بأُماتِـها وهى العِـتـاقُ الصَّـلادِمُ)

أى أن خيلَك صعدت الجبال حتى انتهت إلى أعاليها، وهناك وكُور العِقبان. فلما أشرفتَ على تلك الوكور جَمْجَمْتَ، والجَمجمة تشبه صَرصَرة عتاق الخيل، ظنتها فِراخُ العِقبان أُمَّاتها. ومما يدلُك على أن الجمجمة تشبه الصرصرة قول الشاعر:

إذا الخيل صاحَت صياح النسور   هَزَزْنا شَراسِفَها بالجِذَم[4]

وعنى بالفُتخ: العقبان. أقام الصفة مُقام الموصوف، لأنها صفةٌ غالبة، تقوم مقام الاسم. وإنما سميت العُقابُ فتخاءَ، للين جناحها. والفَتَخُ:اللين، والصلادم: شِداد الخيل، واحدها: صِـلْدِم وصِـلْدِمة.

---

(١) الحوباء: النفس.

(٢) متقفيا: يقال: اقتفى أثره وتقفاه: اتّبعه أى هو يقتفى أثر العواقب ويتتبعها ليعلم حقائق الأمور.

(٣) فى الأصلين: (بنات) وما اثبتناه عن التبيان (٣٨٩:٣) والديوان. وقد جرى شرح المؤلف على هذه الرواية.

(٤) الشراسف: جمع شرسوف: ضلع من أضلاع الصدر على طرفها الغضروف الرقيق. والجذم جمع جذمه: السوط يقطع طرفه الدقيق ويبقى أوله.

(أفي كلُّ يومٍ ذَا الدُمُستقُ مُقدِمٌ قَفَاهُ على الإقدام للوجهِ لائمُ)

أي إن هذا الدُّمستق في كل يوم يُقدم فَيُهزَم، ويُحجم فيَسْلَم وجهُه، ويُضرب قَفَاه، فالقفا يلُوم الوجه على الإقدام.

يقول له: كَم تتوجه إلى من قد علمت أنه لك هازمٌ، فتسلمُ أنت، ويهونُ عليك ما ألقاه إذا سلمتَ أنت. وأراد قفاهُ لائمٌ لوجهه على الإقدام فقال : (للوجه)، لأن إضافة القفا إليه تشعر أنه لا يعنى من الوجوه إلا وجهه.

(بِضَربٍ أتى الهَاماتِ والنصرُ غالبٌ

وَصَارَ إلى اللَّبَاتِ والنصرُ قَادِمُ)[1]

أي أن الضَّرب إذا قَرع الهامَ لم تَعدُه نصرَه، إذ في الإمكان أن يموت صاحبُها، وأن لا يمُوت. فإذا وصَل إلى اللَّبَّة، هلك لا محالة، فحينئذ يُعتَدُّ بالنصر، وضرب الغيب مثلاً للشك في النصر، والقدوم للتيقّن، وكذلك الغائب مشكوك فيه، والحاضر مُتيقّن.

(حَقَرت الرُّدينياتِ حَتَّى طَرَحتَها وَحَتى كأَن السيْفَ للرمح شَاتمُ)

الرُّدَينيات: الرماح، منسوبة إلى امرأة تسمى رُدَينة، كانت تُركّب فيها الأسنة.

يقول: إنما أحببتَ لقاءَ العدوّ على قُربٍ معانقةً ومصافحة، لجرأتك وشجاعتك، ولم ترض أن تستعمل في قتاله الرمحَ، لأن ذلك مُشعرٌ بالجبن، لأن القتال به إنما هو على بُعد، فاطَّرَحته واستعملت السيف مكانهَ قال:

(وحتَّى كأن السيف للرُّمح شَاتِمِ)

أي لكأنك قد رأيت السيف قد عَيَّر الرمح بالضعف والتقصُّف وقله الغناء، فهَان عليك الرمح لذلك، ألا تراه يقول بعد هذا:

(١) البيت متقدم في الديوان على سابقه.

ومَن طَلَب الفَــتح الجليلَ فإنــمــا مَفَاتيحُهُ البيضُ الخِفاف الصَّوارِمُ

ومن كــلام بعض العــرب: الرمح أخُــوك، وربمــا خــانك. وقــال عــمــرو بن معديكرب في السيف:

خَليـلِى لــم أخُنــه ولـم يَخُــنِّى على الصَّمصَامَةِ السيفِ السَّلامُ[1]

-١٠٣-

وله أيضا:

(أَرَاعَ كَـذَا كُـلَّ الأَنَــام هُـمَــامُ وسحَّ لهُ رُسْــلَ الملــوكِ غَـمَــامُ)[2]

(كذا) فـى موضع نصب صفةٌ لمصدر محذوف أى راع رَوعًا مثل هذا:

(وسحَّ له رُسْلُ الملوك غَمام)

أى تقاطروا عليه، وقد جاءُوه تَترى[3] من كل أَوب، حتى كأن غمامًا سحّهم عليه لكثرتهم، أى صبَّهم، فرُسل الملوك : منصوبٌ على المفعول به، لأن سَحَّ فعل متعدّ.

(وَرُبَّ جَــوابٍ عــن كتــابٍ بَعَثْتَهُ وعنـــــوانُه للــنَّاظــرين قَـتَامُ)

يعنى جيشًا أجاب به عن كتاب، فأنبأهم قتامُه عنه، كما يُبنى عن الكتاب عنوانه

(تَضيـقُ به البيداءُ مــن قبل نَشرِهِ وَمَافُــضَّ بالبيــدَاءِ منــهُ خِتَـامُ)

أى أنه يملأ البيداء، وهو مجتمع قبل انتشاره، فكيف به إذا انبث وانبعث.

(حُــروفُ هجـاءِ النَّــاس فيه ثلاثةٌ جَــوادٌ ورُمـــحٌ ذَابِــلٌ وَحُسَــامُ)

أى لا يشاهد فيه إلا هذه الأنواع، كما لا يشاهد فى الكتاب إلاّ حروفُه.

---

(١) البيت فى اللسان (صمم) والصمصام والصمصامة: السيف الصارم الذى لاينثنى.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (٣٩٠) والتبيان (٣٨٥:٣).

(٣) تترى: أصله (وترى) التاء بدل من الواو، وألفه للتأنيث أو للإلحاق ولذلك يجوز تانيثه ومعنى تترى: متتابعين.

وله ايضا:

(بِلادٌ إذا زَارَ الحِسانَ بغيرها ... حَصَى تُرِبَها ثَقَّبْنَهُ للمِخَانِقِ)[١]

بلاد : أى هى بلاد، يعنى (الثُّوية)[٢] وهى الكوفة، وحصاها وهو ذلك الذي يعرف بالفرومى[٣]، وهو شفاف حسن. يقول: فإذا زير به الحسان فى غيرها من البلاد استحسنه فثقَّبنه فى مخانقهن. وليس الحصى هو الزائر فى الحقيقة لأن الزيارة إنما هى لمن يعقل، والحصى جماد. وإنما أراد زيرَ به الحسان فاتسع بأن جعل الفعل له. وواحد المخانق مِخْنقة، سميت بذلك، لأنها توضع فى موضع الخَنْق من الحَلق.

(وَأَغْيدُ يَهْوَى نَفْسَه كلُّ عاقِلٍ ... عفيفٍ ويهوَى جسمَه كلُّ فَاسِقِ)

أى أَنه كامل الحُسن خَلقًا وخُلقًا، فحسنه حُسنان رُوحانى، وهو حُسن الخُلُق، وجُسمانى وهو حُسن خَلْقه، فأوجب ذلك أن يعشقه العفيف والفاسق، فالعفيف يَهوى نفسه، ولها الحُسن الخُلُقى، والفاسق يَهوى جسمَه، وله الحسن الخَلقى.

ولو اتزن له أن يقول: (كل عفيف) ولم يذكر العاقل؛ لكان أذهب فى التقابل لأن العفَّه ضد العقل. وإنما يقابل العاقلُ الأحمق؛ فلا معنى لقوله «كل عاقل» ، لكن لما كانت العفة للجزء المعتدل، وكان الجزء المعتدل يوصف بالعقل، حَسُن أن يذكر العقل مع العفة، وإلا فوجه التقابل ما ذكرت لك.

وقوله: «وأغيد»: عطفٌ على قوله: (مليحةٌ) من قوله:

(سقتنى بها القُطرُ بُلىَّ مَليحةٌ)[٤]

وإن شئت رفعت أغيد على الابتداء ، وخبره مضمر. كأنك قلت وثَمَّ أغيدُ.

(١)من قصيدة له فى سيف الدولة أولها: (تذكرت مابين العذيب وبارق) (ديوانه ٣٩٣).
(٢) موضع من وراء الحيرة قريب من الكوفة (انظر معجم مااستعجم).
(٣) فى ت: الفندوى. وفى البيان: الغروى.
(٤) عجزه كما فى الديوان: «على كاذبٍ من وعدهاوهو صادقُ».

(يحدِّثُ عمَّا بين عادٍ وبَيْنَهُ وصُدغَاهُ فى خَدَّى غُلام مُراهِقِ)

ويُروى: (يحدث ما بين القرون وبينه). وهى الأمم الخالية. أى أن هذا الأغيد حافظ واعٍ حسن الحديث، جيد السِّياق له؛ فهو يحدث عن الأوائل، ويخبر بأخبار القدماء وإن كان حديث السِّن.

وقوله:

(وصُدغَاهُ فى خَدَّى غلامٍ مُراهِقِ)

كناية عن حداثته وفُتُوته. ويعنى بالصدغ: ما سال من الشعر على خدّه. وهذه الكناية، وأن كانت حسنة، فإن فيها تكلُّفًا، كان أقرب من ذلك ـ لو أتزن ـ أن يقول: وهو مُراهق. فكان يعنى من قوله:

(وصُدغَاهُ فى خَدَّى غلامٍ مُراهِقِ)

ولكنه تكلف ذلك ، لحفظ إعراب القافية.

(يُفرِّقُ مَا بَين الكُماةِ وَبينها بِطعنٍ يُسلِّى حَرُّهُ كلَّ عاشِقِ)

أى بين الكماة ونسائهم، بطعن يؤلم العاشق، فيُسْليه بِحرِّه عن المعشوق.

(أَتَى الطَّعْنَ حتى ما تطيرُ رشَاشَةٌ مِنَ الخَيلِ إلاَّ فى نحُورِ العَوَاتِقِ)[1]

الرشاشُ: ما أرشَّ من الدم. يقول: أَلحَقَ عقيلاً بحلالهم وعيالهم، حتى أنهم إذا أصيبوا بالطعان، طارَت دماؤُهم فى نُحور الشَّواب من النساء. وبالغ باختصاص الشوابّ، لأنهن لوازِم لزوايا الخُدور، فذلك أغرب.

(وَملمُومةٌ سَيفيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ يَصيحُ الحصى فيها صِياح اللَّقالِقِ)

ويروى تصيح الحصى. وَملمُومةٌ : يعنى كَتيبة مجتمعة لُمَّ بعضها إلى بعض، أى جُمع. وقيل مجموعة كالحجر الملموم. والقولان متقاربان. سيفيَّة : منسوبة إلى سيف الدولة. رَبعيةٌ : منسوبة إلى رَبيعة؛ لأن سيف الدولة منها .

(١) رواية الديوان (أتى الظعْن) جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج (انظر التبيان٢: ٣٢٥) والواحدى(٥٤٤).

(يصيح الحصى فيها صياح اللَّقالِق)[1]

أى قد كَثُر فيها الخيل والرَّجْل، فالحصى يصيح تحت حوافر الخيل، وأرجل الرجال، صياحَ اللقالِق : وهى نوع من الطير واحدها لقلاق. وحقيقة اللقائق: الصوت، فسمى هذا النوع من الطير لَقلاقًا بصوته، وكان يجب على هذا (صايح اللقاليق) لأن واحدها لَقْلاَق. وإذا كانت الألف وغيرها من حروف اللين رابعة فى الواحد، ثبتت ياءً فى الجمع، نحو حِمْلاق وحَماليق، وكُردوس وكراديس ، وشِمْلال وشماليل. لكن الشاعر إذا اضطر حذف هذه الياء فى الجمع . أنشد سيبويه:

قَد قَرِبَّت ساداتها الروائسَا ... وَالبَكراتِ الفُسَّج العَطامِسا[2]

فكذلك اضطر هذا الشاعر، فحذف ياء (اللقاليق) ولا يلتفت إلى قول العامة فى واحدها (لَقْلَق) ، فإن ذلك الخطأ.

وقيل : كانت هذه الكتيبة مَكسُوَّة تجافيف[3] ودروعًا، فإذا وضع الفرس حافره على حصاة أطارها، فقرعت تجفافًا أو درعًا، فأشبه صوت وقوعها بالدرع أو التجفاف، صوت اللقلاق. واستعار الصياح للحصى وإنما الصياح للحيوان.

ومن رواه «تصيح» أراد تُصيح هذه الكتيبة الحَصى، وكان يجب على هذه الرواية أن يقول إصاحة اللقالق، لأن مصدر أفعل إنما هو الإفعال، فإن كان الفعل معتل العين، كان مصدره إفَالة، تحذف العين، وتجعل الهاء[4] عوضًا منها، كقوله أَقَالهُ إِقالةً، وأقامه إقامة، لكنه قال: صياح ، فجاء بالمصدر على غير فعله، لأنه أراد فتصيح صياح اللقالق، وفى التنزيل (واللّهُ أنْبَتَكُم من الأرض نَبَاتًا)[5] أى فنبتم نَباتًا. ومثله كثير، قد أفرد سيبويه[6] فيه بابًا.

(١) فى اللسان (لقق) اللقلق واللقلاق: طائر أعجمى طويل العنق يأكل الحيات والجمع: اللقالق وصوته: اللقلقه. وكذلك كل صوت فى حركة واضطراب.
(٢) انظر ماسبق شرحه لهذا البيت فى المقطوعة (٤٧)
(٣) التجافيف: جمع تجفاف (بكسر التاء): آلة للحرب يلبسه الإنسان والفرس ليقيه فى الحرب. وفى المصباح: التجفاف: تفْعَال (بالكسر) شئ تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف. قيل سمى بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة.
(٤) أى أن (الهاء) عوض عن المحذوف وهو الواو من قام والياء من باع ومن العرب من يحذف الهاء وعليه قوله تعالى (وإقام الصلاة.)
(٥) الآية ١٧ من سورة نوح.
(٦) انظر الكتاب (٢٤٤:٢).

(وكان هَديرًا من فُحُولٍ تَركتَها   مُهَلَّبَةَ الأذنَابِ خُرس الشَّقَاشِقِ)

أى كان هذا الذى أبدتهُ عُقيل من الطغيان والأشر، بمنزلة الهدير للفحول، والفحول إذا هاجت هَدَرَت،وأخرجت شَقاشِقَها، وهى هَنَوات تخرج بيضًا وحُمرًا كالرئة. أنشد ابن دريد فى صفة شقشقة حمراء

فى جَونَهٍ كقَفَدان العَطار[1]

القفدان: أَدَمَة حمراء، تصان فيها أنواع العطر، فشبه الشقشقة فى لونها وعِظمها بها. والجَون: يكون للأبيض والأسود والأحمر.

وإنما قلنا هنا : إنه يصف شِقشِقة حمراءِ. لتشبيهه إياها بالقَفَدان، والقَفدان أحمر. فإذا تهادرت الإبِل، شُدت أذنابُها وأهلابُها[2]، فسكنت وخَرِست شقاشقها وذَلَّت، فجعل عُقيلاً بمنزله الفحول، وأشَرها وتوعُّدها لسيف الدولة كالهدير. وجعل إذلاله لهم، وتحبيسه إياهم، بمنزلة تهليب الأذناب، وإخراس الشقاشق.

وإن شئت قلت : لما هزمهم، فأدرك بعضًا وفاته بعض، كانوا بمنزلة فحول صال عليها فَحْلٌ مُقْرم، فهربت أمامه، فهلب[3] ما أمكنه من أذنابه أى نَسَفها[4].

-١٠٥-

وله أيضا:

(وَغَيرَّها التراسُلُ والتشاكى   وأَعجَبَها التلَبُّبُ والمُغَارُ)[5]

أى تراسلوا بما لَقُوه من هذا الملك، وشكاه بعضهم إلى بعض، فدعاهم ذلك إلى ترك الطاعة، وغيرهم عن الأئتمار لسيف الدولة. (وأعجبها التَّلبُّب): وهو التحزُّم بالسلاح، والمُغارُ :أى الإغارة على الأحياء.

(١) أنشده فى اللسان (قفد) عن ابن دريد ولم ينسبه لقائله.
(٢) الأهلاب: جمع هلب (بالضم) وهو الشعر الذى ينبت فى ذنب الفرس.
(٣) هلَبها: أخذ خصلة من شعرها.
(٤) يقال: نسف البعير الكلأ (كضرب): إذا اقتَلعه وانتسفه: اقتلعه.
(٥) من قصيدة له بديوانه ص٣٩٩ والتبيان (٢:١٠٠) ومطلعها:

طوال قنا تطاعنها قصار   وقطرك فى ندى ووغى بحار

(فكُنت السيْف قائمُه إليهم   وفى الأَعداءِ حدك والغِرارُ)[١]

أى كنت قبل نِفاقهم وشقاقهم ،سيفًا مردود القائم إليهم، لا تقطعهم ولا تؤذيهم، لأن القائم لا يؤثر. وفى أعدائهم غرارك : أى حَدُّك وله التأثير.

(فَأَمْسَت بالبَديَّة شفرَتَاه   وَأَمسى خلف قائمه الحيارُ)

البدية والحيار: ماءان بأرَّجان[٢]. والحيار أقرب إلى العمارة فيقول: سير من الحِيار إلى البدية وبها أدركهم، فصار الحيار خلف القائم. والشفرتان بالبديه، ضاربًا لهم بالسيف، الذى كان قبل مشاقَّتهم له يضرب به أعداءهم عنهم.

(مَضَوا مُتسابِقى الأَعضاءِ فِيه   رُءُوسُــهم بأَرجُلــهم عِثَــارُ)

أى انفصلت أعضاؤهم بعضها قبْلَ بعض. يقُول: تقطعت أعناقهم فبُددت، فتعثرت[٣].

(يُغادِرُ كلَّ مُلتفِتٍ إليه   وَلبَّتُهُ[٤] لَثعلَبِه وِجَارُ)

الثعلب: ما دخل من الرمح فى جُبة السنان، والوِجار: جُحرُ الثعلب وِجَار[٥] ووَجَار، حققها يعقوب[٦]. وشك أبو عبيد فى الكسر.

أى إذا التفت إليه المنهزم ليتأمل بُعده وقُربه لم يلبث أن يُطعن به فى لَبَّته. فتكون بمنزلة الوِجار للثعلب. ويجوز أن يجعل اللَّبه وجارًا من حيث سُمى مايدخل من الرمح فى جُبة السنان ثعلبًا.

وقوله: (وَلبتُّهُ لثعلبه وجار): جملة فى موضع الحال، إذا رَدَدتهَا إلى المفرد فكأنك قلت: يغادر كلَّ متلفت إليه مَطعونَ اللَّبه به، وهو فى موضع القلادة من الصدر.

---

(١) قائم السيف: مقبضه. وغراره: حده.

(٢) أرجان: مدينةكبيرة ذات زرع وزيتون بينها وبين شيراز فرسخان. وبينها وبين الأهواز ستون فرسخا أيضا ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم (عن ياقوت) (معجم البلدان).

(٣) لعله فتعثرت بأرجلهم كما فى البيت.

(٤) اللَّبة: أعلى الصدر

(٥) فى اللسان (وجر) الوجار (بالكسر) والوجار (بالفتح): جحر الضبع والأسد والذئب ونحو ذلك. والجمع: أوجر، وُوُجُر (بضمتين) واستعاره بعضهم لجحر الكلب.

(٦) صاحب كتاب إصلاح المنطق وقد سبقت ترجمته (انظر المقطوعه ٩٨ هامشة ٦)

(فَهُم حِزَقٌ عَلَى الخَابور صَرعَى بِهِم مِن شُربِ غَيرهم خُمارُ)

أى أنهم جمدوا، وأجمدوا خيلهم، فانقطعوا وانقطعت، وأقاموا فى هذا الموضع صرعى، كأنهم شَرب مخمُورُون وليسوا بشَرب ، إنما الشَرب رماح سيف الدولة، لأنها التى شربت دماءهم، والخُمار إنما هو للشارب. يَسخَرُ بهم فيقول: كيف خُمِر هؤلاء. وإنما الشاربة رماحُك.

وإن شئت قلت: جعل المهزومين كالمخمورين، لما بهم من الحيرة والكسل والفتور. وجعل الهازمين كالشُّرب، لما نالوا منهم، أو ما بهم من الفرح بفَلّهم لهم، وقتلهم إياهم. كفَرَح الشَّراب للنبيذ.

(يُوَسطُـــه المَفَـاوز كلَّ يومٍ طِلاَبُ الطَّالــبينَ لا الانِــتظارُ)

يوسِّطه: أى يدخله وَسط المفاوز، طلابه للمهزومين الهاربين إلى القفار، فهو يطلبهم هناك.

يقول: فهذا هو الذى يدخله المفاوز، لا هربه من أعدائه ولا انتظاره أن يُدركوه. وقوله: (طلابُ الطَّالبين): كان الأحسن فى الظاهر ـ لو اتزن له ـ أن يقول: طِلاَب المطلوبين، ولكن هذا يتجه على ثلاثة أوجه:

إما أن يكون عنى بالطالبين أعداءه الذين كانوا يطلبونه قبل، وهم الآن مطلوبون.

وإما أن يكون عَنَى بالطالبين للنجاة، وهم هؤلاء المهزومون.

وإما أن يكون «الطالبين» بمعنى المطلوبين، فقد يجئ (فاعل) بمعنى مفعول كما يجئ عكس ذلك كثيرًا.

فمما جاء (فَاعِل) فيه بمعنى مفعول قولُ بشر بن أبى خازم :

ذكرتُ بهــا سَلمَــى فبتُّ كـــأننى ذكرت حَبيبًا فاقدًا تحت مَرمَسِ[1]

أى مفقودًا.

وأما عكسُه، فنحو قوله تعالى: (إنُّه كانَ وَعُدهُ مَأتيًا)[2] أى آتيًا.

---

(١) البيت فى ديوانه بتحقيق د.عزه حسن ص١٠٠.

(٢) الآية ٦١ من سورة مريم.

وذُكِرَ لى أن المتنبى سُئل عن هذا فقال : عنيتُ بالطالبين سيفَ الدولة وكتيبته، وهذا عندى حسن. فطالبين على هذا فى موضع رفع أى طلاب الطالبين لعدوهم، كقولك (عجبت من ضرب زيد) وأنت تريد من ضرب زيد لعمرو، فإذا كانوا قد يحذفون الفاعل، ويجتزئون بالمفعول، للعلم بالمعنى، مثل قوله تعالى:

(لاَ يَسأَم الإنسانُ مِن دُعاء الخَير)(١)

أى من دعائِهِ الخير، فحذفُ المفعول وإبقاء الفاعل أولى. فقد جاء محذوفًا كثيرًا، فى مثل قوله تعالى:

(يومَ تُبدلُ الأَرضُ غَيرَ الأَرضِ والسمٰوات)(٢)

أراد : والسمواتُ غيرَ السموات. وزعم الفارسى أنه قد رُوى بيت ذى الرمة هكذا :

رَخيماتِ الكَلامِ مُبَتَّلاتٍ   جَواعلَ فى القَنَا قَصَبًا خِدَالا(٣)

مبتلات (بالكسر) أى مُقطِّعات للكلام، يَبهرن المنطِق نغمه، فحذف المفعول ومن رواه (مبتلات) فقد كفاك، لأنَّ المبتَّلة لفظ المفعول، وهى من النساء التى كلُّ شئ منها حَسَنٌ على حدة. كأن الحُسن (بُتِل) على كل جزء منها، أى قطع. وقد أثبت هذا فى كتابى المرسوم بالمخصص فى اللغة.

وتوسطه فى المفاوز فى أثر المنهزمين يكون كناية عن بُعد هِمته، كقوله هو فيه:

أَكُلما رُمتَ جيشًا فانثنى هَرَبا   تَصَرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ(٤)

عليكَ هَزمُهُمُ فى كل معترك   وما عَليكَ بهم عارٌ إذا انهزمُوا

وقد يكون ذلك كناية عن هدايته ومعرفته بالسُّبُل والمخادع، حتى لا يفوته الهارب منهم، كقوله هو فيه أيضا حين هزم عُقَيلا :

(١) الآية ٤٩ من سورة فصلت.

(٢) الآية ٤٨ من سورة ابراهيم.

(٣) البيت فى المخصص (٣:١٥٥) فى فصل (نعوت النساء فيما يستحسن من خلقهن) ولسان العرب (مثل) وفيه (جواعل فى البرى).

(٤) البيتان من قصيدته: «واحر قلباه ممن قلبه شبم».

تَوهّمها الأعراب صَوْلَه مُتْــرَفٍ تُــذكــرُه البيداء ظــل السُّرَادق[١]

فذكّرتَهُم بالماء ساعة غيَّــرت سَمَـــاوَةُ كَلْبٍ فى عُيُون الحَـــزائِق

وكانوا يرُوعُون الملـوك بأن بَــدَوا وأن نَبَتَتْ فى المـــاء نبت الغلافق

فهاجُوك أهدى فى الفلا من نُجومِهِ وأبدى بيُوتا من بيُـوت النقانق

(غَطَا بالغُنْثر البيداء حتـــى تحيرتِ المَتالى والعِشارُ)

الغُنْثر[٢]: ماء ، أى غطى مالُهُمُ البيداء، فى هذا الموضع المسًى بالغنثر، حتى تَحَيرت مَتالية وعشاره: أى أعز أولادها، وذلك لكثرة العدد وغزارة المَدَد.

(وَجيـشٍ كلما حَارُوا بـأرضٍ واقبـل أقْبَلَـتْ فيـه تَحَـارُ)

أى أن سيف الدولة تَبِع بنى كعب بجيشه، فكان الكعبيون كلما مروا بأرض واسعة حاروا فيها. وكان جيش سيف الدولة كلما مروا بتلك الأرض التى حَارَ أولئك فيها، حارتِ الأرض فيه، وذلك لعظمه، وجمهور أممه، مع ما خالط الكعبيين من الخَوَر، وهؤلاء من التحدث بالظفر.

فالضمير فى حاروا راجع إلى هؤلاء المتبوعين، وفى أقبل : راجع إلى الجيش. وكذلك الهاء فى قوله (فيه) راجعة إليه أيضا.

(وَأجفَــلَ بِالفـرات بَنُو نُمَيرٍ وَزأرُهُـهم الـــذى زأرُوا خُــوارُ)

الزئير للأسد، والخُوار للضأن.

يقول : كانوا أسدًا قبل لقاء سيف الدولة، فعادوا ضأنًا عند لقائه. وكَنى بالزئير عن الأسد، وبالخوار عن الضأن، لأن الزئير والخوار فى هذين النوعين خاصتان، والخاصة دالة على مخصوصها فتفهمه.

(فَهُم حِزَقٌ على الخابور صَرعَى بِهم من شُرب غيرهمُ خُمارُ)[٣]

قيل معناه : أراد غيرهم، فظنوا أنه أرادهم، ففروا وتفرقوا.

---

(١) راجع ديوانه ص٣٩٦.

(٢) هذه رواية ابن سيده. وفى اللسان (غثر) الغُنثر: ماء بعينه (عن ابن جنى) ورواية الواحدى «العثير»

(٣) ذكر هذا البيت بشرحه فى هذه القصيدة.

والذى عندى أن سيف الدولة أوقع ببنى كعب، فذلك معنى قوله : (من شُرب غيرهم خُمار)، وخاف النميريون من مثل ذلك فتفرقوا، فذلك خُمارهم لأن الخُمار أقرب إلى الصحو من السكر المُغرِق، فـفزعُ هؤلا ء النميريين أخفّ من موت الكعبيين.

(بَنُو كَعبٍ وَمَا أَثَّرتَ فِيهم يَــدٌ لم يُدمها إلا السّوارُ)

أى أنك وإن نِلتهم بمساءَةٍ، فقد شرَّفتهم باعتمادك إياهم، واشتغالك بهم، كالكف التى إن أدماها السّوار ، زينها ذلك وإن آلَمَها.

-١٠٦-

وله ايضا:

(أَيَا رَامِيًا يُصمِى فُؤادَ مَرامِهِ تُرَبِّى عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهامه)[١]

يخاطب سيف الدولة. يقول : أيا راميًا يصيب مارامه، فرماه بسهم ريشُه أجنحة عداه. عنى بالسهم : جيشه ، وبريش عداه، سلاحهم الذى سلَبهم إياه، وكساه جيشه، وجعل سلاح عداه ريشاً لكونه عونًا لهم. كما أن الريش عَون للسهم، وسَوَّغ ذلك أيضا أن السلاح لباس، واللباس يُكنَى عنه بالريش، كقوله تعالى (وريشًا ولِباسُ التقوى)[٢] ، وكنى بالسهم عن جيشه، لأنه يقتل به عَدُوه، كما يَقْتُل بالسهم.

وحَسنُ أن يناديه بالنكرة، لأنه قد أطال وصفها، وذهب إلى أنه ليس أحد يستحق هذه الصفة إلاّ هو. فكأن النكرة هنا معرفة. والعِدَا : اسم للجمع عند سيبويه[٣]، وليس بجمع لأن (فَعُولا) لا يكَسَّر على (فِعَل) وإنما جمع عَدُوٍّ: أعداء. وأما عُداةٌ فجَمعُ عادٍ. حكاه أبو زيد عن العرب. أشمت اللّه عادَيك، أى عدوك.

وما كان على (فاعل) من المعتل اللام، ففُعلةٌ فيه مطردة كقاض وقُضاة، ورامٍ ورُماة. ولا يكون (عُدَاة) جمع عدو، لأن (عدو) فَعُول، و (فَعُول) لا يُكسَّر

(١) مطلع قصيدة بديوانه ص٤٠٤ والتبيان (٤:٣).
(٢) الآية ٢٦ من سورة الأعراف.
(٣) انظر الكتاب لسيبويه(٢:١٩٥).

على (فُعَلة)، ولم أسمع لعادٍ فعلا يجئ (عادٍ) عليه، أى لم يجئ (عَدَوته) فى معنى (عاديتُهُ). ولكن هذا عندى على النسب، أى ذو عَدَواة، ونظيره. فاعل، ونايل، وأشياءُ قد حكاها سيبويه[1] وغيره.

(وَيجعَلُ ما خُوَّلتهُ من نَوالِهِ   جَزاءً لما خُوَّلتُهُ من كَلاَمِهِ)

أى إن إياديه تُنطقنى بجيد الشعر وتطلعنى على بالغ الشكر، فهو سبب ماخُوِّلته من الكلام. فإن ذا الكلام إنما هو منه، ثم يجازينى بالنوال، ، على ما أعاننى عليه من المقال. يُغْرب المتنبى بذلك وهو كقول البحترى:

فــهـــو يُعِطى خـــيـــرًا ويُثنى عليـــه   ثم يُعطى على الثُّنـــــاء جَـــزَاء[2]

وقوله : جزاء لما خُولته من كلامه: أراد (جزاء على ما خولته)، فأبدل اللام مكان (على) ضرورة. ويَجعلُ هنا: بمعنى (يُصَيِّر) فهى متعديه إلى مفعولين، كقولك: جعلت الطينَ خزَفًا.

-١٠٧-

وله أيضا:

(قَاسَمتَك المَنُوَنُ شَخْصَين جَورًا   جَعَل القَسمُ نَفسه فِيكَ عَدلاً)[3]

ويروى «فيه عَدْلا»[4] يعنى بالشُّخصين. أختَيه) أخذتِ المنون إحداهما، وهى الصغرى، وأبقت لك هذه الأُخرى. وهذه المقاسمة جَور، لانه تَسَوُّرٌ[5] عليه فى أهله. إلاّ أن القسم صَيَّر نفسه عدلاً فى ذلك الجَور، بأن أبقى لك الكبرى، وسلَبك الصُّغرى، كقوله:

---

(١) راجع المصدر السابق (٢: ١٩٠).

(٢) راجع قصيدة البحترى التى مطلعها:

«ياأخا الأزد ماحفظت الإخاء»

وفيها: (جزلا)مكان (خيرا).

(٣) قصيدة له يعزى سيف الدولة بوفاة أخته الصغرى.

(٤) هى رواية الديوان.

(٥) تسور عليه: أى هجوم عليه.

قد كانَ قاسَمك الشخصين دَهْرَهُمَا وعــاش دُرُّهما المَفْدِيُّ بالذَّهَبِ(1)

ومن روى (فيكَ عدلاً) : عنى أنه إذا سلِمت أنت فلم يأخذك، فذلك الجور عدل، لأن من ترك أنفسُ ممن أخذ، إلا أنَّ الجور فى ذلك موجود. وإنما كان يكون العدل لو ترك الجميع مَوفورًا. وإنما هذا العدل على الإضافة، لا على الإطلاق.

(خِطبَةٌ للحِمامِ ليس لها رَدٌّ وإن كَانتِ المُسَمَّاةَ ثُكلاَ)

أى حُلول الحِمَام بهذه العقيلة، يعنى أخت سيف الدولة، خِطبةٌ لاتردّ، يذهب إلى إعظامها وإنكارها، وإن كانت هذه الخطبة نسميها نحن ثُكلا، فليست كذلك فى الحقيقة، إنما هى إرادة من النُّور العُلْوِى، يجذبها ويُصيِّرها إلى ذاته.

(وَكَم انتَشت بالسُّيوف مِن الدَّهـــــرِ أَسيرًا وبالنــــوال مُـــقِلا)(2)

(عَـــدَّهـــا نُصــرةً علَـيــه فَلَمــا صَـــالَ خَتــــلاً رآه أدرك تَبـــلاَ)

أى تَسَوَّرْت أنت على الدهر فى مظلومِه، ففككت أسيره ، وجَبَرت كَسيره، وأغنيت فقيره، فأغضبته بمضَادتك إياه فى أفعاله، فأَرصَد لك خَتْلةً ينتهزها منك، إذ عَدَّ كل ذلك إنصافًا منه لمظلومَيه، ونُصرة عليه لمغلوبيه. فأخذ إحدى أختيك، مكافأة لذلك وعقابًا، فقَدَّر أنه أدرك ذحْلاً، ونال تَبْلا.

والهاء فى (رآه): عائدة إلى الدهر، فالفاعل هنا هو المفعول؛ ولا يكون مثل هذا عند سيبويه إلاَّ فى الأفعال النفسانيه التى فى معنى الشك والعلم فرآه هنا : المتعديه إلى مفعولين. وإذا كان كذلك، فالجملة التى هى قوله (أدرك تَبلا): فى موضع المفعول الثانى. وخَتْلا : مصدر فى موضع الحال، من باب أتانًا غَدْوًا ومُسْيًا(3). والانتياش(4):التخليص والانتفاض(5).

---

(1) من قصيدته فى أخت سيف الدولة وأولها.

«ياأخت خير أخ يابنت خير أب»

(2) البيت مقدم فى الديوان على قبله.

(3) لعله يريد أن غدواً ومُسْيا : اسمان منصوبان على الحال بتأويلهما غاديا وممسيا كما أن (ختلا) منصوب على الحال على تأويله بخاتل.

(4) فى اللسان (نوش) يقال: انتاشنى فلان من الهلكة: أنقذنى.

(5) وفى الأصل المخطوط (الانتقاض) بالقاف والصاد. والصواب: (الانتفاض)(بالفاء والضاد) وهو تخليص الشئ مما يلامسه. يقال: نفضت الثوب فانتفض أى حركته ليخلص من التراب الذى علاه.

(وَهُوَ الضاربُ الكَتِيبة والطّعنَةُ تَغْلُو والضَّربُ أغْلَى واغْلَى)

أى أن الكتيبة[1] متنمعة ببأسها شديدة، فالطعنة تغلو فيها أى تغلو وتشتد على مريديها منها.

فإذا كانت الطعنة الواحده غالية؛ فالضرب أغلى منها لأن الطعن أمكن من الضرب. إذ هو على بُعد، والضرب على قُرب، وقال : (الطعنه) ثم قابلها بالضرب، احتياجًا لإقامة الوزن. وكان أذهب له فى الصنعة ـ لو أتزن له ـ أن يقابل الطعنة بالضربة؛ والطعن بالضرب.

-١٠٨-

وله أيضا:

(كُلَّما رامَ حَطَّها اتَّسع البَنْـيُ فَغَطَّى جَبينَهُ والقَذَالاَ)[2]

بَنْيًا : مصدر بنى إما أن يكون قد تُكُلِّمَ به، وإما أن يكون على الضرورة ، لأن الشاعر إذا اضطر، كان له أن يَرُد مصادر الأفعال الثلاثية غير المزيدة إلى (فَعْلٍ)، وإن استُعمل فى الكلام على ذلك زيادة وغير زيادة. مثال ذلك، بعُد بَعْدًا، وذهب ذَهبْا، وكذب كَذْبا، فيردُّ كل ذلك إلى فَعْل. هذه حكاية الفارسيّ. «والجبين» : من أمام الرأس. «والقذالُ» من ورائه.

يقول : كلما دام (ابنُ لاوَن) ملك الروم هدمَ هذه القلعة، أوسع سيف الدولة بناءها وأطاله، حتى امتد ظلّه من أمامه، فغطى جبينه، ومن ورائه فغطى قَذَاله، أى قذال ملك الروم وجبينه.

(وتُوافيهِمْ بِها فى القَنَا السُّمْـرِ كما وَافَتِ العِطاشَ الصِّلاَلاَ)

الصِّلال: الأرضُون التى لم تُمطر بين أرضين ممطورة. واحدتها صِلَّة، وقيل: هى الأمطار المتفرقة. ويروى (الضَّلالا): وهى بقايا الماء، واحدها ضَلَل وقيل الضَّلُّ : الماء الجارى تحت الحجر. يقول: توافيهم بها أى بالمنايا وهى في القنا السمر، ببادر جيشك إليهم بالقتل كما تبتدر الأنفس العطاش بقايا الماء. والعِطَاش أحرصُ عليها، لأنهم لا يثقون بالرِّى، لقلة الماء، فهم يتسابقون إليه، ولو كان كثيرًا وثِقوا بما يأتيهم من الرِّى، فلم يتسابقوا.

(١) فى الخطيتين «الطعنة» ولايصح المعنى ولايتضح إلا بالكتيبة.
(٢) من قصيدته السيفية التى مطلعها:
ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقوله: فى (القنَا السُّمْر): فى موضع نصب على الحال، أى مستقرة فى القنا السمر، وملتبسة بها، كقولك: خرج زيد فى ثيابه: أى لابسًا لها، مشتملاً بها، و (كما وافت) أيضا نصب على أنه صفة لمصدر محذوف، أى موافاة مثل موافاة العِطاش. ولو قال قائل : إن (فى) مع قوله: (بها)[1] اسم على حِدة (فاعل) مقلوب موضع العين إلى اللام، من هافت الإبل تهاف: إذا عَطِشَت لكان حسنًا. وهذا الباب كثير، قد عمل سيبويه[2] وأهل اللغة فيه أبوابًا. فكأن المعنى حينئذ أن الرماح تبتدر شُرب دمائهم، فكأنها عَطِشة إليها، كما يَبْتَدِرُ العِطاش الماءَ.

(ابْصرُوا الطَّعن فى القلوب دِرَاكًا قبل أن يُبصرُوا الرِّمَاح خَيَالاً)

أى رأوا أصحابهم مقتولين، فشاهدوا الطعن فيهم دِراكًا[3] قبل أن يروا أشباح الرماح.

وإن شئت قلت: أعْجلَت الرماحُ هؤلاء القتلى أن يتوقعوا قبل ذلك، فيروها فى نومهم[4]. يذهب إلى أنه لم يك هنالك توعُّد من سيف الدولة، ولكن فَجِئهم[5] فقتلهم.

وقد يتوجه المعنى على أنهم أبصروا الطعن فى قلوبهم دراكًا بالقَرْع قبل أن يَرَوا نفس الرماح، كأنَّ القرع قتلهم.

وليس[6] قول من قال إن البيت مقلوب العجز والصدر، لأن ذلك فاحش، يذهب إلى أنه أراد: أبصروا الرماح خيالاً، قبل أن يبصروا الطعن فى القلوب دِراكًا، استدلالا بقوله:

---

(١) يريد المؤلف بهذه العبارة أن قول المتنبى (بها فى القنا) ليس كلمتين مستقلة إحداها عن الأخرى، وإنما هى كلمة واحدة، اسم فاعل من هافت الإبل تهاف إذا عطشت. وأصله هائف أخرت عينه وهى الهمزة بعد لامه فصار (هافئ) ثم خففت الهمزةلتطرفها بعد كسر فصار (هافى) بوزن (فالع) ويسمى هذا عند اللغويين القلب المكانى.

(٢) قد تضمن الكتاب لسيبويه (٢: ١٢٩) منه أمثله فى (باب تحقير مافيه قلب) مثل: شاكى السلاح: أصله: شائك السلاح. ومثل: أيْنق فى جمع ناقة أصله أنْوقٌ كما تضمن كتاب المزهر للسيوطى أمثلة كثيرة منه فى باب (النوع الثالثَ والثلاثون- معرفة القلب) انظر حـ١ :٢٢٩-٢٣٢ ط.الأميرية.

(٣) داركا: متتابعا.

(٤) هكذا وردت عبارة المؤلف (ابن سيده) حذف مفعول (يتوقعوا) ثم أفصح عنه فى الجملة بعده (فيروها فى نومهم.....) الخ.

(٥) يقال: فجئه الأمر(من باب تعب ونفع أيضا) وفاجأه مفاجأه: أى عاجله (المصباح).

(٦) لم يصرح هنا بخبر ليس. ولعله يريد (وليس قول من قال إن البيت مقلوب العجز والصدر (بشئ).

يرى فى النوم رُمحك فى كُلاه ويخشى أن يراه فى المنامِ

(أىُّ عَين تأمّلَتْك فلاقَتْكَ وطَرفٍ رَنَا إليك فآلاَ)

أى أنك مُتهيِّب، فإذا رأتك العين تغشتها هَيبتُك، ولم تَتَمَلّ[1]، منك فتصفك وصف من لقى الموصوف، وأَىُّ طَرف رَنَا إليك، فأنكر أن شعاعَك يغلِبه وَيبهرُه، فيمنعهُ إدامَه النظر إليك، وكرّه عليك كقوله هو فيه :

كأن شعاع ضَوءالشمس فيه ففى أجسامنا عنه انكسار[2]

أراد: (أَىُّ طرف) فاجتزأ بالأول عن الثانى ، كقولهم، أيُّنا فعل ذلك أَخزاه اللّه، أَراد : (أيِّى وأيك فَعَل) . من أبيات الكتاب.

فأَيِّى مَا وأَيُّك كانَ شَرًّا فسيقَ إلى المنيَّة لاَ يراهَا[3]

(كُلما أَعجلُوا النَّذير مَسيِرًا أعلجتهمْ جيادُهُ الإعجالا)

أى كلما آب إليهم المنذر بإقبال خيل سيف الدولة مُعْجَلاً سبقوه، كأن ذلك قد وَقَع فى رَوعهم قبل الإنذار، فَتُعْجِلُهُمْ خيلهُ عن العَجَلة التى تكلفُوها للهَرَب فَخيلُ سيف الدولة منهم، فى إعجالها إياهم، بمنزلتهم من النذير، فى إعجالهم إياه.

(رُبَّ أَمرٍ أَتَاكَ لاتَحْمدُ الفُعَّالَ فيه وتَحْمَدُ الأفْعَالاَ)

هؤلاء جيش من الروم، نزلوا على (الحَدَث) فنذِروا[4] بعسكر سيف الدولة، فانهزموا، فالانهزام محمود، والمنهزم غيرُ محمود على ذلك، لأنهم فرّوا وخَلّوا له سبيلَه، اضطراراً لااختياراً. والمضطر غير محمود على فعله، و[illegible] كان فعله فى ذاته حَميداً. وهذا كقوله هو:

فولّى وأعطاك ابنَه وجُنودَهُ ، جميعاً، وماأعطى الجميعَ ليُحْمدَا

(وَقِسِىٍّ رُمِيتَ عَنْها فَردَّت فى قُلوب الرّماةِ عَنْكَ النِّصالاَ)

أى رموك فأخْطئوك، ورميتهم أنت فأصبتهم.

---

(١) فى م: تتأمل وما اثبتناه عن ت وهو أوجه.

(٢) من قصيدته (طوال قنا تطاعنها قصار).

(٣) انظر سيبويه (الكتاب ٢:٢:٤٠٢) قال: وسألته (الخليل) رحمه الله عن أيِّى وأيُّك كان شرا فأخزاه الله فقال: هذا كقولك أخزى الله الكاذب منِّى ومنْك إنما يريد منَّا وكقولك هو بينى وبينك تريد هو بيننا.

(٤) نذر القوم بالعدو (بكسر الذال): علموا به فحَذروه واستعدواله (أساس البلاغة).

(أخذوا الطُّرْقَ يقطعون بها الرُسْـ ـلَ فكَان انْقِطَاعُها إرْسَالاَ)

أى لما قطعوا الطُرُق، فلم يمكن الإرسال، استمع الناس وتطلّعوا إلى عرفان الأنباء فأحوجهم ذلك إلى إنعام البحث، حتى عرفوا مع انقطاع الرسُل، ماكانوا يعرفون بالإرسال أو أكثر، فكأنّ الانقطاع صار إرسالاً حينَ أنتج من معرفة أَخبار الأعداء، ماكان يُنتجة الإرسال.

(مَامَضَوا لَمْ يُقاتلوك وَلِكـ ـنَّ القِتَالَ الذى كَفَاكَ القِتَالاَ)

(لم يقاتلوك): جملة فى موضع الحال، أى هؤلاء – وإن لم يقاتلوك– فما مضوا غير مقاتلين لك. وذلك القتال هو علمهم بظَفَرِك بهم، وعلمهم باعتيادك إبادَتهم، وهو الذى حملهم على ترك القتال، فهو الذى كَفَاك القتال.

فقوله: (القتال)، نصب بلكنَّ، و(الذى)؛ خبر لِكنَّ؛ أى، ولكّن القتال القديم الذى عَلِموه منك، هو الذى كفاك القتال الآن.

(والثَّبـاتُ الذى أَجَادُوا قَديماً عَلَّم الثابتين ذَا الإجْفَالاَ)

أى لما ثَبَت للهاجمين منهم فبادوا، امتثل هؤلاء خلاف ذلك. خشية أن يَحُلَّ بهم ماحل بأوائلهم، فهربوا وأجفلوا، وكانوا من ذوى النجدة والثبات.

(بَسَطَ الرَّوْعَ فى النُّهَير يَميناً فَتَولّوا وفى الشِّمال شِمَالاَ)

إن شئت قلت: أتاهم الرَّوع من أيمانهم وشمائلهم. وإن شئت قلت: ضاعف الرَّوْعَ عساكر سيف الدولة فى عيونهم، ففرُّوا ولم يَثْبُتوا.

وله أيضا:

(يَقْمُصنَ فى مِثْلِ المُدَى من بَارِدٍ   يَذَرُ الفُحولَ وَهُنَّ كالخِصْيَانِ)[١]

القُماص. النَّزَوَان، حكى سيبويه عن العرب أَفلا قِماص[٢] بالعَيْر، وقال هو مثل هذا الماء الذى ذكر المتنبى (أرسناس) دائم البرد مَشْتًى ومَصيفاً، وكانت هذه الغزوة صيفية. فيقول: إنَّ هذا الماء خَصَى الخيل، فآلمها البردُ إيلاَم المُدَى، وهى السكاكين، حتى قلَّص ذلك البرد الخَصى، فعاد الفحلُ منهن كالخَصِىِّ. وقال: (مِنْ باردٍ)، فوضع الصفة موضع الموصوف، لأنه قواه بالنعت، وهى الجملة التى هى قوله: (يذر الفحول) فصارت الصفة كالاسم، بما هَيَّأ لها من الوصف. ولولا ذلك لَقَبحُ.

قال سيبويه[٣]: لو قلتَ ماأَتانى اليوم إلا قَوىّ، وإلاَّ بارد، لم يكن فى قوة قولك: ما أتانى اليوم إلاّ رجلٌ قوىّ، وإلاّ ماءٌ باردٌ.

(والماء بين عَجَاجَتَين مُخَلِّصٌ   تَتَفَرَّقَانِ به وتَلْتَقِيَانِ)

يعنى عَجاجة الإسلام، وعَجاجة الروم ربَّما جازت النهر فالتقتا، وربما قصرتا عن ذلك فتفرقتا.

(رَكَض الأميرُ وكاللجَينِ حبابُه   وَثَنَى الأعِنَّةَ وهو كالعِقْيَانِ)

أى جاوزه أبيض برئياً من الدم والقتلُ لم يقع بعد، ثم أوقع بالروم فسالت دماؤهم فى (أرْسناسِ) فاحمرَّ، وَعَبَرَه للرجوع، وهو من ذلك الدم أحمر كالعقيان، وأراد: ركضَ الأمير الخَيْل فحذف المفعول.

---

(١) من قصيدته التى مطلعها «الرأى قبل شجاعة الشجعان» ديوانه ٤١٥.

(٢) هذا مثل أورده ابن منظور فى اللسان (قمص) نقلا عن سيبوية فى الكتاب (١:٣٥٩) برواية (أفلا قماص بالبعير). والقماص: الوثب وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا.
ونرى أن (البعير) محرفة عن (العير) والعَير: الحمار الوحشى وغيره. وقد ورد المثل فى اللسان أيضا برواية (العَير) قال: وقد ورد المثل المتقدم على غير ذلك فقيل: مابالعير من قماص، وهو الحمار.
ونرجح أنها الصحيحة لأن القمص من خصال الحمير لا البعران وقد ورد المثل كذلك فى أساس البلاغة برواية (العير) وكذلك فى الأمثال للميدانى (٢:١٤٧) وقال بعده: يضرب لمن لم يبق من جلده شئ.

(٣) انظر الكتاب (١:٣٥٩).

(وَحَشاهُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوائمٍ عُقْمَ البُطُونِ حَوالِكَ الألْوانَ)

يقول حشا سيف الدولة هذا النهر شُعْثًا سُوداً بالقار عُقْماً: أى لاتحمل. وإنما أقام السُّفُن فى هذا النهر مُقام الخيل. وقال: (عادية بغير قوائم) لأن السفن سابحة لاماشية. ونظير قوله: (حوالِك الألوان) قول الآخر فى وصف سفينة.

وإلى نداك ركبْتها زَنْجيَّةً كرُمَتْ منابتُ اصلها من عَرْعَرِ

(وعَلَى الدُّرُوبِ وفى الرُّجُوع غَضَاضَةٌ والسَّيرُ ممتنعٌ من الإمْكَانِ)

أى: كان الذى عَدَدْنا من أحوالك، وذكرناه من أخبارك على الدروب.

وإن شئت قلت: وعلى الدروب لك آثار أيضاً، إذ فى الرجوع غَضَاضَةٌ ونقصان على الرّاجع، والسير حينئذ صَعبٌ لايمكن، وقوله:

(وفى الرجوع غَضَاضة) و (السيرُ ممتنع)، جملتان فى موضع الحال. ولو قال: (والسيرُ مُمَتنعٌ)، لكان الكلامُ تامًا، لأنه قد عُلِم أن الممتنع غير ممكن. ولكن القافية وباقى بناء البيت أحوجاه إلى قوله: (من الإمكان).

(وفَوارِسٌ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَهَا فكأنَّها لَيْسَتْ مَنَ الحَيَوانِ)

من شأن الحِمام أن يميت ولا يُحْيى، لكن هؤلاء يُحْيِي الحِمامُ نفوسَهم، بما يَتْبع موتَهم فى الحروب من عالى الذكر؛ وجميل الثناء، بحسن البلاء، كقول أبى تمام:

ألِفُوا المنايا فالقَتيلُ لَدَيْهِمُ مَنْ لم يُخَلَّ العيش وهْوَ قَتِيل[1]

وإن شئت قلت: يُحيى الحمامُ نفوسَهم، وهؤلاء يُحِبُّونه ويُؤْثرونه؛ فكأنهم ليسوا من الحَيَوان، لأن الحيوان يكرهون الحِمام؛ وهؤلاء يحبونه ويؤثرون حُبَّ الحِمام نفوسهم.

(حُرِمُوا الذى امَلُوا وأدْرَكَ مِنْهُمُ آمَالَه مَنْ عَادَ بالحِرْمَانِ)

(١) من قصيدة بديوانه يرثى بها محمد بن حميد وأخاه مطلعها.

« بأبى وغير أبى وذاك قليل »

أى الذى أمَّلوه من الظفر بسيف الدولة؛ وأدرك الناجى منهم بنفسه أملَه الحادث له حينئذ، لأنه لما حُرم الظَّفَر، وعلم أن سيف الدولة مُظفر به، جعل أقصى آماله السلامةَ والنجاة بذاته، فمن تهيأ له ذلك منهم، فقد نال أملَه الحادث، وإن كان قد حرم ذلك الأول. ونحوه قول امرئ القيس:

وقد طوفت فى الآفاق حتَّى ... رَضيتُ من الغنيمة بالإيابِ[1]

ومن أشعار المَثَل:

اللَّيلُ داجٍ والكِباشُ[2] تَنْتَطِح ... فمن نَجَا برأسِهِ فقد رَبِحْ

-١١٠-

وله أيضا:

(عُقْبَى اليمين على عُقْبَى الوَغَى نَدمُ

مَاذَا يزيدُكَ فى إقْدَامِكَ القَسمُ)[3]

كان الدُمُسْتق [أقسم][4] على أن يَلقَى سيف الدولة. فلما لَقِيَهُم انهزم، فَنَدِمَ على قسمه، فجعله المتنبى مثلاً. يقول: إذا حلَفت أن تلقى من لست قِرْناله مُوازياً، ولا كُفُؤاً مساوياً، ندمت على مافَرَطَ منك من حَلِفك ثم قال: ماذا يزيُدك فى إقدامك القسمُ؟ أى لاتقسم فإن ذلك لايزيدك فى إقدامك؛ بل ربما أعْقَبك الندمَ، وهذا نحو قول العرب: الصدق ينُبئ عنك لا الوعيد.

وقوله: (على عُقْبى) متعلقة باليمين وإن لم يُسْتَعْمل منه فعل. وحروف الجر إنما تتعلق بالأفعال والأسماء المشتقة منها. لكن جاز تعلُّقُها باليمين، لأن فى اليمين معنى الحَلِف؛ فكما كانت تتعلق بحَلَف؛ كذلك تعلقت بما هو فى معناها. والعُقْبى: العاقبة.

---

(١) من قصيدة لامرئ القيس مطلعها:
« أراناموضعين لأمر غيب»

(٢) انظر اللسان (نطح)

(٣) مطلع قصيدة له فى سيف الدولة (البيان ٤:١٥) والبرقوقى (٢:٢٩٤).

(٤) أقسم: زيادة يقتضيها السياق والشرح.

(ولّى صَوَارِمَهُ إكْذَابَ قَولِهِمُ   فَهُنَّ ألْسِنَةٌ افواهُها القِمَمُ)

كان زعيم الروم أقسم لَيَغْلِبَنَّ سيف الدولة أو لا يَبْرَحُ؛ فكان الأمر بخلاف ماأقسم عليه لَيَكُونَنَّ، فأعقب ما كان من ذلك القسم، أشد مايكون من الندم. فيقول: ولّى سيفُ الدولة صوارمَه إكذاب قول هؤلاء، بإصارتهم إلى الحِنْث، لأنهم لما واقَعُوه، لم يلبثوا أن انهزموا، قال: (فهُنَّ ألْسنةٌ) يعنى السيوف، شبَّهها بالألسنة فى الصورة والمضاء، وجعل هامَهم المفلّقة بها، بمنزلة الأفواه التى تكون بها الألسنة، وجعل عمل السيوف فى الهام، بمنزلة الفُتياَ المرخِّصة لهم فى الهرب.

ومما شُبه فيه السيف باللسان قول الشاعر:

وسَيْفى من خَوْض الدِّماء كأنَّه   بكفِّى لسانُ الذِّيبِ أوْلَغه الدِّما[1]

ومما شُبْه فيه السنان باللسان أيضاً قوله:

وأسمرُ فى رأســـه أزرقٌ   مِثْلُ لِسَانِ الحَية الصّادى[2]

وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ[3] الشِّعْرَى شَكَائمها

وَوَسَمَتْها على آنافِهاَ الحَكَمُ

أى أحمَى طلوع الشِّعرى العبُور، وهو أوان اشتداد الحر، وانقطاع المطر، شكائم هذه الخيل الضامرة. والشكائم: فئوس اللُّجُم، واحدتها شكيمة وقيل : الشكائم: الحكَم[4]، فاسْتَحَرّت الحكمَ حتى عادت كالمِكواة، فوسَمَت آناف الخيل ، كما يسمها الكاوى بالنار.

(حتى وَرَدْنَ بسُمْنين بُحيْرتَهاَ   تَنِشُّ بالماء فى أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ)

(١) لم نهتد إلى قائلة.
(٢) البيت لدعبل الخزاعى فى (ديوانه١٠٣).
(٣) فى الديوان والتبيان «أحمت الشعرى» والبيت ساقط من ت، دون الشرح والشزب: جمع شازب وهو الفرس الضامر.
(٤) الحكَم: الحَكَمة (بفتح الحاء والكاف): ماأحاط بحنك الفرس من اللجام وفأس اللجام: الحديدة القائمة فى الحنك وقيل هى الحديدة المعترضة فيه (اللسان .. فأس).

أى أن الخيل شربت من بُحيرة سُمْنين فغلى ذلك الماء فى أفواهها، باستحرار اللجم التى فى أشداقها، كأن ذلك الحَرَّ الذى فى الحديد هو الذى أحمى الماء فغلى فى أفواه الخيل.

(وَأَصبَحت بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً   تَرعى الظُّبَا فى خَصِيبٍ نَبتُه اللِّمَمُ)

الخصيب هنا: الهامُ، ونبتها الشَّعَر. والخصيب كناية عن كثرة الشَّعر. وإنما عنى أن هؤلاء القتلى شباب لم يَصْلَعُوا بعد، وهم يَكْنُون[1] عن كثرة الشعر وسواده بالخصب، وعن ضد ذلك بالمَحْل فمما جاء فى ذلك قولُه:

خليلىَّ لَون الشيب دَاءٌ كرهتُه

فما أحسنَ المَرْعَى وما أقبحَ المَحْلاَ[2]

وقال:

رأت أُقحوان الشيب فوق خَطيطةٍ   إذا أُمْطِرتْ لم تَسْتكنَّ صُؤَابها[3]

شبه رأسه حين صَلِع بالخطيطة، وهى الأرض التى لم تُمْطَر بين أرضين ممطورتين. وإذا لم تُمْطَر لم تُنْبِت. وقال: (تستكن صُؤابها): أى أنه ليس هنا شَعْر فيستتر فيه الصؤاب لَوْ مُطِر، ولانعلم أحداً شبه الشيب بالأقْحوان إلا هذا الشاعر.

قال أبو النجم فى تشبيهه قلة الشعر بالجدب (أجْدب[4] الفالى إذا الفالى فَلاَ) أى وافقه جَدبا كقولك: أهْيَجت الأرض: وجَدْتُها هائجة النبات وله نظائر كثيرة.

---

(١) فى م: (وهم مما يكنون): واللفظة (مما) مقحة فى الكلام.
(٢) البيت فى الأمالي(٢:١٢٤) وروايته «إن الشيب».
(٣) البيت لمرقش الأكبر (المفضليات - ٢٣٦).
(٤) هذه رواية ت (أجدب بجيم ودال) ومعناه: وجد رأس الصبى قليل الشعر كأنه الأرض الجدب. وفى م: (الجرب) تحريف.
وفلا الفالى الصبى يفلوه ويفليه: تتبع مافيه من الصئبان ونحوه وأبعده عنه.
(٥) يقال: أهاجت الريح النبات: أيبسته. وهاجت الأرض هيجا وهيجانا يبس بقلها، وأهيجها: وجدها هائجة النبات (اللسان هيج).

(فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ   تَحتَ التُّرابِ ولاَ بَازًا لَهُ قَدَمُ)

استثارت هذه الخيل من مُنهزمي الروم مَنْ وَلَجَ بطنَ الأرض، وسلكَ الأخاديد، فصار بتخلُّله التراب، بمنزلة الخُلْد وهى الفأرة العمياء، إلا أن الخلد هنا إنسان وله بَصَر، إنما أخرجه بقوله:(لَهُ بصر) من نوع الخلد إلى نوع الإنسان. إذ هو المختبئ فى التراب، وليس بخُلْد فى الحقيقة، إنما هو إنسان، وإنما شبهه بالخُلد فيما ذكرت لك وكذلك أنزلت منهم صقَر الخيل والعُقاب، فصار بازاً فى تسنُّمه المرَاقبِ، كتسنم البوازى، إلا أن له قدماً، إذ ليس بباز فى الحقيقة. وبقوله: (قدم) أخرجه من نوع البازى إلى الإنسانية، كما أخرجه من نوع الخُلْد بقوله: (له بصر) وهذا الإخراج مليح، وإن كان قوله: (له بصر) و(له قدم)، من باب الرسم لامن باب الحَد[1] فقد أجاد فتفهمه، فإنه لطيف.

(وَلاَ هِزَبْراً لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ   وَلامَهَاةً لَهَا من شِيْهِهاَ حَشَمُ)

أى : درعه له كاللِّبدة للأسد، (ولها من شِيْهِهاَ حشم): أى : جَوارٍ مثلُها فى الحسن والسِّنَّ يَخْدُمْنها. وبقوله: (من درعه لِبدَ) أخرجه من نوع الأسْدِ لأن الأسدَ لايَدَّرِعُ. وبقوله: (لها من شِيْهِهَا حَشَم) أخرجها من نوع المهاة، لأن البقرة ليسَ لها خدم من نوعها.

وهذان الفصلان: أعنى (له من درعه لِبدَ) و (لها من شبهها حشم) عَرَضان، ليسا برسْمَين، كالبَصر والقَدم الذى قبله، لأن البصر والقدم جوهران.

(عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فيه وفى بَلَدٍ   سُكَّانُه رِمَمٌ مَسكوُنُها حُمَمُ)

الحُمَم: الفَحْم؛ واحدته حُمَّة بالهاء. سمى بذلك لسواده، أى قتلتهم وأحرقت منازلهم؛ فلم يبق من أنفسهم إلا أعْظمُ رمَم، وهى البالية، ولم يبق من منازلهم إلا ماعاد حُممًا. فالأعْظُم هى الساكنة لأنها جزء من السكان، والمسكونَةُ هى الحممَ، لأنها جزء من المساكن.

---

(١) الحد فى المنطق: شرح معنى الشئ بالجنس والفصل القريبين. والرسم مايكون بالجنس والفصل البعيدين.

.وماأحسن ماقابل به بين الرِّمَم والحُمم: لفظاً ومعنى. وقوله: (سكانهارِمَمُ) جملة فى موضع النعت لبلد وقوله: (مسكونها حُمَم): جملة فى موضع النعت لرمم. فكأنه قال: فى بلد خال مُحْرِق.

(وَفى اكفِّهمُ النـــارُ التى عُبدَتْ قَبْلَ المَجُوسِ إلــى ذا اليوم تَضْطَرِمُ)

شبه السيوف بالنار فى صفائها والتهابها وقوة تأثيرها وقوله: (عُبدت قبل المجوس): كلام صحيح، لأن الحاجة إلى السيف طبيعة، وعبادة المجوس النار شريعة، والطبيعة أقدم من الشريعة، وإن لم تكن هذه السيوف المحدثة الآن، هى السيوف التى استعملت قبل عبادة المجوس النار، وإنما أراد التى عُبدت أجدادُها[1] من السيوف، أو عبدت أمثالها. ومعنى عبادتها[2]: القول بها، والاشتغاثة[3] إليها.

وقيل: اشتمالهم[4] بها: كاشتمال الإسلام[5] بالمصاحف، والنصارى بالإنجيل، ونحو ذلك من أنواع الشعار الإلهى.

وقيل، معنى (عُبدت قبل المجوس)، إنما ذهب إلى أنها عتيقة قديمة .

(تَلقَى بهم زَبَدَ التَّيارِ مُقْرَبَةٌ عَلَى جَحَافِلِها من نَضْحِهِ رَثَمُ)

يعنى زَوارق يحثُّها سيف الدولة لأصحابه، حتى عَبَروا عليها هذا النهر. والرَّثَمُ: بياض الشفة العليا، والجَحْفَلَة للفرس: كالشفة للإنسان، يقول: جُزْتَ بهم التَّيارَ على هذه الزوارق. والتيار: هو الموج يقْذِف على مَقادم هذه الزوارق، والسُّمَيْرِيَّات[6] بالزَّبد، وهو أبيض، فكأن ذلك الزبدَ عليها رَثَمٌ. ثم جعل الزوارق مُقْرَبَة، إنما المُقرَبَة الخيل، لأنهم كانوا يعبُرون عليها هذه الأنهار بالخيل، فأقام

(١) فى م (أفرادها).
(٢) أى اعتقاد ألوهيتها.
(٣) يقال: استغاثه واستغاث به. وقد ضمّن ابن سيده هنا (استغاث) معنى لجأ إليه فعدّاه بإلى.
(٤) أى حملها.
(٥) يريد أهل الإسلام. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما جاء فى القرآن الكريم (واسأل القرية) أى أهلها.
(٦) السميريات: ضرب من السفن أو الزوارق ولم نجده فى المعاجم.

هو الزوارق مُقام الخيل، فاستجاز لذلك أن يصفها بالمقربة[1] ولما جعلها خيلاً مُقْربة، استجاز أن ينسب إليه أعضاء الخيل وشياتها. فجعل لها جَحْفَلَة[2]، إنما هى للخيل، وجعل لها رَثمًا حين جعل لها جَحْفلة[2]. والنَّضح: مارَمَى به الزَّبد. يقال: نضحَ ونَضَخَ: وقيل ما كان فِعْلا فهو نَضْح؛ بالحاء غير معجمة، وما كان اسما فهو بالخاء معجمة. وهكذا رُوِى هذا البيت عنه.

فإن قلت: كيف قلت إن المقربة هنا زوارق، وهو يقول عقيب[3] هذا البيت:

تَجَفَّل[4] الموجُ عن لَبَّات خيْلهِم   كما تجفَّلُ تحت الغارة النَّعَمُ

فأنبأ أنهم عبروا على الخيل. وقال فى موضع آخر [وذكر][5] هذا العبور :

حتى عَبَرْن بأرْسَنَاسَ سوابحًا   يَنْشُرْنَ فيه عمائمَ الأبطال[6]

فالقول عندى: أن بعضهم عَبَر على الخيل، وبعضهم على زوارق. وقد يجوز أن يكون قوله: (تَجفَّل الموجُ عن لَبّات خيلهم): عنى فيه بالخيل الزوارق، على ماتقدم فى البيت الأول.

ومما يدلك أنه عنى الزوارق قوله بعد هذا:

(دُعمٌ فَوارِسُها رُكّابُ ابْطُنِها   مَكْدُودَةٌ وبِقَوْمٍ لابِهاَ الألَمُ)

فالخيل لاتُرْكَب بطونها، وإنما يُركب منها الظهور. وأراد المتنبى بقوله: ركاب أبطنها: أن يَفصِلها من أنواع الخيل. وقوله: (بقوم لابها الألم): إنما الألم بالقتلى لابها وإن كُدَّتْ. وقيل الألم بالقوم العاملين فيها.

(مِنَ الجِيَادِ التى كِدْتَ العَدُوَّ بِهَا   وَمَالَها خِلَقٌ مِنها وَلاَ شِيَمُ)

(١) الخيل المقربة: هى التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها (أساس البلاغة) وعبارة الغريب المصنف لأبى عبيد (الخطية ص١١٨): هى التى تكون قريبة معدّة.
(٢) - (٢) مابين الرقمين ساقط من ت.
(٣) هو قبله لاعقيبه.
(٤) التجفُّل: الإسراع فى الذهاب والغارة: الخيل المغيره على العدو. والنعم واحد الأنعام وهى المال الراعى وأكثر مايقع على الإبل.
(٥) وردت العبارة هكذا (فى موضع آخر هذا العبور) دون فاصل فى الخطيتين ولعل كلمة (وذكر) التى أثبتناها هنا يكمل بها المعنى.
(٦) تقدم شرح هذا البيت.

أى السفن مبلغة لك من عَدُوك، ماأبلغتك الخيل منهم، فهى من الخيل بمشاركتها إياها فى ذلك. لكن لا تشبهها فى خلقة ولا خَلِيقة. الخيل حيوان، والسفن عيدان.

(صَدَمتَهمْ بِخَميس انتَ غُرّتُهُ وسَمْهَرِيَّتُهُ فى وَجْهِهِ غَمَمُ)[1]

أنت غُرَّتُه: أى أنت أمامه، فكنى بالغرة عن التقدم والشهرة. ولما جعل للخميس غُرة، فوصفه بما هو من شيات الخيل، استجاز أن يصف بالغَمَم، وهو كثرة شعر الناصية فجعل الرماح المشْرعة فى وجهه بمنزلة الشعر الكثير وجعل الغَمم وهو عَرَض، خبراً عن السَّمهرية، وهى جوهر تجوزاً. وكأنه أراد، وتكاثُفُ السمهرية في وجهه غَممٌ. لكنه حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. ونظيره قوله تعالى: (وَلَكِنَّ البِرَّ من آمَنَ باللّه)[2] أراد: ولكن (ذا البرّ من آمن باللّه)، وليُقابل الجوهر بالجوهر، والعَرَض بالعرض. ولذلك اعتقد النحويون الحذف[3] فى مثل هذا.

(فلا سَقَى الغيثُ ماوَارَاهُ من شجَرٍ لَوْ زَلَّ عنهُ لوَارَتْ شَخْصَه الرَّخَمُ)

يعنى ماوارى ابن شُمَشْقِيق من الشجر، وذلك أن الشجر حال بينه وبين المُتَّبعين، فأفلت. فدعا المتنبى على هذا الشجر ألا يَسْقيه الغيث حين وارى هذا المنهزم، فكان ذلك سبب نجاته (لو زَلَّ عنه): أى لو زال هذا الشجر عنه، فلم يوارهم لقتل، فتجمعت الرَّخمُ عليه تواريه بُشخوصها.

وقيل: لو رأته لأكلته، فيتوارى فى أجوافها. ويروى: لوارى شخصه الرَّجَمُ بالجيم وهوالقبر، والأول أسبق. لأن القتيل فى المعترك، إلى أن تأكله الطير والسباع أقرب منه إلى أن يقبر، وبذلك وصَفَت العرب قتلاها، كقول عنترة:

فَتَركْتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَه مابين قُلَّة رأسِه والمِعصَمْ[4]

(١) هذه رواية الديوان والتبيان ورواية ابن سيده(هزمتهم).
(٢) آية ١٧٧ من سورة البقره.
(٣) أى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. ومنه فى القرآن الكريم(واسأل القرية) أى أهلها.
(٤) من معلقة عنترة المشهورة
«هل غادر الشعراء من متردم»

وقال:

إنْ يَفْعَلا فلقد تركتُ أباهما جَزَراً لخَامعةٍ ونسرٍ قشعمِ[1]

وقال آخر:

تَرَكْتُ أباك قد أَطْلَى ومالت عليه القَشْعمان من النسور[2]

ـ١١١ـ

وله أيضا:

(فارقتُكم فإذَا ما كان عِنْدَكُمُ قَبْلَ الفِراقِ أذىً بَعْد الفِراقِ يَدُ)[3]

(إذَا تَذَكَّرتُ ماَبَيْنِي وَبَيْنَكُمُ أعانَ قلبى على الشوقِ الذى أجِدُ)

هذان البيتان يخاطب بهما سيف الدولة، بعد فراقه إيَّاه، وهما يخرجان على ذَمِّ سيف الدولة وعلى حمده.

فأما خروجهما على ذمه، فمعناه: أنى تأذَّيت بمجاورتكم، فبعثنى ذلك على فراقكم، فعاضَنِى الدهرُ خيراً منكم، وتبدَّلت بالأذى راحة فصار ذلك الأذى الذى كان قبلُ، يداً عندى الآن. إذ كان سبب تنقلى عنكم، وارتيادى ماأحْمدته حين وجدته .

وقوله: «إذا تذكرت مابينى وبينكم» يعنى من الحال[4]، وهو الأذى الذى عَدَا منهم إليه، هاج شوقى فأعان قلبى على مايجده من ألم التوحش.

وقد يجوز أن يعنى[4] بقوله : «إذا تذكرت مابينى وبينكم»، مابينهما من تفاوت المنزلتين، كان ذلك سبباً للسلُّو.

وأما خروجهما على حمده، فمعناه: شكوتكم قبل أن أختبر غيركم، فلما جَرَّيت من سواكم، علمتُ أن ما شكوته منكم كان بالحمد أولى.

ثم أَعْلَم أن سيف الدولة مع ذلك كان غير منصف له. وإنما حمده بالإضافة إلى غيره، فقال: إذا ذكرت مابينى وبينكم من قلة إنصافكم لى، سَلأْنى ذلك عنكم.

(١) ديوان عنترة وأنشده اللسان (جزر) وفيه (جزر السباع) وجزراً: قطعا للسباع والطير، والخامعة: الضبع لأنها تتخمع إذا مشت. والخماع: العرج.

(٢) البيت فى إصلاح المنطق ص٢٨٠ غير منسوب ويقال: أطلى الرجل: إذا مالت عنقه لموت أو غيره. وانظر اللسان (قشعم-وطلى) وقد ذكر قبله بيتا آخر:
وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقعت على الخبير

(٣) هذان البيتان فى سيف الدولة وهما فى ديوانه ص٥١٣ قالهما بمصر وهو يريد سيف الدولة.

(٤) - (٤) مابين الرقمين ساقط من ت.

وله أيضا:

(طَوَى الجـزِيَرةَ حـتى جـاءَنى خَـبَـرٌ فـزِعْتُ فـيـه بآمـالِى إلى الكَذِبِ)[١]

أى عظم عندى؛ وأطمَعتُ نفْسِى أن يكون، كَذِباً، تَعلُّلاً بذلك، لأن الإنسـان كثيراً مايميل إلى تصديق مايوافقه من الأخبار، وتكذيب مالا يوافقه منها، لما وُضِعَتْ عليه النفس من مُنافرة المحذُور، وملاءمته مايجنيها[٢] ثمرةَ الحُبُور كقول الشاعر:

وَعلَّلت نفـسـى بالمـرجَّم غـيْـبـةً وكـاَذَبْتـهـا حـتـىً أبَانَ كِـذَابهـا

أبان، أى استبان. «وخَبرٌ» مرفوع على مذهب البصريين «بجاءنى» لأنهم إنما يُعْمِلُون أقربَ الفعلين، ولابّد على هذا من إضمار الفاعل فى طوى على شريطة التفسير، وإن كانا إضماراً قبل الذكر، لأن خلو الفعل من الفاعل، أذهب فى القبح من الامتناع من إضمار مالم يتقدم له مُظْهَر.

ومن حُكْم العربية، إذا وَرَد أمران كلاهُما مـتَـجَنَّبٌ على حِدَةٍ، تُجنِّب أقبحهما، وأوثِرَ الثانى. ألا ترى أنهم يكرهون توالى إعلالين؟ وقد أخذ الخليل بهما فى جاَءٍ[٣] ونحوه، حين أبدل وقَلب فاحتملهما كراهية ماهو أشد منهما، وهو اجتماع الهمزتين فى كلمة واحدة؛ فتفهمه.

---

(١) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص(٤٣٣) والتبيان (١:٨٦) فى رثاء أخت سيف الدوله ومطلعها:

ياأخت خير أخ يابنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

(٢) يقال: أجنيت فلانا التمر: مكنته من اجتنائه.

(٣) توضيح ذلك كما جاء فى فى شرح المفصل لابن يعيش (١٠: ٧٧) فى فصل (إعلال اسم الفاعل):
«وأما جاَء فقيه قولان : أحدهما مقلوب وهو قول الخليل. والأصل جآءٍ معتل العين مهموز اللام. فإذا جئت منه بأسم فاعل همزت عين الفعل على حدّ همزها فى قائل وبائعٍ فاجتمع همزتان. أى (جائئ) فالخليل كره اجتماع الهمزتين، فقدّم الهمزة إلى موضع العين وأخر اللام فصار منقوصاً كشاكٍ ولاثٍ...
وسيبويه يذهب إلى أنه لما اجتمع همزتان قلبت الثانية باء لانكسار ماقبلها. وكذلك يعتمد فىَّ كل همزتين التقتا فى كلمة واحدة. وكأن الخليل إنما فرّ إلى القول بالقلب كراهية توالى إعلالين، وهو إعلال العين بقلبها همزة، وإعلال اللام بقلبها ياء لانكسار ما قبلها. وعلى قوله إعلال واحد وهو تقديم اللام لا غير..».
وفى المنصف شرح أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للمازنى (٢: ٥٢) (فإن جئت باسم الفاعل وجب همز موضع عينه، كما هو فى قائم وخائف فتلتقى حينئذ همزتان، فيجب إبدال الثانية لاجتماعهما فى كلمة، فيقول : جاءٍ وشاءٍ. وأصله: «جائئٌ وشائِئٌ)

وأما على مذهب الكوفيين فيرفع «خبر» على أنه فاعلٌ (بطوى)، لأنهم يُعملون أسبق الفعلين. فلابد على هذا من الإضمار فى جاَءَنى، أى طوى الجزيرة خبرٌ حتى جاءنى.

والقول الأول عندى أحسن في هذا البيت، لأن النكرة التى هى (خَبَرٌ) على ذلك القول، موصوفة بالجملة التى هى (فَزِعْتُ فيه بآمالى). إلاَّ أن فيه ماقد أَرَيْتُك من الإضمار فى الأول، على شريطة التفسير. وعلى هذا القول الثانى، ليس للنكرةوصفٌ. وقوله: «إلى الكَذِبِ»: أراد إلى اعتقاد الكذب، كائناً فى هذا الخبر.

ويجوز أن يريد إلى التكذيب، فوضع الكَذِبَ موضع التكذيب، كقوله:

(وبَعْدَ عَطائك المائةَ الرِّتَاعاً)(١)

(ياأُخْتَ خَير اخٍ يا بنَت خَير ابٍ كنايةً بهما عن ارْفَع النَّسَبِ)(٢)

أى أخْوتك من سيف الدولة، وأبوتك وبنُوتك(٣) من [أبى الهيجاء(٤)،] [كناية](٥) عن أرفع الأحساب؛ لأن مَنْ كانت لهذا الملك أختاً؛ ولهذا الأمير بنتاً؛ فقد نَصعَ نسبُه؛ وارتفع حَسَبُه. «فكناية» على هذا نُصب على المصدر؛ أى أكْنى بهذين السببَين عن أرفع نَسبين.

(أُجِلُّ قَدرَكِ أن تُسْمَىْ مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفْك فقَد سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ)

أى إنى أكرمُك عن الإيضاح لاسمك، فأعدلُ عن الإفصاح برسْمك، فإذا وصفتك ورثَيتك، عَلِمَتِ العربُ أنى عَنَيْتك، فأغنانى حُسْنُ التَّحْلية، عمالا يحسن من التسمية.

---

(١) هذا عجز بيت للقطامى يمدح زفر بن الحارث وصدره
(أكفرا بعد رد الموت عنى)
وهو من الشؤهد على أن (عطاء) اسم مصدر أقيم مقام المصدروهو الإعطاء لأن المصدر عند الصرفيبين ماساوت حروفه فعله عددا، فإذا نقصت حروفه عن حروف المصدر وكان بمعناه فهو اسم لذلك المصدر وهو يعمل عمل المصدر فى رفع المسند إليه ونصب المفعول به.
والكاف فى (عطائك) هي الفاعل. فهى فى محل جر بالاضافة وفى محل رفع بالفاعلية. و(المائة) مفعوله الثانى لأن فعله (أعطى) ينصب مفعولين. أما المفعول الأول فهو محذوف، وتقديره (إيَّاى).

(٢) هذا البيت مطلع القصيدة فى رثاء أخت سيف الدولة وقد توفيت بميا فارقين سنة ٣٥٢م.

(٣) فى م: (أو بيوتك) تحريف.

(٤) هذه العبارة ساقطة من ت. وأبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة.

(٥) [كناية] هذه اللفظة ساقطة من الأصل م.

ومؤبنة: نصب على الحال والتأبين: الثناء على الهالك.

(حتَّى إذَا لم يَدَعْ لى صدقُه أمَلاً   شَرِقْتُ بالدَّمع حتى كَادَ يَشْرَقُ بى)[1]

أى بكيتُ حتى شَرِقْت بالدمع، وذُبْتُ من حرارة الوجْد، فَعدْتُ جوهراً سَيَّالاً، حتى كاد الدمع يَشْرَق بى، لذوبى ولُطْفِى.

(مَسَرَّةٌ فى قُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها   وحَسْرَةٌ فى قُلوب البَيض واليَلَبِ)

أى أنها امرأةٌ تتطيَّبُ ولاتَلْبس السِّلاح. فالطِّيب يُسَرُّ بمفرقها، والسلاح يحسُدُ الطِّيبَ، لأنه لايصل منها حيث يَصلُ الطِّيب.

وقال: (فى قلوب الطِّيب): ذهاباً إلى أنواعه. ولو ذهب إلى الجنس أو الشخص لقال فى فؤاد الطِّيب: وحَمله على اختيار ذلك قولُه: (فى قلوب البيض) ليقابل[2] جمعًا بجمع؛ ولو قال: فى فؤاد الطيب ثم قال. فى قلوب البيض[2] ساغت الصناعة؛ وكل واسع.

- ١١٣ -

وله أيضا:

(تَشْتكِى ما اشْتكيتُ من أَلَمِ الشَّوْ   قِ إليها والشَّوقُ حَيْثُ النُّحُولُ)[3]

أى إنها تشكو إلىَّ مَلَقاً؛ وأشكو إليها حُرَقاً؛ ثم أقام على تملُّقها وتخلُّقها بُرْهاناً عَيَانيًا؛ فقال: (الشْوقُ حيثُ النُّحول) أى النحول عندى؛ وهو نتيجة الشوق؛ فلو كان بها شوقٌ كما بىِ، لكان بها من النُّحول مابى؛ ولا نحول لديها[4] فلا شوق بها.

(مَنْ رَآهَا بِعينِه[5] شاقَه القُطَّا   نُ فيه كما تَشُوقُ الحُمولُ)

---

(١) موضع هذا البيت فى القصيدة بعد البيت (طوى الجزيرة.....).

(٢) - (٢) مابين الرقمين سقط من م وأكملناه من ت.

(٣) من قصيدة له بديوانه (٤٢٩) مطلعها.

مالنا كلنا جو يارسول   أنا أهوى وقلبك المتبول

(٤) فى م: (يردها) ولاوجه له. وما أثبتناه عن ت.

(٥) فى الديوان: بعينها.

أى من رأى الدينا بعينه؛ أى بالحقيقة التى هى بها؛ شاقة الباقون فيها؛ لعلمه أنهم ظاعنون، كما يشوقه الذاهبون هنا، فالقُطَّان والراحِلُون عنها سواء، فى أنه ينبغى أن يشوقه النوعان، لعلمه باشتمال الفَنَاء على الفريقين.

وقوله: (الحُمولُ) : أراد كما يشوقه المتحملون، فوضع (الحمول)، موضِعها. وإن شئت قلت: عنى بالحُمول هنا. أسِرَّة المَوْتَى.

(صَحِبَتْنى على الفَلاَةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّونِ عِندهاَ التَّبْدِيلُ)

كنَى بالفتاة عن الشمس، وآثَر التأنيثَ لتأنيث العرب أسماءها، ولذلك سَمَّوها (الجارية) عند الفارسى[1]. و(عادةُ اللَّون عندها التَّبديل): أى أنها حَمْراء وقتا، وبيضاء وقتا، وصفراء آخر. فعادة لونها التبديل فى ذاته. فكان يجب على هذا- لولا الْوزن والقافية - أن يقول: التَّبدُّل، لكن وضع التبديل موضعه اتساعاً.

وإن شئت قلت: التبديل لها، لوناً بعد لَوْن.

(سَتَرتْكِ الحجالُ عنها ولِكنْ بكِ فِيها من اللَّمَى تَقْبِيلُ)

الحجال: الأسِرَّة عليها الكِلَلُ خاصَّة. واحدتها جَجَلة. وقد يكون حِجَال جمع حَجَل. وحَجَل جمع حَجَلة[2] يقول: أَدُمْتُ[3] أنا بهذه الشمس، وأما أنت فَسَتَرَتْكِ الحِجال عنها ولم تمش فى البَراز[4]، فتُورِثَك سُمرة كما أورثتنى، لكن سُمرة شفنيك سُمرة طبيعية فكأن الشمس قبَّلتك، فالقت فى شفتيك سُمرةً، وهو اللَّمىَ. (وفيها) الهاء راجعة للحجال أى وإن كنت مستورة بالحُجُب، فإن الشمس قد احتالت عليك، ووصلت إليك، وَقبَلتك، وأكسَبت اللَّمَى شَفَتيك.

(لاَ اقمنا على مَكَانٍ وإن طاَ بَ ولا يُمكنُ المكانَ الرَّحِيلُ)

(١) هو أبو على الحسين بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى، أشهر نحاة القرن الرابع الهجرى (ت ٣٧٧هـ).
(٢) حجلة العروس - بالتحريك) بيت كالقبة يزين بالثياب والأسرة والستور (اللسان-حجل).
(٣) أدم يأدم أدمة من باب (شرف) أسمر لونها فهو آدم وهى أدماء.
(٤) البراز: الفضاء الواسع لاظل به.

أى لانُقــيم دون (حَلَبَ) بمكان، وإن طاب ذلك المكان، إلاَّ لو أمكن ذلك المكانَ أن يرحلَ معنا، فأما ولا يمكنه ذلك، فلا إقامة لنا عليه ولو طاب. والماضى هنا الذى هو (لاأقمنا) فى معنى الحال أو الاستقبال.

(مِثْلُها أَنْتِ لَوَّحَتْنِى واسْقَمْـ ـتِ وزَادَت ابْهاَ كُما العُطْبُولُ)(١)

يقول: أنت مثلُها فعلاً، ولو قال: (مثلها أنت) جاز أن يكون مَثَّلها بها فى الحسن، وأن يكون مَثَّلها بها فى الإساءة إليه، فأراد هو أن يُبيِّن ماأشبهت فيه هذه المرأة الشمس، فقال: مبينا للمشابهة، (لَوَّ حَتْنِى وأسقمت): أى الشمس لَوَّحتنى وغَيَّرتْنى،وأنت أسقمتْنى. والإسقام أشد من التلويح. فلهذا قال: (وزادت أبْهَا كُما العُطْبُول) يعنى هذه المحبوبة. والعُطْبول: الطويلة العُنُق.

(وَمَــوالٍ تُحْــيِــيهِمُ مِنْ يَديه نِعَمٌ غَــيــرهُمُ بهــا مَــقْــتُــولُ)

(موال): يعنى أولياءَه وأقاربه، يَقْتل أعداءه؛ فيغنم أموالهم، فيعطيها أولياءه، فيحييهم بذلك. وقوله: (بها مقتول): أى بِسَلْبِهم إياها، أو مقتول من أجلها.

وقد يجوز أن يحييهم بهذا المَغْنم، فيقدرُوا بذلك على قتل أعدائه.

-١١٤-

وله أيضا:

(وَقَد كانَ يَنْصُرُهم سَمْعُهُ وَيَنْصُرنِى قَلْبُه والحَسَبْ)(٢)

يعنى هؤلاء الوشاة الذين كانوا يَشُون به إلى سيف الدولة، كان ينصرهم سمعه، لأنه لم يكُ يُطيق سَدَّ أذنيه عن سماع كلامهم، وينصرنى قلبه بحبه لى، وتكذيبه إياهم سِرًا. والنصر بالفؤاد أَنفع من النصر بالسمع. وجعل حسَبه ناصراً له أَيضاً، لأنّ شرفه حمله على الثّبات، وإلغاء مايورده عنه حساده.

(١) هذا البيت متقدم فى القصيدة على سابقه.
(٢) من قصيدة له بديوانه ص٣٣٧ مطلعها
فهمت الكتاب أبَرّ الكتب فسمعا لأمر أمير العرب
أجاب بها سيف الدولة وكان قد أرسل إليه كتابا بخطه يسأله المسير إليه.

(وَمـا قُلتُ لِلْبَـدرِ أنتَ اللُّجـينُ   وَمـا قُلْتُ لِلْشـمسِ أنتِ الذَّهَبْ)

أى أنى لم أَتَنَقَّصْك، ولابَخَستُ مناقِبك حقَّها، كما يُنْتَقَص البدرُ لو يُشبه باللُّجين، أو الشمس لو شُبِّهت بالذهب. وإنما ضرب ذلك مثلاً، وجعل اللُّجين للبدر، لكون أن أهل الكيمياء من الطبيعيين يقولون إنه من أكوان القمر، وجعل الذهب للشمس، لأن أولئك يزعمونه من أكوان الشمس.

وقيل: هذا البيت تعريض بشعراء سيف الدولة.

يقول: كل واحد منهم يمدحك، يريدون ماتستحقه من المدح، ثم ينقلب المدح ذمًّا. فكأنه يقول للبدر يافضة؛ وللشمس ياذهب؛ فيحُط بذلك قدرهما؛ ويَهبِط به خَطَرهما. وأنا لم أقتصر عَلى هذه الرتبة؛ ولاقنِعت لك بها؛ بل وفَّيْتُ مدحك ماقصروا هم عنه؛ فسبيل الغضب أن يكون عليهم لاعليَّ.

واللُّجَيْن من الأسماء التى لم تستعمل إلا مصغرة[1]؛ وقد عمل سيبويه[2] فيه بُوَيْباً.

(فَـإنْ فَـارَقَـتْنِـىَ أمطَـارُهُ   فـأكـثـر غُـدرانِهَـا مَـانَضَـبْ)

المطر: ذو مادة[3]: والغدير لامادة له؛ إنما هو القطعة من الماء، يغادرها السيل؛ أى يتركها؛ فجعل عطاياه أَمطاراً؛ لكونها ذات مادة؛ وجعل ماحصَل عنده من عطاياه – وقد انقطع جوده عنه بفراقه له – بمنزلة الغُدران التى لامادة لها. فيقول: إن كنتُ رحلتُ عنه وانقطعتْ عنى جوائزُه، فقد جَمعْت من سوالفها وعوارفها مالم يَنْفَدْ أَكثرها بعد.

(ويَسْـتَنْصِـران الَّـذى يَعْـبُـدانِ   وعـنـدهمـا أنه قَـدْ صُلِـبْ)

يسِّفه النصارى؛ ويستضعف أَخلاقهم حِين يستنصرون بالمسيح عليه السلام وهم يعتقدونه ميتاً مصلوباً؛ ولم ينصر نفسه حينئذ .

(١) العبارة فى م (مكبرة) وفى ت (مصغرة).
(٢) انظر في الكتاب لسيبويه(٣:٤٧٧) بابا ترجمته: هذاباب ماجرى فى الكلام مصغرا وترك تكبيره. ونلاحظ أن سيبويه في هذا الباب لم يذكر كلمة (لجين) وانماذكر نظائر لها.
(٣) مادته: ماء السحب، وإن شئت فقل: مادته ماء البحر.

وله أيضا:

(كَفَى بِكَ داء أن تَرى الموتَ شافِياً وحَسْبُ المنَايَا أن يَكُنَّ أمَانِيَا)[١]

الفرق بين الباء التى فى (بك) وبين التى فى قوله تعالى: (وكفى باللَّهِ شهيداً)[٢] أن الباء فى كفى باللّه داخلةٌ على الفاعل، وفى بك داخلة على المفعول، أى كفاك داء.

ويجوز أن يكون كفى بدائك داء، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مُقامه، وداءً فى كل ذلك نصب على التمييز.

ومعنى البيت: كفى بما تلقاه من شدة الزمن، وتناهى المكروه، حتى أَدَّى ذلك إلى تمنى الموت، واعتدادك به شافياً، يعظم بذلك مئونة ما يَلْقَاه. ومن العَجَب أن يُلاَقِى الإنسان بَلِيَّة، تجعلُ المنيه من أجلها أُمْنية.

(تَمَنَّيتَها لما تَمَنَّيتَ أن تَرَى صَدِيقاً فأَعْيَا أوْ عَدوًا مُداجِياً)

أى تمنيت المنِّية حين تمنيت صديقاً مصافياً، أو عدواً مدارياً، فكلاهما أعْوزك وأعياك. فأما تمنِّية الصديق فسَجِية مألوفة، وأُمْنِية معروفة؛ لأنَّ رَيْحانةَ الفؤاد، إنما هو الصديق المخلص الوِداد.

وأما تمنيه العَدو المداجيا، فهو الخَطْب العجيب، والخبر الغريب، لأنا لانعلم أن أحداً تمنى لقاء عَدُوٍّ، ولكنه إنما عرَّض بأنه فقد العِزَّة، ولم يُؤْت ماكانت همته له لاَ مِحَةً إليه، وعَينه طامحة عليه، فَنَدر[٣] بذلك قدرُه، وهان على عَدوه خَطَرُه؛ فجاهر بمداجانه، ولم يتكلف مداراته، تهاوناً منه به، ولو كان على عَدوه قديراً، أو فى نفسه خطيراً، لتكلّف له المداجاة، وبيَّن أنه إنما يُلاَيِنُك عدوّك ويداجيك، إذا رآك بحال يحذر بها منك.

---

(١) مطلع قصيدة بديوانه (ص٤٤١) وفى التبيان (٤: ٢٨١).
(٢) الآية ٢٨ من سورة الفتح.
(٣) يقال: ندر الشئ يندر ندورا: سقط.

يقول: أنا لاصديق يُصْفِينى، ولا عدو يُداجينى، فأية مَأْرَبَة لى فى الحياة؟ بل أحب إلىّ منها لقاء الوفاة.

(حَبَبْتُكَ قَلْبِى قَبْلَ حُبِّكَ مَن نَأى   وَقَدْ كان غَدّاراً فكُنْ أَنْتَ وَافِياً)

(مَنْ نأى): يعنى سيف الدولة. يقول لقلبه: أنا أحببتك قبل حبِّك لهذا النائى؛ وصَحِبْتك قبل صحبتك إياه. فعليك أن تبقى لى، وتسلوَ عن هذا الغادر الذى لم يستعمل الوفاء لى؛ فإنك إن لم تفعل فقد غَدَرتنى بحبك هذا الذى غدرنى؛ ولو أسعده الوزن بأن يقول: وقد كان غادراً؛ لُيطابِق قوله وافياً، لكان أذهب فى الصناعة؛ وأدّل على الاستطاعة. وقلبى: نداء مضاف؛ أى ياقلبى. ولايجوز أن يكون بدلاً من الكاف؛ لأَن المخاطب لايبدل منه كما لايبدل من المخبر عن نفسه لأن المخاطب والمخبر عن نفسه قد أُمِن التباسُهما، فقد أغنى ذلك عن الإبدال منهما إذ البدل إنما هو للبيان.

قال سيبويه[1]: فإن قلت: بى المسين كان الأمر، أو بك المسكين مررت، لم يجز. ثم احتج بمثل هذا الذى ذكرت لك.

(تماَشَى بأَيدٍ كلما وافتِ الصَّفاَ   نَقَشْنَ به صَدْرَ البُزَاةِ حَوافِياً)

تماشى؛ يعنى الخيل، أى تتماشى بأيْدٍ قد سقطت نعالها من السفَر، وما فى الطريق من الحصى والمدر، لكن حوافرها شِداد حِداد، إذا وافت الصفا- وهى أصلب ماتكون من مواطن الحجر- نقشت فيها أمثال صدور البزاة، لشدتها. وصَدْر: مفرد موضوع موضع الجمع، لأنه مضاف إلى جمع. وهو كثير فى النظم ومنثور الكلام كقوله تعالى: (إنَّ المُتَّقِين فى جَنَّاتٍ ونَهرْ)[2] أراد، وأنهار لأن مياه الجنة أنهار لانهر واحد. ألا تراه يقول كثيرا فى وصف الجنة: (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهاَ الأنهارُ)[3] وقال: (فيها أنْهارٌ مِنْ مَاءٍ غير آسِنٍ)[4] إلى آخر الآية.

(١) انظر ماسبق فيما مضى من هذا الكتاب. (مقطوعة ٢٥)
(٢) الآية ٥٤ من سورة القمر.
(٣) الآية ٢٥ من سورة البقرة.
(٤) الآية ١٥ من سورة محمد.

وأما فى الشعر فقوله:

لاتُنكروا القَـتْلَى وقـد سُـبِـينَا   فى حَلْقِكُمْ عَظمٌ وقـد شَـجِـيناً[1]

ورواه بعضـهم: (صُدْر البُزاة) أراد؛ جمع (أصْدَرَ) وهو العظيم الصدر، ولايعجبنى، لان الحافر إنما يصور صَدْر البازى-لوصَوَّر- لاجملة البازى كلها.

والصفا: جمع، واحدته: (صفاة)، وألفه منقلبة عن واو، لقولهم: الصَّفوان والصَّـــفواء.

(بِعَزْمٍ يَسِيرُ الجسم فى السَّرْجِ رَاكِباً

به ويَسِيرُ القَلبُ فى الجِسْمِ مَاشِياً)

أى أن الجسم - وإن سار راكباً- فإن القلب يسير فيه ماشياً لتوفره، فإنه لا يُعْنِفه مَشْى الراحلة والفرس، جرياً إلى إدراك مرغوبه، والظفر بمطلوبه.

(فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَينِ زَمـانِهِ   وخَلَّت بيَاضـاً خَلْفَهَا وَمـآقِيـاً)

أشرف مافى العين إنسانها، لأن حسن النظَر إنما هو به، وكذلك كافور لزمانه، كالإنسان للعين، أى أنه أشرف بنى دَهْره، وأعلى عامر[2] فى عصره، وإنما الملوك غيرُه لعين دهرهم كالبياض والمآقى، وحسَّنَ ذلك أن كافوراً أسود، فقد شاكل سواد العين، وغيره من الملوك الذين خلفهم المتنبى وراءَه بِيْض، فقد شاكل البياض والمآقى، وهذا وإن كان قد أجاد فى مدح كافور فقد عَرَّض بسواده وقلَّما مرَّ له فيه غريب بيت، إلاَّ قد جمع مَدْحاً وتعريضاً، ولذلك قال فيه بعد صَدرِه عنه:

وشِـعْـرٍ مـدحت بـه الكَركَـدَ   نٌ بـين القَـرِيض وبين الرُّقَى

ولو قـال هذا البـيت فى رجل أبيض، أعنى (فـجـاءت بنا)، لكان مـدحـا لايجـارَى، وتعْريضـاً لايُبارَى، وإنما نقص عن غاية المدح، لتعريضه بسواه،

(١) انظر سيبويه (١٠٧:١) وفيه (لاتنكروا القتل) والبيت للمسيب بن زيد مناة الغنوى. وقد أورده شاهدا على وضع الحلق وهو مفرد موضع الحلوق وهو جمع.

(٢) لعله يريد بقوله (عامر): الباني المشيد الذى يعمر البلاد.

ولكن هذا البيت فى الأسود أشد تحققاً منه فى الأبيض لأنه فى الأسود يحوى الطبيعة واللون، وفى الأبيض ينفرد بما طُبِع دون اللون، فتفهمه.

(لَقِيتُ المَرَوْرَى والشَّنَاخِيبَ دُونـه   وَجُبْتُ هَجيراً يترِكُ الماء صَادِياً)

بالغ فى صفة حرِّ الهجير، بتركه الماء صادياً، لأن الماء لايَصْدَى بل هو مُـزيل للصَّـدَى، ولو قـيل إن إصـداءَه للمـاء، إيبـاسُـه له، وتنضـيبـه إياه، لأن الصديان ذابل عما عليه الرَّيَّان، من النضارة والغضارة، لكان وجها.

(إذَا كَسَبَ النَّـاسُ المـعَـالِيَ بالنَّدَى   فـإنَّك تُعطِى فى نَدَاكَ المـعَـالِيـاَ)

المعالى على ضربين: طبيعى، ومُقْتَنى. فأما الطبيعى فالفضائل النفسانية: كالشجاعة والكرم والفهم والعفة، وهذا لايمكن أن يُوهَب البتَّة، لقوله هو فيه:

ولـو جــاَزَ أن يَحْـــوُوا عُـلاكَ وهَبْتَهـا

وَلَكِنْ مـن الأشيــاء مـاليس يُــوهَـبُ[1]

يعنى الخصال الذاتية، وخلال الفضل النفسانية،

وأما المُقْتَنَى فنحو المال والجاه والثروة، فإن هذا فى الإمكان أن يُوهَب. يقول له: إذا كان قصارى أفاضل الناس اكتساب المعالى بالنَّدَى، فإنك أنتَ تعطِى المعالى فى نداك فتُوَلِّى البلاد، وتَكسِبِ الأَجناد.

وإن شئت قلت: إن عطاياك تُشَرِّفُ المُعْطَيْن، فتفضى بهم إلى المعالى، وما كان سبباً للمعْلاة فهو مَعْلاة.

وقد ينقلب هذا المعنى على ماقدمناه، كأنه يريد، إنك لاتحسن المعالى إذ لامَادَّة لك تربِّيها وتنُمِّيها لضعة جوهرك، ورداءة عنصرك، حتى إذا هُيِّئ لك منها شئ، وقاربت مِلكه والاشتمال عليه، انصرفتَ عنه، وسَلَّمته إلى غيرك،

(إذا الهـندُ سَوَّتْ بَيـنَ سَيْفَى كَرِيَهـةٍ

فَسيفُـكَ فـى كـفٍّ تـزُيلُ التَّسـاوِيـاَ)

---

(١) البيت من قصيدته فى كافور. مطلعها
«أغالب فيك الشوق والشوق أغلب»

أى إذا سوَّى أهل الهند بين سيفين، طَبْعاً، وصَقْلاً، واستجادة عُنْصر، فإن السيف الذى يقع منهما بكفك، فتضربُ به، يكون أمضى من صاحبه الذى تضرب به كفُّ غيرك، لأن كفك أقوى الأكفّ، فقد أزالت كفُّك التساوى بين السيفين اللّذين سَوَّت الهند بينهما.

وقال (فى كفّ)، فأفاد، وإن كان نكرة، لأنه قد علم أنه لايعنى من الأكف إلاّ كَفَّه، كقولك مررت برجل حسن وجْهُه. (والكريهة) الشدة المكروهة. وهذا البيت نحو قوله فيه أيضاً:

إذا ضَرَبَتْ كَفَّاكَ بالسيف فى الوغَى

تَبَيَّنْتَ أن السيف بالكف يضربُ[1]

-١١٦-

وقال أيضا:

(مَن الجآذِرُ فى زِىِّ الأعاريبِ حُمرَ الحُلَى والمطاَيا والجلاَبِيبِ[2]

ألحقهن بنوع الجآذر، وحقق ذلك إغراباً ومبالغة، وتَجَوَّز بكونهم أعاريب، فَعزَاهم إلى زِيِّهم لاإليهم، والحُمرةِ فى الحلَى، واللباس، والأيْنق[3] حُمْر الألوان، فخصهم بها من بين سائره.

(لاَتَجْزِنِى بِضَنَى بِى بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِى دُمُوعى مَسْكُوباً بِمْسكُوبِ)

يعنى بالبقر: أحبابه. يقول: بَكَينَ كما بكيتُ، فسكبْن من الدمع مثل ماسكبت مكافأة، فإذ قَدْ جَزَيننى ببُكائى، فلا جزيننى بضناى[4] ونحولى، أى لاضَنِين كما ضَنيت، يدعو لهن، فهذا الأسبق والأليق.

(١) هذا البيت من القصيدة السابقة فى كافور.
إلا أن رواية الشطر الأول فى التبيان للعكبرى (١:١٨٤) هى:
(إذا ضربت بالسيف فى الحرب كفه)
وهى أولى من رواية الأصل

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه (ص٤٤٨) فى كافور الإخشيدى.

(٣) الأينق والنياق والنوق والأيانق: جمع ناقة.

(٤) فى الأصل (بضنائى). ومصدر ضنى يضنى ضَنًى (بالقصر) ولايجوز مده إلا فى ضرورة الشعر وهذا لايخفى على المؤلف، وإنما هو تحريف من الناسخ.

وإن شئت قلت: إن حُبُّهن قد أضنى جسدى، وأفنى جَلَدى، وأسقم وأهرم، فلم يبق فىَّ موضع لحِّبهن إياى. فإذا كان ذلك، لم تَضُنْ النساء عشقاً لى، وإن نظرْنَ إلىّ فبكين، فإنما يبكين رحمةً لى لاِعشقاً، فيكون لفظه على هذا لفظ الدعاء، ومعناه الخبر. كأنه قال فى المعنى: ليس يجزيننى.

وقوله (تَجْزى دموعى مسكوباً بمسكوب): جملة فى موضع الصفة لبقر والهاء فى بعدها عندى: للحالة أو المرَّة وقد يكون راجعاً إلى النساء، واستجاز أن يقول (بعدها). وإن عنى النساء، وهو من النوع الناطق، لأنهن قد سماهنَّ بَقَرَا، والبقر وغيرها من الأنواع غير الناطقة، يُخْبَر عنها كما يُخبر عن الواحد المؤنث. تقول: الجمال رأيتها والجبال علوتها، ولو سوَّغه الوزن أن يقول: (بَعْدهُن) كان أذهب فى الحقيقة، لأنهن لسن جآذر، وإنما هن نسوة.

(أوْ حَارَ بَتْه فَما تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ   ممّاَ أرادَوَلا تَنْجُــو بِتَجْبِيبِ)

أى هذه الأعداء إن حاربَتْه لم ينجها منه إعداد عُدَّة يُقَدِّمون النظر فيها، كتشييد سُور، وحفر أُخدود، واستظهار بحشود. وكذلك لاتنجو منه بما يؤخرونه من الاحتيال للهرب، وإعداد الحيل المنجية. ومن القتل والحرب.

وإن شئت قُلْت: ماتنجو بتقدمتها نفوسها إليه، ولا بتجبيبها عنه والتجبيب: الهرب والنُّكوص.

ولو قلت: إن التقدمة هنا بمعنى التقدم، ليقابل التجبيب، لأن التقدم غير متعد، كما أن التجبيب كذلك، لكان حسناً، كقول قَطَرِىّ.

تأخرتُ أَسْتَبْقِى الحياةَ فلمْ أجِدْ   لنفسى حياةً مثل أنْ أتقدَّما

ووضعُ المصدر مكان مصدر آخر كثير، قد عمل سيبويه وغيره من أهل اللغة فيه أبواباً.

ولو علمنا أن العرب قالت: قدَّم فى معنى تَقدَّم، كقولهم: بيّن الأمر، أى تبيَّن، ألفينا الاحتيال له، لكن مثل هذا لايضبط إلا سماعاً.

(بَلَى يَرُوعُ بِذِى جَيْشٍ يُجَدِّلُه   ذَا مِثْلِه فى أَحَمِّ النَّقْع غِرْبِيبِ)

أى أنه لايقصد استمداد الأموال من الملوك ولا السُّوقة. وإنما قصده ترويع الملوك بالقتال، فإذا صَرع مَلِكاً ذا جيش فجدَّله، رَوَّع به آخر لم يُجدِّله بعدُ. وقولُه: (ذا مِثله): أقام فيه الصفة مقام الموصوف، أى ذَا جيشٍ مِثْلِهِ. وحسُن حذف هنا وإقامة الصفة مقامه لأمرين: أحدهما أن مثل مضافة، فشاكلت بذلك الأسماء لأن الإضافة إنما هى للاسم. والآخَر أن لفظ الموصوف المحذوف، وهو الجيش، قد تقدم مُظْهَراً فى قوله: (بلى يرُوعُ بذى جيش يُجَدِّله). وقوله: (فى أحمِّ النقع غِرْبيب): أراد فى موضع أحم النقع. والغريب: الأسود.

-١١٧-

وله أيضا:

(يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ   فكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ)[1]

عنى بالحِب هاهنا: الشَّيب، لأنه محبوب على الكُره، وبإضافته إلى الموت فيقول: الأيام مُشَاكِلةٌ بالطبيعة الشَّيْب، لأن الشيب هَمٌّ، كما أنهن هَمٌّ. فكان القياس ألاّ تباعده لمكان المشاكلة، وإنما مباعدتها له بالموت، الذى هو أشدُّ كَرْباً، وأجل خَطْبا، فإذا باعدت الشيب الآن وهى مجتمعه معه، فكيف أطلب منها حِبًّا قد اجتمعت هى وضِدٌّ ذلك الحِب؟

ويعنى بالحبِّ هاهنا: الشباب. يعاتب نفسه على مطالبة الأيام برد العجيب الذى فات، وهى لاتبقِى له الأقلّ الذى بقى. ألا تراه يقول:

أبَى خُلُق الدنيا حبيباً تُدِيمُه   فَما طَلَبِى منها حبيباً تَرُدُّهُ

أى الدنيا لاتُديم لى حياتى، وهى معى إلى[2] الآن، فكيف أطلب منها شبابى وقد ذهب.

---

(١) من قصيدة له فى كافور مطلعها

«أود من الأيام مالا توده»

وانظر ديوانه (٤٥٣) والتبيان (٢: ١٩).

(٢) لعل (إلى) هنا مقحمة.

وإن شئت قلت فى البيت الأول: إنه أراد: يُباعدن حبيباً هو الآن معى، واصلٌ لى، أى هذا من قوتها وفعلها، أعنى أنها تُباعد الحبيب الواصل، فكيف لى منها بإدناء حبيب مُحْتَجِزٍ منِّى نازح عنى؟ وعطف وصله وصده على المضمر فى (يجتمعن) اضطراراً، كقوله[1]:

قلت إذْ أقبلْت وزُهْرٌ تَهادَى كِنعَاج الفلا تعسَّفْن رَمْلا

ولو كان الروىّ منصوباً، لكان «وصَدّه» هو الأجود على المفعول معه، ولو أسعده الوزن بتأكيد الضمير فقال(هى) لكان الرفع لاضرورة فيه، ولو أنه أكّد وكان الروىّ منصوباً، لكان النصب حسناً.

ولما ذكر سيبويه[2] وجه النَّصْب فى قوله: (مافعلتَ وأباك) قال: إنما فعل ذلك، لأنك لوقلت: افعل وأخوك، كان قبيحاً، حتى تقول: اقعدْ أنت وأخوك، قال: فإذا قلت: مافعلتَ أنت وأباك؟ فأنت بالخيار: إن شئت حملته على المعنى الأَول (يعنى الرفع على العطف). وإن شئت حملته على المعنى الثانى، (يعنى النصب علي المفعول معه). وجعل الأَيام مجتمعه بالوصل والصدّ؛ لأنهما عَرَضان، وظروف الزمان مشتملة على جميع الأعراض كاشتمال الأمكنة على الجواهر. هذا معنى الاجتماع، فتفهمه.

(بِوَادٍ به ما بِالقُلوبِ كأَنَّه وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ)

أى أنهم كانوا لهذا الوادى كالعِقد للجِيد، فلما رحلوا توحّش، وعَطِل كما يَعْطَل الجيد إذا تناثَرَ عقده. وقوله: (به ما بالقلوب)، أى من الأسف عليهم، والحنين إليهم، (وقد رحلوا): جملة فى موضع الحال، أى فى حال رحيلهم عنه. وكأنه قال: مَرْحُولاً عنه جيدٌ هذه صفته. ولابدمن تقدير (عنه) إذ لابد للحال من ضمير يعود إليه من الحال.

---

(١) هو عمر بن أبى ربيعة ويروى لعمر فى الخصائص ٢:٣٨٦ وبعده

قد تنقبن بالحرير وأبديْـــــــن عيونا حور المدامع نجلا

وورد أيضا فى سيبوية (١:٣٩٠) وفيه (الملا) فى موضع (الفلا).

وزهر: جمع زهراء، وهى المرأة المشرقة، والملا: الصحراء. وتعسف عن الطريق: مال وعدل عنه.

(٢) انظر ذلك فى الكتاب (١:١٥٠) وكلام ابن سيده هنا نقلا عن سيبويه فيه بعض التصرف.

(يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دارَكَ غـايَةً   وَيَأْتِى فَيَدْرِى أنَّ ذلك جُهدُهُ)

أى أنت أرفع المقصُودين. فمن قصد غيرك، فقد ترك مقصوداً فوقَ مقصوده، وهو أنت. فإذا قصدَك تبيَّن وتَيقَّن أنه قد بلغ أقصى الغايات، إذ لامقصود وَراءك، ولا مَوْرُودَ فوقك . وقوله: (ذلك جهده): أى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. وحينئذ تَقرّ عين القاصد، لأنه لايُعنَّف على ترك الجرى إلى أقصى مايمكنه [من][1] ذلك، إذ ليس يمكنه تجاوزه.

-١١٨-

وله أيضا:

(قدِ اخْتَرْتُكَ الأَمـلاكَ فاخْتَر لهُم بِنَا

حديثاً وقَد حكَمتُ رأيَك فاحْكِم)[2]

أى من الأَمْلاكِ، فحذف وأوصَلَ الفعل، ومثلُه كثير، إلا أنه ممنوع لايقاس عليه. وقد صرح بذلك سيبويه[3]، والأملاك: يجوز أن يكون جمع مَلِك ومَلَك ومليك، أى قد اخترتك من جميع الأَملاك، ورجوتك لهمتى ومطلبى، فاختر لهم بنا حديثاً: أى اجعل الصنيعةفىّ، فإنك إذا فعلت ذلك تُحُدِّث عنك بالإحسان، وتُحُدِّثَ عنِّى بأنِّى استأهلت ذلك عندك، وقد حكَّمت رأيك، أى سلَّمت إليك، فافعل ماتشاء، فإن طبيعتك لاتحملك على ضد الجميل.

(١) [من] زيادة توضح العبارة.
(٢) من قصيدة بديوانه فى مدح كافور. مطلعها
«فراق ومن فارقت غير مذمم»
(٣) انظر الكتاب (١٦:١-١٧) فى (هذا باب الفاعل).

وله أيضا:

(أَغَالُب فِيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أَغْلبُ

وأعْجَبُ من ذَا الهجرِ والوصلُ أعجبُ)[١]

أى والشوق أغلب منى، فحذف للعلم بما يَعْنى، كقولنا: اللّه أكبر، أى من كل شئ فحذف، أنشد سيبويه:

مَرَرْتُ على وادى السباع ولا أرى كوادِى السِّبَاع حين يُظْلم وَادِياً[٢]

أقلَّ بـه ركـبٌ أتـوه تَئِـيَّةً وأخـوفَ إلاَّ مـاوقَى اللَّـهُ سـاريـاً

أراد: أقلَّ به ركب تَئِيَّةً منه.

وذهب بعضهم إلى أن «أغلب» هنا ليست للمفاضلة، وإنما هو أفعلُ صفة كأحمر، ولايعجبنى، لأن قوله فى آخر البيت «والوصل أَعجبُ» لايسوع فيه إلا (أفعل) التى للمفاضلة، بأن يكون المصراع مشاكلا للمصراع الأول. وإنما كان الشوق أغلب له، لأنه لو كان ضد ذلك لم يكن عاشقاً.

وقوله: (وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب): إنما كان الوصل أعجب من الهجر، لأن الهجر نوعٌ من مكاره الأيام؛ والوصل نوعٌ من مَحَابِّها؛ وشيمة الأَيام أن تأتى بما يَكْره؛ فلا عجب من الهجر الذى هو فى خليقتها؛ ولكن الوصل لو تيسر، كان أعجب من الهجر لشذوذه عن خلِق الزمان. وأراد: والوصل أعجب منه، فحذف كما تقدم فى (أغلب).

(فَكَمْ لِظَلامِ اللَّيل عندكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّر أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ)

المانوية: أصحاب مانى وهم أهل الثَّنَوِيَّة[٣]؛ يذهبون إلى أن ظلام الليل يكون الشَّر وأن النور يكون الخير، والمتنبى يرد على هؤلاء الثَّنَوِيين فيقول:

(١) مطلع قصيدة له فى ديوانه (٤٦٦) والتبيان (١:١٧٦).

(٢) البيتان لسحيم بن وثيل الرياحى كما فى الكتاب (١:٢٣٣).

(٣) الثنوية: نسبة إلى لفظ اثنين. حذفوا ألف الوصل منه وردوه إلى واحده (ثنى) بالتحريك. ثم قلبوا الياء واوا فى النسبة حتى لاتجتمع ثلاث ياءات متجاورات فى اللفظ.
والثنوية: أصحاب (مانى) الفارسى، يزعمون أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان .... (وانظر تفصيل الكلام فى الثنوية والمانوية فى الملل والنحل للشهرستانى)

ليس الأمر علي ماوصفتموه، بل قد أجد ذلك بالعكس. فإن الليل قد وقاني شرَّ الأعداء، بأن وَارَانِي منهم بظلامه، كقولهم: (الليلُ يَسْتُر الوَيْل).

وقالوا: اتَّخِذِ الليلَ جَمَلاً: أى اركبه لحاجتك. وكذلك زَارَنِى الحبيب بالليل، فأخفى مزاره على الرقيب، وهذه أفعال الخير، فلم تنسبون إلى الظلمة الشرَّ؟

ولما قال: «فكَم لظلام الليل عندك من يَد» فسره فى البيت الثانى بقوله:

وقَـاكَ رَدَى الأعـداء تَسْـرى إليـهم وزَارَك فـيـه ذُو الدَّلالِ المُـحَـجَّبُ

ولما حَمِد الليل بما أسدى إليه من الخير، وكذَّب المانويةِ بهذا البرهان، أخذ فى فى ذمٍّ النور، فقال:

(وَيومٍ كَلَيْلِ العـاَشِـقـينَ كَـمَنْتُـهُ أراقِبُ فـيـه الشَّمسَ أيَان تغْـرُبُ)

أى أنى قد أمنت من العُداة بالليل، فسَرَيْت وأَدْلَلْت، وخشيتهم بالنهار فكَمَنتُ وتَخَبَّأْت. وتلك كُلْفة ومَشَقة، وجهد على النفس لإخفائه، وما أحسن مااتفق له الاستطراد فى هذه الأبيات.

وقوله: (أيان) أى متى وليس من لفظ أين. إنما (أيَّان) من (أىّ) فهى فَعْلان كَرَيَّان التى فى الأزمنة.

ويدلك على أن (أيَّان) ليست من (أيْن)، أن (أين) يكون سؤالاً عن الجوهر والعَرض، كقولك فى الجواهر، أين زيد؟ وفى العَرَض: أين اللَّقاء والقتال.

فأما (أيَّان) فلا يسأل بها إلاَّ عن العَرَض. تقول: أيَّانَ القتالُ، ولاتقول أيان زَيدٌ. وقد قال عز وجل: (يَسألون أيَّانَ يومُ الدِّين)[1] وقال: (يسألونك عن الساعة أيانَ مُرْسَاهَا)[2] فحُكمُ (أيَّان) إذَنْ حكُم متَى، ومَتَى خِلافُ أيْن. فأيَّان إذَنْ خِلافُ أيْن.

وقد يجوز أن يكون أبو الطيب فى ذَمّه النهار، مُعَرِّضًا[3] بسيف الدولة لبياضه، وفى حمده اليل، مُتَعَلِّلاً بكافور لسواده، فإن كان قصد ذلك فهو ظريف، وإن كان لم يقصده، فتوجيهنا له غريب.

---

(١) الآية ١٢ من سورة الذاريات.
(٢) الآية ٤٢ من سورة النازعات.
(٣) فى ت مغمزا سيف الدولة.

(وأَصْرَع أىَّ الوَحشِ قَفَّيتُه بِهِ   وأنزلُ عَنْه مِثلَهُ حين أرْكَبُ)

قَفَّيته: أى اتَّبعت قفاه. يَقول: أَقْتُلُ بهذا الفرس أى نوع أو شخص من الوحش حاولتُ به إدراكه، وأنزلُ عنه بعد ذلك وهو فى مثل حاله حين ركبتُه، من الجمام ووفور الجرى لم يغيِّره إجرائى له، ولا أذهب مَيْعته[1] وهذا كقول المَرَّار بن منقذ السَّعدى فى صفة عجوز يذكر بقاء حسنها:

من بَعد ما لَبِسَتْ زماناً حُسْنَها   وكأن ثوب جمالها لم يُلْبَسِ

«ومثله» منصوب على الحال من الهاء التى فى عنه و«حين» ظرف متعلق بأنزل.

(تَزِيدُ عَطاياهُ على الغيث كَثْرَةً   وَتلْبَثُ أمواهُ السحاب فَتَنْضُبُ)

أى كلما لبثت عطاياه تضاعفت ونمت، لإنها ذوات مواد كَحِجْر يهبها فتنتج مهراً، أو ضيعة تُورثه غَلَّة ووَفْراً، فتنمى هباته على الأيام ، وتواتر الأعوام.

وأما مواهب السحاب فكلما لَبِثَتْ نشفَتْها[2] الشمس، ونَضَّبتها الأرض، واستقتها الواردة. فهذا فضل ندى كافور علَى السحاب.

(ودُون الَّذِى يَبْغُون مَالَوْ تَخلّصُوا

إلى الشَّيبِ مِنْهُ عِشْتَ والطِّفْلُ أَشْيَبُ)

(مالَو تخلصوا إلى الشيب منه): يعنى الموت. أى دون مايحاولونه منك الموت، الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب، لشاب طفلُهم فى حال طفولته ـ أراد القرب[3]ـ ولكنهم لايمكنهم التخلص من الموت إلى الشيب، بل أنت تأتى عليهم، فتقتلهم فى الحال.

وقيل معناه: لو أَمهلَ الحسدُ حسادك رَيْثَ هجوم الشَّيب، لشاب طفلُهم الآن، ولم يتأخر الشيب عنه إلى أوانه، ولكن أنت تعجلهم،و شيب الطفل فى كل ذلك: يذهب به إلى القُرب. أى لو أمهلهم الموت الذى يحدث عنه الحسد،

(١) ميعته: أول جريه حين يكون شديدا.

(٢) يقال: نشف الماء (من باب تعب) ونشَفت الماء من باب (ضرب) ونشَّفته بالتثقيل: مبالغة. ونشفتها الشمس: أذهبت منها ماءها.

(٣) أى قرب إدراك المشيب للطفل لما يقاسى من أهوال الحروب، وشدائد الأيام.

لشابوا فى هذا الوقت، ولم يمهل الطفل منهم إلى أوان المشيب، بل كان يشيب مع هؤلاء.

وإن شئت قلت: إن هذا كقوله:

فـــإنك ســـوف تحلُم أوْ تناهى[1] إذا مـــاشِـــبتَ أو شـــاب الغُـــرابُ

أى إنما تحلم إذا شبت، وأنت لاتشيب أبداً، لأن حِلْمك على الناس يقتلُك، فيُعجلك عن بلوغ الشَّيْب، وكذا لايشيب الغراب أبداً.

فكذلك لاتحلم أبداً. فيقول: لو تخلصوا من الموت إلى الشيب- وهذا غير ممكن- أى لو أمكن ذلك الممتنع[2]، الذى هو التخلص من الموت إلى الشيب، لأمكن هذا الممتنع[2] الثانيِ، وهو شيب الطفل.

(ثَنَاهُم وبرقُ البيْضِ فى البيِضِ صادِقٌ

عَلَيْهِم وَبرْقُ البَيْضِ فى البيض خُلَّبُ)

البــرق على ضــربين: صــادق، وكـاذب والكاذب يقــال لـه: الخُلَّب[3]، من الخِلابة، وهى الخِداع فوَعْد بَرْق سيوفك بأن يُفلِق البَيْض إلى ماتحـتـهـا من الهَام، صادق، لأنها تفعل ذلك. وبَرْق بَيْض عِداك أن تقى هامهم من بيضك، أى سيوفَك، كاذب. لأن سيوفك من عاداتها أن تَقُدَّ تريكهم[4] إلى هامهم، فهو خُلب لذلك، وقد يقولون: برقُ الخُلب فيضيفون، وهذه الإضافة على حذف الموصوف، أى برق السحـاب الخُلَّب[5] وأن شئت، جعلتها من إضافة الشئ إلى نفسه، كنحو ماحكاه أبو بكر محمد بن السَّرى[6] من قولهم: مَسْجدِ الجامع، باب الحديد. وقد حمل بعضهم قوله تعالى (ولَدَارُ الآخرةِ خَيْرٌ)[7] على ذلك.

---

(١) تناهى: أى تتناهى فى الحلم إلى أقصى درجاته.
والبيت للنابغة الجعدى فى ثمار القلوب للثعالبى (٤٢٦).

(٢) - (٢) مابين الرقمين سقط من ت.

(٣) الخلب: عبارة ابن سيده فى المخصص (٩:١٠٩) البرق الخلب: الذى يومض حتى ترجو المطر، ثم يعدل عنك. وعن أبى حنيفة: إذا برقت السماء حتى تطمعك فى المطر، ثم أخلفت فلم تمطر، فذلك البرق خلب. أخذا من الخلابة وهو الخداع.

(٤) التريك: اسم جنس جمعى للتريكة وهى بيضة الحديد للرأس على التشبيه بالتريكة التى هى البيضة، والجمع ترائك (اللسان-ترك) عن ابن سيده مؤلف الكتاب.

(٥) ذكر ابن سيده فى المخصص (٩:١٠٩) عن أبى زيد: (برق الخلب. وبرقُ خلَّب وبرقُ خلب).

(٦) هو المعروف بابن السَّراج تلميذ المبرد وأستاذ أبى على الفارسى توفى سنة ٣١٦هـ (عن نزهة الألباء).

(٧) الآية ١٠٩ من سورة يوسف.

(سَلَلْتَ سُيُوفاً علّمت كل خاَطِبٍ		عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيف يَدْعُو ويخَطُبُ)

إن شئت قلت: لما رأى الناس تأثير سيوفك فى عِداك، دَانُو لك، فخطبوا باسمك على كل مِنبر. وان شئت قلت: كان الواجب فى الاختطاب على المنابر أن يكون باسمك، فَتُجُوِّزَ فى الخُطب باسم غيرك، فَسَلَلْتَ سيوفك، وقتلت بها أعداك، وبلَّغْت أمانيك، فخطبُوا لك خاصة، فكان تخصيصك بذلك من تعليم السيوف التى سَلَلْت، كقوله:[1]

تولِّيه أوْسَاطَ البِلادِ رِماحُهُ

وقوله: (كيفَ يَدعو ويخطُبُ) جملة فى موضع المفعول الثانى،

و (علَّمت كل خاطب): الدعاءَ والخطبة. و(على كلِّ عُود): أراد على كل منبر، لأن المنبر من العُود، فأقام العُنْصُر مكان الصورة، ومثله كثير.

ـ١٢٠ـ

وله أيضاً:

(أُرِيدُ مِنْ زَمَنِى ذَا أن يُبَلِّــغَنِى		مَالَيْسَ يَبْلُغُـه من نَفْسِـه الزَّمَنُ)[2]

أى أُريد أن يدوم شبابى وسرورى أبداً، فلا أَهْرَم ولا أهتمّ. وهذا الذى أريده من الزمان، لايبلُغُه هو من أمنيته لذاته، لأنه لو اختار أن يكون ربيعاً أبداً، ونهاراً سَرْمداً، لم يبلغ ذلك، لأن أحواله الأنيقة تتكدر، فيلحق ربيعَه القيظ، ويتخلل نهاره الليل. فإذا لم يبلغ الزمان مُرادَهُ فى نفسه، فجدير ألا يُبَلِّغَنى مرادى. إذ لو كان ذلك فى قوته، لآثر به نفسه.

يتعجب من تشططه على الزمن، وتكليفه إياه ماليس فى وسعه، ولايجد مُعيناً عليه من طبعه.

---

(١) هو المتنبى وعجز البيت:

«وتمنعه أطرافهن من العزل».

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٤٧١ مطلعها

بم التعلل لا أهل ولا وطن		ولانديم ولا كأس ولاسكن

وجعل للزمان نَفْساً وإنما هو نورٌ وظلمه، تَحْدثان عند حركة الفَلك، لأن العرب تنسُب الأفعال إلى الدهر كثيراً، لوقوعها فيها. فيقولون : فَعل الزمان، وصَنع، كقوله تعالى حكايةً عن الكفار: (وما يُهلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ)[1]

(مما أَضَرَّ بأَهْلِ العِشْقِ أَنَّهُمُ هَوَوْا ومَا عَرَفُوا الدُّنْيا ولا فَطَنُوا)

أى أنهم اعتبروا حُسْن الخَلْق لا حُسْن الخُلُق. ولو جَرَّبوا الدنيا، فأجادوا الاعتبار، وأطالوا الاختبار، لوجب أن يُؤْثِروا حسن الخُلُق، فيجب إذ هو أولى فى الحقيقة بذلك، من اعتبار هذا الحُسن المحسوس. وقد فسره هو فى البيت الثانى بعده فقال:

(تفْنَى عيونُهُم دَمْعاً وأنفُسُهم فى إثر كل قبيحٍ وجْهُهُ حَسَنُ)

أى فى إثر كل قبيح الخُلُق.

(تَحمَّلُوا حَمَلَتُكم كُلُّ نَاجِيةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ علَىَّ اليومَ مُؤْتَمَنُ)

نسيب هذه القطعة قاله أبو الطيب مُغْضباً، شاكياً لأمره، متسخِّطاً على دهره، حتى أفضت به شدةُ العتاب، إلى ملامة الأحباب، واحتمل إفراط الجفا، لما تأمَّله من قلة الوَفَا، فقال: (تَحملُّوا حَمَلَتْكُم كل نَاجيةٍ): أى أُبْعِدتم ولادَنوتم، بخلاف قوله هو راضياً عن أحبابه:

لاسِرْتِ من إبلٍ لَوَ انىَّ فَوقَها لَمحتْ حَرارةُ مَدْمَعىَّ سِمَاتِهَا[2]

ثم أدركه بعدَ ضَجْرة التأسف، وإظهار البراءة عن العشق بعدهم، فقال:

فكل بَيْنٍ علىَّ اليوم مؤتَمَن

أى أنى كنت أحذَر بَيْنكم، فإذ قد وقع، فما أبالى بشىء بعده، كقوله الأول:

مَنْ شاءَ بعدَك فليَمُتْ فعليكَ كُنتُ أحَاذِرُ[3]

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) من قصيدته « سرب محاسنها حرمت ذواتها ».

(٣) ينسب إلى امرأة من العرب كما فى شرح المتنبى للبرقوقى (٢:٤٥٩).

وامتثله أبو نواس فقال:

وكنتُ عليــــه أَحْـــذَرُ الدهرَ وحــــدَهُ   فلم يبقَ لى شىءٌ عليــــه أُحَـــاذِرُ[1]

والفـاء فى قـوله: (فكل بين) لعطف الجـملة الثـانيـة على الأولى، التى هى (تحملوا).

(رأيتـكُمْ لايَـصُـونَ العِـرضَ جَـارُكُـمُ

ولا يَـدِرُّ علـى مَـرعَـاكمُ اللَّبَـنُ)

أى من جـاوركم ذَلّ، وأقـام صـابراً على الذِّلّة، حـتى يكون عـرضُـه غيـرَ مصون لأنكم لاتنصرونه على من أوصل إليه الأذاة، بل تَدَعُونَه نُهبة، ولايستطيع أن ينتصر هو لخذلكم إياه. وهو فى هذا البيت يُعَيرِّهم الصَّبرَ على الذلّ والقُلّ، لأنّ قوله: (ولاتدر على مَرَعاكُم اللَّبن): يعنى به أن رِفدكم قدر الكفَاف، ليس فيه ما يفضُل عن الاستشفاف[2].

(فَـغَـادَرَ الهـجـرُ مـابَيْنِى وَبينكُمُ   يَهْمَـاءَ تَكْذِبُ فـيـهـا العـينُ والأُذُنُ)

اليـهمـاء: الأرض القفرة، (فَعْلاء، لاأَفْعل لها من جـهة السماع). أَى لايقال: (قَـفْـرٌ أيْهمُ). وقـد غَلَبَت (اليَـهـمـاء) غلبـة الأسـمـاء. حكى أبو زيد عن العـرب: اليَهماوات. فلو عاملوا الصفة لقالوا: اليُهم، أى غَادَرَ الهَجْرُ بيننا فلاةً يَهْماء يَقْرَعُ[3] فـيـهـا الحِسّ مـا ليس بحـقـيقـة، كتخـيل الآل[4]، وتصـوُّر الأشـخـاص، وعَزيف الجِنّ[5]،ونحو ذلك مما لاحاصل[6] له.

---

(١) من أبيات أربعة قالها أبو نواس فى رثاء الأمين (ديوانه ص٥٨١)
(٢) يقال: شف الماء يشفه شفا واستشفه واشتفه تقصى شربه (اللسان- شفف)
(٣) في م: (يفزع) ولعله محرف عن (يقرع) والمراد بقوله (يقرع الحسن): أى يصدمه.
(٤) الآل: السراب وهو مايرى فى الصحراء عند الظهر كماء البحر (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا).
(٥) عزيف الجن: شئ يتوهمه من يسافر فى الصحراء كأنه الصوت البعيد، وهو لايعرف مصدره فيزعم أنه صوت الجن.
(٦) أى لاحقية له.

(تَحْبُو[1] الرَّواسِمُ من بعد الرَّسِيم بِها

وَتَسْأَلُ الأرضَ عن اخْفَافِها الثَّفِنُ)

أى تحبو الإبل الراسمة من هذا القفز، والثُّفن: ما يصيب الأرض من البعير والناقة إذا بركا؛ وهى خمسٌ رُكبتاه من ذراعيه وساقيه وفخذه؛ فإذا حَفيت هذه الإبل، فبركت على ثَفِناتها، وصدمت بها الأرض، قالت الثَّفِنات للأرض: أين الأخفاف التى كانت تَكْفينا إياك، وتقينا لُقْياك؟ و(الثَّفِن): جمع ثَفِنة[2]، كلِبنة ولَبِن....[3] كلاهما عربى[4] ، لأن مالم يفارق من الجمع واحده إلا بالهاء، جاز تذكيره وتأنيثه ولذلك ـ إذا وافقت صورة هذا الجمع صورة الجمع المكسَّر ـ استدلَّ سيبويه على الجمع الذى باينَ واحده بالهاء بدليل التذكير، مثل ذلك قوله: إن الرُّطبَ[5] ليس كالغَرَب[6] ، وإن اتفق المِثلان[7] ، لأن الغَرَبَ مُكَسَّر، بدليل تأنيثه، والرُّطب يذكَّر ويؤنَّث، يقولون: هذا الرُّطَب، وهذه الرُّطَب.

ـ ١٢١ ـ

وله أيضاً:

(وَلَوَ انَّ الحياة تبقى لِحَيٍّ   لَعَدَدْنا أَضَلَّنَا الشُّجْعانا)[8]

أى أن الحياة لاتدوم، فما ينبغى للحىّ أن يَجْبُن، إذ لابُدَّ من لقاء الموت. وفى الجُبْن العار. ولو كانت الحياة تدوم، لكان أضلّنا الشجاع الذى يتعرض للقتل فيقتل، فيحرم بذلك نفسه بقاء الحياة ولذَّاتها. ولكنْ إذا كان الموت لابُد منه، وفى الشجاعة المجدُ، فهى أولى من ضدها.

---

(١) فى الديوان: (تخفى) وفى ت (تحفى) وفي التبيان للعكبرى (تحبو) وكلها مناسبة للمقام، لأنها يخبو نشاطها أو تحفى أرجلها والكل عن السير، أو تزحف فى مسيرها بعد أن كان سيرها رسيما فيه نشاط.

(٢) جمع: أى فى اصطلاح اللغويين، إذ هو عندهم كل مادل على أكثر من واحد، وإن لم يكن له واحد من لفظه. أما فى اصطلاح الصرفيين، فالجمع ماله واحد من لفظه وصيغه محصورة معروفة.

(٣) فى الأصليين كلمتان غيرواضحتين.

(٤) أى تذكير الفعل المسند إلى الثفن وتأنيثه كلاهما جائز عربية للعلة التى ذكرها.

(٥) فى اللسان (رطب): الرطب: نضج الثمر قبل أن يتمر،واحدة رطبة. وقال سيبويه: ليس رطب بتكسير رطبة، وإنما الرطب كالتمر واحداللفظ مذكر. يقولون: هذا الرطب. ولو كان تكثيرا لأنثوا.

(٦) فى اللسان (غرب): الغَرَب (بالتحريك): ضرب من الشجر واحدته غربة ولم يصرح بتأنيث.

(٧) كذا ولعله يريد المثالان، أى الرطب والغرب فى كونهما ثلاثيين متحركى الوسط.

(٨) من قصيدته التى أولها «صحب الناس قبلنا ذا الزمانا» (وانظر ديوانه ٤٧٤).

وله أيضاً:

(كـأنَّ رِقَـابَ النَّـاسِ قـالـت لِسَـيـفْـهِ رَفِـيـقُكَ قَـيْـسِىٌّ وأَنْـتَ يَمَـان)(١)

قيس من عَدْنان، وَاليمن من قَحْطان، وبينهما منافرة. فيقول: كثُرَ تقطيعُ شبيب لرقاب الناس بسيفه، فأغْرت الرقابُ بينهما، ليفترقا فتسلم. وقوله: (رفيقُك قيسيٌّ وأنت يمانِ)، تَوريةٌ عن قولهم: لِمَ تتفقان وأنتما بالنسب مفترقان. ونحوه قوله الآخر:

أيهـا المُنكحُ الثُّـريَّا سُـهـيـلاً عَـمْـرَكَ اللّهَ كَـيْف يَلْتَـقِـيَـان(٢)

هـى شـامِـيَّـةٌ إذا مـا اسـتـقلَّتْ وسُـهـيلٌ إذا اسـتـقلّ يمـانِ

والألف فى يمانٍ عوض من إحدى ياءى النسب، التى فى قولك (يَمَنِىّ)

ومن العرب من يقول: يَمـانىّ. فهذا ليس على العوض، لأنه لم يحذف منه شيئاً فتكون الألف عوضاً منه، ولكنه من نوادر النسب.

(أتُمْـسِكُ مَـا أوليـتَـهُ يَدُ عَـاقِلٍ وتُمْـسِك فى كُـفْـرانِه بِعِنَانِ)

أى سبيل النعم التى زالت من يدك إلى يده، أن تَنْهَى كفَّه عن الإمساك بعنان فى معصيتك، فهلا فعل ذلك؟ ينكر على شبيب كفره أيادى كافور بنفاقه عليه، وخلعه طاعته.

(ثَنَى يَدَه الإحسَانُ حَتَّى كَأَنَّها وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغيرِ بَنَانِ)

أى لما همَّ بمعصيتك، ثَنَت كثرةُ أياديك عن العصيان يَده، حتى ألقت السيف كأنها لابنان لها يُمْسِكُه بها، وقوله: (وقد قبضت): جملة فى موضع الحال من الضمير الذى فى (كأنها). و(كانت) هاهنا يجوز أن تكون المفتقرة إلى الخبر، ويجوز أن تكون بمعنى خُلقت، فتكون الغنية.

(١) من قصيدته: «عدوك مذموم بكل لسان».
يذكر فيها قيام شبيب العقيلى على كافور وقتله سنة ٣٤٨هـ. وانظر ديوانه ص٤٧٥.
(٢) قائلهما عمر بن أبى ربيعة. (وانظر شروح سقط الزند١: ٤٠٦).

حكى سيبويه: أنا أَعرفك مُذْ كنت، أى مُذْ خلقت، ويكون المجرور على هذا فى موضع[1] الحال، كما ذهب إليه سيبويه فى رواية من روى:

إذا كان يومٌ ذو كواكب أشنَعَا[2]

من أَن أَشنع حال[3]، ولاتكون خبراً لكان، لأن الخبر سبيله أَن يكون مفيداً، وليس فى أَشنع من الفائدة إلا مافى قوله (ذو كواكب) لأن اليوم إذا كان ذا كواكب كان شنيعاً، إذ ظهور الكواكب إنما يكون للقتام الذى يكسِف ضوء الشمس، فتظهر. وهذا من دقائق سيبويه التى يسميها المتأمل إعجازاً.

-١٢٣-

وله أيضاً:

(عُيونُ رَواحِلِى إن حِرْتُ عَيْنِى وَكُلُّ بُغامِ رَازِحَةٍ بُغَامِى)[4]

حِرْت: أى تَحَيَّرت، والعيون هاهنا: يجوز أن تكون جمع عين، وهى الشخص، أى أنى ماهر بالفلاة معاود[5] لها أحس فيها أملى فأدعها دؤاماً فى الطريق[5]، فإذا أنا تحيرت فى التِّيه، فدليلى كل عُود أُخلِّيه، لأنى أرى شخصه فيكون لى كالمنار الذى يُسْتَدَل به.

وقد تكون العيون هنا جمع العين التى هى كالجارحة النظَرية، أى تبدو لى أعين هذه الرَّوَايا، وخَصَّ أعينها بقوله: عينى. وكذلك إذا أردتُ استنباح الكلاب،

---

(١) (ويكون المجرور على هذا فى موضع الحال) أى قول المتبى (بغير بنان) فى البيت السابق.

(٢) البيت لعمرو بن شاس كما فى الكتاب لسيبويه (١:٢٢) وصدره.

(بنى أسد هل تعلمون بلادنا)

أراد باليوم يوما من أيام الحرب وصفه بالشدة فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب.

(٣) فى نصب (أشنعا) تقديران: أجودهما أن يكون نصب على الحال المؤكدة لأنه إذا وصف اليوم بظهور الكواكب فيه فقد دل على الشنعة.

والآخر أن يكون نصبه على الخبر المؤكد به . والخبر لايكاد يقع إلا لفائدة يحتاج إليها، لايستغنى عن ذكرها. وقد استغنى عنه هنا ، فلذلك قبح هذا التقدير وضعف (أنظر شرح الأعلم على شواهد سيبويه فى ذيل صفحات الكتاب).

(٤) من قصيدته فى وصف الحمى وأولها

«ملومكما يجل عن الملام».

وانظر ديوانه ص٤٨٢ والعكبرى (٤:١٤٢)

(٥) - (٥) مابين الرقمين ساقط من ت.

ليُدلَّ نُباحها على الحِلال[1]، وأماكن الحُلاَّل، بغَمت ناقتى، والبُغام: صوت تقطِّعه ولا تمُدُّه، فيسمع الكلْب بُغامها فينبح، فذلك البُغام يغنينى أن أستنبح الكلاب.

والرازِحة: الناقة المعيبة، رَزَحَت تَرْزَح رُزُوحاً ورُزاحاً. وخصَّ الرَّازِحة، لأنه يصف نفسه بإدمان السير، والصبر علىَ التعب فى السفر.

(فَقَدْ أَرِدُ المِيَاهَ بِغَيـر هَادٍ   سِوَى عَدِّى لهَا بَرْقَ الغَمَامِ)

يصف نفسه بمعرفة الارتياد، ويتَعرَّب[2] بذلك، فيقول: لا أحتاج على الماء دليلاً، إذا ابتغينا إليه سبيلاً، لأنى عالم بمخايل[3] المطر، كعلم رُوَّاد العرب ومنتجعيهم بذلك. وهم يزعمون أن البرقَ إذا لمع مائة وَمْضة[4]، وَثِقوا بالمطر وانتجعوا الناحية، التى لاح منها ذلك البرق.

وقيل: إذا بَرَقت السماء أربعين بَرْقة، وثقوا فساروا، وربما طاردوا[5] جَوّه[6] عشراً، فوافقوا الماء.

(يَضِيقُ الجِلْدُ عَن نَفَسِى وعَنْهَا   فَتُوسِعُه بأنْواعِ السَّقَامِ)

أى أَنْحَلَتْنِى هذه الحُمَّى، فكأنها وجَدَتْ جلدى لايسع نَفَسى وإياها، فأكلت اللحم، ليتسع الجلد فيجمعهما، كما وَسِعَ النُّفس والنَّفَس.

(وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا   خَلاَصَ الخَمْرِ من نَسْجِ الفِدَامِ)

الفِدَام: المِصفاة، ونَسْجُه ضيقٌ، تَدْفَعُ إليه الخمر قَذَاها، فتمرق منه صافية فتزداد شرفاً بنقائها وصفائها. شَبَّه الخُطَّة، وهى النازلة العظيمة من نوازل

(١) الحلال: جمع الحلة (بكسر الحاء) وهى بيوت القوم الحالين بقرب بعضهم من بعض.
(٢) يتشبه بالعرب الممعنين فى البداوة.
(٣) مخايل: جمع مخيلة(بفتح الميم وكسر الخاء) بمعنى العلامة الدالة على الشئ كالمطر ونحوه. أو المخايل: جمع مُخيلة (بضم الميم) اسم الفاعل،بمعنى السحابه المملوءه ماء، الواعدة بالمطر.
(٤) الومضة: المرة من الومض، وهو لمع البرق لمعا خفيفا، لم يعترض فى نواحى الغيم (اللسان - ومض).
(٥) كذا فى م. وفى ت (طاروا).
(٦) جوّه: ناحيته التى ظهر فيها. ومعنى العبارة: ربما تابعوا السيرنحو جو ذلك البرق عشر ليال، فوافقوا الماء.

الدهر، فى ضيقها بالفِدَام المُضَيَّق. فيقول: إذا دُفِعْتُ إلى مُلِمٍّ ضَيِّق فعجز غيرى عن نفاذه، خرجتُ أنا منه وقد استدل مُبصرِى على فضلى، إذ لم تَعْلَق بى تَبِعَتُها(١) وازددتُ شرفاً بذلك، كازدياد المدام عند فراغها صافية للفِدام، كقوله(٢).

مــا تعــتــرينى من خُطوبِ مُلِمَّــةٍ إلا تُشــرِّفُنِى وَتَرْفَــــعُ شــانِى

ولهذا قالوا خرج منها كالشِّهاب، أى لم تعلقه منها تَبِعة. وأراد: (وربما ضاقت خُطَّة)، أو (فقد ضاقت خُطَّة) يذهب فى ذلك إلى خُطَطٍ شتى، لا إلى خُطَطٍ بعينها. وأراد (من منسوج الفِدَام) إذ النسْج عَرَض، والخَمْر جوهر، والجوهر لايتخلل العَرَض.

قال سيبويه: هذا ثوبٌ نَسْج اليمن، ودرهم ضَرْبُ الأمير: أى منسوج ومضروب، ومثله كثير.

(وَإنْ أَسْلَم فـمَـا أَبْقَى وَلكِـنْ سَلِمْتُ مِن الحِـمَـامِ إلى الحِـمَـامِ)

أى إن سلمتُ من موت على وجه ما، لم أَسلم من آخر على وجه ما، وإن سَلِمتُ من الموت فى زمن ما، لم أسلم فى غيره، إذ الخُلد فى الحياة ممتنع. وقوله: (من الحِمام إلى الحِمام): لم يُرِد الجنس ولكنه أراد من بعض أنواع الحمام إلى بعض أنواع الحمام.

(١) كذا فى م. أى آثارها. وفى ت (شعبها).
(٢) هو الأحوص. والبيت له فى العقد الفريد(٢:١٩٤)

وله ايضاً:

(مُنىً كُنَّ لِى أَنَّ البياضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرونِ شَبَابُ)[١]

(أَنَّ البياض): خبر ابتداء مضمر. أَى كانت لى مُنىً. ثم أوضح تلك المنى وكأنه قال: هى أن البياض وقار لى، فيخفى شبابى بالمشيب، ذهاباً إلى إِكبار الشيب، وذلك لما يَلْحقُ الشباب عنده من العَيْب.

(فكَيْفَ أَذمُّ اليَومَ ما كنتُ أَشْتَهِى

وأدعُو بما أشكُوهُ حينَ أُجَابُ)

يعنى فى كل ذلك الشيب، أَى قد كنت أيام أسأَلُه عزَّ وجلّ، وأدعو أن يسلُبَنى الشباب، ظاناًّ أن الشيب لايَلْحقُ الإنسان معه أَلَمٌ ولا هَرَم. فلما شِبْتُ ولحقنى من الضعف مالحقنى، علمت أن رأيى فى سؤالى الشيبَ، ورغبتى إلى اللّه فيه كان سَفَهاً. لكن كيف أذمُّ المشيب وقد كنت أشتهيه. وكيف أشكوه وقد كنت أدعو اللّه أن يَهَبَه لى.

يقول: فإن شكوْت ما كنتُ أُحِبّ، وذَمَمْتُ مادعوت[٢] إلى اللّه فيه، وقع التناقض فى مَذْهبى، مع أن ذلك غير نافع فالصبر أولى، والرِّضا بكل ذلك أحجى.

(جَرَى الخُلْفُ إلا فِيْكَ أَنَّك وَاحِدٌ وأَنَّك لَيثٌ والمُلوكُ ذِئَابُ)

(وَأَنَّك إِنْ قُوْيِستَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئَاباً فلم يُخْطِئْ فقال ذُبَابُ)

أى إذا عُدِدتَ ليثاً، وطلب من السباع ماهو دون الليث، مما يقاس به الملوك إليك ريئوا[٣] ذِئاباً. ثم إن حُقِّق القياس، كان مابينك وبين الملوك تفاوتاً، كما بين الأسد والذئاب، حتى لو صَحَّف مُصَحِّفٌ فقال: ذباب لم يخطىء فى قياسه

(١) مطلع قصيدة للمتنبى بديوانه (٤٧٨) وقد مدح بها كافورا الاخشيدى سنة ٣٤٧هـ ولم يلقه بعدها.
(٢) ضمن (دعوت) معنى رغبت فعداه بإلى.
(٣) (ريئوا): ظُنُّوا. (مبنياللمجهول) من (راء) مقلوب (رأى).

إليك، وإن كان صَحَّف، بل يكون بهذا التصحيف أشعر كقول الأصمعيّ لقارىء عليه، صَحَّفَ بيتَ الحُطَيئة، وهو قوله:

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لابِنٌ بالصَّيفِ تَامِرْ[1]

فقال: (لاتَنِى بالضَّيْفِ تَامُر)[2]، فقال له الأصمعيّ، أنت والله أشعر من قائله، حين قلبتَ هَجْوهُ مَدْحاً. وقوله: (إنك واحدٌ): بدل من الكاف فى فيك.

وإن قلت: مع سيبويه البدل من المضمر المخاطَب، فقال: إن قلت: بك المسكين مَرَرْت[3]، لم يَجُز، لأن البدَلَ إنما هو للإيضاح والمخاطب لايُشْكل، فيحتاج إلى البيان. قلنا إنما منع سيبويه فى هذا بَدَلَ الجملة من الجملة، أعنى الكلَّ من الكلّ، الذى هو هو، فأما بدل الجزء من الكلّ، فغير ممتنع؛ كقولك أعجبتنى وَجْهُك، وعَجِبتُ منكَ صَبْرك[4]، فكذلك (أنك واحد)، وإن لم يكن جزءاً من كل فهو عَرَض فى جوهر كقولك: جَرَى الخُلْف إلا فى كونك واحداً، والعَرض - وإن لم يكن جزءاً من الجوهر - فهو مرتبط به، فكان كالجزء منه. والخُلْف هنا: بمعنى الاختلاف، ولذلك جاز أن يتعدى إلى فى. وذئاب هاهنا: اسم للجنس لأنه قد قال: (والملوك ذئاب)، فأخبر بالجمع عن الجمع، ولو لم يجعل الذّئاب جنساً، لَلَزِمَك أن تخبر عن الجمع بالواحد.

---

(١) البيت فى اللسان (لبن) والكتاب لسيبويه (٢: ٩٠).

(٢) أى لاتتوانى فى إكرام ضيفك فتأمر بذلك تابعيك وحشمك.

(٣) (الكتاب ٢: ٧٦).

(٤) الذى قاله ابن سيده فى (عجبت منك صبرك، وفى قول المتنبى (فيك أنك واحد) ليس بدل الجزء من الكل، وإن تكلّف فى تخريجه ماتكلّف فى قوله ": فكذلك (أنك واحد) وإن لم يكن جزءا من كل فهو عرض فى جوهر... والعرض وإن لم يكن جزءا من الجوهر فهو مرتبط به فكان كالجزء منه".
قلنا: إن هذا ليس بدل البعض أو الجزء من الكل، وإنما هو من بدل الاشتمال وبدل الاشتمال يعين أمرا عرضيا وليس جزءا أصيلا في المتبوع فهو مثل ماأورده سيبويه فى الكتاب.

ذَرِينى إنَّ أمْرَك لن يُطاعا   وماألفَيتنى حلْمى مُضاعا

والشاهد فى البيت هو حمل الحلم عَلى الضمير المنصوب بدلاً منه لاَشْتَمَال المعنى عليه. فحلمى بدل من الياء فى (ألفيتنى) وهو منصوب من قبيل بدل الاشتمال والحلم (أمر عرضى) وليس جوهرا. وانظر ابن يعيش (باب البدل- ٣: ٦٥)

وقد حكى أبو عُبيد فى (الغريب المصنف) عن الأحمر(١): (النُّغْرة: ذبابة). فإن صح ذلك، ولم يك وهماً من أبى عُبَيد، فذباب هنا جمع ذُبابة(٢)، لايحتاج حينئذ إلى تأول الجنس ولا إلى جعل الواحد موضع الجمع. ولا أعلم أحداً من أهل اللغة حكى فى ذُباب ذُبابة إلا أبا عُبيد وحده.

-١٢٥-

وله أيضاً:

(والعَبدُ ليس لِحُرٍّ صَالحٍ بأَخٍ ... لَوْ أنَّه فى ثيابِ الحُرِّ مَولُودُ)(٣)

أَى لو غُذِّى ورُبِّى وأدِّب بمثل ما يغذى به الحُرُّ ويُرَبى ويُؤَدَّب، لقصرٌ عن طبيعة الحُرِّ، ولو لم يَرُم العبودية، والعبد يمتهنه الحُرُّ، فإذا كان كذلك فهو عدو لا أَخٌ.

(أَولَى اللِّئَامِ كُوَيْفيرٌ بمعذِرَةٍ ... فى كلِّ لُؤمٍ وبَعضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ)

أَوْلى اللِّئَام فى العذر فى اللوم كافور، لأنه شَرُّ نفْسٍ من أَخسِّ جنس، أعنى بالجنس(٤): الجيل، لا المقُول على الأنواع، وإذا خَسَّ الجنس؛ عُذر الواحد منه أَن يجرى على قيسه(٥)، الذى هو طبعُ جنسه، فغدا عذراً له، وإن كان هذا العذر بالذم والتنقص أَشبه. فهو إِذن عذر يزيد على التفنيد، لأن التفنيد يشعر أن المفنّد موجود، كقوله:

ويَبْقَى الُودُّ مابَقِى العِتَابُ(٦)

(١) قال ابن منطور فى السان (ذبب): "الذباب الأسود الذى يكون في البيوت الواحدة ذبابة والذباب أيضا: النَّحل. ولايقال ذبابة فى شئ من ذلك إلا أن أبا عبيد روى عن الأحمر ذبابة هكذا وقع فى كتابه الغريب المصنف رواية أبى على.....
وفى اللسان (نعر) وقال الأحمر: النعرة (بفتح العين) ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها.
(٢) تعبير أبى عبيد تعبير صحيح لأن النعرة (بفتح العين) واحدة النعر (وهو ذباب) أزرق يدخل فى أنوف الحمير والخيل - كما ذكر اللسان - والجمع نعر. وفى اللسان أيضا قال سيبويه: نُعَر من الجمع الذى لايفارق واحده إلا بالهاء. فقول أبى عبيد: النعرة ذبابة) لاغبار عليه ولا وهْم فيه.
(٣) هذا البيت من قصيدته التي يهجو بها كافورا الإخشيدى ومطلعها:
عيد بأية حال عدت ياعيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد
(٤) أراد بالجنس: النوع من جنس الإنسان ولم يرد الجنس فى اصطلاح أصحاب المنطق.
(٥) القيس: مصدر قاس الشئ بالشئ يقيسه قيسا وقياسا وفى ت. (قسمته) فى مكان (قيسه).
(٦) صدره كما فى العقد الفريد (٤:٣٠): «وإذا ذهب العتاب فليس ود».

فأما إذا ترك التفنيد، للعلم بأن الإساءة طبيعة فى المسىء، فذلك أقصى نهايات الذم. وأراد: (أَوْلَى اللئام بمعذرة كويفير)، لأن قوله: (بمعذرة) من تمام الاسم، الذى هو أولى. فكان ينبغى له ألا يجىء بالخبر الذى هو (كويفير) إلاّ بعد قوله: (بمعذرة) لتعلق الباء بأَوْلَى. وكذلك إن جُعِل (كويفير) هو المبتدأ، وجعل (أَولى اللئام) خبر مبتدأ مقدماً، فقد حال أيضاً بين الاسم الذى هو الخبر، وبين ماهو من تمامه.

ولذلك جعل الفارسىّ (كِلاَ) فى قوله:

كِـــلاَ يَوْمَـىْ طُوالَةَ وصْلُ أَرْوَى   ظَنونٌ آنَ مُطَّرَحُ الظُّنُـــونِ(١)

جزءاً من الخبر، لامن المبتدأ، الذى هو وصل أرْوَى، لأن وصلاً مصدر، فكان يكون (كِلا) من صلته متقدِّماً له. والصلّة لاتتقدم على الموصول.

وكما لايُقَدَّم بعضُ أجزاء الاسم على بعض مُغَيَّراً عن وضعه، فكذلك لايُحال بين بعضه وبين بعض بأجنبى أيضاً، فلذلك مَثَّلنا بيت المتنبى فى فصله بين (أَوْلَى) وما يتعلق بها، بالبيت الذى أنشده أبو علىّ، فى أنه لايجوز تقديم الصلة على الموصول. وإنما قوله: (بمعذرة) متعلق بأَوْلَى. ثم أبرز مضمره. أى أولاهم بمعذرة.

-١٢٦-

وله أيضاً:

(وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعرَّضَهُ   وَخِفْتُ لمَّا اعْترضْتَ إِخْلاَفَا)(٢)

اختلس له بعض أعبده سيفا، وأعطاه [امرأة وَرْدان بن ربيعة الطائى](٣) الذى تضيفه بحسْمى. وكان عبيده قد خالفوا إليها فوثب أبو الطيب إلى العبد

(١) البيت فى اللسان (طول) ونسبه للشماخ وهو فى ديوانه (ص٠٩٠) والآمالى(٢: ٣٠) والشاهد فيه أن (كلا يومى طوالة) ظرف متعلق بالمتبدأ، وهو(وصل أروى) وقد تقدم على المبتدأ وهو متعلق به من صلته، والصلة لاتتقدم على الموصول كما قال أبو على.

(٢) البيت من أبيات بديوانه ص(٥١٦) أولها:

«أعددت للغادرين أسيافا»

(٣) هذه العبارة تكملة من التبيان (٢: ٢٩١) والبرقوقى (١: ٤٤٨).

ووردان بن ربيعة عربى كان يسكن جبل حسمى بالقرب من المدينة المنورة وقد نزل به المتنبى فى رحلته الطويلة بعد خروجه من مصر ولم يحمد جواره ولذلك هجاه بعدة مقطوعات فى ديوانه، واتهمه بتحريض عبده وغلمانه على أن يسرقوا ماله وسيفه.

الذى اختلس السيف، فأخذه منه، وضربه به فقتله، فيقول: لم أقتلك لأن السيف عَظُم علىَّ قدرُه وجَلَّ لدىَّ خَطَرُه، حتى دعانى فقدُه إلى قتلك، ولكن وَعَدْتُ هذا السيف أن أقتل به من تَعَرَّضَه، ولما تَعَرَّضْتَ أنت له وهَمَمْتُ بالصفح، خِفتُ أن يتخلّل وَعْدى إخلافٌ، فأكون غير صادق الوعد. وأَراد: (من تعرضَ له) فحذف وأوصل. وكذلك أراد (وخفت لما اعترضت له)، فحذف الجار والمجرور، كقوله:

إنْ لم يجدْ يوماً على مَنْ يَتّكِلْ[1]

أراد يتكل عليه، حكاه سيبويه. وقوله: (من تعرَّضه) أراد: قتلَ من تعرضه، فحذف المضاف لمكان العلم به، وأقام المضاف إليه مَقامه، و (مَنْ): فى موضع المفعول الثانى بوعدت.

-١٢٧-

وله أيضاً:

(ألا كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزلَىَ فِدَا كلِّ ماشِيةِ الهيْدَبَى)[2]

الخَيْزَلَى: مِشيةٌ من مَشْى النساء، فيها تَخُّزل وتفكُّك. والهَيْدَبَى (بالدال والذال): أعلى من مِشية الخيل والإبل، فيها سُرْعة. فيقول: كل امرأة معشوقة التحرك فِدا[3] كل ناقة وجَمَل من الإبل التى خرجت عليها من مصر، لما نلت بها من الضيم، وقد بين ذلك بقوله بعد هذا:

[وكل نجاة بجاوية خنوف] ومَا بِىَ حُسْنُ المِشَى)[4]

أى ما علىَّ من حسن مشية النساء لأنى لا أُعْنَى بذلك، وإنما أُعْنَى بطلب النجاة، ومحاولة المُعَالاة، وإرغام العُداة، وقد بين ذلك أيضاً بقوله:

---

(١) صدره كمافى الكتاب لسيبويه(١:٤٤٣) وأساس البلاغة (عمل) والخصائص لابن جنّى (٢:٣٠٦):
(إن الكريم وأبيك يعتمل).

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص ٥٠٩ يهجو كافورا.

(٣) (فدى كل) بكسر الفاء، يجوز مده وقصره.

(٤) تمام البيت:

[وكل نجاة بجاويةٍ خنوفٍ] ومابِىَ حُسْنُ المِشَى

(وَلَكِنَّهُنَّ حِبَالُ الحَيَاةِ وَكَيدُ العُدَاةِ وَمَيطُ الأَذَى)

[أى هن(١) أسباب الحياة، فوضع الحبال موضع الأسباب لأن السبب من أسباب الحبل، «وكيد العداة وميط الأذى»](١) أى وسبب كيد العُداة أكيدهم بها، وسبب مَيْط الأذى أيضاً. فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

وإنما تأولنا ذلك، لأن الخيل لاتكون فى الحقيقة كيْداً ولامَيْطاً، إذ الخيل جوهر، والكيد والمَيط عَرَضان، والجوهر والعرض ليسا من باب «هو هو»، بل هما من باب الغير. وقد يجوز أن يجعل الخيلَ هى الكيد والميط، على سعة الكلام، كأنها لما كانت سبب ذَيْنِكَ، كأنها هُما.

وقد ذهب سيبويه إلى الوجهين جميعاً فى هذا الضرب، أعنى كقولهم: ما زيد إلا أَكْلٌ وشُرْب

(فإنما هى إقبالٌ وإدبار)(٢).

قال: جعلها الإقبالَ والإدبارَ على سعة الكلام، وإن شئت على الحذف، كما قدمنا.

(فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحاً لَهُ وَلكنَّه كَانَ هَجْوَ الوَرَى)

أى إذا كان مقصودُهم وممدوحهم مثل كافور، فكفى بذلك هَجْواً لهم.

وإن شئت قلت: أحوجنى الوَرَى إلى مدح كافور، وذلك سَفَهٌ، فكان ذلك المدح هجوا لهؤلاء، إذ لو كانوا كُرَماء أحراراً، أغنونى عن مدحه، والتعرض للقائه.

---

(١) - (١) مابين الرقمين سقط من م.

(٢) يشير إلى بيت الخنساء الذى جاء فى الكتاب لسيبويه (١٦٩:١) وهو

ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال وإدبار

وله أيضاً:

(قَالَ الزَّمانُ لَهُ قَولاً فَأَفْهَمهُ إنَّ الزَّمانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَذَّال)(١)

يقول: من رأى الممسكين خشية الإقلال، وموتهم عن الأموال، وتَخْلِيتَها للأعداء الأضداد غير الأشكال، فقد أراه الزمانُ فيهم العِبَر والغِيَر؛ فكأنه قد حذَّره الإمساك، ولاَمَهُ على ذلك، وليس للزمان على الحقيقة قَولٌ، لأن الزمان عَرضٌ مُتَولِّد عن حركة الفَلَك، وليس للعَرض قول، إنما هو للجوهر الناطق، لكنه لما اتعظ بتصاريفه، ومشاهدة تكاليفه، صار كأنَّه لَهُ لاَئِمٌ. ومثله كثير.

والقول الذى قاله الزمان، إنما هو: لاتمسك المال؛ فإنك إن فعلت ذلك كان عليك حُوبُه، وللوارث لذته وطيبهُ.

وقد ألم الحارث بن حِلِّزة بهذا المعنى فى قوله:

لاتَكْسَعِ الشَّولَ بِأغْبَارِهَا إنَّكَ لاتدرى من النَّاتِجُ(٢)

(القَائِدُ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُه بِمِثْلِها مِنْ عِدَاهُ وَهِى أَشْبَالُ)

براثنهم: سيوفهم. وأما البرثن فى الحقيقة، فهو المِخلب، لكن السلاح للإنسان كالبَراثِن للسباع، أى أنه يسير للهيجاء فى غلمانه الذين رباهم وضَرَّاهم وثَبَّتهم لسلب عِداه، الذين هم مثلهم فى الشجاعة، وذلك من حَدِّ صغرهم إلى كبرهم، وقوله: وهى أشبال: جملة فى موضع الحال، إذا رددتها إلى المفرد، فكأنك قلت: غَذَّتها براثِنُه صغاراً، والشبل: ولد الأسد.

(وَقَدْ يُلَقِّبُهُ المَجْنُونَ حَاسِدُهُ إذا اخْتَلَطْنَ وبعضُ العَقْلِ عُقَّالُ)

معنى هذا أن (فاتكاً) كان يُلَقَّب (المجنون)، وهو لقب له ـ كما تراه ـ قبيح، فاحتال المتنبى، لتأوُّله على أحسن الوجوه، فقال: إنما جنونه إذا تزاحمت السيوف، واختلطت الصفوف، فى الاقتحام والاهتجام. ثم قال: وبَعضُ العَقل عُقَّال: لأن الجُبن يتصوَّر لأهله فى مَعْرِض الحزم والعقل، وهو مذموم. وعقَّال: أى أنه يَعْقِلهم عن الجراءة، لأن العُقَّال ظَلَّع يكون بالبعير ساعة ثم ينَشط.

(١) من قصيدة بديوانه ٤٨٧ أولها

لاخيل عندك تهديها ولامال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

(٢) البيت فى اللسان (غبر) والمخصص (٣٨:٧) وغبر كل شئ: بقيته. وجمعه: أغبار. وقال ابن سيده فى المخصص: كسعت الناقة أكسعها إذا تركت فى حلقها بقية من اللبن، تريد تعزيزها.

السيوف، واختلطت الصفوف، فى الاقتحام والاهتجام. ثم قال: وبَعضُ العَقل عُقَّال: لأن الجُبن يتصوَّر لأهله فى مَعْرِض الحزم والعقل، وهو مذموم. وعقَّال: أى أنه يَعْقلهم عن الجراءة، لأن العُقَّال ظَلَع يكون بالبعير ساعة ثم ينَشط.

(إذَا العِدَا نشبتْ فِيهِمْ مَخَالِبُه ‏ ‏ ‏ ‏ لَمْ يَجتمع لَهُمُ حِلْمٌ ورِئْبَالُ)

هذا تفسير للبيت الأول، واعتذار من تلقيبه (المجنون). يقول: فهو فى الحرب أسد، والأسد لايُوجد عنده الحِلْم، فلا يُلاَمَنَّ فى عدمه الحِلْم، كما لايلام الأسد، ولايُسَمَّيَنَّ (مجنوناً) لأنه قد تحوَّل فى الحرب عن طبيعة الإنسان، إلى طبيعة الأسد، وإنما كان يسمى (مجنوناً) لو فارق الحلم وهو فى النوع الإنسانى، فلا يصح عليه اسم الجنون كما لايصح على الأسد.

والرئبال: الأسد، يُهْمَز ولايهمز. وليس ترك الهمز فيه على التخفيف القياسىّ، إذ لو كان كذلك لم يقل فى الرئبال والرِّيبال. إنهما لغُتَان، كما لاقول فى (ذيب، وذئب) إنهما لغتان. وذلك أن تحقيق الهمز وتخفيفه لايُسَمى فيهما لغة، مادام التخفيف قياساً، إذ التخفيف على القياس فى فئة المحقَّق. ويدلك على أن (ريبالا) ليس بتخفيف قياسىّ، وإنما هى لغة، قولُهم فى جمعه: رَيَابيل. فلو كان (رِيبالا) على التخفيف، لقيل فى جمعه (رآبيل) لأن العلة التى كانت تقلب الهمزة ياءً، وهى الكسرة فى رِئْبال، قد زالت فى حدّ الجمع، وعاقبتها الفتحة[1]. وينبغى أن يكون وزن الكلمة (فِعْلاَلاً). وإن كانت الياء لاتكون أصلا فى بنات الأَربعة، وأمثال[2] ذلك، لأنه إن كانت زائدة كان فى الكلام فيْعَال. وهذا بناء قد نفاه سيبويه عن الأَسماء، إنما هو للمصادر.

فلما كان ذلك أشْذَذْنا[3] (رِيبالاً) فجعلنا الياء فيهِ أصلا لعدم (فيْعَال) فى الاسم، كما حملت الضرورة سيبويه، على أن يعتقد الواو فى (وَرَنْتَل) أصلاً، وإن كانت الواو لاتكون أصلاً فى بنات الأَربعة.

(١) عاقبتها: حلت محلها حين زالت. والمعاقبة بين الشيئين: أن يجئ هذامرة وهذا مرة.
(٢) الإشارة فيه إلى الأسماء الرباعية التي لاتكون الياء فيها زائدة.
يقول: لو سلمنا أن الياء فى (ريبال) زائدة، للزم أن يكون فى كلام العرب أسماء على وزن (فيعال) (بكسر الفاء) وهذا وزن نفاه سيبويه من أوزان الأسماء فى كلام العرب. وإنما يكون (فيعال) للمَصادر مثل: قاتل قيتالا.
(٣) أى أخرجناه من الرباعى الذى تكون الياء فيه زائدة لعدم وجود بناء (فيعال) فى الأسماء الجامدة، لاختصاص هذا البناء بالرباعى المزيد فيه ياء بأبنية المصادر (انظر اللسان - رأبل).

ومن العرب من يقول: (رَئبال) بفتح الراء فإذا جاز ذلك، فالياء حينئذ زائدة وليست من لفظ رِئْبال، ولو أسعده الوزن والقافية فقال (حِلْمٌ ورأْبَلَة) ليُوفِّق بين المصدر والمصدر، لكان أذهب في الصنعة.

فقد قالوا: (ما أشد رَأْبَلَته). وحكى أبو زيد عن العرب: خرج المُتَرأ بِلُون (وهم المتلصصون) ليلاً كالأسد.

واستجاز أن يجعل لفاتك مخالب، وإنما المخالب للسَّبُع، لكن سَوّغه ذلك جعلُه إياه رِئْبالا. والرِّئبال ذو مخالب، لأن المِخْلَب للسَّبُع كالظُّفُر للإنسان.

(أَنَالَهُ الشَّرفَ الأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِى بِتَوَقِّى مَا أَتَى نَالُوا)

أى توخَّى التقدم فى جوده وجُرْأته، فنال بهما الشرف، على أن الجود يُفْقر، والجُرْأة[1] تُهْلك. فما الذى ناله غيره بتوقيه الفقر إن جَادَ، والموت إن أقدم؟

-١٢٩-

وله أيضاً[2]:

(وَصَلَتْ إليكَ يَدٌ سَواءٌ عِنْدَها البَـازِى الأُشَيْهِبُ والغُرابُ الأَبْقَعُ)[3]

يعنى بذلك الموت، جعلَ له يداً، لقولهم: أخذه الموت إذ الأخذ أكثر مايكون باليد. ولذلك سَمَّوا القُوة يداً. لأنها إنما تكمل باليد، أوقعوا اسم الجارحة على العَرَض. وقوله: (سَواءٌ عِنْدَهَا البازِ الأُشَيْهبُ والغُرَابُ الأَبْقَعُ): ضرب البازى مثلاً للأرفع، والغراب الأبقع مثلاً للأوضع، أى الموت يُسَوِّى بين الفاضل والمفضول، والرفيع والوضيع، حتى لايَفْرِق بينهما، بل هما متساويان فيه، وكلاهما طُعْمة لِفِيه، فهو نحو قول الآخر:

(١) كذا فى م . وفى ت الجراءة.

(٢) من قصيدة للمتنبى بديوانه ص ٤٩٣ مطلعها

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصى طيع

(٣) وهناك رواية أخرى أوردها الواحدى فى المتن، وكذلك أوردها العكبرى فى التبيان (٢: ٢٧٤) وهى بقطع همزة (الباز) ووصل همزة الأشهب. أى (ألباز الاشهب).

لو كُشِّفَتْ للناس أغطيةُ الثَّرَى　　لم يُعْرفِ المولَى مِنَ العَبدِ

أى قد استويا فى التغير بالمنزلة. ونحو قول المتنبى أيضاً:

يموتُ راعى الضأنِ فى جَهْلِهِ　　مِيتَةَ جَالِينُوسَ فى طِبِّه[1]

وقوله: (سواءٌ عندها): خبر مبتدأ مقدم، والبازى الأُشيهب، مبتدأ. وإنما آثرنا ذلك، لأن «سواء» نكرةٌ وإنْ تَقَوَّى[2] بقوله: (عندها). و(البازى الأشيهب) معرفة. وإذا اجتمع معرفة ونكرة، فالمبتدأ المعرفة، والخبر النكرة، أَلا ترى أن سيبويه لما قال فى قوله: مررت برجل سواء هو والعدَمُ، حين فرغ من الجَرِّ، (وإنما جعلت هو مبتدأ، حذراً أن يُوهِمَك أن «سواءً» هو المبتدأ).

وقطع ألف الوصل فى قوله: «والبازى الأُشَيْهب» لأنه فى أول المصراع الثانى، فكأنه آخِذ فى بيت آخر. وهذا مما أجازه سيبويه فى الأنصاف[3] خاصة. قال: إن الأنصاف مواضع فُصول وأنشد:

ولايُبادِرُ فى الشتاءِ وَلِيُدنا　　ألقِدْرَ يُنزِلُها بغير جِعالِ[4]

(وَتَصالَحتْ ثَمرُ السِّياطِ وَخَيْلُهُ　　وَأَوَتْ إليها سُوقُها والأَذْرُعُ)

ثمر السِّياط: عُقَد عَذَباتها. وقيل: أطرافها، وهو الصحيح. وجعل الثمر لما تَنْمِى استعارة، وحسَّن ذلك أن الثمرة إنما تكون فى طرف العود. وأما ما رُوِى عن مجاهد فى قوله تعالى: (وكان له ثَمر)[5] من أن (الثُّمَر) الذهب والفضة، فإنما هو عندى على التفاؤل، وذلك أن الذهب والفضة جماد، والجماد لايَنْمى والثمر نام، فسُمِّى هذا الذى لا ينمى، باسم الذى ينمى تَفاؤُلاً. يقول: إنه كان

---

(١) من قصيدته التى أولها

«آخر ما الملك معزى به»

يعزى بها عضد الدولة فى عمته.

(٢) فى م: بقولك.

(٣) يريد أنصاف الأبيات.

(٤) ورد البيت فى الكتاب لسيبويه (٢: ٢٧٤) غير منسوب.

(٥) الآية ٣٤ من سورة الكهف.

يُديم ضـرب الخـيل بالسـيـاط، لحرب عَدو، أو لمـحـاولـة فتنة، أو طرد قنص[1]، فكأنَّ السياط كانت محاربة للخيل تؤلمها، والخيل محاربة لها، بكراهتها إياها، فالآن إذا مات لم يبق من يزْجُرُ خَيلاً إلى حرب، ولا نَهْب، ولا طَرْد، فكأن ثمر السياط قد صالحت خيله حتى سكنت إليها سوقها وأذرعها، لما فقدته من ضربها. وقوله: أوَتْ: أى رجعت آمنة لها، ساكنة إليها.

ـ١٣٠ـ

وله أيضا:

(حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِى النَّجمَ فى الظُّلَمِ

وَمـاَ سُرَاهُ عَلَى خُفُ ولاَ قَدَمِ)[2]

يعجب من طول مساراته للكواكب، على أن سُراه هو متكلف، وسُرَى الكواكب طبيعىّ فيقول: كيف أقدِر بهذه السُّرى المتكلَّفة على مسايرة النجم ونحن على خُفٍّ وقَدَم، وكلاهما حيوان، وذلك نور يسير[3] بجرية الفلك؟

وحذف الألف من (ما لأن (ما) إذا اتصلت بحرف الجر فى حد الاستفهام حذفت منها الألف، فحتى بمعنى إلى، فكأنه قال: (إلى ما؟) أى إلى أى وقت؟

(وَلاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَا فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَم يَنَمِ)

أى والنجم مع خفة السُّرَى عليه، وهَوَانِها لديه، لايُمْنَع رقاداً كما نمنعه نحن، فكُلْفتنا أشدّ، بل الكُلفة لنا خاصة. ومعنى قوله: (فَقْد الرقاد): لَطيف، لأن ما ليس فى طبعة أن يَرقُدُ، لايقال فيه (فَقَد رُقاداً) وإنما أراد أن النجم ليس بحيوان يغذوه النون، ويُصْلح شأنه، فإذا سَرى فقدَ الرقادَ فآذَاه ذلك. وقوله: (ولا يحس بأَجفان): نَفَى عنه الأجفان، لأن الجَفْن إنما هو لِذِى الرُّوح.

(١) القنص (بالتحريك) والقنيص: ما اقْتُنِصَ. وطرده: إثارته وتتبعه بالخيل حتى تخور قوته فيسهل صيده.

(٢) مطلع قصيدة له بديوانه ص٤٩٥

(٣) هذه رواية ت. و(يسير) ساقطة من م.

فيقول، ليس النجم بذى روُح فيكونَ له جفن ينفعُه الكَرَى، ويضره السُّهرَ. وبنفى هذا العضو الجسمانى، أخرج النجمَ من النوع الحيوانىّ.

(وَيَتْرُكُ المـاَء لاينفَكُّ مِنْ سَفَرٍ ‏ مـاَسَارَ فى الغيمِ منه سار فى الأدَمِ)

أما سيره فى الأدم، وهى الأدواى[١]، فلعمرى إنه لهم وبإرادتهم. وأماسيره فى الغيم فلمُجْرِيه ومُنشئه سبحانه. لكنهم لولا أنهم أودعوه مَزَادَهُم، وجعلوه زادَهم، لم يكُ دَهْرَه كلَّه مسافراً، ولكان مسافراً فى السحاب، وحالاً فى التّراب، فلما كان إدامة سَفَر الماء إنما هو بكونه فى السحاب، وَتَزَوُّدِ هؤُلاء اياها[٢] صار كأَن كِلاَ السيْرَيْنِ بملكهم[٣].

وقيل؛ لما كان حَمْله فى المزاد نتيجة كونه فى الغَيْم، جعلوا السبب والمسبب كالشئ الواحد. ومثله فى القرآن والشعر والكلام كثير.

(تَبْرِى لَهُنَّ نعَامُ الدَّوِّ مُسْرجَةً ‏ تُعارِضُ الجُدُلَ المُرْخاَةَ باللُّجمِ)

تَبرى: تُعارض. ونعام الدوِّ: يعنى به الخيل. وبقوله: (مُسْرَجة): فصلها من النعام الوَحْشِى، لأن نوع النعام لايُسْرَج إذ لايُرْكب، والجُدُل: جمع جَديل، وهو حبل مفتول من أدَم، يكون فى عُنق الناقة والبعير.

يقول: فإبلنُا طِوال الأعناق كخيلنا، فأعناقها تُعارض أعناق الخيل. وأقام الجُدل واللُّجم مُقام الأعناق، لأن فيها دليلا عليها، إذ لايكون إلا هناك. ومأحسن ذكر اللُّجمِ مع قوله: (مُسْرَجة).

(تَبْدو لَنا كُلَّما أَلْقَوْا عَمائمَهُمْ ‏ عمائمٌ خُلِقَتْ سُوداً بلاَ لُثُمِ)

يصف غِلمانه، وبذكرهم بالمروءة. يقول : كلما سَفَروا[٤] عمائهم بدت لنا عمائم سُود، يعنى لممهم، وأثبت العمائم لهم، لأن العمائم على الهام، وشعور

(١) الأداوى : جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد يتخذ للماء(اللسان - أدا)
(٢) أى السحاب وهو اسم جنس جمعى.
(٣) كلا السيرين: أى سير الماء فى السحاب وسيره معهم فى المزاود وقوله: (بمكلهم) أى يمكنهم احتواؤه ويقدرون على الأخذ منه.
(٤) أى ألقوها عن رءوسهم. وفى اللسان (سفر) إذا ألقت المرأة قناعها قيل: سفرت.

المُرْد إنما هى هناك . ونفى اللُّثم عن عمائمهم التى عنى بها الشعر، لأن اللثام ماسال على الخَدِّ من العمامة. وهؤلاء مُردٌ لاشعور فى خدودهم، فتصل شعور رءوسهم فلذلك جعل اللمم عمائم (بشعور رءوسهم)(١) دون لثم، وهذا مليح جداً.

(نَاشُوا الرِّماح وكانتْ غَيْرَ ناطِقَةٍ   فَعلَّمُوها صِيَاحَ الطَّيرِ فى البُهَمِ)

النَّوش: التناول. (باتت تنوشُ الحوضَ نوشاً من عَلا)(٢).

وفى التنزيل: (وأنَّى لهم التَّنَاوُشُ)(٣) أى التناول للنجاة، والُبهم: الشجعان، واحدهم بُهْمة. يقول: تناولوا الرماح وهى خُرسٌ فى حالة تناولهم إياها، فدقوها فى الأبطال، حتى صاحتْ صياح الطير، فحكى بذلك نغمة انكسارها فى المطعون بها، كقول الآخر:

تصيحُ الرُّدَيْنيات فينا وفيهمُ   صِيَاحَ بنات الماءِ أصبحْن جُوَّعا(٤)

وقوله: (وكانت غير ناطقة، فعلموها صياح الطير): يشعر أنها ناطقة إذا صاحت. وهذامَقْطع شِعْرى(٥)، لأن الصياح ليس بمنطق. وإنما المنطق عبارة عن النطق المتصور فى النفس، وهى الفكرة الباعثة على المنطق.

فأما قوله تعالى: (عُلِّمْناَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ)(٦) فإنما ذلك على أن اللّه تعالى قد جعل للطير ماتعبر به عن ذواتها، إلاّ أن ذلك لا يتأدَّى إلينا نحن، وإنما خُص لفهمه سليمان صلى اللّه على محمد وعليه، وذلك أنه فهم من نَغَم الطيور مانفهمه نحن فى هذا النوع الإنسانى بالمنطق.

---

(١) هذه العبارة ساقطة من م.

(٢) من رجز لأبى النجم كما فى اللسان (علا) وذكره ابن يعيش فى شرح الفصل (٤:٨٩)وورد كذلك فى شرح اللمع لابن جنّى (مخطوطة دار الكتب ١:١٢٧)وبعده :

«نوشا به تقطع أجواز الفضا»

والشاهد فيه مجئ (علا) مقصورا كالفتى والعصا أى من فوق.

(٣) الآية ٥٢ من سورة سبأ.

(٤) للمثلم بن رياح بن ظالم المرى (شرح المرزوقى ١ : ٣٨٣).

(٥) مقطع شعرى: سبق مثل هذا القول. يريد أنه تعبير شعرى يسوغ فى الشعر تسمحا، ولايجوز إذا أريدت حقيقه معناه.

(٦) الآية ١٦ من سورةالنمل.

(مَنِ اقْـتَـضـىَ بِسَوى الـهِنْدِىِّ حـاَجَـتَـهُ   أجَـابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ)

أى من اقتضى حاجته أوسألها من غير أن يُعْمِل لإدراكها سيفاً أو رمحاً، لم تُقْض له. فكلما قيل له: هل قضيت حاجتك أو أدركتها، كان جوابه لم أقض ولم أدرك، وإنما يدرك حاجته من اقتضاها بالسيف والرمح. وجعل (هل)، و(لم) اسمين للحرفين، فصرفهما(١)، لأنهما على شكل فمٍ ودمٍ.

وإن شئت قلت: أراد (لَمْ) بسكون الميم، ثم تصور الوصل فالتقى له ساكنان، فحرك الميم لالتقاء الساكنين، وكان يجب أن يقول: أجاب كل سؤال بهل، لأن السؤال ليس عن هل، إنما المبحوث بها عن غيرها، كقولك: هل فى العالم خسوف قمرى. فالسؤال إنما وقع عن الخُسوف القمرى بهل، لا عن هل وهى عند أصحاب المنطق أول منازل البحوث، لأنها إنما يُسأَل بها عن الإنِّيَّة(٢) لكن لما كانت (هل) منتظمة للقضية المسئول بها عنها وكانت تلك يتعدى السؤال إليها بعن، استجاز أن يجعل السؤال عن (هل) اضطراراً.

وإن شئت قلت: أبدل (عَنْ) مكان الباء، لأن حروف الجر يبدل بعضها من بعض كثيراً. وحَسَّن له ذلك، أنه لو أسعده الوزن فقال: «بهَلٍ بلَمِ» توالت الباءان فى الحرفين. فهذا مايعتذر له به.

وخَصَّ الهندىَّ، وهو السيف، بتبليغ الأمل دون الرمح،لأن العمل بالسيف أدل على الاجتهاد، وأوصل إلى المراد، كقوله هو:

ومن طلبَ النصرَ العلىَّ فإنما   مفاتيحه البيضُ الخِفاف الصوارمُ(٣).

(صُناً قَـوائمـهـاَ عَنُهـمْ فَـمـاَ وَقَـعَتْ   مـواقَـع اللُؤْم فى الأيدى ولاَ الكَرَمِ)

---

(١) (جعل هل ولم) اسمين للحرفين فصرفهما: أى نونهما لما جعلهما اسمين وقصد لفظهما.

(٢) الإنيَّة فى الحقيقة فى الموجودات: هى معنى ذهنى، وهى كون الشئ خارج النفس على ماهو عليه فى النفس (ابن رشد - تهافت الفلاسفة ص٠٠٢) وفى نفس المصدر الإنِّيَّة: شئ زائد على الماهية خارج النفس وكأنه عرض. وعند الغزالى: الإنية التى هى عبارة عن الوجود غير الماهية (مقاصد ٣٠).
وانظر المعجم الفلسفى ليوسف كرم ص ٢٧.

(٣) من قصيدته «علي قدر أهل العزم تأتى العزائم» ورواية الديوان: (الفتح الجلبل) فى موضع (النصر العلى).

ويروى (ولا الكزم) فمن رواه ولا الكرم، فمعناه: لم يقبض على قوائمها قبض اللئيم يده، اجتهاداً فى محاربتهم، وذلك لقلتهم عندنا، ولصوننا سيوفنا عنهم، ولم نَمُدَّ بها إليهم صفحات أكفِّنا، كما يتوعَّد المشير إلى سيفه، باسطاً يده كما يبسطها الكريم، بل حَقَّرْناهمْ على الحالَين معاً، فلم نُعمْلِ فيهم السيوف كذا ولا كذا.

ومن رواه الكَزَم: أراد: لم نشدُدْ أيدِيَنا عليها شَدَّ اللئيم الأكْزَم،[1] وهو الذى قَصَّر اللؤم[2] أصابعه، كقولهم فيه: كَزُّ البنان؛ وجَعْدُ البنان، وقولهم فى ضده: سَبْطُ البنان. والرواية الأولى أعلَى.

(تَخْدِى الرِّكَابُ بِنا بيضاً مَشافِرُها

خُضْراً فَراسِنُها فى الرُّغْلِ واليَنَم)[3]

الرغل واليَنم[4]: نبتان. أما ابيضاض مشافرها فإنهم لايَهْنَئونها الرعْى، من حثهم إياها، ومواقعتهم السير، فلا تبلغ من الرعْى اليسير أن يخضر مشافرها، إنما كانت تخضر لو أنعمت الرعى.

ويدلك على صحة ماذهبنا إليه قولُه:

[معكومة بسياط القوم] نَضْرِبها[5]

عن مَنْبَتِ العُشْب نَبْغِى مَنْبِتَ الكَرَمِ

أوَلا تراه يصفها بأنه يَقدَعُها[6]عن الرعْى، ويحثها على المشى.

---

(١) من المجاز: فى يده كزم: إذا لم يبسطها للمعروف (أساس البلاغة).

(٢) يريد باللؤم هنا: البخل.

(٣) خدت الناقة: أسرعت فى السير.

(٤) عبارة المحكم لابن سيده: الينمة من أحرار البقول تنبت فى الجبال ودكاك الأرض لها ورق طوال لطاف محدب الأطراف عليه وبر أغبر كأنه قطع الفراء وزهرها مثل سنبلة الشعير وحبها صغير .وقال أبو حنيفة: الينمة ليس لها زهر، وفيها حب كثير تسمن عليها الإبل والجمع ينم (المحكم ١٢:٢٣٤ خط)

(٥) تمامه كما فى الديوان.

معكومة بسياط القوم] نضربها عن منبت العشب نبغى منبت الكرم

(٦) يقدعها: يكفها ويمنعها.

وأما اخضرار فراسِنِها فلإدامتها السير فى الكلأ، وأنواع النبات الأخضر. وخص الرُّغْل واليَنَم لأنها مما يَغلب على منابت الحَمَض[1].

(هَوِّن عَلَى بَصَرٍ مَاشَقَّ منظرُهُ فإنّما يَقَظَاتُ العَينِ كالُحلُمِ)

أى ماشقَّ عليك النظر إليه، والمشاهدة له، من أنواع المكاره فهوِّنْه على عينك، فكل موجود معدوم بعد وجوده، كان خيراً أو شراً.

وقوله: (فإنما يقظات العين كالُحلُم) أى كل ماتشاهد فى اليقظة فى قلة الدوام، فى منزلة مايُشاهَد فى الأحلام.

وإن شئت قلت إن المشاهدة فى اليقظة غير حقيقة، كما أن مشاهدة مافى المَنام كذلك، مبالغةً بقلَّة تحقق الأشياء. والقول الأول أسوغ وأبلغ.

(مازِلتُ أُضْحِك إبْلِى كلمَّا نَظَرتْ إلى من اخْتَضَبَتْ اخْفَافُها بدَمِ)[2].

يذهب إلى احتقار كافور حتى إن إبله لتزدرى مقصوده، فتضحك منه ومن القاصد. يقول: إلى مثل هذا الصنف أعملنا وجهدنا، حتى اختضبت بالدم أخفافها، وأراد إلى مَنِ اختضبت أخفافها بدم إليه فحذف الجار والمجرور، وحُسَن حذف ذلك، لأن (إلى) قد ظهرت فى الكلام، وان لم يكن من سبب تلك المحذوفة. ونحوه ماأنشده سيبويه[3]:

إنّ الكريمَ وأبيكَ يَعْتَمِل إنْ لَم يَجِدْ يوماً على مَنْ يتَّكِلْ

أراد يتكل عليه:

ونسبة الضحك إلى الإبل مَثَلٌ شعرى غير حقيقى، لأن الضحك خاصة للإنسان، والخاصة لاتتعدى مخصوصها.

---

(١) الحمض من النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له نحو النجيل والرمث والطرفاء. والخلة من النبات ماكان حلوا. والعرب تقول: الخلة: خبز الإبل والحمض: فاكهتها. ويقال: لحمها (اللسان – حمض).

(٢) هذا البيت متقدم فى الديوان على البيت الذى قبله.

(٣) انظر ماسبق عن هذا البيت فى آخر المقطوعة ١٢٦.

وله أيضا:

(وبـالسُّمْرِ عَن سُمْرِ القَنَـا غَيرَ أنَّنِي

جَنَاهَـا أحِبَّائـى وأطـرافُهـا رُسْلِـى)(١)

يُغْرِب بذاته فى العشاق، وبحبائبه فى المعشوقات. أى أنه لانظير له فى الحب، لأنى إذا ذكرتُ البيض فى شعرى، لم أعْنِ النساء، وإذا ذكرت السُّمر؛ فـإنما أعنِّى الرماح، ولكن إنمـا أحبَّائى الأرواح التى تَجنيـها لـى من أجْسـام أعدائى(٢)، (وأطرافـهـا رُسْلى)، أى أسنتـهـا هـى التى تقـوم مـقـام الرُّسُل إلى الأحباب. أى إنما أتوصل إليها بها، كما أتوصل إلى المحبوب بالرسول.

وجعل أرواح عِداه جَنىً على المثل(٣)، لأنها حياة فى الحقيقة، لأن الحياة نوع من النامى، والروح عندنا ليس بنام، وأراد رُسْلى فخفَّف، وهى لغة تميم.

(فَمَا حَـرَمَـتْ حسنـاءُ بـالـهَجْرِ غِبْطَـةً

وَلا بَلَّغَتْـهَـا مَـنْ شَكَـى الـهجـرَ بـالوَصْلِ)

ويُروى (بمـا حَـرَمَتْ حسناء)(٤) نَهَى عن الحـرص على النسـاء، أى إذا هجرتَّها ثم وصلتَّها كنت أحسن موقعاً عندها، وأنشط لها، فزادت الغبطة. فإذا لم تَحْرم هى، فـهجْرَتك(٥) اياها اذا عادت الغِبطة بوصلك لها، بعدَ هجرك إياها؛ أبلغ وإذا شكَوْت إليها الهجرَ وتذلَّلَتْ هُنْتَ عليها، فمنعتك وصلَها.

---

(١) من قصيدة له بديوانه ٥١٨ أولها

كدعواك كل يدعى صحة العقل ... ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) فى م: من الحسام أعداء وفى ت: (من حسام) ونظنهما محرفين عما أثبتناه .

(٣) أى على الاستعارة.

(٤) هى رواية الواحدى والعكبرى والديوان.

(٥) لايخفى مافى العبارة من ضعف. يريد أن المرأة المعشوقة إذا لم تحرمك وصالها فأعرضت أنت عنهاحينا، كان إعراضك عنها فى هذه الحالة أبلغ أثرا فى حسن رعايتها لك عندما تقبل عليها. لأن المرأة تهاب الرجل القوى ويهون عليها الرجل الضعيف.

وأما رواية من روى (فما حَرَمَتْ حَسْنَاء) وهى الصحيحة، فمعناه: لم تَحْرِم امرأة محبوبة محبّها غِبطة بهجرها إيّاه، ولا بلَّغت شاكياً شكّى إليها هجراً غِبطة بوصلها ايّاه.

يذهب الى التهاون بأمر النساء، أى إنَّهن لايُتِحن بهجرهن لك عدم غِبطة، ولا بوصلهن إياك وجُودها. والهاء فى قوله: بَلَّغَتْها: عائدة إلى الغبطة، أى ولا بَلَّغَتْ مُحِبَّها غبطة يوصلها له. و(مَنْ) فى موضع نصْب، لأنه مفعول ثان لبلّغتْ.

وإن شئت كانت «مَنْ» هو المفعول الأول، و(ها) من (بلّغتها) هو المفعول الثانى. وهذا كما تقول: كَسوَتُ زيداً الثوبَ، وكسوت الثوبَ زَيْداً. و(حسناء) هاهنا: صفة أقيمت مقام الموصوف، أى امرأة حسناء. وقد غلبت هذه الصفة غَلَبَة الأسماء، وهى من باب (فعلاء) التى لا أفعل لها من جهة السماع.

- ١٣٢ -

وله أيضا:

(تَعِسَ المهَارِى غيرَ مَهْرِىٍّ غَدَا بمُصَوَّرٍ لَبِسَ الحريرَ مُصَوَّراً)(١)

تَعِسَ المهَارى: دعاء على نوع المهارى، وهى إبل منسوبة إلى مَهرة بن حَيْدان. وإنما دعا عليهن، لأنهن جُنْدُ البيَنْ، ومُقَطِّعةٌ مابين الحبيبين. أى أتعَسهُن اللَّه فلا انتعشْنَ. ثم استثنى منها (المَهْرِى) الذى ركبته محبوبتهُ.

وقد كان أولى أن يُدْعَى عليه من سائر المهارى، لانفراده بالحبيب، وحمله إياه، لكن استثناه، لأنه يحمله فيقيه الرُّجْلة(٢)، وما يلحق معها من الكسل والكَلَل. وقوله: (بمصوَّر): أى بِستْر رُقِم عليه صورة شخص قد لبس حريرا مصوراً، ومن عادة عقائل العرب رَقْم الحِجال(٣)، كقوله:

كأن فُتَاتَ العِهْن فى كل منزلٍ نَزَلْن به حَبُّ الفنَا لم يُحَطَّمِ(٤)

---

(١) من قصيدة بديوانه ص٥٢٢ والتبيان ٢:١٦١ - ومطلعها
بادهواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أوجرى
والتعَس: العثرة والسقوط على الوجه (اللسان - تعس).
(٢) الرجلة (بضم الراء) المشى راجلا (اللسان - رجل).
(٣) جمع حجلة وهى بيت كالقبة يزين بالستور. ورقم الحجال نقشها.
(٤) البيت لزهير بن أبى سلمى (ديوانه ١٢) وانظر جمهزة اشعار العرب للقرشى (ص٤٨) .

وذلك أن حب الفَنَا أحمر، مالم يكسَّر، فإذا كُسِّر ذهبت حمرته.

وإن شئت قلت: (بمصَّور): يعنى هَوْدَجاً عليه حرير مصَوَّر. وإنما جعل الهودج مصوراً، لأنه ذو شكل، وكل شكْلٍ مُصَوَّر.

(نَافَسْتُ فيه صُورةً فى سِتْرِها[1]   لو كُنْتُها لَخَفِيتُ حتَّى يَظْهَرَا)

كان دُونَ هذا المحبوب سِتر فيه صُورة. فيقول: حَسَدْت هذه الصورة على قربها منه. فلو كنت مكانَ الصورة، أو كنت إياها: لَخَفِيتُ فَزُلت عن وجهه، ليزول الستر، فتظهر للعيون.

فإن قلت: لايلزم زوال الستر الحامل الصورة، لمكان زوال الصورة، لأن الصورة تخطيط موضوع فيه، والتخطيط عَرَض[2].

قلنا: لو ارتفعت الصورة المنتقشة فى ذات الستر، لارتفع الجوهر الحامل لها. وإنما ارتفاع التخطيط عن المخطوط، وبقاء الجوهر بعد ذلك مُتَوَهَّمٌ لا مَوْجُود.

وإذا تأملت البيت فهو شعريّ لا حقيقيّ، لأن من الصور الموضوعة فى الثياب مايمكن إزالته، ومنها مالا يمكن وأحسن مافى ذلك أن يقال: إن المتنبى عنى الصورة بالخرقة الحاملة لها.

(لاتَتْرَبِ الأَيْدِى المُقيمةُ فَوقَهُ   كِسْرَى مُقَامَ الحاجِبيْن وَقَيْصَرَا)

كِسْرَى وكَسْرَى: لغتان واختار ابن السكيت الكسر وقالوا: تَرِب الرجل: قل مالُه، وأترب: كثر ماله أى لاتفتقر الأيدى المصورة التى أتقنت هذه الصورة صنعاً، وأجادتها وضعاً، فأقامت كسرَى وقيصرَ مَلِكَى فارس والروم لها مُقام الحاجِبيْن، فحجباها. وإنما عنى بذلك صورتيهما لا ذواتهما، لأن ذلك ليس فى الإمكان، إذ الصورة الصناعية لاتقبل طبيعة الحيوان.

---

(١) رواية الديوان والتبيان: (ستره).

(٢) فى ت : لأن الصورة تخطيط عرض

(ولَو اسْـتَطعْتُ إذَا اغْـتَـدَتْ رُوَّادُهَم لمَنَعْتُ كلَّ سَـحَـابَةٍ ان تَقْطُرَا)

الرُّوَّادُ: منتجـعو الكلأ، وافتراق العرب من حِلالها[1] إنما هو للنجعة[2] بهم[3]، يقدِّمون الرُّواد ليخبروهم بمواقع الماء في مواضع الكلأ. وفي المثل: «لايكذب الرائدُ أهلَه». فإذا أخبرهم بوجود ذلك ظَعَنوا. وأن أخبرهم بعدمه، سكنوا فلم يظعنوا. فإذَنْ إنما سبب الفراق نزول المطر، وظهور الخُضَر. فيقول: لو كان في قوتي أن تطيعني السحاب، لنهيتهن عن المطر، لئلا يجد رائدهم أرضاً مُخْصبة، ولا روضة مُعْشبة، يدعوهم إليها، ويدلُّهم عليها فلو كان ذلك من قوتي لم يفارقوني.

(فإذَا السَّحَـاب أَخُـو غُـرابِ فِرَاقِـهِمْ جَـعَل الصِّيَاح بِبَيْنِهِمْ أن يُمْطِرا)

هذا البيت تفسير للأول، وهو عندى داخل فى نوع التضمين، وإن لم يكن منه على الحقيقة، وذلك أنه محمول على المعنى. أراد: لأنى تأملت بينهم، فوجدتُ سببَه إنما هو النُّجعة. وهو كقوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبْ بعَصَاكَ الحَجَر فانْفَجَرتْ مِنْه اثنْتَا عَشْرةَ عَيناً)[4] أى فضرب فانفجرت، فكذلك أراد المتنبى: لأنى تأملت فإذا الأمر كذا، لأن المطر إذا وافى، خرجوا فى إثره منتجعين له، فصار السحاب بمنزلة الغُراب، فى أن أَمْطَارَه مشعِرة بالبَيْن، كما أن صياح الغراب معلن بذلك عند العرب، وجَعْله إذنْ غرابَ فراقِهم، ذهاباً إلى شَبَهِه به، لأن الأخوين فى غالب الأمر متشابهان. أى أقام السحاب والأمطار مقام صياح الغراب، فى الإيذان بِنَواهم، وبُعدْ مَثْواهم و(جَعَل) هاهنا، بمنزلة صيَّر، فـ[illegible] متعدية إلى مفعولين؛ كما أن صير كذلك. وذكر السحاب لأنه مما ليس بينه وبين واحده إلا الهاء وسوَّغ التذكير فى هذا الضرب من الجمع خروجه إلى شكلِ واحده[5].

---

(١) الحلال: جمع حلة: وهى جماعة بيوت للقوم متدانية.
(٢) النجعة: طلب الكلأ والمرعى.
(٣) الكلمة ساقطة من ت. والباء بمعنى اللام أى لطلب الكلأ لهم.
(٤) الآية ٦٠ من سورة البقرة.
(٥) فى م: (شكل الواحد) والمراد أنه لافرق بين صورته وصورة واحده إلا (الهاء) فى الواحد. فليس هو إذن من الجمع الذى كسِّر لفظ واحده فى جمعه.

(يَحْمِلْنَ مِثْلِ الرَّوضِ إلاَّ أنَّها أسْبَى مَهاةً للقلوب وجُؤْذُرَا)

شبه ما على الهوادج من الحرير المزيَّن، والوشى الملوَّن؛ بالروض الذى سارت فيه إبلُهم، فى تَزَاهِى نواويره[1]، وتَخَابُل أزاهيره. والمَهَا: وهى بقر الوحش؛ عقائلُ[2] الخمائل الأريضة والحقوف[3] المريضة؛ كقول ابن مقبل يصف بقرة وحشية:

عقيلةُ رَمْلٍ دافعت فى حُقُوفِهِ رَخَاخَ الثَّرى والأقْحوانَ المُدَّيما[4]

فلما جعل الوشْى وما على الهوادج من صنوف الرقْم بمنزلة الرياض، جعل مايَستُره من النِّساء بمنزلة المَهَا والجآذر. وذلك فى النَّجَلِ والكَحَل. ثم استثنى فقال إلاَّ أن ماعلى هذه الهودج من هذه المها أَسْبَى مهاةً وجُؤذَرا للفؤاد، من هذا الروض الباقى. فكأنه قال فى كل ذلك: سِرْنَ فى الروض بمثْل نقوشه، من رقُوم الهَوادج، وحَمَلْن مثلَ وحشها من ربَّاتِها، كقول البحترى:

لما مَشَيْن بِذِى الأراكِ تَشَابَهتْ أَعطافُ أَغْصانٍ به وقُدودِ[5]

فى حُلَّتى حِبرٍ وَروْض فالْتَقَى وشْيَانِ وشىُ رُباً ووشْىُ بُرودِ

ومثله قوله؛ أعنى المتنبى:

إذا سَارتِ الأَحْداجُ فَوقَ نباَتِه تَفَاوَحَ مِسْكُ الغَانِيات وَرَنْدُهُ[6]

وأراد: أَسْبَى مَهاةً للقلوب، وجؤذَراً منه فحذف (مِنْ ومثله كثير.

---

(١) نَور الشجر: زهرها. والنُور: زهرالنبت أيضا. الواحدة نَورة. ويجمع النَّور على أنوار ونُوَّار.
(٢) العقائل: جمع عقيلة وهى المرأة الكريمة المخدرة.
(٣) الحقوف: جمع حقف وهو المعوج من الرمل.
(٤) البيت لابن مقبل فى اللسان (دوم) بهذه الرواية. وأنشده فى (ديم) برواية (ربيبة رمل....) ورواها كذلك فى مادة (رخخ) (ربيبة حر) ويقال أرض مديمة أصابتها الديم. ورخاخ الثرى: مالان منه أى أنه لم يصبها من الرخاخ شئ.
(٥) البيتان من قصيدة مطلعها :

«شغلان من عزل ومن تفنيد».

(٦) من قصيدة للمتنبى أولها:

«أود من الأيام مالا توده»

(فَبِلَحْظِهاَ نَكِرَتْ قَنَاتِي رَاحَتِي   ضَعْفاً وأَنْكَرَ خاَتماَىَ الخِنْصَرَا)

أى بُليت بعشقها حتى بَلِيت؛ فضعفت راحتى، عن حمل قناتى، فأنكرتها كأن القناة تقول : ليست هذه اليد التى عَهِدْتها، ولا القوة التى شَهِدتها؛ وكذلك دَقَّت خِنْصَرِى؛ ورقَّت عن خاتمى؛ حتى أَنكرَها، لما رأى فيها من خلاف ما كانت عليه. وأراد: وأنكر خاتمى؛ فوضع الاثنين موضع الواحد، كقول امرئ القيس:

وعينٌ لها حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ   شُقَّتْ مآقيهما من أُخَرْ[1]

وهذا الضرب من الاتساع وعكسه كثير؛ ونَكِرَ وأَنكَرَ لغتان فصيحتان؛ جمع بينهما فى بيت واحد. وهذا من غريب الصنعة الشعرية.

(أُمِّى أَبَا الفَضْلِ المُبِرَّ ألِيَّتِي   لأُ يَمِّمَنْ أَجَلَّ بحْرٍ جَوْهَرَا)

أى اقصدى أيتها الخيل أبا الفضل؛ الذى لما حلَفت فقلت: (لأُيمِّمَنَّ أجل بحر جوهراً) واللّه أو غير ذلك من أنواع المقسم به، ثم قصدته؛ فألفيته أجلَّ البحور جوهراً، أبرَّ بذلك يمينى. وقوله لأيممَنَّ أجل بحر. تفسير الألية[2].

(أفتى برؤيته الأنام وحَاشَ لى   من أن أكون مقَصِّرا أو مُقْصِرَا)

أى لما حلفت لأيَمِّمن أَسْنَى البحور جوهراً، لم أعلم أى البحور هو وقد لزمتنى الأَلِيَّة؛ فاستفتيت فقهاء الأنام ومتفلسفيهم؛ فأفتوا به وقالوا:

إذا يممتَ أبا الفضل ابن العميد؛ فقد بَرَرْت لأنَّه أجل بحر جوهراً؛ وجلالة الجوهر كناية عن جَزالة العطاء ولو قال: أفتى بأمِّه الأَنام فاتزن له؛ لكان أشدَّ تطابقاً لما قبله؛ ولكن لم يستقم فيه الوزن، وسوَّغ ذلك أنه إذا كانت رؤيةٌ فقد كان أَمٌّ وهذا لاينعكس، لأنه قد يكون أَمٌّ ولا رؤية.

---

(١) من قصيدته «أحار بن عمرو كأنى خمر» وأنشده ابن منظور فى اللسان (بدر) والحدرة: العين الواسعة وبدرة تامة كالبدر.

(٢) الأَليَّة الحلِف، والجمع الألايا ومعناها: اليمين والحِلف. قال الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه   فإن سبقت منه الألية برُت

وآلى إيلاء مثل آتى إيتاء: إذا حلف (اللسان والمصباح المنير)

(خَنْثَى الفُحُولَ من الكُمَاة بِصَبْغِهِ   مايَلْبسُونَ من الحديدِ مُعَصْفَرَا)

(خنثى الفحول من الكماة): خَنَثَ اللَّهُ الخَنِث[1]: خلقه خُنْثَى. وهو الذى لايخلُص إلى الإناثية، ولا إلى الذُّكوريَّة. والمعصفر: من زِىِّ الإناث، وذوى الانخناث[2] فيقول: صيّر الفُحولَ من الكماةِ إناثاً، بصبغة مايلبسون من الدروع والجواشن والبَيْض بالدم. فزَيّاهم زِىّ النساء، وألحقهم بهن فى الجُبن؛ بما ألقى فى قلوبهم من الرعب.

(قَدَ عاكَ حُسَّدُكَ الرئيس وأمْسكُوا   وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرئيس الأكْبراَ)

خَلَقَتْ صِفَاُتك فى العيونِ كَلاَمَهُ   كالخَطِّ يملأُ مِسْمَعَى مَنْ أَبْصَرَا)

أى أن حسادك لم يجدوا بُدًّا من أن يَدْعوك رئيساً؛ إذ لو جَحَدوا ذلك لما جُومِعُوا عليه؛ ولا طُووعوا بالإجابة إليه. لكن لم يبلغوا الغاية فى إنصافك، حين لم يسموك الرئيس الأكبر. وأنصفك خالقك؛ فدعاك بما قَصَّرواهم عنه؛ فدعاك الرئيس الأكبر. ثم أقام البرهان على هذه الدعوى الحقيقة. فقال: لك صفات توجب لك أن تسمى الرئيس الأكبر؛ فكأنها خُطَّ فيها حكاية قوله تعالى:إنَّك رئيس وإن كانت لاتسمع.

(وَتَرَى الفَضِيلَةَ لاتَرُدُّ فَضِيلَةً   الشَّمسْ تشرقُ والسَّحابَ كَنَهْوَرا)

الكَنَهْوَر: السحاب المتراكم: أنشد سيبويه:

كَنهورٌ كاَن من أعقاب السَّمِى[3]

(١) جاء فى المصباح: خَنِثَ خَنَثا (من باب تعب): إذا كان فيه لين وتكسر ويعدّى بالتضعيف فيقال: خَنَّثه غيره: إذا جعله كذلك .
(٢) الانخناث: التثنى والتكسُّر، وهو من فعل النساء ومن يتشبه بهن والخنث (كفَرِح): صفة من خَنِث يخْنَثُ خَنثا.
(٣) بيت من الرجز لأبى نخيلة السعدى كمافى سيبويه (الكتاب٢ :١٩١) واللسان كنهر)وأنشده المنصف (شرح الامام ابن جنى لتصريف المازنى (٢:٦٨) برواية.
(كنهور كانت من إعقاب السُّمىْ)
والبيت من شواهد سيبويه بتخفيف (ياء) السُّمِى. وأصلها بالتشديد (سمُّى) فخفف للقافية. والكنهور: السحاب المتراكم. ومفرده: كنَهْورَة.
وفى المصباح المنير (سما) والسماء تذكر وتؤنث. والسماء: السقف: مذكر والسماء: المطر (مؤنثة) لأنها فى معنى السحابة وجمعها (سُمِى) على فُعُول.

وإشراق الشمس[1] وتكاثف السحاب، فضيلتان ضِدِّيتان. والضدان مختلفان؛ لامؤتلفان. ومُعْتَقبان لا ملتقيان. وهذا الممدوح قد جمع إشراق الشمس، وتكاثف السحاب، لأنه مستبشر الوجه جميله، مستبشر النيل جزيله؛ فالإشراق بشره وجماله، والأمطار بِرُّه ونَوالُه، وهذا كقوله فيه:

وأحسنُ ذى وجهٍ، وأسمحُ ذى يدٍ ... وأشجعُ ذى قلْب، وأرحُم ذى كِبْدِ[2]

فجعله حسناً سمحاً بهذا، كوصفه إياه بالشمس والسحاب؛ فيقول: ليت هذه الباكية التى أبكاها نواى عند وداعها إياى، شهدتْ ماشهدته من هذه القضية؛ فتعذرنى فيما رأتنى عليه؛ من اجتماع النية؛ وإزماع الطِّيَّة[3]، إلى هذا الممدوح؛ لمشاهدة مافيه من الأمر العجيب، والفضل الغريب.

وقوله: (الشمسَ والسحابَ)، بدل من الفضيلة، وهو محمول على المعنى، لأن معناه، فترك فضيلتين لاتَتَرَادَّان، على ماهما به من كونها نوعين متضادين؛ ولو قال (الشمسَ والسحابَ) لكان حسنا، لكنه تَمَّم بقوله: (تشرق) لقوله: (كَنَهْوَرَا)، إذ قد تكون الشمس مع السحاب، إلاَّ أنَّ كل واحد منهما غير متناه فى صفته؛ فإذا وقع التناهى، فكانت الشمس مُشْرقةً، والسحاب كَنَهْوَراً، لم يمكن اجتماعهما.

-١٣٣-

وله ايضا:

(كُلَّما قَالَ نَائِلٌ أنَا مِنْه ... سَرَفٌ قَال آخَرٌ ذا اقْتِصَادُهْ)[4]

أى كلما استعظم منه نائل يُعَدّ سَرفا، أعقبه نائل أعظم منه يَعُدُّ ذلك النائل الأول الذى كان يستَسْرف اقتصاداً، بإضافته إلى الثانى، وليس للنائلين منال، لكن القول لما كان من أجلهما، نَسب القول إليهما.

(قَلَّدَتْنِى يَمِينُه بِحُسَامٍ ... اعْقَبَتْ مِنه[5] واحِداً أَجْدَادُهْ)

(١) فى اللسان (شرق): يقال: شرقت الشمس: إذا طلعت وأشرقت: إذا أضاءت بعد الارتفاع.
(٢) البيت من قصيدة له. أولها: (نسيت وماأنسى عتابا على الصدّ).
(٣) الطِّيَّة: النيَّة والوجه الذى يريده الإنسان.
(٤) من قصيدة يهنئ فيها ابن العميد بيوم النيروز أولها: «جاء نوروزُنا وأنت مرادهْ».
(٥) يريد أن (من) فى قوله (أعقبت منه) أى من جنس هذا السيف.

أى نُسِبَ إلى الهند، كما ينسب الشريف إلى الجدّ.

يقول : إن الهند لم تَطْبَع له نظيراً يكون له ثانياً، فقد أعقبت مِنْه واحداً، و(منْ) هاهنا للجنس. ولولا القافية لقال: آباؤه، مكان قوله (أجدادُه)، لأن الجدّ أعم من الأب، فكل جدّ أبٌ، وليس كل أب جدًّا.

(كُلَّمَا اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إيَاةٌ[1] تَزْعُم الشَّمْسُ أنَّها أَرْآدُهْ)

أى كلما استُلَّ هذا السيف، ضاكته أنوار فِرِنده، تَدَّعى الشمس أنها أَرْآدُه، وأرآد الضُحَى: ماؤها ورونقُها. فيقول: الشمس تدعى أنها من ماء هذا السيف، وأراد أنها أرْآدُه من أجلها، أى من أجل الإياة وقد يجوز أن يكون الأرْآد هنا: جمع رِيد، وهو التِّرب والمِثْل، والأول أسبق.

(مَثَّلُوه فى جَفْنِهِ خِيفَةَ الفَقْـ ـدِ فَفِى مِثْلِ أثْرِه إغْمَادُهْ)

أثْر السيف: فرنده. يقول: حلّوا جَفْنه بالفضة، فهو يحكيه بياضاً وصِقَالاً، وعلى الفضة نقش سواد، يحكى أثْره نَقْشا، فكأنهم إنما فعلوا ذلك، لأنهم لم يصبروا عنه لجماله حين واراه الغمد، فصوروا عليه مثل صورته، لئلا يفْقدوه البَتة، هذا معنى قوله: خشية الفَقْد، أى خشية فقده.

(فَرَسَتْنَا سَوابِقٌ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِبْدَهُ وفِيهَا طِرَادُهْ)

فَرَسَتْنا: يعنى هذه الخيل السابقة، التى جاءته مع السيف، فى جملة عطايا أبى الفضل. وقوله: كُنَّ فيه، (الهاء) راجعة إلى النَّدى(فارقت لبده): أى فارقت سرج هذا الممدوح إلى سَرْجِي، واللِّبْد ليس بكلية السُرج، ولكنه طائفة منه، فكَنى به عن كُلِّه، ومثله كثير. (وفيها طرادُه): أى ذكرها سائر فى الأرض، فكأنها بعدُ فى طِراد، وإن استراحت لدَيْنا. وإن شئت قلت: إن هذه الخيل تغيظ الأعداء، وتخشى الحسَّاد، وتعين على النُّوَب، فكأنها غير مُنْفَكَّةٍ من الطِّراد، وإن كانت مستريحة، لأن ذلك عملها بالقوة.

(١) إيَاة الشمس: ضوءها وشعاعها، والأرآد: جمع رأد وهو الضوء.

وقيل : (وفيهاطِراده): أى قد صِرْتَ فى جُملة عَبيده وعَديده، فإذا سار إلى موضع سرت معه، وطاردت بين يديه، فكأنه هو المُطارِد عليها، لأن ذلك بأمره ولطلب الحُظوةعنده. و(فيها): بدل من (عليها) وقد يجوز أن تكون (وفيها طِرادُه): أى وفيها ماعَلَّمهامن عِلْم المطاردة والعَدْو بفُرسانها.

(وَأحَقُّ الغُيوثِ نفْساً بِحَمْدٍ فى زَمانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُهْ)

أى زادتنا الأيام بك إعجاباً، ولك استغراباً، وذلك أنك والٍ فى زمان يأخذ فيه كل والٍ أموال الناس، فهم كالجَراد الذى يحشك الزرع والربيع والبُسْر. وأنت تَبْذُر مالك، فكأنك غيث تنبت لهم المراعى وغيرك جراد يَجْرُدها. وهذا كقول ابن أبى عُيَيْنَةَ[1] يهجو المُهَلبىّ، ويمدح أباه:

أبوك لنا غَيثٌ نعيش بِنَبْتِه وأنت جَرادٌ لست تُبقِى ولا تَذَرْ

(عَدَدٌ عِشْتَه يَرَى الجِسْمُ فيه أَرَبًا لاَ يَراهُ فِيمَا يُزَادُهْ)

يصف هذه القصيدة التى مدح فيها أبا الفضل؛ وأهداها إليه فى النيروز، فيقول: هى أربعون بيتاً، وهى عدد السنين التى إذا تجاوزها الإنسان نقص عما عهده عليه فى جسمه، من أحواله فى تقلبه وتصرفه. فلذلك اخترت لهذه القصيدة هذا العدد تفاؤلاً لك بالصحة، واستكمال قوتك .

وقيل: كانت سن الممدوح حينئذ أربعين، وهى ترى الجسم من استكمال القوة وبلوغ الأشد أرَباً لايراه فيما يُزَادُه من السنين، بعد الأربعين لأنه بعدها كلَّ عام آخذ فى التحول ومنعكس إلى التحلل.

---

(١) هو محمد بن أبى عبينه المهلبى وكان يهجو ابن عم يدعى خالدا (الأغانى ٢٠: ٦٣).

وله ايضا:

(نَسِيتُ ولاَأَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ ولاَخَفَرًا زَادَتْ به حُمْرةُ الخَدِّ)[١]

الخَفَر: شدة الحياء، وهو من عِلَل حُمرة الخد. وقال: زادت به حُمرة الخد، ليشعر أن هنالك حمرةً طبيعية سوى الحمرة التى يولِّدها الحياء، لأن حمرة الحياء عَرَضٌ سريع الزوال، إذا زال الحياء زالت. وكذلك مثَّلَتْ به الحكماء الأعراضَ السريعة الانتقال، فقالوا: ذلك كحُمرة[٢] الخجل، وصفرة الوجَل.

(ولاَ لَيْـــلَةً قَصَّرتُها بِقَصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِى فى جِيدِها صُحْبَةَ العِقْدِ)

قَصَّرْتها: جعلتها قصيرة، أى ضد الطويلة. والقَصُورة: المرأة المقصورة[٣] الممنوعة، أراد قَصَّرتها بوصال قَصُورة. وقصيرة لغة فى قَصُورة.

(أطالت يدى فى جيدها صحبة العقد): أى اعتنقتها معظم ليلى أو كلَّه، فصحبت دواعى عِقدها. واليد هنا: كناية عن كُلّية الذراع، كقوله تعالى: (فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأيْدِيَكُم إلى المرافِقِ)[٤].

(فَإمَّا تَرَيْنِى لا أُقِـــيمُ ببَلْدةٍ فَـافَـةُ غِمْـدِى فى دُلُوقى مِنْ حَدِّى)

أى بأنى سيف ماضٍ كثير الدُّلُوق من حدِّى. فغمدى متغِّير مُنْقَدّ، لكثرة تحريكى فيه وقلقى. وضربَ السيفَ مثلاً لنفسه، والغمدَ مثلاً لجسمه، والدُّلُوقَ لحركته. أى تنقلى فى البلاد يُشْجِيْنِى ويرثُّ بِزَّتى وقد فسره بقوله بعد هذا.

(تُبَدِّلُ أَيَامِى وَعَيْشِى وَمَنْزِلِى نَجَائِبُ لأيُفْكِرنَ فى النَّحسِ والسَّعْدِ)

(إذَا لم تُجِزْهُمْ دَارَ قَومٍ مَودَّةٌ أَجَازَ القَنَا والخَوفُ خَيرٌ من الوُدِّ)

(١) مطلع قصيدة له بديوانه (ص٥٣٣) والتبيان (٢: ٥٩).
(٢) فى م (الحمرة).
(٣) فى الواحدى: القصيرة والمقصورة: المحبوسة فى خدرها الممنوعة من التصرف.
(٤) الآية ٦ من سورة المائدة.

أى هؤلاء الفتية إذا مروا بقوم لايودونهم، فراموا صَدَّهم، حاربوهم، فأجازتهم الطريقَ رماحهُم، «والخَوفُ خيرٌ من الْوِدِّ» . أى لأن تُخاف خيرٌ لك من أن تُوَدّ وترْحَم ، كقولهم فى المثل السائر: (رَهُبوتٌ خيرٌ من رَحَموت)[١].

ومن أمثالهم: (أوَفَرقا خيراً من حُبَّين)[٢]: أى إذا فَرِقوك فَرقًا يكون ذلك الفَرَق خيراً من حُبَّيْن.

وهذا كقول دُوَيدْ بن نَهْدَ فى توصيته لبنيه: (أخيفوا الناسَ وارعَوا الكلأ).

وأراد: أجازهم القنا إياها، فحذف المفعولين،لأن فى قوله: (إذا لم تُجزِهم دار قوم)، مايدل على هذا المحذوف، إذ دلّ الأول على الثانى، والثانى عين الأول، فاستُجيز الحذف فيه، كقوله تعالى: (يَوَم تُبَدَّل الأرضُ غيرَ الأرْضِ والسَّمَوات)[٣] أى والسماوات غير السماوات، فحذف الثانى ـ الذى هو الأولَ المذكور فى المعنى ـ أولى.

(كَفَانا الربيعُ العِيسَ من بَر كَاتِه

فَجاءتْه لم تَسْمَع حدُاءً سِوَى الرَّعْدِ)

أى كُفِينا حُداءَ الإبل برعْد الربيع، لأنه قام لها مقام الحُداء بصوته، وقيل: كفانا الربيع العيس: أى كان منه رَعْيُها وشُربها وحُداؤها. ولوعدد للربيع أيادى غير الرعْد كما قال، لقال: فجاءته: أى رعت. وشربت؛ وجاءته. وإنما قال(فجاءته): فبين كيفية الكفاية، كما تقول: أحسنت إليك فوهبتك ألفا، فهبةالألف تفسير للإحسان، وقوله: (لم تَسمَع حُداءً) جملة فى موضع الحال أى جاءته غير سامعة حُداء إلا الرّعْد.

والرَّعْد[٤] هنا: مصدر من قولك: رَعَدَت السماء تَرعدُ رَعْداً. ولايكون الرعْد الذى هو الجوهر المكنى فى قوله تعالى: (وَيُسَبِّح الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ)[٥] لأن ذلك

---

(١) مجمع الأمثال (١:٢٨٨) وأساس البلاغة واللسان (رحم) وقال: أى لأن ترهب خير من أن تُرحم.
(٢) مجمع الأمثال (٢:٢٤٣) وفى أساس البلاغة (وفَرَق خير من حب) أى أن تهاب خير من أن تحب.
(٣) الآية ٤٨ من سورة إبراهيم.
(٤) الرعد كما يقول علماء العصر ظاهره طبيعية تحدث قبيل المطر، وسببها انضمام نوعين من السحب مشحونتين بنوعين مختلفين من الكهربا، بعضهما إلى بعض فعند ذلك تسمع قعقعة الرعد. ثم ترى البرق.
(٥) الآية ١٣ من سورة الرعد، ومعنى الآية أن الرعد من الظواهر العجيبة الدالة على وجود الله سبحانه وعظيم قدرته. وهذه الظاهرة هي التى عبر عنها المؤلف (ابن سيده) بقوله:
(الرعد الذى هو الجوهر المكنى فى الآية.)

لأيسمع بذاته، إنما يسمع صوته. والحداء عَرَضٌ، فمقابلته بالعَرَض أولى، وهذا دقيق فتفهمه.

(إذا ما استَحَيمن[١] الماء يَعْرِضُ نَفْسَه

كَرَعْن بِسِبْتٍ فى إناء من الوَرْدِ)

يصف ما أمطرتهم به السماء من الماء، وأنبتت لهم الأرض من الربيع، فى مُضيِّهم إلى أبى الفضل، لمكان بركته، وأن العناصر[٢] تُعَظِّم شأنه، وتعلى مكانَه، فتسقى ورَّاده، وتَرْعَى قُصَّادَه. والسِّبت. كل جلد مدبوغ وقيل: هو المدبوغ بالقَرَظ خاصة، وهو يُلَيِّن الجلود ويحسنها، حتى تُشَبَّهُ العربُ مَشافر الإبل بها، فيقول: إذا مرّت هذه الإبل بهذه السيول التى غادرتها هذه الغيوث، ظلَّت كأنها تعرض نفسها عليها. فكأن الإبل مستحية منها، لإلحاح المياه عليها، بعَرْضها أنفسها، وقد أحاطت بها رياض الورد أو مايشبه الورد، من ضروب الأزاهير، وأنواع النواوير. فهى تُدخل أكارعَها فيه؛ وتَغْمِس مَشافِرَها فى تلك المشارب، متقنعة من إفراط الحياء، بذلك الورد النابت. وإنما عنى (بالسبت) هاهنا مشافرها، كقول طرفة:

وخَدٌّ كقرطاس الشآمِى ومِشْفَرٌ　　كسِبْتِ اليَمانى قدُّه لم يُحَرَّد[٣].

وقيل: غَسَلَ الماءُ المستنقع فى الأرض أخفافَ الإبل من الطين، حتى عادت كالسِّبت فى نقائها، وأنبتت حافات الغُدُر زَهْراً، فكأن الماء: بعرض نفسه يتراءَى فى إناء من الورْد، والأول أولى.

(فَتىً فاتَت العَدْوَى من النَّاسِ عَيْنُهُ　　فَما أرْمَدَت أجْفَانَه كَثْرةُ الرُّمْدِ)

ضرب الرُّمدَ مثلاً للعيوب المُعدية، لأنه داءٌ ربما أعدى كالجَرَب ونحوه. فيقول: كثرت العيوب فى الناس، لكنه سَلِم هو منها، فلم تُعْدِه، لشرف عنصره،

(١) استحين (بالحاء) رواية ابن جنى وقد أنكرها أبو الفضل العروضى وقال: إنها تصحيف والصواب: (استجبن) بالجيم وقال إنه سأل عنها جماعة من الشيوخ الثقات العارفين بشعر المتنبى فقالوا: إنها بالجيم لا بالحاء.
(انظر تفصيل الكلام فى المسألة فى شرح الواحدى ص ٧٥٤.

(٢) العناصر: جمع عنصر وهو الأصل الذى تتألف منه الأجسام (التعريفات للجرجانى).
ولعل ابن سيده يريد بالعناصر الظواهر الكونية كالرياح والمطر ونحوهما.

(٣) البيت من معلقة طرفه.

وصفاء جوهره. وقصد منه (العين)، توطئة لذكر الرمد الذى جعله مادة القافية، وحسَّن ذلك ماذكرت لك من طبيعة الرَّمَد فى العَدْوَى.

(يُغَـيِّرُ ألْوانَ اللَّيَالى عَلَى العِدَا   بِمَنْشُـورَةِ الرَّاياتِ مَنْصُـورَةِ الجُنْدِ)

أى يوقد النيران فى معكسر هذه الكتائب، فيغيِّر من سواد الليل. ولما كانت النارُ إنما تُوقدها هذه الكتيبة، جعل التَّغيُّر لها، إذ هى الفاعلة الحقيقية، والنار وإن كانت مُغَيِّرة، فإنها مفعولة للكتيبة، فهى الفاعلة على القصد الأول، والنار الفاعلة على القصد الثانى. فافهمه:

إذَا ارْتَقَبُوا صُبْحاً رَأَوا قَبلَ ضَوئِهِ

كَتَائِبَ لايَرْدِى الصُّبَاحُ كَمَا تَرْدِى

أى يتوهَّم العدوّ المغزو بتلك النار صُبْحا وهو يترقَّب حقيقة الإصباح، فتوافيهم هذه الكتائب مكان الصباح الذى ارتقبوه، وجعل الكتائب أسرع من الصباح عَدْواً[1]. وإن شئت قلت: إن مجئ الصباح غير مجئ الكتائب، لأن مجئ هذه مَشىٌ[2]، ومجئ الصباح طلوع، فلذلك قال: (لايَرْدِى الْصباحُ كما تردِى).

(يَغِضْنَ إذَا مَا عُدْنَ فى مُتَقَاذَفٍ

مِنَ الكُثْرِ[3] غانٍ بالعَبِيد عَنِ الحَشْدِ)

(يَغِضْنَ): يَنْعَدِمْن فلا يُوجدن. أى بعوثك المتوجهة للغارة على عظمها وكثافها، إذا عادت إلى معظم جيشك، غاضت فيه كما يغيض النهر فى البحر، و(متقاذف): جيش يقذف بعضه بعضاً، لكثرتهم والتقائهم، كقول الراجز فى صفة خصب وإبل:

(١) فى م: (غلوا) تحريف.
(٢) فى م ، ت (مسئ) تحريف.
(٣) فى م: (الكسر) وما أثبتناه من الديوان .

أَرْعَيْتُها أكرمَ عُودٍ عُـــوداً   بِحَيْثُ يدعُو عامرٌ مَسْعودا[1]

أى يتقاذف هذان الراعيان فى طول هذا المكان واكتماله، حتى ينادى كل واحد منهما صاحبه.

(غان بالعَبيد): أى أن هذا الجيش متألِّف من عبيد ابن العميد. فقد استغنى بهم عن الحَشد[2]، للقُرْبَى. وأن يكون اسما[3] أولى، لُيطابق العبيد، لأن العبيد اسم. وقد قال أبو زيد الحشْد: القوم المجتمعون؛ فهذا ممايقوى فيه الاسمية.

(حَـثَتْ كُلُّ أَرضٍ تُربةً فى غُـبـارِهِ   فَـهُنَّ عليـهِ كـالطَّرَائقِ فى البُـرْدِ)

البرُد: الثوب المُوَشّى؛ وطرائفه مختلفة الألوان: أى فهذه الكتائب شتى[4] المطالب؛ بعيدة المذاهب؛ فهى تطأ[5] لبعد مرامها؛ أرضين مختلفة أنواع التراب؛ اختلافاً لَوْنيًا؛ من بياض وسواد. فكل أرض تطؤها تختفى من غبار هذا الجيش بترابها؛ فتكتسب[6] بذلك ألواناً مختلفة؛ بحسب أنواع التراب؛ لكل نوع لون؛ فكأن الغبار بُرْد؛ وهذه ألوان فيه.

(وَكَلُّ شَريكٍ فى السُّرورِ بِمُصْبَحِى

أَرَى بَعْدَه من لايرى مثلَهُ بَعْدِى)

---

(١) صدر وعجز لبيتين مختلفين أوردهما ابن يعيش في شرح المفصل (مبحث المركبات٤: ١٢٠) وهما :
أرعيتها أكـرمِ عود عودا   الصِّل والصَّفْصل واليَعضيدا
والخاز باز السِّنم المجودا   بحيث يدعـو عامر مسعودا
ولم ينسب أحد هذه الأبيات إلي قائل. وانظر اللسان (خوز) ويقال: أرعى الله المواشي: إذا أنبت لها ماترعاه وأرعاه المكان: جعل له مرعى (اللسان)
والسنم: العالى. والمجود: الذى أصابه الجَوْد (بفتح الجيم) وهو المطر الغزير وعامر ومسعود: راعيان. يريد أن النبت طال وكثر والتف فوارى أحد الراعيين عن الآخر حتى لايدرى أحدهما مكان صاحبه، فهو يدعوه ليتعبن موضعه.

(٢) أى أنه اختار غلمانه ممن يثق بهم من أهل بلده. وهذا المعنى فى قول النابغة
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت   كتائب من غسان غير أشائب

(٣) اسم راجع الى لفظ(الحشد) ومراد المؤلف بالاسم مايقابل المصدر، لأن الاسم الجامد نوعان: اسم ذات مثل ذات وجيش واسم معنى وهو المصدر مثل الكتابة مصدر كتب.

(٤) فى م (مثنى) وفى ت (هى) وهو تحريف لما اثبتناه.

(٥) فى م (تطالبة) وفى ت (بعد مرامها أرضين) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

(٦) الضمير فى (فتكتسب) راجع إلى غبار الجيش.

مُصبحَى: أوانُ صباحى؛ أى وكل مشارك لى من أهلى فى السرور فى رجوعى وتصبيحى له؛ عند رؤيته ما أقْنَانْيِه[1] لِقاءُ هذا الممدوح من الثروة فإنى مع ذلك كله منفرد دُونه بأُثْرةٍ[2]؛ وهى رُؤيتى هذا الممدوح الذى لايَرى هو[3] بعدى مِثْلَه. يقول؛ فأنا أكره أن أنفرد بنوع من أنواع المَسَرَّة دونهم؛ فإذا أنا أُبْتُ إليهم ورأونى، رأوا[4] من لانظير له عندهم، كما أرى أنا الآن من لانظير له، فاستَوْوا معى فيما نِلته من الغِنَى وأدركته من المُنَى، ألا تراه يقول:

(وقد كنتُ أدركتُ المُنَى غيرَ أننى   يُعيِّرنى أهْلِى بإدْرا كِهَا وَحْدِى)[5]

وهذا كله اعتذار إلى أبى الفضل فى إيثاره الرحيلَ عنه. وإنما كان يريد التمادى إلى شيراز، ثم الأَوْبَ إلى أهله.

-١٣٥-

وله ايضا:

(أَوْهِ بَدِيلاً مِنْ قَوْلَتِىَ وَاهاً   لِمَنْ نَأَت والبَدِيلُ ذِكْرَاهَا)[6]

أَوْهِ وأَوِّهِ[7]: كلمتا توجُّع وتَفجُّع مبنيتان على الكسر. وواهٌ: كلمة استطابة واستزادة. فيقول: أنا متوجع لفراقها بعد استزادتى وصالها واستطابتى إياه، لم أقنَع بهجر الدّلال، حتى بُليتُ بفرقة الزوال. وقوله: (لِمَنْ نَأَتْ والبديلُ ذِكْرَاهاً) أى أعنى التى نَأَتْ بهذا التوجع (والبديل ذكراها)، أى ذكراى إياها بدل منها. هى مفقودة وذكراها لى موجودة.

---

(١) فى ت: (أعننى فيه) تحريف والصواب ما أثبتناه وأقنانيه: أعطانيه للقنية وفى المصباح: أقناه: أعطاه وأرضاه.

(٢) الأثره (بضم الهمز وسكون الثاء): المأثرة (بفتح الثاء وضمها) وهى المكرمة التى يتحدث بها الناس جيلا بعد جيل.

(٣) الضمير (هو) راجع إلى كل شريك. وفى عبارةابن سيده غموض شديد بسبب اختلاف مراجع الضمائر ولعل عبارة العكبرى فى التبيان أوضح من كلام ابن سيده. يقول العكبرى: كل من شاركنى فى السرور الذى جئت به من عنده من أهلى وغيرهم إذا عدت إليهم من عنده، وما حظيت به من النظر إليه، أرى أنا بعده -يعنى ابن العميد - من لايرى هو (أى كل شريك) مثله بعد مفارقتى لأنه لا نظير له فى الدنيا.

(٤) أى رأوا الذى تفضل على بهذه الأموال إنسانا لانظير له.

(٥) هذا البيت متقدم على سابقه فى رواية الديوان والتبيان وفيها (أننى) مكان (أنه).

(٦) مطلع قصيدة له بديوانه (والتبيان ٤:٢٦٩).

(٧) (وآهِ من كذا بالمد وكسر الهاء ... وأنظر اللسان والمصباح المنير ـ أوه)

(أَوْهِ لِمَنْ لاَ أرى مَحَاسِنَها وأَصْلُ واهاً وأوْهِ مَرْآهاَ)

أى إنما أرجع هذه الكلمة التى معناها التوجُّع والتفجُّع لفقدى رؤية محاسنها(وأصْلُ واه وأوه مرآها)؛ إنما كان سبب استطابتى إياها وتوجعى بنواها، رُؤيتى لها. وذلك أنى رأيتها فهويتها، ووصَلَتْ فاستطبتها ونَأتْ فتأوّهْتُ لها.

(شَامِيَّةٌ طَالماَ خَلَوتُ بَها تُبْصِرُ فى نَاظِرِى مُحَيأَهاَ)

شامية: منسوبة إلى الشام. يقال: شام وشَأْم. وناظر العين: إنسانها والمحَّيا. الوجه. أى هذا المحبوبة شامية خلوت بها طويلاً، فاستمتعت بوصالها، واستكثرت نوالها.

(فقبلتْ ناظرى تغالِطُنى وإنما قَبلت به فاها)

أى كانت تنظر إلى عينى، فشخص لها صورة وجهها فى ناظرى، والفم جزء من الوجه. فكانت ترَى فاهاً فى جُملة وجهها المرئى فى ناظرى، فكانت تقبل الناظر مُريةً أنها تُريده، وإنما كانت تريد فاهاً، فتقبله بالناظر، كما كانت فى المرآة لأن الناظر عضو مَجْلُوٌ؛ متشخص فيه الصورة، كشَخْصها فى المرآة.

(فَلَيْتَها لا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَةُ لا يَزَالُ مَأْوَاهاَ)

أى ليت صورتها لاتزال آويةً ناظرى. يقال: أويتُ المكانَ، وأويت إليه، وذكر آوية[1]، وكان الحكم آويتهُ ذهاباً إلى الشخص أوالشكل أى وليت الناظر لايزال مأْوَى هذه الصورة.

وهذا البيت مشتمل على قضيتين، ترجعان إلى قضية واحدة، لأن التمنى الأول هو التمنى الثانى.

(لَقينَنَا والحُمولُ سَائرةٌ وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْن أمْواهاَ)

لقيننا: يعنى هؤلاء الظُعُن[2]. والحُمول سائرة بهن يعنى الإبل بما عليها من الهوادج، وهن دَراريّ، رقّت بَشَرَاتُهُنّ وصفَت، فهن كالدرّ. وأراد مثل الدر فبالغ

(١) هذه العبارة غامضة، ولعله قد سقط منها بعض كلمات.

(٢) الظعن (بضمتين) والظعائن: جمع ظعينة؛ اسم المرأة فى الهودج.

حتى جعلهن الدرَّ نفسه[1]. ولابد من اعتبار (مثل[2]) لأنهن لايكن دُرًا، لأن الدُّرَّ جمادٌ؛ وهن حيوان ناطق.

وقوله: فذُبْن أمواهاً: أى بكين لما سارت بهن الإبل. فلما كانت دموعهن كبشراتهن التى شاكلت الدر، رقة وصفاء، ظنتّهن درًا ذائباً، وهذا كقوله هو:

أوفى فكنت إذا رميت بمقلتى بَشَراً رأيتُ أَرقَّ من عَبَرَاتها[3]

وقوله: أمواهاً[4]: منصوب على الحال، وإن كانت الأمواه جوهراً فقد يكون الجوهر حالاً.

حكى سيبويه[5] عن العرب (العجب من بُرٍّ مررنا به قفيزاً بدرهم) قال: قد يكون خبرا مالا يكون صفة. يعنى بالخبر الحال؛ وقال: هذا بُسراً أطيب منه رطبا. وفى التنزيل (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً)[6] ومثله كثير.

وقال: (ذُبْن) وإنما يعنى دموعهن لكن ادَّعَى أن الجملة قد عادت ماء مبالغة.

(أو عَبَرتْ هَجْمَةٌ بناَ تُرِكَتْ تَكُوسُ بَيْن الشُّروبِ عَقْرَاهاَ)

الهَجْمة: القطعة من الإبل، قد اختلف فى عددها. فقيل: مابين السبعين إلى المائة. وقيل أولها الأربعون؛ إلى مازادت. يصف شُرْبَه وقراه الأضياف؛ فيقول: تمر بنا إبِلُنا فنُعَرقبها للضيفان؛ حتى تكوس أى تمشى على ثلاث وقيل تزحف على رُكبها. قال الأعور النَّهْانىّ يهجو غسانَ السَّليطىّ:

ولو عِندُ غَسَّانَ السَليطىِّ عَرَّسَتْ رَغَا فَرِقٌ منها وكاسَ عَقِير[7]

(١) ولذلك يسمى البلاغيون مثل هذا التشبيه (وهنَّ در) بالتشبيه البليغ.

(٢) أى لابد من تقدير أداة التشبيه وهى (مثل والكاف ونحوهما) من الألفاظ الموضوعة للمماثلة والمشابهة.

(٣) البيت من قصيدته: «سرب محاسنه حرمت ذواتها».

(٤) يريد أن الحال لاتكون لفظا جامدا وإنما تكون مشتقه، لكن قد تأتى الحال جامدة إذا أولت بالمشتق كقوله (أمواها) فإنها تؤول (بسائلة . وكقولك: كرعلى أسدا: أى مشبها أسدا).

(٥) انظر الكتاب لسيبويه (١٩٨:١).

(٦) الآية ٧٢ من سورة الأعراف،٦٤ من سورة هود.

(٧) أنشده اللسان(كوس) وقال قبله: الكوس: المشى على رجل واحدة، ومن ذوات الأربع على ثلاث قوائم. وقيل الكوس: أن يرفع إحدى قوائمه وينزو على مابقى . وعقير: فعيل بمعنى مفعول أى معقورة قوائمه بالسيف.

و(الشُروب): يجوز أن يكون جمع شرب؛ كشاهد وشهود، وساجد وسجود، ويجوز أن يكون جمع شرب، الذى هو اسم لجمع شارب عند سيبويه، وجمعًا[1] له عند أبى الحسن[2]. لكنْ أن يكون جمع شارب أولى؛ لأنه إن كان اسم جمع على مذهب سيبويه؛ فجمع اسم الجمع فى القلة كجمع الجمع، من حيث كانا مشتركين فى الدلالة على الجمع. وإن كان الشرب جمعاً على رأى أبى الحسن، فجمع الجمع قليل، لايَحْمِلُ سيبويه صيغة الجمع عليه ماوجد عنه مَنْدُوحة، وإنما يقر بجمع الجمع إذا لم يجد سبيلاً إلى غير ذلك. ومن ثم ذهب الفارسىّ فى قراءة من قرأ (فَرُهُنٌ مقبوضة)[3] إلى أنه جمع رَهْن؛ كسَجْلٍ وسُجُل، وسَقْف وسُقُف، واستجاز هذا على قلته، كراهية أن يحتاج إلى أن يقول إن رُهُنًا: جمع رهانٍ، ورهان: جمع رَهْن. وإنما ذلك من أبى على فرار من جمع الجمع. فلهذا قلنا إن: (شُرُوب): جمع شارب، أولى من كونه جمع شَرْب، فافهمه.

(تَقُود مُسْتَحسَن الكلام لَنا كما تَقُودُ السَّحابَ عُظْماَها)

أى إذا اعتبرنا مآثِره، وامتثلنا مفاخِره، لقُنْتْناً مُسْتَحسن الكلام فيه، وقادته لنا، كما يقودُ السحابُ سحاباً.

(لَو فَطِنَتْ خَيلُه لِنائِلِه لَم يُرْضِها أن تَراهُ يَرْضَاهاَ)

أى لو شعرت خيله أنه إنما يُعِدُّها للهبة، وأنه إنما يهب منها الخِيارَ المرضيَّة؛ لم تَرْض هذه الخيل أن يُرَى عنها راضياً، لأن مارَضِىَ منها موهوب لآمله، ومبذول لسائله.

(تَسُرُّ طَرْبَاتُه كَرَائِنَهُ ثُمَّ تُزيلُ السرورَ عُقْبَاهاَ)

الكرائن: جمع كَرِينة وهى المغنِّية. والكِران: العُود. أى إن الكرائن إذا غنينه أطربنه، فوهب لَهُنَّ، وسَرَّهن بذلك. ثم تجاوز الطربُ ذلك الحدَّ فَيَهَبَهُن جميعَهُنَّ[4] للشُّروب فيأسَيْن لفراقه، فتزيل عُقْبَى الطرب سُرُورَهُنَّ لهبته إياهُنَّ

(١) فى ت : (وجمع بالرفع. وتقديره: وهو جمع.
(٢) هو الملقب بالأخفش الأوسط. وانظر ماسبق من ترجمته.
(٣) الآية ٢٨٣ من سورة البقرة. (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة).
(١) هذه الكلمة سقطت من ت.

لنداماه. والهاء فى (عُقْباها) راجعة إلى الطَّرَبَات. وكان حكمه (طَرْباته) بتحريك العين لأنه جمع (فَعلْة) اسماً، لكن الشاعر إذا اضطُر سَكَّن مثل هذا، لإقامة الوزن، أنشد الفارسيّ:

أَبَتْ ذكِرٌ عَوَّدن أحشَاء قلْبِه   خُفُوقاً وَرَفْضَاتُ الهوى فى المَفاصِلِ(١)

(بِكُلِّ موهُوبَةٍ مُولْوِلَةٍ   قَاطِعَةٍ زِيرهَا وَمَثْنَاهَا)

(ولولتها): أنيها(٢) لفقده، و(قطعها الزِّير والمَثْنَى(٣)). ندم لمن حصلت عنده، ممَّن ليس نِدَّه.

(تَعُومُ عَومَ القَذَاةِ فى زَبِدٍ   من جُودِ كفِّ الأميرِ يَغْشَاهاَ)

زَبِدٍ: أى مُزْبِد، ليس على الفعل، لأنَّا لم نسمع زبد(٤)، وإنما هو على النسب، أى ذو زَبَد، كما ذهب إليه سيبويه. أى هذه الموهوبة محتقَرة فى جملة عطائه كاحتقار القذاة فى معظم التيار.

(لاتَجِدُ الخَمر فى مَكَارِمِهِ   إذَا انْتَشَى خَلَّةً تلافَاهَا)(٥)

أى كرمه طبيعة، فسواء عليه صحا أو سكر، لايقع فى كرمه تقصيرٌ قبل الخمر، ولا خَلَّةً تَسدُّها الخَمْر. وهذا كقول البحترى:

يُكَرَّم من قبل الكئوسِ عَليهِمُ   فما اسْطَعْنَ أن يُحدِثْن فيه تكرُّمَا(٦)

وقال المتنبى:

وجاد فلولا جودهُ غير شارب   لقلنا كريم هَيَّجَتْه ابَنةُ الكَرْمِ(٧)

وأراد (تتلافاها) فحذف إحدى التاءَين، كراهية اجتماع المثلين. وهذا مطرد فى اللغة، و(اننشى): سكر.

---

(١) البيت لذى الرمة (ديوانه ٥٧٨) وقد أنشده ابن يعيش فى شرح المفصل (٢٨:٥) فى مبحث المركبات. والشاهد فيه تسكين الفاء فى (رفضات) للضرورة ورفضات: جمع رفضة وهى ماتفرق من هواها فى قلبه. وانظر المقتضب للمبرد (٢ : ١٩٢)

(٢) فى ت: رنينها.

(٣) الزير والمثنى: وتران من أوتارالعود.

(٤) لم يسمع من العرب فى مادة (زبد) فعل ثلاثى مجرد يكون الوصف منه على (فعل) بكسر العين. وإنما المسموع عن العرب الفعل الرباعى (أزبد) واسم الفاعل: مزبد.
أما (زبد) (بكسر الباء) فقال الواحدى ص٧٩٢ إنه رواية ابن جنى وأنه على النسب. أى ذو زبد، ولهذا نظير فى كلام العرب. فقد روى سيبويه (٣٨٤:٣) قول بعض العرب (لست بليلى ولكنى نهر) أى أنا ذو نهار أعمل فيه وقد أخذ ابن سيده رواية ابن جنى وبنى عليها تفسيره للبيت.

(٥) البيت متقدم على سابقين فى النسخ المطبوعة.

(٦) البيت للبحترى من قصيدة يمدح بها أبا الهيثم الغنوى وأولها:
«أكان الصبا. إلاخيا لا مسلما».

(٧) البيت من قصيدته (ملام النوى النوى فى ظلمها غاية الظلم)

تُصَاحِبُ الرَّاحُ أرْيَحيَّتَه فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُون أدْنَاهَا

أَرْيَحيَّة الراح: يتكَّرم بها اللئيم، ويزداد كَرمًا بها الكريم فهى على كل حال تُوجد مَزية لم توجد قبلَها، وأرْيحية الممدوح طبيعية بالغة غايةً تكون أرْيحيةُ السكر مقصرة عن أدنى منازلها. فكيف أن توجد فيها مزية لم تكن من قبلُ؟

(تَجمَّعتْ فى فُؤَادِه هِمَمٌ مِلْءُ فُؤادِ الزَّمانِ إحدَاهَا)

ليس للدهر فؤاد، لأن الفؤاد جَوْهر، والدهر عَرَض، ولايكون الجوهر جزءاً من العرض، ولكن ا. .تعاره له صَنعة واقتداراً. وقد بين ذلك بقوله:

ولو بَرَزَ الزمانُ إلىّ شخصاً لَدَمَّى حَدُّ مَفْرِقِه حُسامِى[1]

ولما جعل له فؤاداً استجاز أن يجعل له همة، لأن الفؤاد مطية الهمة. وحَسَّن ذلك قولُه. (تَجَمَّعتْ فى فُؤادِهِ هِمَمٌ) . فيقول: فى فؤاد هذا الممدوح هِمَم كثيرة مجتمعه، يملأ فؤاد الدهر منها واحدة، ويضيق عما سواها.

(فَإن أَتَى حَظُّها بأزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مَنْ ذَا الزَّمانِ أَبْداهَا)

أى فإن أتى حظ هذه الهمم التى لايَسعُ فؤادُ الزمان منها، إلا واحدة، بأزمنة أوسع من هذا الزمان، أبدى الممدوح تلك الهمم، التى لا يبديها إلاّ أن يضيق الزمانُ عنها. و(حظها) هنا كقوله: (جَدُّها). وقوله: (بأزمنةٍ) أحسن من قوله: بزمان)، بعد أن يحتمله الوزن؛ لأن الجمع أبلغ من الواحد.

(وَصَارَتِ الفَيْلَقَانِ وَاحِدةً تَعثُرُ أَحْيَاؤُها بِمَوْتَاهَا)

واحدة: أى فيلقا واحدة، وإنما صارت الفيلقان فيلقاً لاختلاطهما، حتى كأنهما اتحدتا[2]. والهاء فى (أحيائها وموتاها): عائدة إلى الفيلق الواحدة.

(يُعجِبُها قَتْلُها الكُماةَ ولاَ يُنْظِرُها الدَّهرُ بعدَ قَتْلاَها)

أى إذا قَتَل الفارس فارساً أعجبه ذلك، ثم لايلبث أن يُتاح له فارس آخر يقتله.

(١) من قصيدة له بديوانه والتبيان (٤:٤٤).
(٢) فى م: (تجسدتا) وما أثبتناه أولى.

(وَدَارتِ النَّيِّراتُ في فلَكٍ   تَسْجُدُ أقمارُها لأبْهَاهاَ)

عنى بالفَلَك هنا: ذات المعتَرَك، حيث التقت الأملاك والأبطال الأنجاد. وكلا هذين القبيلين (أقمار) فهى (تسجد لأبهاها) يعنى الملك

(الفَارسُ المتَّقَى السِّلاحُ به المُثْنى عَلَيه الوَغَى وَخَيْلاهَا)

يُتقَى به السلاح، لأن السلاح لايؤثر فيه، بل هو المؤثر فيها كقول الآخر:

اللابسينَ قُلُوبَهُمْ   فَوْقَ الدّروع لُدفِع ذلِكْ

أى إن أفئدتهم أوقى لهم من دروعهم، لأنها أثبت صيانة، وأشد منهاحَصانة، وثَنَّى الخيل، لأنه أراد خيله وخيل عدوّه، لأن الحرب إنما تقوم بطائفتين متضادَّتين. ولذلك قال بعض الأوائل، من الحكماء الأفاضل: الحرب حينئذ ذو طبيعتين متضادتين، أى قِوامها ذلك فان بطل أحد الضدَّين بطلَ الحرب.

(لَو أَنكَرَتْ مِنْ حَيائِها يَدُهُ   فى الحرب آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا)

ذهب قوم إلى أنه يَجِلّ عن الفخر بتأثيره في عِداه. فلو أنكرت يدُه ذلك، لعرفنا أن هذه الآثار لها.

والذى عندى أن آثار مفاخره فى العالم حِسانٌ، وذلك بإغناء فقير، وافتكاك أسير، وبثّ فضل، وإقامة عَدْل.

وأما آثاره فى عِداه فقبيحة الصُّورَ لأنها إنما هى إفساد جواهرهم، وتغيير ظواهرهم وبواطنهم. فلو أنكرت يده هذه الآثار، حياءً من قبحها، لعرفنا نحن أنها[1] لها؛ لأنه لايؤثر فى العِدى هذا التأثير الأثير[2] إلا هى.

(وكَيْفَ تَخْفَى التى زِيادَتُها   وَنَاقِعُ الموتِ بعضُ سيمَاها)

يعنى يده، أى وكيف تخفى آثار هذه اليد، التى سوطها وناقع الموت جزء من سيماها[3] عنى بناقع الموت: السيف، وبالزيادة: السوْط. وذلك أنه يضرب بالسوط، ويقتل بالسيف. وإذا كان هذا بعض سيماها، ونتيجتها الضرب والقتل، فما الظن بكليَّة سيماها.

(١) فى ت: (أفعالها).
(٢) الأثير: كذا. ومعناه المؤثر المفضل على غيره.
(٣) السيما (بالقصر) - والسيماء (بالمد): العلامة (اللسان- سيم)

(النَّاسُ كالعَابِديَن آلهَةً   وعَبدُهُ كالمُوحِّدِ اللَّهْ)

الآلهة: لاتغنِى عبَّادها، واللَّه يغْنى عبادَه. يقول: فمن أمَّل غير هذا الملك، لم يستغن بواحد عن آخر، مع مايُنْتِج له ذلك من قلة الغنى، ومن أمَّله كفاه، وأغناه، عمن سواه، كما يفعل ذلك بعبده الإله.

ـ ١٣٦ ـ

وله أيضا:

(عُدَدُ الوفُودِ العَامِدينَ لَهُ   دُونَ السِّلاَحِ الشُّكْلُ والعُقْلُ)[١]

أى لايقصده المحاربون، لأنه لايطمع فيه أحد، فلذلك لايُعَدّ له السلاح، وإنما يقصده الآملون، فعُدَدهم الشُّكل[٢] والعُقل، لأنهم يسألونه الخيل للحرب، والإبل للدّية. ووفد العرب انما بغيتهم ذلك، فهم يُعدُّون الشُّكُل والعُقُل،ثقة منهم بهبته لهم مايسألون.

(تُمْسِى عَلى أيْدِى مَوَاهِبِه   هِىَ أو بَقِيَّتُها أو البَدَلُ)

أى إن مواهبه مستبدَّة بخيله وابله، لا مطمع للإبقاء فيها. وقد اجاد أبو الفتح فى تمثيله اياه بقول العرب فى الشئ إذا استبد به أمرٌ ما، فلم يك ابتزازه منه مَطْمع. (وُضع عَلَى يَدَىْ عَدْل)[٣].

ومعنى البيت: أن يهب جُودُه خيلَه، وخِيار إبله لأوائل الوفود عليه، ومابعدها فى المنزلة، وهى البقية، لمن يفد بعد الوفْد الأول، حتى اذا لم يبق من خيله ولا إبله شئ أعطى بعدها العين والوَرِق.

والبَدل هنا: اسم وقد يكون ظرفاً فى غير هذا الوضع.فاذا كان اسماً كان بمنزلة البَديل، قال سيبويه: وتقول: ان بَدَلَك زيداً، أى إن مكانَكَ زيْداً. قال: وإن جعلت البَدل بمنزلة البديل، قُلْت: إن بَدَلَك زيدٌ، فلحِق بالأسماء. وأراد: (أوبَدَلُها)

(١) من قصيدة له بديوانه ص ٥٤٧ يمدح بها عضد الدولة.
(٢) الشكل : جمع شكال وهو مايجعل فى قوائم الفرس والعقل: جمع عقال وهو مايربط به البعير، وجمعهما: شُكُل وعُقُل (بضمتين) وسكَّن المتنبى القاف لضرورة الشعر.
(٣) فى اللسان ـ عدل. «وقولهم للشئ إذا يُئس فيه: وضع على يدى عدل. هو العدل بن جَزء بن سعد العشيرة وكان ولي شرطة تبّع فكان تبّع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه فقال الناس: وضع على يدى عدل. ثم قيل لكل شئ يئس منه.

فجعل الألف واللام عوضاً من الإضافة، لأن كل واحدة منهما للمعرفة وجعل للمواهب (أيديا) تحكُما على الصَّنْعة، وتأنقاً فى البلاغة، وليُشعِْر أنه إنما وَارَى به قول العرب فيما ينسب منه: (وُضِعَ على يدىْ عَدْلٍ).

(يُشْــتَــاقُ مـن يَـدِهِ إلى سَــبَلٍ   شَــوقــاً إليـــه يَنْبُتُ الأَسَـلُ)

السَّبَل: المطر، كناية عن العطاء، يقول: يشتاق إلى يده، حتى أن الأسَلَ لاينبت إلا ليباشر راحته، فيُرْوَى بنائلها كَرَيَّة بالسحاب، بل أكثر. وإن شئت جعلت حَظَّ الأسل من نائل كفه، مايسقيها من الدّم. قوله: شوقاً إليه ينبت الأسلُ: جعله فى موضع الصفةلسَبل. وشوقاً مفعولاً من أجله، وهو الذى يسميه سيبويه[1] عُذْراً لوقوع الأمر.

(فَــإذَا حَــصَى أرضٍ أَقَــامَ بِهَــا   بالنَّاسِ مِنْ تَقْــبِـيلِه بَلَلُ)

أى إذا حلَّ بحصَى أرض، قَبَّله الناس بين يديه، حتى تَبَلّ أسنانُهم أى تُقْبِل وتنعطف إلى الباطن. وحَصَى منصوب بفعل مضمر. أى إذا حلَّ حصى أرض. «وأقام بها»: تفسير للفعل المضمر، لأنه إذا أقام به فقد حلَّه، وأراد: فبالناس، فحذف الفاء للضرورة، وهو كثير فى الشعر، أنشد سيبويه[2]:

من يفعل الحسنات اللّه يَشْكُرُهَا   والشَّرُّ بالشر عند اللّه مِثْلاَن

أى فاللّه يشكرها. والهاء فى (بها) راجعة إلى الحصى، لأن الحصى يؤنث ويذكر. وكذلك كل جمع بينه وبين واحده الهاء. ولاتكون الهاء فى«بها» عائدة إلى الأرض لأنه لابد فى الفعل من مُضمرٍ يرجع إلى المفعول، إلا أن يُحذف لضرب من الاستخفاف، كما قد بَيَّن سيبويه فى غير موضع.

---

(١) فى (الكتاب لسيبويه ١٨٤:١) (هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر)......... قال .... وذلك قولك فعلت ذلك حذار الشر . وفعلت ذاك مخافة فلان. وقال حاتم الطائى

وأغفر عوراءَ الكريم ادخارَهُ   وأعرض عن شتم اللئيم تكرُّمًا .

(٢) انظر سيبويه (الكتاب١: ٤٣٥) ونسبه لحسان ثابت، وأورده ابن يعيش فى شرح المفصل(١:٣) فى مبحث حروف الشرط شاهدا على أن الفاء الرابطةتحذف من جواب الشرط وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى(١:١٧٨) قال: هو لعبد الرحمن بن حسان وقيل لكعب بن مالك.

ولو كانت الهاء راجعة إلى الأَرض،ولم تَعْدُإلى المفعول الذى هو الحصى، قلت: (زيداً ضربت هنداً) مريداً (ضربتُ زيداً ضربت هنداً). وهذا لايقوله أحد، لابد فى الفعل الظاهر من ضمير ملفوظ به أو مقدر، يعود إلى المفعول المنتصب بالفعل المضمر، وقال: (من تقبيله): حَمْلاً على التذكير، والعرب تقول: شجر أخضر، وخُضْر، وحصى أَسود وسُود.

(لا تَلْقَ أفْرَسَ مِنكَ تَعرِفُه   إلاَّ إذا ضَاقَتْ بِكَ الحِيلُ)

يخاطب بذلك وهشوذان[١]، يقول له: من عرفت أنه أثبت منك فراسة فلا تَعْرِض له ما وجدت عن لقائه مندوحة، ولا تحاربْه ماأمكنتك مسالمته. يعظه بذلك، وكأنه مستهزئ به. فإذا ضاقت بك الحيلُ ولم تَجِد بُدًّا من لقائه، فقد استحققت المعذرة.

وقوله أفرس منك: صفة موضوعة موضع الاسم أى رجلاً أفرسَ منك وحسن وضْع الصفة هنا موضع الاسم، لأنها قد تقوَّت بقوله: (منك) وأيضاً فإن منك مناسب للاضافة، والمضاف اسم. وتعرفه: جملة فى موضع الصفة، كأنه قال: لاتَلْق رجلاً أفرس منك، معروفاً لديك.

(فَوْقَ السَّماء وفَوقَ ماطَلَبُوا   فإذا أرادُوا غَايةً نَزَلُوا)

أى رتبتهم فى أرفع الغايات من الرتب، بحيث لايمكن مَزِيد الى فوق، فإذا أرادوا غايةً مَاغير تلك الغاية، نزلوا إلى الأسفل[٢] منها، إذ لاتمكن غايةٌ الى فوق، لأن مراتبهم فى أسنى الغايات وأرفع النهايات. وقد قال هو فى هذا المعنى بعينه:

وقالوا هل يُبَلِّغُك الثُّريَّا   فقلت نعم إذا شئت استفالا[٣]

---

(١) وهشوذان: ثائر كردى فى أيام ركن الدولة بن بويه وقد انهزم وأخذ بلده.

(٢) لايجوز الجمع بين (أل) فى أفعل التفضيل و(من)الجارة للمفضل عليه، كما قرر النحاة ذلك. وذكره المؤلف هنا عدة مرات فى هذا الكتاب. فيظهر أن (أل) فى (الأسفل) زيادة من الناسخ.

(٣) من قصيدة له فى ديوانه وهى فى مدح بدر بن عمار. وأنظر التبيان (٣: ٢٢١)

وله أيضا:

(لَيْسَ كمـا ظَنَّ غَشْيـةٌ عَرَضَتْ فَجِئْتَنِى فى خِلاَلِهـا قَاصِدْ)(١)

كان أبو الطيب توقع أن يلومه محبوبه لنومه بعده، وحُلْمه بخياله فيه. فقال: لعل مرسلك إلى أَيُّها الخيال، ظن أنى نائم، أوخِلتنى أنت ياخيال كذلك، ليس كما ظننتماه، حالى أشدُّ من أن أنام عليها، وانما هى غَشْيَة. فإن الباشق(٢) يُغْشَى عليه، وليس من شأنه أن ينام. فلا أُلْحَقَنَّ منكما ملاماً، لأنى لم أُخِلّ بحق العشق اذا لم أنم. وانما كنت مُخِلاً به لو نمت، فجئتنى فى خِلالها قاصداً، أى فى خِلال تلك الغَشية. وعِيادة الخيال اياه فى تلك الحال، أبلغ وأعرف من عيادته اياه فى حدِّ النوم، لأن المغْشِيَّ عليه بمنزلة الميت، والنائمُ قد يدرك أَشياه كثيرة مما يدركه اليقظان، كالضحك والاحتلام وغير ذلك وما عملنا أحداً من الشعراء ذكر أن خيالاً أَلَمَّ به فى غَشْيَة الاَّ هذا.

وقوله (قاصد) فى موضع نصب على الحال، فكان حكمه على هذا (قاصداً) إلاَّ أن من العرب(٣) من يقول: (رأيت زيدْ) فى حال الوقف.

قال:

شَنِزٌ جِنْبى كَأنِّى مُهْدَأٌ جَعَل القَينُ على الدَّفِّ إِبَرْ(٤)

وأنشد الفارسيّ للأعشى:

إلى المرء قيس أطيلُ السُّرَى وآخذُ من كلِّ حىٍّ عُصُمْ(٥)

---

(١) من قصيدة بديوانه ص٥٥١ مطلعها:
أزائر ياخيال أم عائد أم عند مولاك أننى راقد

(٢) الباشق (بفتح الشين): اسم طائر أعجمى معرب (اللسان-بشق).

(٣) هم قبائل ربيعة ومن خالطهم من قبائل مضر فى شرقى جزيرة العرب يقفوه على المنوّن المنصوب بالسكون فيقولون: رأيت زيدْ وقد يجعلون التنوين ألفا كسائر العرب (انظر الأشمونى وحاشية الصبان عليه فى أول باب الوقف).

(٤) قائله عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (هدأ) والخصائص (٢:٩٧) وشرح المفصل لابن يعيش (٦:٦٩) فى مبحث الوقف. وقد أنشده شاهدا على أن بعض العرب يقف على الاسم المنصوب بالسكون لا بالألف كما فى اللغة المستعملة فى الكثير. ومحل الاستشهاد قوله
(إبرْ) فجاء به ساكن الراء. ولو عامله بمقتضى الكثير لقال: (إبرا).
ومعنى (شنز جنبى): قلق جنبى والمهدأ: الصبى الذى قاربته أمه وجعلت تضرب عليه بكفها تعلله وتسكنه لينام. والدّف (بفتح الدال): الجنب من كل شئ.

(٥) من قصيدة الأعشى فى قيس بن معد يكرب أولها «أتهجر غانية أم تلم» (ديوانه ص٣٧).

ولايكون (قاَصد) فى موضع رفع على البدل من التاء التى فى خلتنى، لأن المخاطب لايبدل منه للعلم بمكانه، والأَمْن مِن التْباسه. ولذلك لم يجز سيبويه (بكَ المسكن مررت). وقد أثبت ذلك غير دفْعة فى هذا الكتاب.

(إذَا المَنَايَا بَدَتْ فَــدَعْــوَتُهـــا   أُبْدِلَ نُونـاً بدَالِـه الحَــائِدِ)

سَفَّه رأى وهْشوذان فى محاربته فَنَّا خُسْرُو[1]، ثم عَذَره، فقال: إن المَنَاياَ إذا المُّت فإنما قولها ودعاؤها: (أبْدِل نوناً بدالِه الحَائِدْ): أى صُيِّر (الحائد) (حائِناً) وهو الهالك، وليس هناك مقال، لأن المنية ليست بنوع ناطق، إنما هى عدم حرارة الروح، وذلك عَرَض. ولذلك قالوا: بَرَدَ فلان، إذا مات، يذهبون إلى انقطاع الحرارة الحيوانية، لكن استعار القول[2] للمنية. وإنما أراد أن: (الحائد) الذى يحيد عن الموت، إذا وافاه حَيْنُه، لم يُغن عنه حيده.

(رَأوكَ لَمَّــا بَلَوكَ نَابِتَــةً   يَأْكُلُهَــا قَــبْلَ أَهْلِـه الـرَّائـدْ)

الرائد: الذى يطلُب الكلأ للحيّ، فيقول لوهشوذان: هزمْتك طلائع عسكر فَنَّا خسرو قبلَه، ولم ينتظروا بك معظم الجيش؛ احتقاراً لك؛ وتهاوناً بك، وإكراما لكوكب الجيش؛ فكنت كالنابتة المحتقرة المستصغرة التى يأكلها الرائد قبل أهله؛ لاينتظرهم بها؛ ولايدعوهم إليها، احتقاراً لقدرها واستنزاراً لخَطَرها. و(نابتة): صفة أقيمت مقام الموصوف. وحَسُن ذلك، لأنها قد قويت بالجملة التى بعدها؛ فضارعت الاسم بهذه الصفة؛ لأن الموصُوفة فى الأصل إنما هى الأسماء. هذا مذهب سيبويه. وإنما أراد" خلاُه نابته وحشيه[3]، أو نَبْقة، أو نحو ذلك.

(وَمُــتَّقٍ والسِّــهــام مُــرْسَلَةٌ   يَحِــيــدُ عَنْ حَــابِضٍ إلى صَــارِدْ)

الحابِض: السهم الذى يقع بين يدى الرامى من ضعفه. والصادر: النافذ. يقول: إن الإنسان لاينفعه احتسابه، ولايقيه احتراسه، فرب متق للموت فى الحرب وقد أرسلت السهام، فنفر عن الحابض؛ ولو وقف له لم يضره؛ ويعدل إلى النافذ؛ فيقتله؛ وهو فى كل ذلك مُصَرَّف بيد القدر.

---

(١) اسم عضد الدولة ابن ركن الدولة من آل بويه.

(٢) تسمى هذه الاستعارة عند البلاغيين استعارة مكنية.

(٣) أى نابتة برية لايأبه لها الرواد والرعاة.

وله أيضا:

(فَـلاَ قَـضَى حَـاجَـتَـهُ طَالِبٌ فُـؤَادُه يَخْـفِـقُ مِـنْ رُعْـبِـه)[١]

يقول : إن الموت قَدَر محتوم؛ وقضاء مجزوم؛ وسواء فيه الشجاع؛ والجبان الفَزَّاع؛ فإذا كان الأمر كذلك؛ فالجازع ملوم؛ والجبان مذموم. فمِنَ الحقّ أن يُدْعَى على الطالب الشديد الهيبة[٢]؛ ألاَّ يَظْفَر من حاجته إلاّ بالخيبة. والجملة التى هى قوله: (وفؤاده يخفِقُ من رُعبه): فى موضع الصفة لطالب. و(طالب): صفة وضعت موضع الموصوف. وحَسُن ذلك؛ لأنه قد قُرِن بالصفة؛ فضارع الاسم.

والهاء فى (رعبه) : إن شئت ردَدْتَها إلى طالب؛ وإن شئت إلى قوله: (فؤاده). والبيت مشتمل على الدعاء على كل من إذا رام الإقدام؛ أورثه الجبنُ الإحجام.

(حَاشَاكَ أَنْ تَضعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا تَضمَّنَ السَّائِرُ فى كُتْبِه)

أى حاشاك أن تضعُف عن احتمال ماقَدَر الفَيْج[٣] الوافد بالنَّعْى على احتماله؛ أى إذا كان الفَيج (وهو الرسول على قدميه) يقول: جاء على احتماله[٤] فى كتبه؛ وهو متكلِّف[٥] مع ذلك رِجْلَه، وعادمٌ رَحْله[٦]؛ فأنت أحجَى باحتماله على ترك استهوالة[٧].

---

(١) من قصيدة بديوانه (ص٥٥٨) يغرى أبا شجاع عضد الدولة بعمته وأولها:

آخر ما الملك معزى به هذا الذى أثر فى قلبه

(٢) أى الذى يطلب معالى الأمور، ولكنه يخاف مايعترضه فى سبيلها من أسباب الهلكة.

(٣) فى تاج العروس (فيج): الفيج رسول السلطان على رجله (فارسى معرب) وفى النهاية لابن الأثير: الفيج فى مشيه الذى يحمل الأخبار من بلد إلى بلد.

(٤) هذه الجملة خبر كان فى قوله المتقدم (إذا كان الفيج)وما بينهما جملتان اعتراضيتان.

(٥) أى متكلف السعى والمشى على رجله.

(٦) رحله: أى مقره الذى يأوى إليه. وقد يكون المقصود بالرحل: الزوجة والأهل الذين يسكن إليهم.

(٧) أى عده عظيما شديد الهول. قال الواحدى فى تفسيره: إذا كان الفيج يطيق حمل ذكر وفاتها، فأنت يجب أن تكون أشد إطاقة له.

وقال أيضا:

(وَقيدت الأُيَّلُ فى الحِبَال)[١]

الأُيَّل: اسم للجنس؛ وأنَّث على معنى الجماعة؛ وقد يجوز أن يكون (أُيَّل) على اعتقاد ضمة مجتلبة للجمع؛ كما ذهب إليه سيبويه فى دِلاص وَهِجان. وقد أَثْبَت الأيِّل[٢] واشتقاقه ووزنه وتكسيره؛ وما فيه من اللغات؛ فى كتابى الموسوم (بالمحكم).

(وَأَوْفَتِ الفُدْرُ مِنَ الأَوْعَالِ)

الأوعَال: شياه الجبال، والفُدْر: المَسَانّ. يجوز أن يكون جمع فَدُور؛ فالأصل على هذا (فُدْر) إلاّ أن بنى تميم يسكنون ثانى الضرب استخفافاً.

ويجوز أن يكون جمع فادر؛ كعائد وعُوّد؛ لأن سيبويه قد اعتد (بفُعّل) بناء من ابنية تكسير (فاعل).

(مُرتَّديات بِقِسِيِّ الضَّالِ)

يعنى قرونها. شبهها فى انعطافها بِقِسِىّ العرب؛ وهى تتخذ من الضَّال وهو السِّدْر الجَبَلىّ؛ أَلِفُه منقلبة عن ياء. وذكر بعض متأخرى[٣] أهل بغداد أنه وَجدَ بخط (جعفر بن دِحْيه)؛ رجلٍ من أصحاب ثَعْلب. (الضَّأل) مهموزاً؛ فاشتقه ذلك البغدادىّ حينئذ من الضآلة؛ وذلك لأن الجَبَلىّ منه أقل رِيًّا ونَعْمَة من المائىّ؛ وذلك قال البغدادى:

---

(١) من أرجوزة له بديوانه (ص٥٦٢) فى مدح عضد الدولة ويذكر خروجه للصيد وجعل الأرجوزه اقتداء بأبى نواس فى طردياته (ماأجدر الأيام والليالى).

(٢) قال ابن سيده فى المحكم (الإِيَّل) (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة). والأُيَّل (بضم الهمزة وفتح الياء المشددة) وهو للواحد. والجمع: الأيائل. ويجوز عنده فى (الأيل) المضموم الهمزة أن يكون اسما للجمع وليس جمعا.
قال: وعليه وجهت قول المتنبي «وقيدت الأيل فى الحبال»

(٣) يريد ببعض متأخرى بغداد: أبا الفتح عثمان بن جنى. وقد صرح باسمه فى المحكم (ضيل) ونقله عنه ابن منظور فى اللسان (ضيل)قال: وأضيل المكان وأضأل: أنبت الضال. وإليه ترك ابن جنى ماوجده مضبوطا بخط (جعفر بن دحيه) رجل من أصحاب ثعلب من الضأل مهموزا.
قال ابن جنى : وأردت أن أحمله علي (الضئيل ،الذى هو الشخت، لأن الضأل هو السُّدر الجبلى والجبلى أشد عودا من النهرى حتى وجدت بخط أبى اسحاق (أضيل المكان) فاطرحت ماوجدته بخط جعفر ا هـ.

ثم وجدته بخط أبى إسحاق، (يعنى إبراهيم بن السَّرِىّ الزجاج): أَضْيَلَ المكان: أنبت الضَّال. فإذا كان كذلك، فلا أثر للهمز فى الضال، ولاطريق إليه. وإنما هو كتاب[1]، فمحا البغدادىّ حينئذ ضبط جعفر، وعَّول على خط أبى إسحاق.

(وُلِدْنَ تَحتَ أَثْقَلِ الأَثقالِ)[2]

قيل: الجبال[3]، وقيل: القُرُون. فإن قلت: فإنه لم يُولد بقرن، فنقول: إنه عنى (بأثقل الأثقال) القرون؟ قلنا: إن لم يولد بالفعل معها، فإنه مولود معها بالقوة، لأن نبتة القرون للأنواع المفطورة عليها، خِلْقة طبيعية، فلابُدَّ من خروجها إلى الفعل.

(قَدْ مَنَعَتْهُنَّ من التَّفَالى)[4]

أى تشابكت القرون على رءوس الأيايل، حتى لو حاولتِ التفالىِ، منعَها اشتباك قرونها من الوصول إلى رءوسها.

(لاتَشْرَكُ الأجسامَ فى الهُزَالِ)

أى أن القرون لايلحقها سِمَن ولا هُزال، كما يلحق الأبدان، لأنها ليست متصلة بلحم ودم، ولاهى فى ذواتها كذلك. ولو اتزن له ألاَّ يُشْرِك الأجسام فى السِّمَن والهُزال، لكان أَقْعَد بالحقيقة، ولكن السمن والهزال عَرَضان، فى الجسم متقابلان، فإذا انتفى أن يشركها فى الهزال، انتفى أن يشركها فى السِّمن، فاكتفى بأحد الضدين من صاحبه.

(إِذَا تَلَفَّتنْ إلى الظِّــــــلاَلِ
رَأَيْنَ[5] فيَها أَشْنَعَ الأَمْثَـــالِ)

أى إذا رأت الأيايل ظلال قرونها، استبشعتها وهالتها.

---

(١) يريد أن (الضأل) مهموزا: كلمة وجدت فى كتاب وليست رواية صحيحة عن العرب.
(٢) فى التبيان (الأحمال) فى موضع (الأثقال).
(٣) الجبال: هو تفسير ابن جنى لأثقل الأثقال والقرون: هو تفسير ابن فورجه. ورجح الواحدى (ص٧٩٤) قول ابن جنى وقال: لأنها ولدت ولاقرون لها. ومن البعيد أن يراد قرون أبويها. وعمل المؤلف هنا على تفسير ابن فورجه.
(٤) يقال: تفالت الحمر: احتكت كأن بعضها يفلي بعضا.
(٥) فى الواحدى والعكبرى (إلى الأظلال) .٠. (أرينهنّ...)

(كأنَّما خُلِقْنَ للإذْلالِ

زِيادَةً فى سُبَّةِ الجُهَّالِ)

يعنى القرون صاحبها ذليل فيقول: كأن هذه القرون إنما خلقت لتدلّ على على ذلة الأوعال، كما خلت للقَرْنان[1] وإن كان لاقرون له. وإنما هو تمثيل. وقوله: زيادة فى سُبَّة الجهال: أى أنَّ الجهال يتشاءمون كثيراً بالقُرون، ويكنون أحدهم بأبى القُرون.

(نَواخِسَ الأطرافِ للأكْفالِ)

أى طالت القرون منها، حتى نَخَست الأكفال بأطرافها.

(يَكَدْنَ يَنْفُذْ مِنَ الآطَالِ)

الآطال: الخواصر، واحدهما: إطِل، وإطْل. وقد قيل: الإطِل[2] وضع، والإطْل: فرع يقول: فى القرون شُعَب تكاد تنفذ الخواصر، حِدَّةً واعتراضاً. وأراد: يَكَدْنَ يَنْفذن الآطالَ، فزاد (مِنْ) على رأى أبى الحسن[3]، لأنه يرى زيادتها فى الواجب[4]، وسيبويه لايرى زيادتها فيه.

ويجوز أن يكون أراد من الآطال إلى الآطال، أى من اليمين إلى الشمال وبنقيض ذلك.

(شَبِيَهةُ الإِدْبَارِ بالإِقْبَالِ)

أى فى وجوهها من لحاها مايشبه أذنابها، فقد تشابه القُبُل والدُّبُر، وقيل: يريد عُموم قرونها، لظهورها بالتعطف عليها إلى أذنابها،

(فى كُلِّ كِبْدٍ كَبِدَىْ نِصَالِ)

كَبِدُ النصل[5] مابين عَيْرَيْه أى فى كل كَبد أيل ووعِل من هذه الوحش المقنوصة كبدا نصال.

---

(١) فى المصباح: رجل قرنان كسكران لاغير له. وفى الأساس: استقرن: إذ لان.
(٢) أى أن الإطِل (بكسر الطاء) هو الأصل والإطْل (بسكون الطاء) تخفيف منه. وقيل هما لغتان.
(٣) هو الأخفشَ الأوسط وقد سبقت ترجمته.
(٤) يريد بالواجب: الموجب ضد المنفى والأصل فى زيادتها أن تكون مع المنفى وما يشبهه كالاستفهام.
(٥) كبد النصل: الجزء الأوسط الغليظ فيها. والعيران: الجزءان الناتئآن فى وجهى النصل.

(فَهُنَّ يَهوْيِنَ من القِــلاَل)

(مَقْلُوبة الأَظلاَفِ والإرْقَالِ)

أى هذه الأيايلُ والأوعـال يَهْوِين من قِلال الجبـال، وهى أعاليـها، منعكسة أظلافها وأذنابها على أجسامها.

(فكَانَ عَنْها سَبَبُ التَّرحَالِ)

(تَشْويقَ إكْثَارٍ إلى إقْــلاَلِ)

أى أكثرنا من القَنْص حتى مَلِلْنا، وشَوَّقَنا الإكثارُ إلى الإقلال، فكان ذلك سبب التَّرحال عنها (فعن): متعلقة بالتَّرحال المقدر قبلَها، ولاتكون متعلقة بالترحال الظاهر لأن (عن) حينئذ من صلة المصدر؛ وماكان من صلة المصدر لم يتقدم عليه؛ وجعل (سبب التَّرحال) اسم كان؛ لأنه معرفة و(تشويقَ إكثار). خبرَها؛ لأنها نكرة؛ فالبيت مُضَمَّن[١].

وقال سيبويه: أكثرتَ؛ جئت بكثير؛ وأقللت؛ جئت بقليل. فأما كثَّرتَ وقللْت؛ فجعلته كثيراً وقليلاً.

(وَلَـو جَـعَـلْـتَ مَـوضِـعَ الإلاَلِ

لآلِـئـا طَـعَـنْـتَ بـالَّـلآلـــــى)

(الإلاَل): الحراب. واحدتها؛ (أَلَّة)[٢]؛ وذلك لبريقها ولَمَعانها

ألَّ الشئُ يَؤلُّ أَلاًّ: بَرق أى لو جعلت مكان الحديد والمحدَّد[٣] لؤلؤاً فعلت به من القتل مايفعل الحديد؛ لأنك مؤيَّدٌ منصور.

(١) البيت المضمن فى اصطلاح علم العروض والقوافى: هو مالم يستوف معناه إلا فى البيت الذى بعده وهو عيب عند العروضيين لأنهم جعلوا كل بيت وحدة مستقلة فى المعنى.
وفى رأينا أنه ليس بعيب فى نظر الأجيال الحديثة لأن نظم المسرحيات والقصص التاريخية يقتضى هذا التضمين فى سرد المعانى المتلاحقة فى الكلام الطويل.
وقد عدّ ابن سيده هذا البيت مضمّنا لأنه اعتقد أن هذه الأرجوزة من مشطور الرجز ذى المصراع الواحد الثلاثى الأجزاء، لامن كامل الرجز ذى المصراعين
وكذلك نلاحظ أن (ابن سيده) لم يراع فى شرح هذه الأرجوزة ترتيب الأبيات الذى التزمه الشراح كالواحدى والعكبرى.

(٢) الألة: الحربة العظيمة النصل سميت بذلك لبريقها ولمعانها. قال فى اللسان (ألل): وفرق بعضهم بين الألة والحربة فقال: الألة كلها حديدة. والحربة بعضها خشب وبعضها حديد. والجمع (أل) بالفتح.

(٣) كذا فى (م) ومعناه المسنون المشحوذ. فى ت: (المحدود).

وقيل: أراد ولو جعلت مكان أصحاب الحراب من جيشك صواحب الحليّ لقتلت بهنّ عِداك، لأن السعد[1] والبأس إنما هو لك. وأراد (طعنت باللآلئ) فأبدل الهمزة إبدالاً محضاً؛ ليس على التخفيف[2] القياسي وإن كان مثله فى اللفظ، وإنما أبدل إبدالاً كليًا غير قياسيّ لمكان الوصل[3]؛ لأن التخفيف القياسيّ فى نية التحقيق. والهمزة المحققة لايُوصل بها؛ فكذلك المخففة التى فى نيَّة المحققة لايوصل بها. وقد بينت ذلك غير دُفعة فى هذا الكتاب، وفى غيره من كتبى وإنما أعدته لظرافته ودقته، وأنه لا يَفْهمه إلا الدِّرب. فمن أنِس به أحبُه ووالاه، ومن نافره قلنا فيه؛ من جهل شيئاً عاداه.

-١٤٠-

وله أيضا:

(مَغَانِي الشِّعْبِ طيباً فى المَغانِي بِمَنْزِلَة الرَّبِيعِ منَ الزَّمَانِ)[4]

يعنى بالشعب: شِعْبَ بَوَّان وكان فى طريقه إلى شيراز، مَرَّ به فأعجبه يقول: فهذه المغانى فى حُسْنها بمنزلة الربيع فى أرباع السنة. أى أن هذه المغانى أطيب المغانى وأعشبها، كما أن الربيع آنق أرباع الزمن وأخصبها.

جعل هذا المكان فى جملة الأمكنة بمنزلة الزمان، أعنى الربيع فى جملة الأزمنة، وهذا من عجيب الاقتران، أعنى تمثيله للمكان بالزمان.

(وَلِكنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيَها غَرِيبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ)

بَوّان هذه؛ فى بلاد فارس، ولاعرب هنالك إلا غُربَاء، فكنى بغرابة الأعضاء عن غرابة الجملة. وقيل؛ غريب الوجه، أن ألوان العرب الأُدْمة، وأهل فارس بيض، وأما غربة اليد فقيل؛ إنه عنى به الخط، ولايُعْجبنى، إنما عَنَى به الجُود، والجود للعرب، وأما اللسان فلأنهم أعاجم، والتفسير الأول هو الصحيح، أعنى أنه لاعرب هناك إلا قليل.

---

(١) السعد والبأس: شيئان مختلفان فكان حق الضمير الراجع إليهما أن يكون(هما) مثنى.

(٢) لتوضيح ذلك فقول: إن التخفيف القياسي فى لفظ اللآلى سببه تطرف الهمزة بعد كسرة فنقول فى لآلئ: لآلى. وفى جائئ : جائى ثم تعله إعلال قاض فتذهب منه الياء فيصير جاء ويقال لمثل هذا التخفيف تخفيف محض وتخفيف كامل. أما التخفيف غير المحض وهو الذى ليس بكامل فهو أن تمزج الهمزة بحرف اللين المماثل لحركة ماقبلها فى مثل: سأل وسئل وقُرئ فتجعلها بين الهمزة والألف أو الواو أو الياء. ويسميها اللغويون همزة بين بين وهذا تخفيف قياسى.

(٣) يريد بالوصل هنا: حرف اللين الذى يجئ بعد حرف القافية وتخفيف الهمزة لتكون حرف وصل فى القافية ليس تخفيفا قياسيا إنما هو لضرورة الشعر:

(٤) مطلع قصيدة له بديوانه (ص٥٤١) فى مدح عضد الدولة. وانظر التبيان (٤:٢٥١) والبرقوقى.

(إذَا غَنَّى الحَمَـــامُ الــوُرْقُ فيها أجابَتْـها[١] أَغــانِـيُ القِيَانِ)

أى أنها أرض طيب ورفاهيه[٢] ، واعتدال هواء، فإذا غَنَّى الحَمام فيها، جاوبتها القِيَان طرباً إليها، أى أن أهلها لايريمون[٣] اللهو.

(وَمَن بالشِّعبِ أحوجُ مِنْ حَمَامٍ إذَا غَنَّى ونَــاحَ إلى البَيَـانِ)

أى أن أهل بَوَّان أعاجم، لأيفْصحون ولايُوَضِّحون، كَما أن الحمام كذلك. وجعلهم أحوج إلى البيان من الحمام؛ مبالغةً وإفراطاً فى الكلام، إذ يوجد لغناء أهل بَوَّان تَرْجمان، لأنهم أَناسِيٌّ.

(وقَد يَتَقَــارَبُ الوَصْفَانِ جِدًّا ومَوصُوفاً هما مُتَـباعِدَانِ)

أى هؤلاء الأعاجم فى قلة الإيضاح، وعدم الإفصاح، كهذه الحمائم، وإن اختلف نوعاهما، فهما متباعدان بالنوع، وذات الجوهر، متقاربان[٤] فى عدمهما البيان.

ويحتمل أَن يريد أن الإنسان يقرب الموصوف بوصفه له، حتى لكأنه حاضر، ولكنه يبعد لعدم إحاطته بجميع أحواله؛ وغرائب أفعاله.

(والْقَى الشَّرقُ مِنْهَا فى ثِيَابِى دَنانيراً تَفِرُّ من البَنَــانِ)

يصف شِعْب بَوَّان؛ وهى مدينة معروفة فى طريق شيراز. والشِّعْب: الطريق فى الجبل. والشرق: الشمس. يقال، طلعت الشرق، ولايقال غاب الشرق، فيعنى أن شجر هذا الموضع أشِب مُلْتَفٌ؛ ضيق الخِصاص، وهى الشُّعَب التى بين الورق، فإذا طلعت الشمس تخللت أضواؤها خلال الورق، مستديرة كالدنانير من الذهب، فى الشكل واللون؛ إلا أنها إذا حَلَّت الكفَّ، فهمَّت بالقبض عليها حال ظِل البنان بينهما، واعترض دون مافى باطن الراحة من أشكال الضوء. وقد قدمتُ الفَرْق بين تشبيهه إياها بالدنانير هنا؛ وبين تشبيهه إياها بالدراهم

(١) فى الديوان والواحدى والتبيان «أجابته».

(٢) الرفاهية والرُّفاهة: رغد الخصب ولين العيش.

(٣) كذا فى م: (يريمون). ومعناها لا يتركون.

(٤) فى ت: (مفترقان) تحريف.

فى قوله:

إذا ضوؤها لاقَى من الطير فَرْجَةً   تَدَوَّرَ فوق البَيْض مثلَ الدراهم[1]

عند تفسير ذلك البيت. وقوله: (منها) أراد من نفسها؛ وصرف (دنانير) للضرورة.

(يَحُلُّ به على قَلْبٍ شُجَــــاعٍ   وَيرحَلُ منه عن قلْبٍ جَبَـــانٍ)

أى أنه إذا رأي أضيافه نازلين به، فرح فقويت ذاته؛ وإذا رآهم راحلين ساءه ذلك فضعف منه ماقَوِى.

فعلى هذا القول؛ تكون الشجاعة والجبن لقلب هذا الممدوح. وقد يجوز أن يكون ذلك لأفئدة الضِّيفان؛ أى أن الضيف إذا نزل به وهو زاهد فى الحياة؛ غير فَرِقٍ من الموت؛ لما لَحِقه من الكدّ والجهد؛ فرأى مالَدَى أبى شُجاع من خِصْب المكان، ولِيْن أخدع الزمان؛ والخَفْض والأمان؛ راقَهُ ذلك؛ فأحبّ الحياة، وكره الوفاة؛ بعكس ماكان عليه

(دَعَتْهُ بِمَفْــزَعِ الأعْضَــاءِ مِنْــهُ   لِيَومِ الحرْبِ: بِكْــرٍ أو عَوَانِ)

المفزع: المستعاث. ودعته: سمَّته. فيقول: دعته هذه الدولة عضد الدولة؛ لأن الأعضاء إنما تدفع عن نفسها بالعضد؛ وهى حاملة اليد؛ فكذلك هذه الدولة؛ لما وجدْت مَفْزَع أعضائها بالعَضُد؛ دعته عَضُدَها. فقوله: (بمَفْزَع) فى موضع المفعول الثانى؛ لأن هذه (دَعَوْتُ) التى بمعنى سَمَّيْت، تقول: دعوته زيداً؛ ودعوته بزيد؛ كقولك سميته إياه؛ وسميته به.

قال سيبويه حين ذكر هذا النحو. وكذلك دَعَوْته التى تجرِى مَجْرى سَمَّيْتُه؛ يعنى أنها تتعدى إلى مفعولين: كما يتعدى سمَّيته إليهما. قال: فإن أردْتَ الدُّعاء إلى أمر؛ لم تجاوز مفعولاً[2] واحداً. يعنى نحو التى فى قوله تعالى: (سَواءٌ عليكُم أَدَعَوْتمو هُمْ أم أَنْتُم صامِتون)[3]. وكقوله سبحانه: (أُجِيب دعوةَ الدَّاعى

(١) من قصيدة « أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم».
(٢) انظر سيبويه (١:١٦) فى باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعولين.
(٣) الآية ١٩٣ من سورة الأعراف.

إذا دَعان)[1] وقوله: (ليوم الحرْب). أى إلى يوم الحرب. (بِكْرٍ أو عَوانٍ): بدل من الحرب. وقد بَيَّن معنى هذا البيت بقوله:

(بعَضْدِ الدَّولَةِ امْتَنَـــعَتْ وعَزَّتْ ... ولَيْسَ بغَيْرِ ذِى عَضُـدٍ يَدَانِ)

اليدان: إمـا أن تكون هما الكَفَّين، وإما أن تكون القوة. حكى سيبويه[2]: لايَدَيْنِ بِهَالكَ، لم يَعْنِ (تثنية اليد)، ونَفْى الجارحتين؛ ولكنه نفى القُوَّة[3] وأراد: (لايَدَ بِهالك)، فوضع الاثنين موضع الواحد الدال على الكثرة. فدلت التثنية من الشياع على مايدل عليه الواحدالدال على الكثير، أعنى المنفّى بلا؛ لأن ذلك الواحد متفرق لنوع المنفى بها.

وقد تجئ التثنية تدل على الكثير. أنشد الفارسىّ للفرزدق:

وكلُّ رَفيقَىْ كلِّ رَحْلٍ[4]

ونظيره قوله تعالى فى صفة السماء: (فارجِعِ البصرَ هل تَرَى من فُطُور[5] ثم ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْن).

(فكَرَّتين) فى موضع كَرات. والدليل على ذلك قوله: (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حَسِير). فلو أمره أن ينظر فى السماء كرَّتين فقط؛ فنظر مرتين، لم يرجع البصر خاسئاً وهو حَسِير، لأن البصر لايَحْسِرِ من مرتين، انما يَحسِر من مرات. هذا تفسير الفارسى[1]، بعد أن أعملَ فيه إنعام الفِكْر؛ وقدَّر مافيه من وراء علْوة الجِسْر[2].

(كَأَنَّ دَمَ الجَمَــاجِمِ فــى العَنَاصِى ... كَسَى البُلْدانَ رِيْش الحَيْقُطَانِ)

---

(١) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٢) انظر باب النفى (بلا) فى الكتاب لسيبويه (٣٤٦:١).

(٣) فى اللسان (يدى) ابن سيده (لايدين لك بها) معناه لاقوة لك بها لم يحكه سيبويه إلا فى مثنى.

(٤) تمامه

وكل رفيقى كل رحل وإن هما ... تعاطى القنا قوما هُما أخوان

(٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة الملك

(٦) عبارة الفارسى في تفسير سورة الملك (ثم ارجع البصر) أى كرَّه كرتين، أى رجعتين أخريين والمراد بالتثنية التكرير.

(٧) الغلوة: الغاية، وهى رمية السهم أبعد مايقدر عليه (المصباح. ويقال: سهم حسر: مستو قذذ الريش

ريش الحَيْقُطان: احمر. والعَنَاصي: خُصَل من الشعر. يقول: جرى الدم في عناصيهم فاختضبت فاحمرت، ثم تمزقت شعورهم في المُعتَرَك، وأطارتها الريح على الأرض؛ فكأن العناصي المحمَّرة المتمزقة ريشُ هذا النوع من الطير وجعل الدم هو الذي كسا البُلْدان ذلك، لأنَّه لولا الدم لم يُشبه العَنْصوة ريشُ الحَيْقُطان. و(في العناصي). ظرف في موضع الحال، أي مستقرًا فيها.

(وكانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ   لَه يَاءَى حُروفِ انَيْسِيَانِ)

أُنَيْسِيَان: تصغير إنسان، وهو أكثر حروفاً من مكبَّرة، لكن تلك الكثرة مشْعِرة بقلة، فلا غناء لهذه الزيادة التي فيه، لما يلحقه من التصغير، ونقيصة التحقير. فهو يدعو لفنَّاخُسْرَ، فيقول: لاكاثرك مَلِك باثنين إلاَّ كانا له كالياءين اللتين في (أُنَيْسيان)؛ وكلتاهما زائدة؛ لاغناء لهما، وأيضاً فإنهما للتحقير: الأولى للتصغير حقيقة، والثانية لاتلحق إلا مع ياء التصغير، فهي بمنزلتها في الدلالة على التصغير. فلذلك قلت إنهما جميعاً للتحقير، ولم أعْنِ أنّ ياءَ (أنيسيان) الأخيرة من جوهر التصغير كيف يكون ذلك وهذه الياء خامسة، أعني ياء (أُنيسيان) الأخيرة. وياء التصغير لاتكون أبداً إلا ثالثه. و(أُنيسيان) من شاذ التصغير.

-١٤١-

وله أيضا:

(فِدًى لَكَ مَن يُقَصِّر عن مَدَاكَا   فَلاَ مَلِكٌ إذَنْ إلاَّ فَدَاكَا)(١)

(فَدَاكَ) يحتمل [أن يكون](٢) فعلا، واسماً(٣).

(ولَوْ قُلْنَا فِدًى لَكَ مَن يُسَاوِي   دَعَونَا بِالبَقَاء لمَن قَلاَ كاً)

أي أنه لايساويك أحد، فلو قلنا: فِدًى لك مساويك، لكان كقولنا: فِدًى لك لا أحد، وقاليه : داخل في ذلك.

(١) مطلع قصيدة له بديوانه ص٥٦٦ والتبيان (٢: ٣٨٥) في مدح عضد الدولة .
(٢) مابين المعقوفين زيادة يتضح بها التعبير.
(٣) يقال فداه من الأسر يفديه فدى (مقصور) وتفتح الفاء وتكسر: استنقذه بماله. ويقال فلان فدى لفلان (بفتح الفاء وكسرها) في الاسم.

(وأمنـا فِـدَاءكَ كـلُّ نَفْـسٍ ولَـو كَـانَتْ لملـكَةٍ مِلاَكَا)

أى لو اشترطنا فى فدائك المساواة، لأمن كل أحد أن يكون لك فِداء، وإن كان ملكاً، لأنه مع مُلْكه ومِلْكِه مُقَصِّرٌ عن مساواتك.

(وَمَنْ[1] يَظَّنُّ نَثْرَ الحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبِ تَحتَ مانَثَر الشِّبَاكَا)

أى وفِدى لك من أعطى وغرضه أن يستجرَّ فائدة فاضلة[2] بعطائه، [فهو] بمنزلة القناص الذى يلقى الحَبَّ للطير؛ وقد نصب الشبكة تحته لاقتناصها فلا ينبغى أن يحمد على ذلك، لأنه ليس جوداً فى الحقيقة، إنما هو دعاء إلى هُلْك.

وهذا مثل ضربه لمن طلب من الشكر أكثر مما يوجبه له نَداه. والشِّبَاك جمع شبكة كرقبة ورقاب، وَرحْبَة ورِحاب.

(أَتَتْرُكُنِى وعيْنُ الشمْسِ نَعْلِى فَتَقْطَعَ مِشْيَتِى فيـهَا الشِّرَاكَا)

أى بكونى فى حاشيتك، واعتدادى فى صاغيتك[3]؛ شَرُفْت وعظمت حتى عدت كأن عين الشمس نعلى؛ فإذا فارقتك؛ كنت كمن مَشَى بهذه النعل؛ فانقطع شِراكها؛ فسقطت؛ فكان اختلال جزئها، سبباً لعدم كلّها.

وإن شئت قلت: كسانى قصدك شرفاً، صارت [به][4] عين الشمس لى نعلاً فإذا بَعُدتُ عنك، أخللتُ ببعض ذلك الشرف، لابكُلِّه؛ فكأنى قطعت الشِّراك الذى هو بعض النعل، فجعل الشرف كعين الشمس، وجعل فراقَه لعضُد الدولة المشى فيها؛ وجعل بعده عنه بمنزلة انقطاع الشراك؛ الذى هو سبب الإخلال بالنَّعْل، ولم يتوقع فى كل ذلك إخلالاً كليًا، لأنه كان مُزْمعاً للعودة إليه. ألا تراه يقول:

لَعـلَّ اللَّه يَجعلُهُ رَحـيلاً يُعيـنُ على الإقاَمِـة فـى ذَرَا كَا

(١) يظَّن (بفتح الظاء المشددة والنون مشددة أيضا:
أصله يظتنن على (يفتعل) قلبت التاء طاء لموافقتها الإطباق، وأبدلت التاء ظاء لتدغم فى التى بعدها فصار يظَّنَنٌ. ثم أبدلت النون فى النون (انظر التبيان (٢:٣٨٦).

(٢) معنى فاضلة هنا: أى زائدة على جزاء ماتقدم.

(٣) فى اللسان: صاغية الرجل: الذين يميلون إليه ويأتونه. أوهم قومه الذين يميلون إليه.

(٤) (به) : زيادة للربط بين الجملتين.

وقوله: (فتقطعَ مِشْيتى فيها الشّراكا): نصب فيه (تقطعَ)، لأنه جواب الاستفهام، والكلام متضمن معنى الجزاء أى إن تتركنى أسير وقد انتعلت بعين الشمس؛ قطعت مِشْيَتى شرَاك فعلى.

وإن شئت رفعتَ على القطع، أى فإنها تُقْطَع؛ ولا يكون عطفاً على «أتتركنى» لأن قطْعَ مِشْيَتِه شرَاك النَّعْل؛ ليس داخلاً فى حدِّ الاستفهام؛ ومعنى هذا الاستفهام الإنكارُ والتقرير؛ أى كيف تتركنى على ما أنا به من الرأى؛ وأنت تعلم أن الذى أنا عليه من ذلك سَفَه.

(قد استَشفَيتَ من داء بـدَاءٍ   وأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكا)

الداء المستشفى منه: تشوقه إلى أهله أيام كونه بشيراز؛ وأهله بالكوفة؛ والداء المُستشْفى به من ذلك الداء: فِراقه للملك فيقول أما الآن حين أزمعت الإياب إلى أهلك فقد استشفيتَ من داء الشوق بفراق هذا الملك؛ وفراقك إياه أعْودُ عليك بالألم. (وأقتل ما أعلك ماشفا كا)؟ أى أقتل ما أعلك الآن؛ فراقك لأبى شجاع؛ على أنه قد شفاك من شوقك إلى أهلك؛ فكان اشتياقك كالمرض؛ ومزاولتك[1] لهذا الملك حين أزالت شَوقَك كالموت المذْهبِ لألم المرض، وهو أَشد من أَلم المرض.

ثم يُخَرج قوله (وأقتل ماأَعلَّك ما شفاكا) على طريق العموم، فيصير مثلاً، كقوله:

أرى بصرى قد رَابنِى بعدَ صِحَّةٍ   وحَسْبُكَ دَاء أنْ تصحّ وتَسْلَمَا[2]

وكذا"

ودعوتُ رَبىَّ بالسلامةِ جاهداً   لِيُصِحَّنى فإذا السَّلامة دَاءُ[3]

وموضع بيت المتنبى أولى.

(١) المزايلة: المفارقة. وفي م: (المزاولة) ولاتناسب المقام لأن المزاولةمعالجة الشئ وممارسته. ولعله خطأ من الناسخ أو الكاتب الذى أملى عليه المؤلف.

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالى أنشده فى البيان والتبيين (١:٨٦ ط القاهرة) وديوانه (ص٧).

(٣) أحد بيتين لبعض شعراء الجاهلية كما في الكامل للمبرد (ط ليبسك ص١٢٥) (والحلبى ص١٨٧). ونسبه ابن السيد البطليوسى فى شروح سقط الزند ص ١٦٦١ للبيد بن ربيعة وقبله.

كانت قناتى لاتلين لغامز   فألانها الإصباح والإمساء

(وانَّ البُخْتَ لأيعْـرِقْن إلاّ   وَقد انْضَى العُذّافِرةَ اللّكاكاَ)

البُخْت: جمع بُخْتِيّ؛ حذفت ياء النسب فى الجمع، لأنها بمنزلة التأنيث؛ فى أنها داخلة على الأسم بعد تمامه؛ ألا تراهم قالوا تَمْرةٌ وتَمْرٌ ؛ ونخلة ونَخل. (ويعْرقْنَ): يأتين العراق، و(أنضى): أهزل و(العُذافرة): العظام. أخبر عن جماعة مالا يعَقْل بشكل الواحد. حكى سيبويه عن العرب: الجمالُ ذاهبة وذاهبات. ولا أقول (العذافرة) هاهنا واحدة؛ لأن نَدَى فَنَّاخُسْرَ عنده؛ أعظم من أن يصفه بأن تستقل به ناقه واحدة. واللُّكاك: الأينق الشّداد؛ وهى اللحِمة أيضاً هنا. حكى سيبويه: ناقة لِكاك؛ وأينق لِكاك والقول فى هذا؛ القول فى دِرْعٍ دِلاَص وأدرع دلاص. فان الكسرة، التى فى الجمع غير التى فى الواحد؛ والألف غير الألف. وقد أعَدْت هذا القول مراراً لأونس به المستوحش؛ فإنى رأيتهُم عند تفسيره لهم دِهشين. ولو فهموا كلام سيبويه، أَنِسُوا إليه.

ورواه بعضهم: (اللُّكّاكا). وفُعَال[1]: من الجمع العزيز؛ إلا أن له نظائر جَمة، كعَرْق وعُرَاق، وثنِى وثُناء وقد ذكر سيبويه[2] وأهل اللغة منه حروفاً جَمّة وعليه وجه الفارسىّ قراءة من قرأ (إنا بُرَاءُ منْكم)[3] قال: هو جمع برئ[4] كفَرِير وفُرارٍ، يعنى ولد البقرة. وجعل بعضهم الفُرار لغة فى الفرير. ونظائره عَريضه أريضة.

ومعنى البيت: ولَيْتَ النوم حَدَّث هذا المحبوب الذى يريه إياىَ فى النوم، حُبُّه لى، وتوحُّشهَ نحوى، أن البُخْت لاتبلغ بنا العِراق حتى يُنْضيها او يُفنْيها ماتَحَمّلْته من نَداك، لثقل ماحَمَّلتها إياه، من البُدور والخلع وهذا نحو قول أبى العتاهية يصف الإبل،

---

(١) ذكر صاحب اللسان مادة (عرق) عدة ألفاظ على وزن (فُعال بضم الفاء وفتح العين.

(٢) انظر الكتاب لسيبويه (١٩٦:١).

(٣) الآية ٤ من سوة الممتحنة.

(٤) ذكر القرطبى قراءات هذه الآية فقال: براء: جمع برئ، مثل شريك وشركاء وقراءة العامة على وزن فعلاء وقرأ عيسى بن عمر وابن إسحاق(براء)(بكسر الباء) على وزن (فعال) مثل طويل وطوال. وقرى (بَراء) على الوصف بالمصدر. وقرئ (بُراء) علي إبدال الضم من الكسر.

فإذا وردن بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً   وإذا صَدَرْنَ بنا صَدَرْنَ ثِقالا[1]

والضمير في (أنضى: راجع إلى النَّدَى في قوله: (فليت النومَ حَدَّث عن نَدَاكا).

(وكَمْ طَرِبِ المَسامِعِ لَيس يَـدْرِي   أيَعجَبُ مِنْ ثَنَائِي أمْ عُلاَكَــا)

(وذَاكَ النَّشْرُ عِرضُكَ كانَ مِسْكَـا   وذَاك الشِّعرُ فِهْرِي والمَدَاكَــا)

اى طَرب السامع لاستماع شعرى ليس يدرى أَيُّ الأمرين أولىَ بالتعجُّب منه، أجودة شعرى فيك، أم رفعة عُلاك فى ذاتها، لأن شعرى متناهٍ فى نوع الشعر، وعُلاك متناهية فى نوع العُلَى. فقد تساويا فى السبق والفضل. ولولا البيت الذى بعد هذا، لعُدَّ جَفَاءً من المتنبى، لتسوية شعره فى نوعه بعُلا الملك فى نوعها؛ لكن حَسُنَ ذلك بالبيت الذى ارْدَفه به، فيقول : الأريج الذى ذاع وشاع لشعرى، إنما هو لعرضك السليم الكريم، فان عرضك هو المسكُ الذى إنما طبْعه الطيب لذاته لاشِعْرى وإنما شعرى هو بمنزلة الفهر والمَدَاك، اللذين يُظْهران فوح المسك، وينشران نَشْرَه، لان المسك إذا سُحِقَ كان أسطع لِعَرْفه، وأشْيَع لِفَوْحه

وأما شعرى فلم يك له فى ذاته طيب إنما كان كالآلة للطِّيب، ألا ترى أن آلة الطيب ليس فى طبيعتها فَوْحُ، إلا بحسب ماتعلق بهذا من الجوهر الذى صُرِّفت فى صنعته.

وقوله (ذاك النشر): ذاك مبتدا، والنشر صفة له، وعرضك: خبر المبتدأ. وأراد: وذاك النشر نشرُ عِرْضك.

هذا إن عنى بالعِرْض الإناء والذات، لأنها جواهر، والنَّشر عَرَض، فلا يخبر عن العَرَض بالجوهر. فلذلك احتجنا إلى تقدير حذف المضاف، كما احتجنا إليه فى قوله تعالى: (ولكن البرَّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ)[2] وذهب سيبويه[3] إلى أن التقدير: (ولكن البرَّ برُّ من آمنَ باللَّه)، أى إيمانُ من آمن باللَّه لأن (البرّ) عَرَض، و(من آمن باللَّه): جوهر، فَقَدَّر الحذف مضافاً، ليخبر بالعَرَض عن العَرَض.

---

(١) انظر ديوان أبى العتاهية وفيه.

فإذا أتين بنا أتين مخفّة   وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(٢) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٣) انظر سيبويه (١: ١٠٨) فى (باب استعمال الفعل فى اللغة لافى المعنى)

قال الفارسيّ: وقد يجوز أن يكون التقدير، ولكن أهلَ البرِّ مَنْ آمَنَ باللّه، وذلك لتقابل الجوهر بالجوهر لأن أهل البرجوهر، و(من آمن باللّه) كذلك. فيخرج إلى باب (هو هو) لأن أهل البر هم المؤمنون باللّه، وإن جعلت العَرَض هنا المَجْد وسائر أنواع الفضائل، لم يحتج إلى حذف المضاف، لأن النشر والمجد كلاهما ليس بجوهر

(وذاك الشعر فِهْرِى والمدَاكا): أى وكان ذاك الشعر. وقوله (كان مِسْكاً) إلى آخر البيت: تفسير لقوله: (وذاك النشر عرضك). والمَدَاك: صَلاَية العَطَّار[1]، دُكْتُ الشئ دَوْكاً: دققته وكان القياس (مِدْوَكاً): لأن بناء مايُعْتَمل به (مِفْعَل)، لكنه شذّ كما شذ المُسْعُط وأخواته، وإن اختلف بناؤهما، فقد التقيا فى الشذوذ.

(فَلا تَحْمَدْهُما واحْمَد هُمَاماً إذَا لم يُسْمِ حامِدُه عَنَاكاَ)

أى لاتحمد الفِهرْ والمَدَاك اللذين عنيت بهما شعرى، لأن حقيقة الطيب ليس لهما، فلا يسنحقان شيئاً من الحمد، وإنما ينبغى لك أيهَا الملكُ أن تحمد نفسك التى اقتنت المساعى، وأنبتت المعالى، باستدعاء القوافى، والثناء الوافى ويعنى بالهُمام نفس المَلِك.

وقوله: (إذا لم يُسْمِ حامده عناًكا): الهاء راجعة إلى الهُمام، وأخبر عنه كما أخبر عن الغائب، لأنه قَد أخرجه ذلك المخرج لقوله (واحْمَدْ هُمَاما) فلم يكن بُدٌّ من أن يعيد إلى الموصوف ذكراً من صفته، لأن قوله (إذا لم يُسْمِ حامده) فى موضع الصفة (لهمام)، وأراد إذا لم يُسْمك حامُده، وإذا لم يُسْمِ حامده محموداً، فإنما يَعْنيك.

وإن شئت قلت: معناه: لو لم يُسْمِك الحامد لعناك، القولان متقاربان والمعنى مشتق من قول أبى نُواس.

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنت كما نُثْنِى وفَوقَ الذى نُثْنِى[2]

وإن جَرَت الألفاظُ يوماً بِمِدْحة لغيركَ إنساناً فأنتَ الذى نَعْنى

---

(١) الصلاية: مَدَقُّ الطِّيب.

(٢) من قصيدة لأبى نواس فى مدح الأمين (ديوانه ص٤١٥).

ولو قال: (إذا لم يُسْم حامدُه عناهُ) كان حسنا، ولكنه حمله على المعنى، لأن المراد فى كل ذلك المخَاطبة.

(أغــرُّ لـه شمَائِـلُ مــن أبيــه   غداً يَلقــى بَنُــوكَ بها أَبَــا كَا)

أى قد أخذت شبَه أبائك، صورةً وفِعْلاً، وبنوك يستكملون شبَهك لأنهم الآن يُشْبِهونك ببعض الشَّبَه، إذْ لم يستكملوا خِصالك، فإذا استكملوها أشبهوك، وإذا أشبهوك وأنت تشبه أباك، فقد أشبهوا أباك. وهذا يتألف فى الشكل الأول من المنِطق. تقول: زيد يشبه عَمراً وعمرو يشبه خالداً، النتيجة: فزيد يشبه خالداً.

(وفى الأحْبَــابِ مُخْتَصٌ بَوَجِــدْ   وآخرُ يَدَّعِى مَعَه اشتِـرَاكَــا)

يُومئ إلى أن وجْدَه لفِراق عضُد الدولة طبيعيٌّ لاعرَضىّ وإن كان غيره يدعى مثل ذلك، فليس كذلك.

(إذَا اشْتَبَهــتْ دُموعٌ فى خُــدودٍ   تبيَّنَ مَنْ بكَى مِمَّنْ تَبَــاكَى)

(بكى): كناية عن الطبيعّى، و(تباكى): كناية عن العَرَضِىّ، لأن التفاعُل قد يأتى لغرض، لإظهار خِلاف ماالأمر به فى الحقيقة.

أنشد سيبويه[1]:

إذا تخازرْتُ ومابِى من خَزَر

فقوله: ومابى من خزر دليل على ذلك. أى: إذا اشتبهت الدموع في الخدود، بما هى عليه من الهَمَلان، وسرعة الجَرَيان، لم يَكُ هنالك بدٌّ من فصل يُميِّزُ بَيْنَ العَرَضِىّ والطبيعى.

وهذا آخر ما انتهى من الشرح المبارك

* * *

(١) الكتاب لسيبويه (٢:٢٣٩) فى (باب دخول الزيادة على فعلت) قال: وقد تجئ (تفاعلت) ليريك أنه ليس فيها من ذلك تغافلت وتعاميت وتعايشت وتجاهلت. قال:

(إذا تخازرت ومابى من خزر)

والخزر: ضيق العين وصغرها خلقه

وتخازر الرجل: إذا ضيق جفنه ليحدد النظر وليس به خزر. إنما يتكلف ذلك ويتظاهر به.

وهذا الرجز أنشده الصحاح لأرطاة (خزر) ورواه أساس البلاغة فى المادة نفسها للعجاج وذكره اللسان بدون نسبة.

ورواه ابن السيد البطليوسي فى الاقتضاب شرح أدب الكتاب (ج٣ ص٢٨٩) وقال: هذا الرجز يروى لعمرو بن العاصى ويروى لأرطاة بن سهية المرى. والتخازر: النظر بمؤخر العين تداهيا ومكرا فإن كان خلقه فهو خزر ١١هـ.

تم التحقيق والحمدلله،،،

الفهــــــــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس شعر المتنبى المشروح

الهمزة

الصفحة

الألف المقصورة

ب

(١) من قصيدة مطلعها : أمن ازديارك فى الدجى الرقباء .·. .... ضياءُ

(٢) من قصيدة مطلعها : أتنكر يا ابن إسحـاق إخـائى .·. .... من إنائى

(٣) من قصيدة مطلعها : عذل العواذل حول قلب التائـــه .·. .... فى سودائه

(الألف المقصورة)

(١) مطلع قصيدة فى هجاء كافور

(ب)

(١) مطلع القصيدة : ....

(٢) من القصيده : بغيرك راعيا عبث الذئـــاب .·. .... الضرابُ

(٣) مطلع القصيدة: ....

(٤) من القصيدة : دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا .·. .... ولا كر بًا

(٥) مطلع القصيدة: ....

(٦) من القصيدة: فديناك من ربع وإن زدتنا كربا .·. .... والغربا

(٧) من مقطوعة أربعة أبيات.

(٨) مطلع القصيدة : ....

(٩) من القصيدة : لا يحزن الله الأميـر فاننـى .·. .... بنصيب

(١٠) من القصيدة : يا أخت خير أخ يا بنت خـير أب .·. ....النسب

(١١) من القصيدة : آخـر ما الملك معزى به .·. .... فى قلبه

(١٢) من القصيدة : فهمت الكتـاب أبر الكـتب .·. .... العربْ

(ت)

(١) مطلع القصيدة

(ح)

(١) من القصيدة : جللا كما بى قلبك التبريح

(د)

(١) مطلع القصيدة : ....

(٢) مطلع القصيدة : ....

(٣) مطلع القصيدة : عواذل ذات الخال فى حواسـد .·. .... لماجد

(٤) من القصيدة : عيد بأية حال عدت يا عيد .·. .... تجديدُ

(٥) أحد بيتين فى سيف الدولة.

---

(٦) من القصيدة : اليوم عهدكم فاين الموعد .... غَدُ

(٧) من القصيدة : أهلا بدار سباك أغيدها .... خردها

(٨) من القصيدة : أود من الأيام مالاتوده .... جندُهُ

(٩) من القصيدة : جاء نوروزنا وأنت مراده .... زناده

(١٠) من القصيدة : ما الشوق مقتنعا منى بذى الكمد .... أحدِ

(١١) مطلع القصيدة .....

(١٢) من القصيدة : أيا خدد الله ورد الخدود .... القدودِ

(١٣) أحد بيتين للمتنبى ...

(١٤) مطلع القصيدة .....

(١٥) من القصيدة : ما سدكت علة بمولد .... بن داود

(١٦) من القصيدة : لكل امرئٍ من دهره ماتعودا .... فى العدا

(١٧) من القصيدة : احلما نرى أم زمانا جديدا .... أعيدا

(١٨) من القصيدة : أزائر ياخيال أم عائد .... راقدْ

الصفحة

(ذ)

(١) من القصيدة: أمساور أم قرن شمس ذا .... الأستاذا

(ر)

(١) من القصيدة : أريقك أم ماء الغمامـة أم خمر .... جمرُ

(٢) من القصيدة : أطاعن خيلا من فوارسها الدهر .... الصبرُ

(٣) من القصيدة : الصوم والفطر والأعياد والعصر .... والتمرُ

(٤) من القصيدة : ظلم لذا اليوم وصف قبل رؤيته .... النظرُ

(٥) من القصيدة : سر حيث حل تحله النـوار .... المقدارُ

(٦) من القصيدة : طوال قنا تطاعنها قصار .... أظهرُ

(٧) من أبيات :

(٨) من القصيدة : رضاك رضاك الذى أوثر .... أظهرُ

(٩) مطلع قصيده للمتنبى فى صباه.

(١٠) مطلع القصيدة.

(١١) أحد أبيات ثلاثة.

(١٢) من القصيدة: بادهواك صبرت أم لم تصبرا .... أو جرى

---

(١٣) أحد أبيات ثلاثة.

(١٤) أحد بيتين خاطب بهما سيف الدولة

(ز)

(١) مطلع القصيدة .....

(س)

(١) من القصيدة : أظبيةالوحش لولا ظبيه الأنس .... تعِس

(ش)

(١) من القصيدة : مبيتى من دمشق على فراش .... حاش

(ع)

(١) من القصيدة : حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا................................. اشيع

(٢) من القصيدة : غيرى باكثر هذا الناس ينخدع .... شجعوا

(٣) من القصيدة : الحزن يقلق والتجمل يردع .... طيعُ

(٤) من القصيدة : ملث القطر أعطشها ربوعا .... النقيعا

(٥) مطلع القصيدة.... .

(ف)

(١) احد أبيات ثلاثة.

(ق)

(١) من القصيدة : هو البين حتى ما تأتى الخزائق .... افارق

(٢) من القصيدة : أرق على أرق ومثلى يأرق .... تترقرقُ

(٣) من القصيدة : لعينك ما يلقى الفؤاد ومالقى .... ومابقى

(٤) من القصيدة : تذكرت ما بين العذيب وبارق .... السوابق

(٥) من القصيدة : أتراها لكثرة العشاق .... فى المآقى

(٦) من القصيدة : لام اناس أبا العشائر فى .... والورقِ

(٧) من القصيدة : أيد رى الدمع أى دم أراقا .... شاقا

(ك)

(١) مطلع القصيدة :

(ل)

(١) من القصيدة : عزيز أسى من داؤه الحدق النجلُ .... من قبلُ

(٢) من القصيدة : قفا تريا ودقى فهـــاتا المخـــابلُ .... قائل

الصفحة

ل

(ل)

(٣) مطلع القصيدة :

(٤) من القصيدة : رويدك أيها الملك الجليل .... تنيلُ

(٥) من القصيدة : ليالى بعد الظاعنين شكول .... طويلُ

(٦) من القصيدة : دروع لملك الروم هذى الرسائل........................ ويشاغلُ

(٧) من القصيدة : لا خيل عندك تهديها ولا مالُ .... الحالُ

(٨) من القصيدة : مالنا كلنا جو يارسول .... المتبولُ

(٩) من القصيدة : أينفع فى الخيمة العذل (ويروى أيقدح) .... يشملُ

(١٠) من القصيدة : لك يا منال فى القلوب منازل .... أوهل

(١١) من القصيدة : اثلث فإننا أيها الطللُ .... الإبلُ

(١٢) مطلع القصيدة .

(١٣) مطلع القصيدة .

الصفحة

ل

(ل)

(١٤) من القصيدة : كدعواك كل يدعـى صحة العقل .... من جهل

(١٥) من القصيدة : أعلى الممالك ما يبنى على الأسل .... كالقبـل

(١٦) من القصيدة : صلة الهجر لى وهجر الهـلال .... الهـلال

(١٧) من القصيدة : إلام طمـاعيـة العـاذل .... للعاقل

(١٨) من أبيات فى صباه.

(١٩) من القصيدة : نعـد المشـرفية والعـوالـى .... قتـال

(٢٠) من القصيدة . (أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل .... والإبل

(٢١) أحد أبيات ثلاثة.

(٢٢) مطلع القصيدة .

(٢٣) من ارجوزه اولها: ومنزل ليس لنا بمنزل.

(٢٤) من أرجوزه اولها: ما أجدر الأيام والليالى.

(ل)

(٢٥) من القصيدة : ذى المعالى فليعلون من تعالى .... فلالا.
(٢٦) مطلع القصيدة .
(٢٧) من القصيدة : فى الخد إن عزم الخليط رحيلاً .... محولا
(٢٨) أحد أبيات أربعة
(٢٩) من القصيدة : بقائى شاء ليس هم ارتحالاً .... لا الجمالا
(٣٠) من القصيدة : لا تحسبوا ربعـــكم ولا طلله .... قتلـه

(م)

(١) مطلع القصيدة .
(٢) من القصيدة : على قدر أهل العزم تاتى العزائم .... المكارم
(٣) من القصيدة : واحر قلباه ممن قلبه شبم .... سقم
(٤) من القصيدة : نرى عظماً بالصد والبين أعظم . ... منهم
(٥) مطلع القصيدة .
(٦) مطلع القصيدة .
(٧) مطلع القصيدة.
(٨) من القصيدة : أين أزمعت أيهذا الهمام . ...:......... الغمام

(٩) من القصيدة : لا افتخار إلا لمن لا يضام . ... لا ينام

(١٠) مطلع القصيدة.

(١١) من القصيدة : لهوى النفوس سريرة لا تعلم .... أسلم

(١٢) مطلع القصيدة.

(١٣) مطلع القصيدة.

(١٤) مطلع القصيدة.

(١٥) من القصيدة : ضيف ألم بجسمى غير محتشم .... باللمم

(١٦) مطلع القصيدة.

(١٧) من القصيدة : أيا عبدالإله معاذ إنى .... مقامى

(١٨) من القصيدة : ذكر الصبا ومراتع الآرام .... حمامى

(١٩) من القصيدة : فراق ومن فارقت غير مذمم .... خير ميمم

(٢٠) من القصيدة : علومكما يجل عن الملام .... الكلام

(٢١) من القصيدة : ألا لا أرى الأحداث حمدا ولا ذما .... حلما

(ن)

(١) من القصيدة : بم التعلل لا أهل ولا وطن .... سكن

(٢) من القصيدة : حجب ذا البحر بحار دونه .... ويحمدونه

(٣) من القصيدة : الرأى قبل شجاعة الشجعان .... الثانى

(٤) من القصيدة : عدوك مذموم بكل لسان .... القمران

(٥) مطلع القصيدة .

(٦) من القصيدة : أفاضل الناس أغراض لذا الزمن .... الفطن

(٧) أحد بيتين.

(٨) مطلع القصيدة .

(٩) من القصيدة : قضاعة تعلم أني الفتى .... الزمان

(١٠) من القصيدة : نزور ديارا ما نحب لها مغنى .... الإذنا

(١١) مطلع القصيدة .

(١٢) من القصيدة : صحب الناس قبلنا ذا الزمانا .... ماعنانا

(١٣) من القصيدة : الحب ما منع الكلام الألسنا .... ما اعلنا

الصفحة

هـ

ى

* * *

(هـ)

(١) من القصيدة : الناس ما لم يروك أشباه .... معناه
(٢) مطلع القصيدة.

(ى)

(١) مطلع القصيدة.

فهرس الأعلام

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ط)

فهرس البلاد والأماكن

فهـــرس الأمثــــال

شكر

لمطبعة دار الكتب المصرية

للسيد مدير المطبعة وأقسامها الفنية المختلفة خالص الشكر على ما بذلوه من جهد فى إنجاز طبع هذا الكتاب مع الدقة وحسن التنسيق وجمال الإخراج .

رقم الإيداع بدار الكتب ٩١٨٢ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0050 - 7

